

## الحسيب

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحة بما اجتاحت، المطلع على ضمائر القلوب إذا هذا، الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض تحركت أو سكنت، المحاسب على النقيير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت، المتفضل بقبول طاعات العباد وإن صغرت، المتطول بالعفو عن معاصيهم وإن كثرت. وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت وتتنظر فيما قدمت وأخرت، فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في سعيد القيامة وهلكت.

الحسيب: هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر، بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وعظيمها<sup>١</sup>.

الحسيب: المحصي لكل شيء<sup>٢</sup>.

الحسيب من أسماء الله الحسنى: وهو الذي لا يغفل عن كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها وحاسبها على الصراط بالحق، قال تعالى: {إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}<sup>٣</sup>

قال الله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}<sup>٤</sup>. وقال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِيْ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}<sup>٥</sup>. وقال تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}<sup>٦</sup>. وقال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا

<sup>١</sup> تفسير السعدي، ج ١، ص ٩٤٧.

<sup>٢</sup> تفسير الجالين، ج ٦، ص ٢٩.

<sup>٣</sup> مريم ٩٣ . ٩٥.

<sup>٤</sup> الأنبياء ٤٧.

<sup>٥</sup> الكهف ٤٩.

<sup>٦</sup> المجادلة ٦.

أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ<sup>٧</sup>. وقال تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}<sup>٨</sup>. وقال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ}<sup>٩</sup>. وقال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ}<sup>١٠</sup>، فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته، فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرابطة، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}<sup>١١</sup>، فرابطوا أنفسهم، فكانت لهم في المرابطة ستة مقامات:

أولها المشاركة: اعلم أن مطالب المتعاملين في التجارات، المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح، وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه، فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطلبه وربحه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}<sup>١٢</sup>، وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة، والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما

<sup>٧</sup> الزلزلة ٦ . ٨ .

<sup>٨</sup> البقرة ٢٨١ .

<sup>٩</sup> آل عمران ٣٠ .

<sup>١٠</sup> البقرة ٢٣٥ .

<sup>١١</sup> آل عمران ٢٠٠ .

<sup>١٢</sup> الشمس ٩ ، ١٠ .

يستعين التاجر بشريكه وغلّامه الذي يتجر في ماله، وكما أن الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه رابعا؛ فكذا العقل يحتاج إلى مشاركة النفس أولا فيواظب عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق.

ثم بالمراقبة: لا يغفل عن مراقبتها لحظة، فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال.

ثم بالمحاسبة: ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحتها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء، فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا معه إنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى، ثم كيفما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء، ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم، لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر، والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير<sup>١٣</sup>.

ثم بالمعاقبة، ثم بالمجاهدة، ثم بالمعاقبة: والنفس بالطبع متمردة على الطاعات مستعصية على العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها قال تعالى: {وَذَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} <sup>١٤</sup>، فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل، والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير وكذلك أثناء العمل حتى يتم التقويم في الوقت المناسب للإصلاح والمعالجة، قال الله تعالى: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} <sup>١٥</sup>، وهذا للمستقبل، وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة، فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة، وقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا} <sup>١٦</sup>، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا

<sup>١٣</sup> إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٤٨٠.

<sup>١٤</sup> الذاريات ٥٥.

<sup>١٥</sup> البقرة ٢٣٥.

<sup>١٦</sup> النساء ٣٤.

الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ<sup>١٧</sup>، وقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ<sup>١٨</sup>، ذكر ذلك تحذيرا وتنبها للاحتراز منه في المستقبل<sup>١٩</sup>. ورُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه: "إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانتبه عنه"<sup>٢٠</sup>. وقال بعض الحكماء: "إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة"<sup>٢١</sup>. وقال لقمان: "إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة"<sup>٢٢</sup>. وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ"<sup>٢٣</sup>، دان نفسه: أي حاسبها، وقال عمر رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتتهيأوا للعرض الأكبر"<sup>٢٤</sup>. وكتب إلى أبي موسى الأشعري: حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة. وقال لكعب: كيف تجدها في كتاب الله؟ قال: ويل لديان الأرض من ديان السماء؛ فعلاه بالدرة وقال: إلا من حاسب نفسه، فقال كعب: يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه. وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال: من دان نفسه يعمل لما بعد الموت. ومعناه: وزن الأمور وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فبأشرفها<sup>٢٥</sup>.

<sup>١٧</sup> الحجرات ٦.

<sup>١٨</sup> ق ١٦.

<sup>١٩</sup> إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٤٨١، ٤٨٢.

<sup>٢٠</sup> كنز العمال، ج ١٥، ص ٧٩٤.

<sup>٢١</sup> إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٤٧٩.

<sup>٢٢</sup> المصدر السابق، ص ٤٧٩.

<sup>٢٣</sup> سنن الترمذي، ج ٨، ص ٤٩٩.

<sup>٢٤</sup> إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٤٧٩.

<sup>٢٥</sup> المصدر السابق ص ٤٧٩.

وأسماء الله كلها أسماء حسنى تتضمن المجد والشرف بل هي نص في المجد والشرف فلهذا قيل فيه أنه تعالى حسيب وهو الواحد الأحد مصداقا لقوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} <sup>٢٦</sup>، ولأنه حسيب قال تعالى: {وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} <sup>٢٧</sup>، ولأنه حسيب قال تعالى: {وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} <sup>٢٨</sup>. والحسيب إذا عدّد عليك نعمة ليريك منته عليك لما كفرت بها فلم يؤاخذك لحلمه وكرمه وبما هو كافيك عن كل شيء لا إله إلا هو العليم الحكيم <sup>٢٩</sup>.

قال الغزالي رحمه الله تعالى: وليس للعبد مدخل في هذا الوصف إلا بنوع من المجاز بأن يكون كافيا لطفه بتعهده أو لتلميذه بتعليمه حتى لا يفتقر إلى غيره. وهذا المعنى صحيح في حقه صلى الله عليه وسلم لأنه كاف لأمته جميع ما تحتاج إليه من أمور الدنيا والآخرة بحيث لا يحتاجون إلى غيره صلى الله عليه وسلم <sup>٣٠</sup>. وحسبي وحسبكم الله ونعم الحسيب.

والحسيب من الرجال الذي يعدّ لنفسه مآثر وأفعالا حسنة، أو يعد آباءً أشرافاً <sup>٣١</sup>. ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْحَسَبُ الْمَالُ وَالْكَرَمُ التَّقْوَى" <sup>٣٢</sup> هدم به قاعدة العرب التي تقول: (الغني يعظم كما يعظم الحسيب)، ولكن من له التقوى هو الكريم الحسيب، لا من يجود بماله ويبيذره ويخطر بنفسه ليعد جوادا شجاعا. وقيل: الحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف، والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء، فجعل المال بمنزلة شرف النفس أو الآباء، والمعنى أن الفقير ذا الحسب لا يوقر ولا يحتفل به، والغني الذي لا

<sup>٢٦</sup> الإخلاص ٤، ١.

<sup>٢٧</sup> الأحزاب ٤.

<sup>٢٨</sup> الفتوحات المكية، ج ٦، ص ٤٧٢.

<sup>٢٩</sup> الفتوحات المكية، ج ٧، ص ٦٤.

<sup>٣٠</sup> سبل الهدى والرشاد، ج ١، ص ٤٤٩.

<sup>٣١</sup> أدب الكتاب لابن قتيبة، ج ١، ص ١٨.

<sup>٣٢</sup> سنن الترمذي، ج ١١، ص ٧٤.

حسب له يوقر ويجل في العيون، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: "حسب المرء دينه ومروءته خلقه"<sup>٣٣</sup>.

وللاحتساب صور: منها: ما كان طلبا لوجه الله تعالى: ومنه الحديث: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا"<sup>٣٤</sup>، أي طلبا لوجه الله وثوابه، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه؛ لأن له حينئذ أن يعتد عمله فجعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتد به. والاحتساب في الأعمال الصالحة وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبا للثواب المرجو منها. فعن عمر رضي الله عنه قال: "أيها الناس احتسبوا أعمالكم فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته". ومنه الحديث: "من مات له ولد فاحتسبه"، أي احتسب الأجر بصبره على مصيبيته، ومعناه: اعتد مصيبيته به في جملة بلايا الله التي يثاب على الصبر عليها<sup>٣٥</sup>.

الحسيب جل جلاله هو الذي بيده مقاليد الأمور ويعلم دقائقها، وهو الذي خلق كل شيء بالميزان والقسط، وهو الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السموات العلى، وهو الذي يعلم الغيب ومسبباته والغايات العظام التي من ورائه.

الحسيب هو لا يخلق شيء إلا لشيء، ولكل سبب، فكان قوله الحق حسيبا، وفعله الحق حسيبا، ولذا فهو {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}<sup>٣٦</sup>.

والمعنى اللغوي للحسيب: في أسماء الله تعالى الحَسِيبُ هو الكافي فَعِيلٌ بمعنى مُفْعَلٍ مِنْ أَحْسَبَنِ الشَّيْءَ إِذَا كَفَانِي وَالْحَسَبُ الْكَرْمُ، وَالْحَسَبُ الشَّرْفُ الثَّابِتُ فِي الْآبَاءِ، وَقِيلَ: هُوَ الشَّرْفُ فِي الْفِعْلِ، وَمَا يَعُدُّهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَفَاخِرِ آبَائِهِ، وَالْحَسَبُ الْفِعَالُ الصَّالِحُ حَكَاهُ ثَعْلَبٌ، وَمَا لَهُ حَسَبٌ وَلَا نَسَبٌ، الْحَسَبُ الْفِعَالُ الصَّالِحُ وَالنَّسَبُ الْأَصْلُ<sup>٣٧</sup>.

<sup>٣٣</sup> النهاية في غريب الأثر، ج ١، ص ٩٥٥.

<sup>٣٤</sup> المصدر السابق، ص ٩٥٥.

<sup>٣٥</sup> المصدر السابق، ص ٩٥٥.

<sup>٣٦</sup> غافر ١٩.

<sup>٣٧</sup> صحيح مسلم، ج ٧، ص ٣٨٨.

وفي الحديث: "تُنكحُ المرأةُ لِمَالِها، وَحَسَبِها، وَمِيسَمِها، وَدِينِها، فَعَلَيْكَ بِذاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ"<sup>٣٨</sup>. قال ابن الأثير: قيل الحَسَبُ الفَعَالُ الحَسَنُ.

فَفَرَّقَ بَيْنَ الحَسَبِ والنَّسَبِ فَجَعَلَ النَّسَبَ عَدَدَ الآبَاءِ والأُمهاتِ إِلى حَيْثُ انْتَهَى، والحَسَبُ الفَعَالُ مِثْلُ: الشَّجَاعَةِ، والجُودِ، وَحُسْنِ الخُلُقِ، والوَفاءِ<sup>٣٩</sup>.

الحسيب: من أسماء الله الحسنى، التي تُظهر الدقة في التقدير، بما يميز بين ما يجب من ثواب وعقاب، ومن خير وشر، لأجل مترتب جليل: جنة أو نار (سعادة أو شقاء). والحسيب المطلق هو الذي يمتلك القدرة المطلقة للتمييز بين الدقيق والأدق منه، وهو الذي يضع الموازين قال تعالى: {وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}<sup>٤٠</sup>، والحسيب العادل جل جلاله هو الذي يضع الموازين القسط، ولهذا فمن يُريد أن يكون خليفة الله في الأرض فعليه بالعدل، وأن يحسب بكل دقة لكل شيء حسابه، حتى يكون قادرا على التمييز بين ما يجب الإقدام عليه وهو خير، وبين ما لا يجب الإقدام عليه وهو شر؛ وعندما يكون على ذلك يكون قد استمد له صفة من صفات الله تعالى التي يُستخلف بها في الأرض.

فالحسيب المطلق جل جلاله هو الذي رفع السماء ووضع الميزان قال تعالى: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ}<sup>٤١</sup>. فالله تعالى لو لم يضع الميزان بالقسط ما كان حسيبا، فهو حسيب بأسباب القواعد التي وضعها بوضعه الميزان؛ ليقام الحق، ويسود العدل بين العباد، سبحانه ما أعظم شأنه! ولأن أسماءه وصفاته حسان، فهو بذلك أراد لمن خُلق في أحسن تقويم أن يكون خليفة مقتديا بصفاته تعالى في الأرض، أي أن الخليفة هو كل من يقتدي بصفات الله تعالى في الأرض، فيصلح ولا يسفك الدماء فيها بغير حق.

<sup>٣٨</sup> المصدر السابق، ص ٣٨٨.

<sup>٣٩</sup> لسان العرب، ج ١، ص ٣١٠.

<sup>٤٠</sup> الأنبياء ٤٧.

<sup>٤١</sup> الرحمن، ٧، ٨.

و ورد اسم الحسيب على ثلاثة معان:  
أحدها: أنه الشهيد.

والثاني: أنه الكافي، فسبحانه وتعالى هو الكافي لعباده الذين لا غنى لهم عنه أبداً، فهو خالقهم وباريهم ورازقهم.

والثالث: أنه المحاسب: ويكون بمعنى الكافي، فقولهم للرجل للتهديد: حسبه الله، ومعناه يحاسبه الله على ما يفعل من الظلم، وأما قولهم: حسيبك الله أي كافيك الله. واعلم أن هذا وعيد لولي اليتيم وإعلام له أنه تعالى يعلم باطنه كما يعلم ظاهره؛ لئلا ينوي أو يعمل في ماله ما لا يحل، ويقوم بالأمانة التامة في ذلك إلى أن يصل إليه ماله، وهذا المقصود حاصل سواء فسّرنا الحسيب بالمحاسب أو بالكافي<sup>٤٢</sup>.

والحسيب هو الرفيع في الدقة، وهو القادر على أن يفعل ما يشاء، وكيف يشاء، وهو الذي يعلم مسبق نتائج الأمور والأحوال قبل وقوعها؛ ولذا فهو الغالب وهو القهار والفعال لما يُريد، وهو الغفور الودود.

والحسيب هو الذي يمتلك القدرة المطلقة فيفعل مطلقاً، ولذا فهو الذي لا ينحصر في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، بل دائماً مطلق لا محيط له ولا تحده حدود ولا تنتهيه نهاية وهو الأول والآخر وهو السميع البصير وهو على كل شيء قدير.

وورد لفظ الحسيب في قوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا<sup>٤٣</sup>}. فالتحية شعار للتقدير المتبادل بين الناس، فمن يحيي بالتقدير والاحترام ليس عليه إلا أن يحيي بمثل ما حيي به أو أحسن منه، وأحسن تحية بين من يُراد لهم أن يكونوا الخلائف في الأرض هي: (السلام عليكم) ليرد عليه (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) وقوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) تتضمن هذه الآية الكريمة ما تحمله النية في القول، ولهذا فالله تعالى حسيب على القول والنية، أي كلما تطابق القول مع النية، كان

<sup>٤٢</sup> تفسير الرازي، ج ٥، ص ٦٧.

<sup>٤٣</sup> النساء، ٨٦.



في ذلك تقدير للحسيب المطلق جل جلاله الذي قال: (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)، وكلما اختلف القول عن النية قل التقدير الذي يستوجب الاحترام المُمكن من نيل الجزاء الأوفر من الله تعالى وهو علام الغيوب جل جلاله.

وقد قال الإمام الطبري أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: أن الله كان على كل شيء مما تعملون أيها الناس من الأعمال من طاعة ومعصية حسيبا عليكم، حتى يجازيكم عليها جزاءه<sup>٤٤</sup>.

ومما تقدم نلاحظ أن للاسم -الحسيب- عدة معانٍ، يشتمل كل معنى منها دروساً، يجب على الخليفة المؤمن أن يتخلق بها حتى يتسنى له نيل شرف خلافة الله في أرضه، والتي نصت عليها كثير من الآيات القرآنية:

أولها: الشهيد: وذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: {وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}<sup>٤٥</sup>، أي وكفى بالله كافياً من الشهود الذين يشهدهم والي اليتيم على دفعه مال اليتيم إليه، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: {وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا}<sup>٤٦</sup>، وفي قوله تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}<sup>٤٧</sup>. وكذلك في قوله تعالى: {فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ}<sup>٤٨</sup>. فعلى الخليفة أن يكون حسيبا، أي شهيدا بالحق إذا طُلب إليه أن يشهد في أمر من الأمور، سواء على غيره أو على نفسه، فلا يعمد إلى تبديل، أو تحريف شهادته، وتحويلها إلى شهادة زور، فيكون بذلك سبباً في الأذى بالآخرين، وإضاعة الحقوق، وإعطائها لمن لا يستحقها، وهذا الفعل ينافي أوامر الله عز وجل بإقامة العدل بين الناس، فيكون الذي حُرف شهادته من الذين لا يستحقون

<sup>٤٤</sup> تفسير الطبري، ج ٨، ص ٥٩١.

<sup>٤٥</sup> النساء، ٦.

<sup>٤٦</sup> النساء، ٣٣.

<sup>٤٧</sup> النساء، ٧٩.

<sup>٤٨</sup> يونس، ٢٩.

الخلافة في الأرض؛ وذلك لأنهم لا يتصفون بصفاته العلية المدلول عليها في أسمائه الحسنى.

ثانياً: الكافي:

إن الله تعالى هو الكافي لمن التجأ إليه عن سواه، والكافي لمن استعان به أو استتصره، ومنه قوله تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} <sup>٤٩</sup>. أي فَإِنْ تَوَلَّوْا وأعرضوا عن الإيمان بك، وناصروك العدا فاستعن بالله وفوض أمرك إليه فهو حسبك، وهو كافيك معرفتهم ولا يضررونك وهو ناصرك عليهم <sup>٥٠</sup>.

وكذلك قال تعالى: {وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} <sup>٥١</sup>. والكفاية يكون لها عدة أوجه:

- فالله عز وجل هو كافٍ عبده الذي يلتجئ إليه طالباً الحماية والنصرة فهو الذي نستعينه مما لا قبل لنا به من وساوس الشيطان والنفس وفتنة المسيح الدجال وعذاب النار.

- كما نستعيز به عز وجل ونلجأ إليه ليرفع عنا البلاء وشرور من لا يخافه من الناس، فهو وحده الذي يكفيننا كل ما نخافه ونخشاه إذا التجأنا إليه بقلب خاشع واعتقاد جازم بأنه لا ملجأ لنا إلا هو ولا نلجأ إلى أحد سواه. قال الله تعالى في كتابه العزيز: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} <sup>٥٢</sup>.

- قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: (إن ينصركم الله)، أيها المؤمنون بالله ورسوله، على من ناوكم وعاداكم من أعدائه والكافرين به (فلا غالب لكم) من الناس، يقول: فلن يغلبكم مع نصره إياكم أحد، ولو اجتمع عليكم من بين أقطارها من خلقه، فلا تهابوا أعداء الله لقلته عددكم وكثرة عددهم، ما كنتم على أمره واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله، فإن الغلبة

<sup>٤٩</sup> التوبة ، ١٢٩ .

<sup>٥٠</sup> الكشاف ، ج ٢ ، ص ٤٩١ .

<sup>٥١</sup> الزمر ، ٣٨ .

<sup>٥٢</sup> آل عمران ، ١٦٠ .

والظفر لكم دونهم، (وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده)، يعني: إن يخذلكم ركم بخلافكم أمره وترككم طاعته وطاعة رسوله، فيكلكم إلى أنفسكم (فمن ذا الذي ينصركم من بعده)، يقول: فأيسوا من نصرة الناس، فإنكم لا تجدون ناصرًا من بعده إن خذلكم، ويقول: فلا تتركوا أمري وطاعتي وطاعة رسولي فتهلكوا بخذلاني إياكم، (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)، يعني: ولكن على ركم أيها المؤمنون، فتوكلوا دون سائر خلقه، فارضوا به عن جميع من دونه، ولقضائه فاستسلموا، وجاهدوا فيه أعداءه، يكفكم بعونه، ويمدكم بنصره<sup>٥٣</sup>. وقد جاء نصر الله عز وجل جلياً واضحاً في أحداث غزوة بدر الكبرى.

- وكذلك هو كاف عبده الذي يلجأ إليه سائلاً إياه السعة في الرزق أو التوفيق في أموره الحياتية أو غيرها من الحوائج، وبذلك أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ففي حديث ابن عباس قال: "كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"<sup>٥٤</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>٥٥</sup>، فقوله تعالى: (من يتوكل على الله فهو حسبه) تدل هذه الآية على شيئين:

الأول: النية الصادقة: في طاعة الله ومحبته التامة لأجل الاعتماد عليه في كل أمر خير، فالله جل جلاله سيجازي المتوكل عليه بهذه النية الصافية الصادقة التي يعلمها الله بجزاء وافر ورحمة واسعة وحفظ من كل سوء أو شر أو حسد أو ظلم أو قهر.

<sup>٥٣</sup> تفسير الطبري، ج ٧، ص ٣٤٧.

<sup>٥٤</sup> سنن الترمذي، ج ٩، ص ٥٦.

<sup>٥٥</sup> الطلاق، ٣.

الثاني: النية الكاذبة: ومثل هؤلاء هم الذين يقولون مالا يفعلون، وهؤلاء فيما يقولون، ولا يفعلون فالله حسبهم على قولهم الذي لم يفعل من قبلهم، وذلك بأسباب النية الكاذبة، وهؤلاء سيكون لهم العذاب الشديد إن لم يستغفروا الله ويتوبوا إليه، ولهذا فهو حسبهم.

قال القشيري: فالله حاسبه، أي: كافيته. (إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ)، إذا سَبَقَ له شيءٌ من التقدير فلا محالة يكون، وفي التوكل لا يتغير المقدور ولا يتأخر، ولكن المتوكل تكون ثقته بقلبه، غير كارهٍ لما يرد عليه، وهذا من أجل النعم، فسبيل العبد الخمود والرضا دون استعلام الأمر، وقال في القوت: والحسب إلى الحسيب يجعله ما شاء كيف شاء، فقد قيل: (فهو حسبُه) أي: التوكل حسبُه من سائر المقامات، ثم قال: (إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) أي: منفذ حكمه فيمن توكل، ومن لا يتوكل، إلا أن من توكل عليه يكون الله عز وجل حسبه خير كبير وأجر كريم ونعمة واسعة، أي: يكفيه أيضاً مُهم الدنيا والآخرة، ولا يزيد من لم يتوكل عليه جناح بعوضة في قسمه، كما لا ينقص عنه ذرة من رزقه، لكن يزيد من توكل عليه هُدىً إلى هداه، ويرفعه مقاماً في اليقين قدر تقواه، ويُعزّه بعزّه، وينقص من لم يتوكل عليه من اليقين ويجعله شقياً، فيزيده من التعب والهَم، ويُثنت قلبه، ويشغل فكره، فالمتوكل عليه يجب عليه التكفير عن السيئات، لئَلْقَى عليه رضاه ومحبته ليصعد به في المقامات، أمّا الكفاية فقد ضَمِنَهَا تعالى لمن صدق في توكله عليه، والوقاية قد وهبها لمن أحسن تفويضه إليه، إلا أن الاختيار وعلم الاستتار إليه في الكفاية والوقاية، يجعل ذلك ما يشاء كيف شاء، وأين شاء من أمور الدنيا وأمور الآخرة من حيث يعلم العبد، ومن حيث لا يعلم؛ لأنَّ العبد تجري عليه الأحكام في الدارين، وفقير محتاج إلى الرحمة واللفظ في المكانين<sup>٥٦</sup>.

ولذلك فلا بد لمن يريد أن يكون خليفة الله في الأرض أن يكون كافياً لغيره على قدر قدرته وإمكانياته، فيعين من طلب منه العون ما دام ذلك فيما أحله الله، وأن ينصر من طلب منه النصرة على قدر إمكانياته، فيعمل على رفع الظلم، وإحقاق الحق. ومن مكنه الله من تقديم العون والنصرة إلى عباده وبخل بذلك فإنه لا يتصف بصفات الله عز وجل، ولا يستحق أن

<sup>٥٦</sup> البحر المديد، ج ٦، ص ٣٤٤.

يكون من خلفاء الله ولذا يجب علينا أن يعين بعضنا بعضاً و في ذلك قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {٥٧}.

ثالثاً: المحاسب:

فالله سبحانه وتعالى لم يخلقنا عبثاً، ولم يخلق هذا الكون بدون أي تقدير أو حساب، قال تعالى في محكم آياته الكريمة: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّ مَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} <sup>٥٨</sup>. وفسر الطبري ذلك بقوله: "أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم، لعبا وباطلا وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون" <sup>٥٩</sup>. فالآية السابقة جاءت حاملة لمعنى استغرابي أي هل أنتم تعتقدون أننا خلقناكم عبثاً، ولن تعودوا إلينا ثانية لنحاسبكم على ما فعلتم وأنتم غير مؤمنين بما قلنا لكم ولغيركم ممن خلقنا؟ لا. إنكم ستعودون وستحاسبون وحينها تعرفوا أننا لمحاسبون ويومها لا ينفعكم الندم، ولهذا فالحياة الدنيا. فرصة ومدرسة:

فرصة: أعطيت لا ينبغي أن تضيع فهي فرصة لأن نكون الخلفاء في الأرض؛ ولنرث من بعدها الجنة، وعليه فإن الفوز في الدنيا سبب في الفوز بالجنة، ومن يخسر الدنيا يخسر الجنة، ويكون من أهل النار، اللهم احفظنا من النار وأدخلنا الجنة أنت مولانا الرحمن الرحيم سبحانه أنت ولينا، فنعم المولى ونعم النصير.

ومدرسة: نتعلم فيها الكلم الحق، والقول الصدق، والنية الصافية، والعمل الطيب فنؤمن ونعمل صالحاً يرضاه الحسيب تعالى، ولا نفسد ولا نسفك الدماء في الأرض بغير حق، ولا نظلم

<sup>٥٧</sup> المائدة ، ٢ .

<sup>٥٨</sup> المؤمن ، ١١٥ .

<sup>٥٩</sup> تفسير الطبري ، ج ١٩ ، ص ٨٣ .

أحدا، وإذا حكمنا بين الناس أن نحكم بالعدل، ونتقي الله في أنفسنا وأهلينا، وذوي الحقوق علينا، ومن أوصنا الله به خيرا، وأن نؤمن به ونفعل ما أمرنا به حينها لا نتقي الشر بل الشر يتقينا. هذه تعاليم المدرسة التي من نجح فيها دخل الجنة. وعليه لا جنة إلا لمن آمن ولم يكفر أو يشرك بالله الواحد الأحد، وعمل صالحا في الحياة الدنيا، قال تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِي يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} ٦٠. إنه استغراب آخر (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)، أي لا يمكن أن يُترك هكذا كما مهملا، ولنا أمثلة على ذلك لمن يتفكر ويتذكر في قوله تعالى: (أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِي يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى). فالخليفة هو المؤمن الذي يعرف الحقيقة القائلة: (إن وراء كل مخلوق خالق)، ولهذا فهو يؤمن وبمعرفة دراية بالمعطيات العلمية المبرهنة على مصداقية الآية السابقة التي يتدرج فيها النمو الجنيني من النطفة النازلة من المخلوق لتخلق بقوة الله الزوجين الذكر والأنثى؛ ولأن كل ذلك مثبت بالملاحظة والمشاهدة العلمية والواقع كدليل إثبات، ومع ذلك يكون الاستغراب من أولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة التي فيها يحيي الموتى بقوله تعالى: (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) بلى إنه القادر عز وجل.

وهذا الإحصاء الدقيق الشامل والعاقل الذي لا يسهو عن تسجيل كل عمل مهما كان صغيرا أو كبيرا، والذي سيثير دهشة المجرمين يوم يقوم الحساب، فالذين كانوا في الحياة الدنيا لا يبالون بصلاح أعمالهم، ولا يحاسبون أنفسهم على ما قدموا من أعمال، ولا ينتهون عن ارتكاب المعاصي، سوف يصدمون بحساب الحسيب جل جلاله، وهذا المشهد قد صورته الله سبحانه وتعالى في قوله: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا} ٦١.

٦٠ القيامة ، ٣٦ .

٦١ الكهف ، ٤٩ .

فالله حسيب هو المحاسب على العمل أي هو محاسبكم على أعمالكم، وكافي في إيصال جزاء أعمالكم إليكم، فكونوا على حذر من مخالفة هذا التكليف<sup>٦٢</sup>.

وَفُسِّرَ قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا): أي محاسباً على كل شيء من التحية وردّها بأحسن منها أو بمثلها، وعدم الرد فيجازي خيراً على الرد، وشراً على عدمه، كما أمر أن ترك الرد ذنب كبير. فحسيب بمعنى المحاسب، وقيل: الحسيب بمعنى الكافي، كما تقول حسبك درهم أي يكفيك، وقيل بمعنى الحفظ<sup>٦٣</sup>.

وقال تعالى في كتابه العزيز: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} <sup>٦٤</sup>، أي فسوّى كل ما خلق، وهياًه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت<sup>٦٥</sup>.

وأسند الطبري عن الحسن أنه قال: "يا بن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أو قل، أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً، قال تعالى: {أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} <sup>٦٦</sup>، فقد عدل -والله- فيك من جعلك حسيب نفسك<sup>٦٧</sup>.

وفي معنى الحسيب: قال الله جل ثناؤه: (وكفى بالله حسيباً)، قال الحلبي: المدرك للأجزاء والمقادير التي يعلم العباد أمثالها بالحساب من غير أن يحسب؛ لأن الحاسب يدرك الأجزاء شيئاً فشيئاً، ويعلم الجملة عند انتهاء حسابه، والله تعالى لا يتوقف علمه بشيء على أمر يكون، وحال يحدث<sup>٦٨</sup>، فالله تعالى يخلق كل شيء بحساب وتقدير، فهو يعلم ما تصلح به

<sup>٦٢</sup> تفسير الرازي، ج ٥، ص ٣١٨.

<sup>٦٣</sup> هميان الزاد، ج ٤، ص ٥٧.

<sup>٦٤</sup> الفرقان، ٢.

<sup>٦٥</sup> تفسير الطبري، ج ١٩، ص ٢٣٦.

<sup>٦٦</sup> الإسراء، ٢.

<sup>٦٧</sup> المحرر الوجيز، ج ٤، ص ٢٢٤.

<sup>٦٨</sup> الأسماء والصفات للبيهقي، ج ١، ص ٨٣.

الأشياء، فينزل المطر بالقدر الذي يعلمه أنه مفيد، فلو زاد عن ذلك القدر لكان فيه الفساد والدمار، وهو يعلم كذلك ما يصلح لعباده من الرزق، كيف لا وهو خالقهم وهو العالم بما يصلح شؤونهم.

وعليه فلا بد لكل مؤمن تملك الإيمان في قلبه أن يكون متصفاً بصفات الله عز وجل، ومن هذه الصفات صفة الحسيب، فيكون محاسباً لنفسه أولاً، ولغيره ثانياً، فيجب أن يكون كل إنسان حسيباً على نفسه قبل أن يحاسبه الله على أعماله، ويجب أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، وأن نزن أعمالنا قبل أن توزن، فلا خليفة بدون أن يكون حسيباً في كل ما يُمكنه من الإدراك والتذكر والتفكر، ولذا كل خليفة يتفكر ويتذكر لأجل أن يتدبر أمره وأمر الآخرين من أمره، وهذا ما يميزه عن الحائرين المشفقين من أمرهم من الكتاب الكريم الذي لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها وعداها عدا، إنه الكتاب الذي يحتوي على علم الظاهر والباطن والحاضر والغائب ويحرض الخلفاء على عمل التي هي أقوم، قال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا} <sup>٦٩</sup>. فالخليفة هو الذي يؤدي أفعال الخير ويترك أعمال الشر التي نهى عنها الله تعالى، فيتقن عمله الموكل إليه، ويحافظ على أماناته، ويراقب الله في عباداته وفي أسرته وفي كل من حوله؛ فيصل من قطعه، ويساعد المحتاجين، ويتصدق على الفقراء، ويرفق بالناس في تعامله معهم، وإن ظلم ممن يفعل الخير من أجلهم ليس له بد إلا أن يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، وكذلك يجب أن يحاسب من هم تحت إمرته في العمل إن كان مسؤولاً عنهم حتى يكون بذلك ممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويكون ممن قال عنهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من حديث ابن عمر -رضي الله عنه- عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا كُلكُمْ رَاعٍ وَكُلكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ



عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ إِلَّا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ<sup>٧٠</sup>.

وكذلك يجب أن يكون محاسباً لكل من اعتدى على الله ورسوله أمامه إن كان يعلم أن العفو والحلم عنهم لا يُصلِحُ حالهم، فيجازي كل من أساء إليه أو اعتدى عليه؛ لأن في ذلك قوة له، وإثباتٌ بأن المسلمين أقوياء لا يقبلون الظلم على غيرهم أو على أنفسهم، وهم أيضاً يعفون ويتسامحون، فيكون بذلك كله ممن يستحقون أن يخلفوا الله في الأرض؛ لأن الخلافة لا تكون إلا لمن يخصصهم الله بطاعته، ويطهر قلوبهم من الشرك والشور، فيصبحون بذلك ربانيين، أي أنهم بأفعالهم وطاعتهم لله زادت مكانتهم رفعةً، فتشرفوا بانتسابهم لله ربهم الخالق المتعال، فيحق لهم وقتئذ أن ينالوا شرف خلافة ربهم في الأرض فيطبقوا شرعه، ويحكموا بحكمه، ويحملوا لواء الدين طيلة حياتهم.

ولا بد أن يكون الخليفة على يقين بشيئين:

أولهما: أن الله في محاسبته للبشر لا مشقة له فيها ولا تعب، كما جاء في قوله تعالى عز وجل: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ<sup>٧١</sup>}.

وثانيهما: أن الله سبحانه وتعالى سريع الحساب فهو أسرع من حسب عدد خلقه وأعمالهم وآجالهم وهذا ما ورد في قوله عز وجل: {إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ<sup>٧٢</sup>}.

رابعاً : العالم:

اسم الحسيب يتطلب أن يكون المحاسب عالماً بالأشياء التي يحاسب عليها دقيقتها وكبيرها، وهذا متحقق في ذات الله سبحانه وتعالى، فالله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وقد دلت كثير من الآيات على علمه سبحانه وتعالى، فقد ورد في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ<sup>٧٣</sup>، أي أن الله تعالى عالم ما

<sup>٧٠</sup> صحيح مسلم ، ج ٩ ، ص ٣٥٢ .

<sup>٧١</sup> يس ، ٨٢ .

<sup>٧٢</sup> الأنعام ، ٦٢ .

<sup>٧٣</sup> فاطر ، ٣٨ .

تخفون أيها الناس في أنفسكم وتضمرونه، وما هو غائب عن أبصاركم في السماوات والأرض، فاتقوه إنه مطلع عليكم، وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله، أو في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، غير الذي تبدونه بألسنتكم<sup>٧٤</sup>. ولذا فذات الصدور، هي مكنن الخفايا ومبيت الأسرار، التي يعلمها الله هي كما هي مهما حاول أن يطمسها أو يخفيها، أو ينكرها الجاحدون الذين لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ولا يصلحون في الأرض إنهم المفسدون وسافكو الدماء فيها بغير الحق.

قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} <sup>٧٥</sup>. وقال: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) يعني بعالم الغيب: عالم ما غاب عن أبصار وعقول خلقه، فلم يروه ولم يدركوه فلا يظهر على غيبه أحدا، فيعلمه أو يريه إياه إلا من ارتضى من رسول، فإنه يظهره على ما شاء من ذلك<sup>٧٦</sup>. ومع ذلك فلن يكون الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جميعا مطلعين على كل علم من علم الله تعالى، فعلمه المطلق لا تحمله العقول المخلوقة، ولكن من يرتضى من رسل يحملهم الأسرار التي يظهرها لهم، ولا يظهر غيرهم عليها، وهذه خصوصية ارتضاها الله لرسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، وفيما يظهره الله لرسله الكرام حسيبا فيهم، وفي ظروفهم وقدراتهم وملكاتهم، والبيئة التي يعيشون فيها، والتي تحوطهم وفقا للرسالة التي يُصطفى لها كل رسول.

وفي قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} <sup>٧٧</sup>.

<sup>٧٤</sup> تفسير الطبري، ج ٢٠ ، ص ٤٧٩

<sup>٧٥</sup> الجن ، ٢٦ .

<sup>٧٦</sup> تفسير الطبري ، ج ٢٣ ، ص ٦٧١

<sup>٧٧</sup> سبأ ، ٣ .

وقال تعالى: {الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} <sup>٧٨</sup>. وكذلك في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} <sup>٧٩</sup>. فالآيات الدالة على علمه تعالى أكثر من أن تحصى، وقد وصف الله نفسه في كثير من الآيات بالعالم المطلق، وتدل أسماؤه من علام وعليم على أنه كثير العلم، وفي هذا الأمر يُظهر قدرته الحسابية لكل ما يشاء متى ما يشاء، وكيف يشاء، وأن علمه ليس له حد، كما أنه لا يمكن أن يجاوز علمه أي صغيرة أو كبيرة في هذا الكون بما فيه من عالم الغيبيات بالنسبة إلينا وعالم الشهادة كما في قوله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} <sup>٨٠</sup>. فهو العالم بأعمال عباده، فيحاسبهم عليها الحساب العادل الذي استحقوه بعلم الله، وهذا الحساب لا بد أن يكون بعيداً عن الظلم؛ لأن العلم بالشيء ينفي الخطأ في الحكم، والله سبحانه وتعالى منزّه عن الخطأ والظلم والجهل، وعليه فلا بد أن يكون خليفة الله في الأرض عالماً بالأشياء التي يحاسب فيها حتى يكون حسابه عادلاً؛ لأن الله تعالى لا يحب الظلم ولا يرضاه لعباده، فعندما يعلم الإنسان تقصيره في حق الله تعالى في العبادات والطاعات، أو يعلم تقصيره وظلمه لمن حوله من الناس يتسنى له أن يحاسب نفسه على ما قصرت فيه، وعندما يحاسب غيره ممن هو مسؤول عنه لا بد أن يكون عالم بما هو مقدم على محاسبتهم عليه، وأحوالهم النفسية الدافعة لهم على ذلك، وأن يكون عالماً بكمية العقاب الرادع الذي يمكن أن ينزله بهم من أجل إصلاحهم وتأديبهم على ما فعلوا، وإخراجهم من دائرة المعصية والتقصير إلى فناء الطاعة والإخلاص في العمل، ومن لا يتحرى ذلك في محاسبته للآخرين لا بد أن يكون حسابه فيه نوع من الظلم والجور الذي لا يرضاه الله عز وجل، وعندها يكون ممن لا يستحقون خلافته سبحانه وتعالى؛ لأنه ليس ممن يتصفون بصفات الله العلي بل أكثر من ذلك أنه أهمل صفة من صفات الله

<sup>٧٨</sup> التوبة ، ٧٨ .

<sup>٧٩</sup> سبأ ، ٤٨ .

<sup>٨٠</sup> الأنعام ، ٥٩ .

عز وجل، ولم يعمل بها في الأرض وهي العدل بين الناس وخالف أمره تعالى؛ لأن من مبادئ ديننا القيم العدل الذي يبعد الإنسان عن دائرة التعصب، فيعطى كل ذي حق حقه، ويحمل كل مكلف على القيام بواجبه على أتم وجه كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} <sup>٨١</sup>. وكذلك في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} <sup>٨٢</sup>. إن هاتين الآيتين يُحمل معنى الحسيب فيهما، لأجل أن يعم العدل وبالميزان الذي ارتضاه الله تعالى. وفي الآية السابقة من سورة النحل إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، وهو الإنصاف، ومن الإنصاف: الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على أفضاله، وتولي الحمد أهله. وإذا كان ذلك هو العدل، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها، كان جهلاً بنا حمدها وعبادتها، وهي لا تنعم فتشكر، ولا تنفع فتعبد، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولذلك قال من قال: العدل في هذا الموضع شهادة أن لا إله إلا الله. فمن لا يشهد الله بالألوهية ولم يتصف بصفات الله المدلول عليها في أسمائه، فإنه ليس أهلاً لأن يكون خليفة الله عز وجل في الأرض <sup>٨٣</sup>.

قال تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} <sup>٨٤</sup>، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في الآية الكريمة قال: نزلت في الشهادة، وقيل: الآية على ظاهرها، و (مَا فِي أَنْفُسِكُمْ) على عمومها الشامل لجميع الخواطر إلا أن معنى (يُحَاسِبْكُمْ) يخبركم به الله تعالى

<sup>٨١</sup> النساء ، ٥٨ .

<sup>٨٢</sup> النحل ، ٩٠ .

<sup>٨٣</sup> تفسير الطبري ، ج ١٧ ، ص ٢٧٩ .

<sup>٨٤</sup> البقرة ٢٨٤ .

يوم القيامة، وقد عدوا من جملة معنى الحسيب: العليم، وجميع هذه الأقوال لا تخلوا عن نظر فتدبر<sup>٨٥</sup>.

خامساً: الحفيظ:

وقال مُجَاهِدٌ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {حَسْبِيَ اللَّهُ}<sup>٨٦</sup>: أَي حَفِيزًا<sup>٨٧</sup>. فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَضِيعُ أَوْ يَنْسَى أَي عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ سِوَاءِ قَلَّتْ أَوْ عَظُمَتْ، فَإِنْ أَجْرَهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَضِيعَ فَيَتَابَ عَلَيْهَا بِمِثْلِهَا أَوْ يَضَاعِفَهَا اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ لِأَنَّهُ الْأَعْلَمُ بِمَا فِي نَفُوسِ عِبَادِهِ أَوْ كَانَ عَمَلُهُ مِنْ أَعْمَالِ الْمَعَاصِي وَالْعِيَاذِ بِاللَّهِ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ فَاللَّهُ كَذَلِكَ يَحْفَظُ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَلَا يَنْسَاهَا أَوْ يَضِيعُهَا لِجَازِي عَلَيْهَا مِنْ يَفْعَلُهَا الْجَزَاءُ الْمُنَاسِبَ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ، فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ}<sup>٨٨</sup>. وَأَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ}<sup>٨٩</sup>. وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَقَقًا}<sup>٩٠</sup>. وَإِنْ أَخَّرَ اللَّهُ الْعِقَابَ عَلَى عَبْدِهِ الْعَاصِي فَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَسِيَ أَعْمَالَهُ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ: {لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}<sup>٩١</sup>. وَلَكِنَّهُ بِتَأْخِيرِهِ الْعِقَابَ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ

<sup>٨٥</sup> تفسير الألوسي، ج ٢، ص ٣٩٨.

<sup>٨٦</sup> التوبة، ١٢٩.

<sup>٨٧</sup> تفسير اللباب، ج ٥، ص ٢٨٣.

<sup>٨٨</sup> آل عمران، ١٩٥.

<sup>٨٩</sup> الأعراف، ١٧٠.

<sup>٩٠</sup> الكهف، ٣٠.

<sup>٩١</sup> آل عمران، ١٩٧، ١٩٦.

أعطى فرصة لهذا العاصي ليتوب أو يرجع عن هذا الفعل فتحل عليه بذلك رحمة الله بدلاً من عقابه. فواجب على من استخلفهم الله في الأرض من عباده الطائعين الملتزمين بالأوامر والمجتنبين للنواهي، ومن يريد أن يكون خليفة لله في أرضه أن يكون حسيباً بمعنى حفيظاً على نفسه فيحفظ أخطاءه وذنوبه ولا ينساها ليسارع إلى الندم والتوبة إلى الله من تلك الذنوب ويكثر من فعل الطاعات ليكفر عن ذنوبه التي ندم عليها، وأن يكون حافظاً على غيره ممن حوله من الناس فيحفظ لكل الذين أحسنوا إليه أعمالهم وحقوقهم التي أحسنوا بها إليه حتى يُمكنَ هُ أن يحاسبهم ويكافئهم على هذه الأعمال بالجزاء المناسب ولا يكون ذلك إلا بالإحسان إليهم، قال تعالى في كتابه العزيز: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} <sup>٩٢</sup>، فيحفظ بذلك حقوق والديه ومعلميه وكل من قَدَّمَ له معروفاً أو مد يد العون إليه في لحظة من اللحظات ولو بكلمة تُعينه على الصبر في وقوع أي أمر ينزل به القضاء والقدر عليه.

وكذلك يحفظ أعمال من أساء إليه بفعل أو بقول فإن أراد عفا وصفح وحلَّم عن ذلك المسيء إذا كان الحِلْمُ والعفو في موضعه، فيكون بذلك متصفاً بصفات الله من العفو والحلم والرحمة، وإن أراد عاقب فيكون عقابه بمثل ما عوقب به إن لم يعفو، قال تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} <sup>٩٣</sup>، فيكون بذلك متصفاً بصفات الله أيضاً من القوة والقدرة والشدة في الحق، وقد قال الطبري في تفسير هذه الآية: "وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظَلَمَكُمُ واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم من العقوبة، ولئن صبرتم عن عقوبته واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم، ووكلتم أمره إليه، حتى يكون هو المتولي عقوبته" <sup>٩٤</sup>. فلا يكون عقابه أكبر مما وصل إليه من الإساءة، فيكون ذلك ظلم وتعدٍ لا يحبه الله ولا يرضاه من عباده الذين استخلفهم في الأرض ليطبخوا شريعته.

سادساً: المقبیت:

<sup>٩٢</sup> الرحمن ، ٦٠ .

<sup>٩٣</sup> النحل ، ١٢٦ .

<sup>٩٤</sup> تفسير الطبري ، ج ١٧ ، ص ٣٢٢ .

فقد جاء في تفسير الطبري أن من معاني المقيت الحفيظ والشهيد والحسيب، وذلك عند تفسيره قوله تعالى: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} <sup>٩٥</sup>.

القول في تأويل قوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا}. قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: "وكان الله على كل شيء مقيتًا". عن مجاهد: (وكان الله على كل شيء مقيتًا)، قال: "المقيت"، الحسيب <sup>٩٦</sup>.

فالحسيب هو الكافي في الأمور، من أحسبني إذا كفاني <sup>٩٧</sup>.

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تبين أن منصب الخلافة عن الله سبحانه وتعالى في الأرض هو الذي تتحقق به قيادة الإنسانية ويتطلب من القائمين على أمر الإسلام أن يؤدوا حق تمكين الله تعالى لهم في الأرض بما خولهم من أسباب القوة والمنعة، بقوله تعالى في كتابه العزيز: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} <sup>٩٨</sup>، وقوله تعالى: {تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} <sup>٩٩</sup>.

وهذا يؤكد أن فكرة الخلافة في الأرض الواردة في القرآن الكريم هي مسألة مقيدة في أصناف معينة من البشر، ولم تكن مطلقة وعامة في كل البشر بدليل جعل الأمة الإسلامية هي الشاهدة على الأمم، فالله سبحانه وتعالى خلق الأمم واصطفى من كل أمة الأنبياء والطائعين لهم من أممهم، ثم اصطفى من بين الأمم الأمة المحمدية واصطفى من بين الأنبياء والأمة المحمدية سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ليكون هو الشاهد عليها اللهم إنا به آمنة إيماننا بالله تعالى وعليه نصلي ونسلم استجابة لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

<sup>٩٥</sup> النساء ، ٨٥ .

<sup>٩٦</sup> تفسير الطبري ، ج ٨ ، ص ٥٨٣

<sup>٩٧</sup> فيض القدير ، ج ٢ ، ص ٦١٦

<sup>٩٨</sup> آل عمران ، ١١٠

<sup>٩٩</sup> البقرة ، ١٤٣ .

النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا<sup>١٠٠</sup>؛ وبهذا فإنه لا يستحق شرف خلافة الله تعالى في الأرض إلا الذين آمنوا بالله والتزموا بأوامره وابتعدوا عن نواهيه التي نستدل عليها من خلال أسمائه الحسنى حيث يدل كل اسم من أسمائه الحسنى على صفة من الصفات الإلهية مثل الرحيم يدل على الرحمة، القادر يدل على القدرة والقوي يدل على القوة، والحق يدل على الحق والكريم يدل على الكرم والغفور يدل على المغفرة، وهكذا كل صفة من صفاته الحسان تدل على أفعاله الحسان سبحانه إنه ربي لا إله إلا هو جل جلاله به آمنت وعليه توكلت وأوليت أمري وأسرتي وإخوتي وأمتي وما أملك إليه فهو حسبي.

نقل القرطبي عن ابن العربي عند قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>١٠١</sup>، أي اطلبوا منه بأسمائه، فيطلبُ بكل اسم ما يليق به، فتقول: يا الرحمن ارحمني، يا الرزاق ارزقني: يا الهادي أهدني، يا التواب تب علي، وهكذا رتب دعاءك تكن من المخلصين إليه<sup>١٠٢</sup>.

فيتحقق لهم بذلك وعد الله -صدق وعده- حيث قال تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِذْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ<sup>١٠٣</sup>، وقال الله تعالى أيضاً: {إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ<sup>١٠٤</sup>، فيحقق الله تعالى لهم التمكين في الأرض، وبهذا التمكين وبالقيام بحق نصره الله عز وجل بنصرة دينه، وقد وعد الله تعالى الأمة الإسلامية باستخلافها في الأرض إن آمنت واتبعت ما أمر به وانتهت عما نهى عنه، وذلك لأجل أن يقيم عليها موازين العدل، في قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا

<sup>١٠٠</sup> الأحزاب، ٥٦.

<sup>١٠١</sup> الأعراف، ١٨٠.

<sup>١٠٢</sup> أضواء البيان، ج ٨، ص ٢١٣.

<sup>١٠٣</sup> الحج، ٤٠، ٤١.

<sup>١٠٤</sup> محمد، ٧.



يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} <sup>١٠٥</sup>، وفي هذه الآية ثلاثة وعود مباشرة من الله عز وجل للأمة الإسلامية مبشرة لها في مستقبل حياتها.

الوعد الأول: استخلافها في الأرض: لترفع راية الحق، ولتضع موازين القسط بين الناس إذا استقام أمرها على طريق الله تعالى الذي رسمه لها في كتابه الكريم. وهذا الوعد ليس لكل أمة، الإسلام حيث قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ)، والإيمان يستوجب الطاعة في الأوامر والنواهي فمن قال: "لا إله إلا الله"، ولم يلتزم بتعاليم الله الواردة في القرآن، ولم يكن القرآن خُلُقَهُ، ولا متصفاً بصفات الله التي يحبها الله تعالى فينا بقوله: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} <sup>١٠٦</sup> فهذا النوع من الناس والمسلمين لا وعد له؛ لأنه ليس من المؤمنين الذين وعدهم الله .

الوعد الثاني: تمكين دين الأمة الإسلامية الحق الذي ارتضاه الله تعالى له ديناً وشريعة، وهذا يتضمن أن الله تعالى أعزَّ هذه الأمة بهذا الدين فلا عزة لها بغيره، وأنه مكَّن لها به في الأرض حتى جعلها بهذا التمكين هي القوة القادرة على حماية مقدسات الإنسانية في عقيدتها، وتفكيرها، وأخبر الله تعالى ممتناً ومؤكداً وعده في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} <sup>١٠٧</sup>، وثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي" <sup>١٠٨</sup>.

الوعد الثالث: أن الله تعالى وعد هذه الأمة أن يبذل خوفها أمناً؛ لتتفرغ لعبادة الله وحده، وتقيم معالم هدايته، وتنتشر شرائعه في أرجاء الأرض، وعلى مر الأزمان والأجيال. فالإيمان بحقيقته وخصائصه هو منبع الاعتزاز بالله تعالى، والاعتزاز بالله تعالى هو مصدر الدوافع القيادية في

<sup>١٠٥</sup> النور ، ٥٥ .

<sup>١٠٦</sup> آل عمران ، ٧٩ .

<sup>١٠٧</sup> التوبة ، ٣٣ .

<sup>١٠٨</sup> صحيح مسلم ، ج ١٤ ص ٦٨ .

الأمة الإسلامية، وبهذا كان لها منصب الخلافة في الأرض بوضع إلهي، وتكليف سماوي، لا اختيار لها في فرضه عليه وتكليفها القيام بعبئه<sup>١٠٩</sup>.

دلالة الاسم على أوصاف الله:

اسم الله الحسيب يدل على ذات الله، وعلى الحسب كوصف ذات، والمحاسبة كوصف فعل بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بدلالة التضمن، وعلى الصفة وحدها بالتضمن، قال تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} <sup>١١٠</sup>، وقال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} <sup>١١١</sup>. والاسم يدل باللزوم على الحياة والقيومية والعلم والأحدية والقدرة والصمدية والغنى والقوة والعزة والعظمة والمجد والكبرياء، وغير ذلك من صفات الكمال.

الدعاء باسم الحسيب دعاء مسألة ودعاء عبادة:

ورد الدعاء بالوصف في قوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} <sup>١١٢</sup>، (فزادهم إيماناً): زادهم ذلك التخويف ثبوتاً في دينهم، وإقامة على نصرته نبيهم، وقالوا: (حسبنا الله) أي: هو الذي يكفيننا أمرهم <sup>١١٣</sup>. فهم بشدة إيمانهم وعبادتهم لله تعالى لم يخافوا الناس، بل تضرعوا لله، وسألوه باسمه الحسيب أن يكفيهم أمر من أراد بهم السوء، ولذا على الخليفة أن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى ويتضرع بها إليه ليقض حوائجه الدنيوية والأخروية، فإنه لا يقضي الحاجات غيره ولا ينفع ولا يضر غيره تعالى، وأن نعمل عملاً يرضاه حتى يغنينا، فهو الغني، ولهذا الدعاء والعمل معا يحققان

<sup>١٠٩</sup> الأمة الإسلامية كما يريد القرآن العظيم ص ٤٥ .

<sup>١١٠</sup> البقرة ٢٨٤.

<sup>١١١</sup> الانشقاق، ٧، ٨.

<sup>١١٢</sup> آل عمران ١٧٣.

<sup>١١٣</sup> زاد المسير لأبن الجوزي، ج ١، ص ٤٥٦ .

الاستجابة؛ وذلك لأنهما توكل عليه بالقوة التي خلقنا عليها، والتي يراد لنا أن نكون عليها {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} <sup>١١٤</sup>.

ودعاء العبادة هو شعور الموحد بعز العبودية وشرفها، وأنه بدونها لا قيمة لحسبه ونسبه، روى مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) <sup>١١٥</sup>، فالكمال اللائق بالإنسان هو تكميل العبودية لله علما وعملا ظاهرا وباطنا، ومن حكمة الله - عز وجل - أنه فضّل آدم وبنيه على كثير ممن خلق تفضيلا وجعل عبوديتهم أكمل من عبودية غيرهم، وكانت العبودية أفضل أحوالهم وأعلى درجاتهم.

فلما كانت العبودية أشرف أحوال بني آدم وأحبها إلى الله - عز وجل - وكان لها لوازم وأسباب مشروطة لا يحصل إلا بها كان من أعظم الحكم أن أخرجوا إلى دار تجري عليهم فيها أحكام العبودية وأسبابها وشروطها وموجباتها، فإنه سبحانه يحب إجابة الدعوات، قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} <sup>١١٦</sup>، وتفريج الكربات وإغاثة الملهوف، ومغفرة الزلات، وتكفير السيئات، قال تعالى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} <sup>١١٧</sup>، ودفع البليات، وإعزاز من يستحق العز، وإذلال من يستحق الذل، ونصر المظلوم، وجبر الكسير، ورفع بعض خلقه على بعض، وجعلهم درجات ليعرف قدر فضله وتخصيصه؛ فاقتضى ملكه التام وحمده الكامل أن يخرجهم إلى دار يحصل فيها محبوباته سبحانه، فأبرز خلقه من العدم إلى الوجود ليجري عليه أحكام أسمائه وصفاته، فيظهر كماله المقدس في كل اسم ووصف، فمن كماله ظهور آثار كماله في خلقه وأمره وقضائه وقدره ووعدده ووعيده ومنعه وإعطائه وإكرامه وعدله وفضله وعفوه

<sup>١١٤</sup> التين ٤.

<sup>١١٥</sup> صحيح مسلم، ج ١٣، ص ٢١٢.

<sup>١١٦</sup> غافر ٦٠.

<sup>١١٧</sup> النساء ٩٠.

وإنعامه وسعة حلمه وشدة بطشه، وقد اقتضى كماله المقدس سبحانه أنه كل يوم هو في شأن، وإدراك العبد لهذه الحكم البالغة وتعامله معها في دار الامتحان أعظم شرف يناله الإنسان<sup>١١٨</sup>.

ومن دعاء العبادة أيضا أن يقف العبد مع نفسه على الدوام لمحاسبتها، فيميز حركاتها وسكناتها، ثم يذكر أنه ما من عمل وإن صغر إلا حاسب نفسه عليه، وهذا هو موضع الابتلاء هل عمل ذلك لله، أو تبعا لهواه، وهل فعله بعلم أو بجهل؟ فإن الله عز وجل لا يقبل عملا إلا على ما أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم وسنته، وهل فعله خالصا لله أم للسمعة والرياء، فالمحاسبة هي المقايسة بين الحسنات والسيئات بميزان الشرع والأحكام، وتمييز الحلال والحرام، واتقاء الشبهات.

ولابد لمن استخلفه الله تعالى في الأرض أن يحرص على حفظ أسماء الله الحسنى في أقواله وأفعاله، والحفظ لا ينبغي حمله على مجرد الحفظ للألفاظ غيباً، ولكن يُحْمَل على إحصاء معانيها وما تدل عليه، وحفظها من التحريف والتبديل والتعطيل، ولا بد له أن يحاول بقدر الإمكان التخلق بحسن صفاتها فليكن الخليفة حليماً عفواً رحيماً كريماً، والحذر من الجبار والقهار، ومراقبة الحسيب الرقيب، والتعرض للتوابع الغفور بالتوبة وطلب المغفرة، والهادي والرزاق بطلب الهداية والرزق وهكذا. فيصبح بكل ذلك أهلاً لخلافة الله سبحانه وتعالى في الأرض، بما تمثله من صفات الله تعالى التي استقاها من أسمائه، والتزم بها وطبقها على نفسه أولاً وعلى غيره ثانياً، فيكون بذلك قرآناً يمشي على الأرض بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ والناس تهتدي إليه وتُهدى به، فيستحق بذلك رضا الله تعالى وثوابه، ونجاته من عقاب الله عز وجل وحسابه.

مظاهر حسابه تعالى:

١ . حسابه الحسنات والسيئات:

من فضل الحسيب جل جلاله على عباده أن جعل في الثواب زيادة، وفي العقاب إلا بقدر ما عمل من السيئات، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى

<sup>١١٨</sup> مجموع الفتاوى، ج ١٠ ، ص ٥٤٥ وشفاء العليل ص ٢٤٣ .

الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>١١٩</sup>، هذا إذا كانت السيئة، من الصغائر أما إن كانت من الكبائر -والعياذ بالله- وكان ذلك عن إصرار وضرار بالناس ظنا منه أن قادر على كل من حوله وأنه هو أهل العز والبقاء بما يتقننه في عمل المنكرات واجتراح السيئات، ولكن الله هو الحسيب القهار فوق عباده أعلم بكل ما يعملون، قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ}<sup>١٢٠</sup>، وفي مقابل أولئك نجد عباد الرحمن وخلفاءه في أرضه ينفقون أموالهم وجهدهم وأوقاتهم في سبيل إرضائه تعالى ولأنهم يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا، وهذا ما يجب أن يكون عليه الحسيب بالإضافة في عمله؛ لأنه لا يستطيع أن يحاسب الآخرين وهو ناقص في أعماله وسلوكه، فإذا لم يحاسب نفسه يعتبر مقصرا في حق نفسه ومجتمعه، ولذلك وجب عليه أن يتصف بصفات تؤهله للخلافة منها: العفو والكرم والذي يتمثل في المكافأة والجزاء الحسن الوافي، امثالاً لقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}<sup>١٢١</sup>.

٢ . حسابه لكبير الأشياء ودقيقها:

ربما يظن الإنسان أن ليس من ورائه حسيب رقيب لا يغفل ولا يغيب، وربما يظن أنه تعالى لا يعاقب إلا على الأعمال الكبيرة ويترك الصغيرة، ولكن يجب أن نعلم أنه لا يترك كبيرة ولا صغيرة بل كل ما يعمله الإنسان سيجده حاضرا ولو كان بوزن ذرات الجزيء الذي يعتبر أصغر شيء توصل إليه الإنسان، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}<sup>١٢٢</sup>، وقال تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالٍ

<sup>١١٩</sup> القصص ٨٤.

<sup>١٢٠</sup> فاطر ١٠.

<sup>١٢١</sup> البقرة ٢٦١.

<sup>١٢٢</sup> النساء ٩٠.

ذَرَّةً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ<sup>١٢٣</sup>، وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ<sup>١٢٤</sup>، وكذلك فليعلم الحسيب بالإضافة أن الحسيب المطلق جل جلاله هو الذي يراقب الأشياء الكبيرة كما يراقب ويحاسب على الأشياء الدقيقة، فالحسيب لم يخلق هذا الكون الضخم الهائل ليتركه عبثاً ولا ليغيب عنه أو ينام قال تعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ<sup>١٢٥</sup>، وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَآتَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ<sup>١٢٦</sup>، وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ<sup>١٢٧</sup>.

٣ . حسابه للرزاق:

الكون وما به من مخلوقات الظاهر والخفي منها، ما نعلمه منها وما لم نعلم كلها رزقها على الله جل جلاله، وما جعل الله ذلك إلا ليظهر للإنسان آيات التصديق والوصول إلى الحق بما خلقه له الحسيب جل جلاله من العقل والذي جعله تعالى في علاه أداة لبحث بها عن الرزق وبأيسر الطرق، فالإنسان يرى الأرض جدباء، فينزل جل جلاله الماء المبارك عليها، فيلقي الإنسان الحبوب فيها فإذا هي خضراء تعطي نتاجاً من كل نوع، فيأكل الإنسان والطيور والبهائم ما كتبه الله لهم من الرزق، قال تعالى: {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ

<sup>١٢٣</sup> يونس ٦١.

<sup>١٢٤</sup> سبأ ٣.

<sup>١٢٥</sup> المؤمنون ١١٥، ١١٦.

<sup>١٢٦</sup> الأنبياء ١٦، ١٧.

<sup>١٢٧</sup> الدخان ٣٨، ٣٩.

السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} <sup>١٢٨</sup> ، والله جعل الرزق له أوقات فمن المخلوقات ما تأكل رزقها نهارا، وبعضها ليلا، ليكون للإنسان درسا يفهم منه أن الخالق الحسيب لا تأخذه سنة ولا نوم بل رقيب لكل ما خلق، قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} <sup>١٢٩</sup> ، والسؤال هنا لماذا يسعى الإنسان وراء الحرام وهو يعلم أن رزقه على الله جل جلاله؟ الجواب يكون على النحو التالي: إن التدخلات التي يثيرها العدو -ومع أنه مبين- إلا أنها تلقى في بعض الأحيان صدى داخل الإنسان، فيظل يركض ويلهث، مما به من شكوك فإذا استيقظ رجع وإذا لم يكن كذلك فيظل كذلك فلا هو من ربه ولا هو من الدنيا فيبقى أسير تلك الظنون فتوهي به في مهالك الردى، ولكن ليعلم الإنسان أن الرزق ينزله تعالى على عبده المسلم والكافر على السواء، وليعلم الخليفة أن الحلال بين وأن الحرام بين، وأن فضل الله أعم وأشمل، ولكن لماذا يحرم على نفسه الطيبات من الرزق؟ قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} <sup>١٣٠</sup> .

٤ . حسابه لقطرات الماء:

الحسيب جل جلاله خلق الماء وجعل منه البحار والمحيطات المالحة والأنهار العذبة وجعل بينهما برزخا وحاجزا، وهذا الكم الهائل من المياه كلها محسوبة معدودة عند من لا تضيع عنده الحسابات، فمتى يشاء يغرق الأرض بالماء فيجعل الأنهار تجري فيها، ومتى يشاء يحجب عنها الماء فتبقى جرداء لا نبت فيها، وكل ذلك بحكمه وحكمته، وهذا الماء المتألف من قطرات كلها محسوبة، ومن هذه القطرات يأتي الخير والبركة فينزلها على من يشاء من

<sup>١٢٨</sup> الجاثية ٣،٥.

<sup>١٢٩</sup> هود، ٦.

<sup>١٣٠</sup> يونس ٥٩، ٦٠.

عباده، وقد يجعل منها عذابا وعقابا، فتكون عذابا بقدر ما يريد الحسيب تعالى في علاه، فقوم نوح لما عصت وظنت أنها قادرة أتاها أمر الله فانقم منها، قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ففَتْحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرِ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} <sup>١٣١</sup>. وفي المقابل نرى كيف تكون الأرض جدباء فإذا هي خضراء بإذن ربها سبحانه، وفي ذلك الجذب والاختضار درس لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} <sup>١٣٢</sup>. والخليفة له في كل ذلك دروس ومواعظ تقيه حر جهنم يوم لا ينفع مال ولا بنون، فعندما يرى الخليفة بالإضافة كيف تأخذ الأرض زخرفها ومن بعد ذلك تكون قشا تذروه الرياح فإنه يرجع عما كان فيه من السهو والنسيان والغفلة؛ لأن في ذلك درسا له وليعلم أنه سيصير إلى ما يراه كل موسم من ازدهار وانتهاء، فكذلك الإنسان سائر لا محالة إلى الفناء الدنيوي ليدخل في حياة أبدية إما إلى جنة، وإما إلى جهنم والعياذ بالله. لذلك وجب على الحسيب بالإضافة أن يحاسب نفسه حسابا كي يتقى عقاب ربه وليحذر الآخرين من عقابه تعالى؛ ليفوزوا بجنة الخلد، فيأمرهم بالصالحات وينهاهم عن الفواحش والمنكرات امتثالا لقوله تعالى في علاه: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} <sup>١٣٣</sup>.

٥ . حسابه للسماوات والأرضين:

الحسيب جل جلاله خلق سبع سماوات طباقا ليس عبثاً أو بمحض الصدفة بل كل شيء جاء بميزان، فبعدما خلق الله جل في علاه الأرض خلق السماء فجعل منها سبع سماوات، قال

<sup>١٣١</sup> القمر ١٥، ٩.

<sup>١٣٢</sup> الأعراف ٥٧.

<sup>١٣٣</sup> آل عمران ١٠٦.



تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} <sup>١٣٤</sup>، وما خلقها ليركها دون رعاية أو وقاية بل حفظها وجعل في كل سماء أمرها، قال تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} <sup>١٣٥</sup>، وقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} <sup>١٣٦</sup>، والناظر إلى السماء من فوقه يرى السماء زرقاء لا تفاوت فيها، بل تظهر للناظر فيها كأنها سماء واحدة فتبارك الله أحسن الخالقين، قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} <sup>١٣٧</sup>، هذه السموات وما فيهن من علوم ظاهرة وخافية، وما تحمله من زينة ظاهرة وباطنة، فهي نعمة من النعم التي أنعم بها على عباده الخلفاء، ليشكروه وليؤمنوا به تعالى، لا ليكفروا نعمه التي أسبغ بها عليهم، قال تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا} <sup>١٣٨</sup>، وعلى الخليفة أن يعلم أن الله جل جلاله قادر على أن إزالتها كما خلقها، فلا يظن أن هذه السموات خرجت عن سيطرته مهما كبرت، فالله أكبر وأعظم وأجل مما نتصوره ونظنه، فعلمنا محدود بقدر خلقتنا، فإذا ما حاول الإنسان أن يخترق حدوده احترق وهلك، قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} <sup>١٣٩</sup>. والله تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

<sup>١٣٤</sup> البقرة ٢٦.

<sup>١٣٥</sup> فصلت ١٢.

<sup>١٣٦</sup> المؤمنون ١٧.

<sup>١٣٧</sup> الملك ٣، ٤.

<sup>١٣٨</sup> النساء ١٣١، ١٣٢.

<sup>١٣٩</sup> الزمر، ٦٧.

سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا<sup>١٤٠</sup>. فعندما ينزل أمره تعالى تنزل به الملائكة من سماء إلى سماء حتى ينزله على الأرض وعلى من يشاء من عباده، وفي ذلك بيان أن الله عليم بما فيهن وما بينهن، وأنه محيط بهن إحاطة تامة شاملة، وعلى الخليفة أن يعمل على أن ربه يعلم كل ما في هذا الكون من حركات وسكنات.

٦ . حسابه يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا<sup>١٤١</sup>﴾، في الآيات السابقة سورة واضحة أتم الوضوح والجلاء بما وكيف يكون الحساب، فكل شيء مكتوب في الصحيفة، وبكل دقة، ولا تجد إلا ما عملت يداك محضرا، فما على الخليفة إلا أن يتقي ربه كما أمره الحسيب جل جلاله، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>١٤٢</sup>﴾، وليعلم الإنسان أن كل ما يعمل من خير أو شر سيجده أمامه حاضرا كاملا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ<sup>١٤٣</sup>﴾، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

<sup>١٤٠</sup> الطلاق، ١٢.

<sup>١٤١</sup> الإسراء، ١٥، ١٣.

<sup>١٤٢</sup> آل عمران، ٧٦، ٧٧.

<sup>١٤٣</sup> آل عمران، ١٦١، ١٦٢.

مَتَاعُ الْعُرُورِ<sup>١٤٤</sup>، وقال تعالى: {إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ أَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا<sup>١٤٥</sup>}.  
٧ . حسابه النجوم والكواكب:

ما خلق الله تعالى النجوم والكواكب إلا لشيء أرادها له، وبأمره وتسخيره، وبحساب دقيق، ففي ما هو ظاهر نرى الشمس نهارا والقمر ليلا، وتلك النجوم كيف تظهر في مواسم، وتختفي في مواسم أخرى، فنجم (سهيل) يظهر في الخريف، ويختفي في المواسم الأخرى، ونرى حركة القمر كيف يبدأ هلالا ويتدرج حتى يكتمل بدرا، ويرجع من جديد ليصير هلالا، وكله لحكمة يعلمها الله جل جلاله، قال تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ<sup>١٤٦</sup>}. وعندما حاول الكفار سؤال الرسول عن الهلال أشار الله جل جلاله لهم بالفائدة إذ لا علاقة لهم بكنهه وكيفية الخلق؛ ولأن معرفة ذلك مما لا يستطيع أن يتحملة الإنسان، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ<sup>١٤٧</sup>}. والحسيب المطلق الذي خلق النجوم والكواكب وما نتج عن حركتهما من ليل ونهار، وتغيرات في المناخ وما نتج عنها من فصول لهو خير دليل على سلطانه المطلق في خلقه بالأمر والنهي، فتبارك الله رب العالمين، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

<sup>١٤٤</sup> آل عمران، ١٨٥ .

<sup>١٤٥</sup> مريم، ٩٥، ٩٣ .

<sup>١٤٦</sup> يس، ٣٨، ٤٠ .

<sup>١٤٧</sup> البقرة، ١٨٩ .

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} <sup>١٤٨</sup>.

٨ . حسابه لليل والنهار:

من نعمه تعالى على عبده أن جعل لهم الليل والنهار، وجعل لكل قسم منهما فوائد لا يمكن أن توجد في الثاني، قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَمْ لَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} <sup>١٤٩</sup>، قال تعالى: {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} <sup>١٥٠</sup>. والحسب المطلق أمر حسيبه بالإضافة أن يتوجه لربه في الليل والنهار، أما النهار فأمره اعتيادي، أما الليل فأمر ليس بعادي، لما فيه من صعوبة في تحمل السهر وخاصة للذين يؤدون أعمالاً شاقة مضيئة، ولذلك جعل الله تعالى الأجر العظيم، وبه أمر خلفاءه حتى يحصلون على الدرجات العلى في الآخرة، ولا يكون ذلك إلا بالصبر، قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} <sup>١٥١</sup>، وقد ذكر الله تعالى فوائد الليل والنهار، منها: السعي في الحصول على الرزق، وثانيها: معرفة حساب الأيام والسنين، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِنَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا} <sup>١٥٢</sup>، والله جل جلاله وجه عبده إلى الأوقات التي تصلح للعبادة أكثر من غيرها؛ لما بها من خير كثير، قال تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا

<sup>١٤٨</sup> الأعراف ٥٦، ٥٤.

<sup>١٤٩</sup> القصص ٧٣، ٧١.

<sup>١٥٠</sup> آل عمران ٢٧.

<sup>١٥١</sup> هود ١١٤، ١١٥.

<sup>١٥٢</sup> الإسراء ١٢.

يَقُولُونَ وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبَّحُوا وَأَطْرَفَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} <sup>١٥٣</sup>، والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الليل أو النهار فهو الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، فهو يسمع بها ويبصر، وليس كسمعكم أو كبصركم، بل هو السميع البصير المطلق في الليل وفي النهار، وكل ذلك إثبات للوحدانية، وكل ما يدعى دونه فهو الباطل، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} <sup>١٥٤</sup>.

٩ . حسابه للرياح:

الرياح وما تحمله من فوائد جمة، وما جعله الله فيها من الخيرات، هي بأمره وخلقها لها فهي لا تسير بدون أمره بل دائما تحت طوعه، فهي التي تأتي بالسحاب الثقال من البلد البعيد إلى حيث يأمرها الله جل جلاله، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا} <sup>١٥٥</sup>، وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} <sup>١٥٦</sup>، ومن فوائد الرياح أنها تساعد على تلقيح النباتات، وهذا ما جاء به القرآن الكريم قبل أن يأتي به أو يكتشفه العلم الحديث، قال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} <sup>١٥٧</sup>، وقال تعالى: {أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ

<sup>١٥٣</sup> طه ١٢٣.

<sup>١٥٤</sup> الحج ٦٤، ٦١.

<sup>١٥٥</sup> الفرقان ٤٨، ٤٩.

<sup>١٥٦</sup> الروم ٤٨.

<sup>١٥٧</sup> الحجر ٢٢.

يَدِّي رَحْمَتِهِ أَنَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ<sup>١٥٨</sup>، ومن فوائد الرياح أنها تساعد البحارة في أداء عملهم، فهي تساعد على الدفع بسفنهم إلى الأمام، فيصلوا إلى أماكنهم فرحين بما أنجزوه شاكرين فضل الله عليهم، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}<sup>١٥٩</sup>، وقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ}<sup>١٦٠</sup>. وأما الريح التي تأتي لغير ذلك فهي التي تؤمر بأن تدمر كل ما أرسلت إليه والعياذ بالله من سخطه وعقابه، والتي تحمل معها عقابا وعذابا كما كان مع قوم عاد، قال تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ}<sup>١٦١</sup>.

اللهم يا الحسيب اجعلنا من الذين هم على الصراط المستقيم واجعلنا من الذين رضيت عنهم فزدتهم ثقلاً في الموازين. اللهم يا الحسيب يا من خَلَقْتَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمْتَهُ الْبَيَانَ وَخَلَقْتَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ بِحُسْبَانٍ وَجَعَلْتَ النَّجْمَ وَالشَّجَرُ لَكَ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعْتَهَا وَوَضَعْتَ الْمِيزَانَ فَاجْعَلْنَا مِنَ الطَّائِعِينَ الْمَقْسُطِينَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْمَطْفُوفِينَ لِلْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ، اللهم إنك جعلت الحق بحسبان فاجعلنا من عبادك الطائعين للحق بحسبان، ولا تجعلنا من الذين يميلوا عنه كل الميل، اللهم يا الحسيب يا من رفعت السماء عن الأرض بغير عمد نراها ارفع درجاتنا لك طاعة واجعل حسابك لنا تيسيرا لا تعسيرا، واجعلنا من الفائزين بثوابك ولا تجعلنا من الخاسرين في العقاب، اللهم يا الحسيب اجعل في أقوالنا موازين الرحمة ولا تجعلنا من الذين يأكلون أموال اليتامى إسرافا وظلما، اللهم اجعلنا من الذين إذا حيوا بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ يُرَدُّوهَا سَبْحَانَكَ جَل جَلالِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا.

<sup>١٥٨</sup> النمل ٦٣.

<sup>١٥٩</sup> الروم ٤٦.

<sup>١٦٠</sup> الشورى ٣٤، ٣٢.

<sup>١٦١</sup> الحاقة ٦، ٨.

## الجليل

الجليل "هو الموصوف بنعوت الجلال ونعوت الجلال هي العز والملك والتقدس والعلم والغنى والقدرة وغيرها من الصفات التي ذكرناها فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق جل جلاله"<sup>١٦٢</sup>.

الْجَلِيلُ "الَّذِي يَصْغُرُ دُونَهُ كُلُّ جَلِيلٍ، وَيَتَضَعُ مَعَهُ كُلُّ رَفِيعٍ"<sup>١٦٣</sup>.

اللهُ الْجَلِيلُ سبحانه وتعالى: ذو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ، وَجَلالُ اللهُ عَظْمَتُهُ، ولا يقال الْجَلالُ إِلا اللهُ، ولذلك فالجليل هو المتفرد دون غيره بالقوة الجلية التي تضيف الشيء الحسن والجليل على من يؤمن به واحداً أحداً جل جلاله.

والجَلِيلُ من صفات الله تقدس وتعالى، وقد يوصف به الأمر العظيم، والرجل ذو القدر الخَطِيرِ"<sup>١٦٤</sup>.

فالجليل متفرد بالفعل ومختص به، ومصدر التفرد صفات ذات الجليل الجامعة للقوة والقدرة والقيومية، وهذه ثلاثية تحكم إطار التفرد.

والقوة التي نذكر هي قوة مطلقة يتفرد بها الجليل ولتفسير هذه القوة ننظر إلى خلق القوي سبحانه فانظر إلى الحديد وقوته وامتناع تطويعه دون مشقة كبرى وعون كبير فإذا نظرت ذلك فأعلم أن من خلق هذا هو الله القوي سبحانه الذي يقول : {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ

<sup>١٦٢</sup> المقصد الأسنى، ج ١، ص ١١٥.

<sup>١٦٣</sup> الأسماء والصفات للبيهقي، ج ١، ص ٧٠.

<sup>١٦٤</sup> لسان العرب، ج ١١، ص ١١٦.

وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ<sup>١٦٥</sup> ، ففوة الله سبحانه لا تدانيها قوة وتقاربها في حدودها قوة.

أما القدرة فهي محرك القوة، فأنت ترى في بعض مخلوقات الله قوة وربما قوة كبيرة لكن دون قدرة على الفعل بالملطق، فالمطلق مختص بالله سبحانه وتعالى القادر، {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}<sup>١٦٦</sup> ، أما القدرة النسبية التي جعلها الله سبحانه وتعالى في بعض خلقه فهي دليل على عجز المخلوقات عن مقارنة قدرة القادر سبحانه وتعالى، فالإنسان يمتلك القدرة لكنها محدودة بنسبة قدرها سبحانه لكل عبد من عباده وعلى درجة من التفاضل لا الاستواء، {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كَلَّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا}<sup>١٦٧</sup>.

أما القيومية، {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}<sup>١٦٨</sup> ، فأنها من صفة تفرد بها الجليل سبحانه وتعالى وأختص بها دون كل ما خلق سبحانه وبالمطلق، فما من مخلوق يستطيع امتلاك هذه الصفة وان سعى كل السعي وبذل كل الجهد وهو دليل على عجز المخلوق أما الخلق ، فما نقول عن هذا الخالق ، نقول جل سبحانه ، فالجليل مهاب لصفاته التي تفرد واختص بها بما لا يدانيه أحد ولا يستطيع القيام بفعله أحد سبحانه وتعالى عما يشركون.

والجليل هو " الموصوف بنعوت الجلال ونعوت الجلال هي العز والملك والتقدس والعلم والغنى والقدرة وغيرها من الصفات التي ذكرناها فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق والموصوف ببعضها جلالته بقدر ما نال من هذه النعوت فالجليل المطلق هو الله عز و جل فقط فكأن

<sup>١٦٥</sup> الحديد ٢٥.

<sup>١٦٦</sup> الأنعام ٦٥.

<sup>١٦٧</sup> الإسراء ٢١، ١٨.

<sup>١٦٨</sup> آل عمران ٢.



الكبير يرجع إلى كمال الذات والجليل إلى كمال الصفات والعظيم يرجع إلى كمال الذات والصفات جميعا منسوبا إلى إدراك البصيرة إذا كان بحيث يستغرق البصيرة ولا تستغرقه البصيرة ، ثم صفات الجلال إذا نسبت إلى البصيرة المدركة لها سميت جمالا وسمي المتصف به جميلا واسم الجميل في الأصل وضع للصورة الظاهرة المدركة بالبصر مهما كانت بحيث تلائم البصر وتوافقه ثم نقل إلى الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر حتى يقال سيرة حسنة جميلة ويقال خلق جميل وذلك يدرك بالبصائر لا بالأبصار والصورة الباطنة إذا كانت كاملة متناسبة جامعة جميع كمالاتها اللائقة بها كما ينبغي وعلى ما ينبغي فهي جميلة بالإضافة إلى البصيرة الباطنة المدركة لها وملائمة لها ملائمة يدرك صاحبها عند مطالعتها من اللذة والبهجة والاهتزاز أكثر مما يدركه الناظر بالبصر الظاهر إلى الصورة الجميلة فالجميل الحق المطلق هو الله سبحانه وتعالى فقط لأن كل ما في العالم من جمال وكمال وبهاء وحسن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته وليس في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي لا مثوية فيه لا وجوبا ولا إمكانا سواه ولذلك يدرك عارفه والناظر إلى جماله من البهجة والسرور واللذة والغبطة ما يستحقر معه نعيم الجنة وجمال الصورة المبصرة بل لا مناسبة بين جمال الصورة الظاهرة وبين جمال المعاني الباطنة المدركة بالبصائر .

فإذا ثبت أنه جليل وجميل فكل جميل فهو محبوب ومعشوق عند مدرك جماله فلذلك كان الله عز و جل محبوبا ولكن عند العارفين كما تكون الصورة الجميلة الظاهرة محبوبة ولكن عند المبصرين لا عند العميان<sup>١٦٩</sup> .

فإنه هو الجليل في الأصل له الملك والملكوت والجبروت وله يخضع من في السموات والأرض طوعا لجلاله إيمانا به وبقينا بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد ، أو كرها ، فأبي مخلوق لا يملك أن يعلو على جلال الله الجليل .

<sup>١٦٩</sup> المقصد الأسنى، ج ١، ص ١١٢ . ١١٥ .

وفي الحديث: عن ربيعة بن عامر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"<sup>١٧٠</sup>. أَلْظُ: أي الزموه واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم، قيل أراد عَظْمُوهُ وجاء تفسيره في بعض اللغات أُسْلِمُوا.

ومن حديث البشير النذير صلى الله عليه وسلم يتضح مدى قيمة الاسم الجليل في حياة المؤمن بوصفه الخليفة الحق على الأرض لذا فالنبي صلى الله عليه وسلم يحث المؤمنين على التمسك بالاسم الجليل والاجتهاد في طلب تجلياته لما فيه من فائدة عظيمة تعود على من يلوذ به.

ولذلك الجليل هو العظيم الذي لا تقاس أفعاله ومعجزاته وآياته العظام بأي مقياس من مقاييس البشر، وهي التي تجعل الخليفة مؤمنا بها وتجعل الجاحدين يلحدون. والخليفة هو الجليل في دائرة النسبية بقوله وفعله، في قوله الصدق وفي فعله الصدق، فهو الذي دخل الإيمان قلبه حتى أدرك الحق ومصدر الحق، فأصبح يفعل الخير في أهله، يصوم ويصلي طاعة تامة، يزكي ويتعبد إظهارا صادقا لطاعة من استخلفه في الأرض جل جلاله، وهو الذي يعدل بالحق إذا حكم بين الناس. إنه الجليل بالإضافة لإيمانه التام بالله تعالى، فهو يظماً ولا يشرب إلا حلالاً، ويجوع ولا يأكل إلا حلالاً، وله غريزة جنسية ولا يزنى، وله نفس ويعفو عن كثير، وله عاطفة تستوجب طاعة الوالدين ولا يطيعهما إلا في طاعة الله، ويعلم أن الدار الدنيا فانية ويعمل فيها بود وصدق لأجل أن يفوز بما يعمل فيها بالجنة.

وهو سبحانه وتعالى الْجَلِيلُ الموصوف بنعوت الْجَلَالِ والحاوي جميعها هو الْجَلِيلُ الْمُطَّلَق وهو راجع إلى كمال الصفات كما أن الكبير راجع إلى كمال الذات والعظيم راجع إلى كمال الذات والصفات<sup>١٧١</sup>.

والجليل صفة جامعة للهيبة والخشية والوجل والخوف التي يشعر بها من يتحقق أسرار الاسم الجليل من إنس وملك وجن وورعد وغير ذلك من مخلوقات الله عز وجل، ولذا من يستكشف

<sup>١٧٠</sup> المستدرك على الصحيحين للحاكم، ج ٤، ص ٣٨٣.

<sup>١٧١</sup> لسان العرب، ج ١١، ص ١١٦.

جلاله ليس له بدا إلا أن يُسبح باسمه واحداً واحداً، مصداقاً لقوله تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} <sup>١٧٢</sup>، وقوله تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} <sup>١٧٣</sup>. سبحان الله والحمد لله والله أكبر طاعة تامة لله جل جلاله.

والعصاة يعلمون أنه يُرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ولم يوقنوا بأنه لا يُريد إهلاك الناس جميعاً فلو أراد إهلاكهم لأهلكهم، وهذه وحدها تجعل من له بصيرة يؤمن بأنه جليل عظيم يستوجب الطاعة التامة، ولكن هذا الأمر من حظ الخليفة الذي أدرك الحق فأطاع الحق ومصدره، وهو عن يقين يتجنب كل ما من شأنه أن يغضب الجليل تعالى، ولأنه الجليل بالإضافة فهو يأمل ويعمل من أجل أن يؤمن الناس كافة ليكونوا معه في دائرة الخليفة التي لا يدخلها إلا مؤمن بدين الكافة.

والاستعانة بالله الجليل تحمي من المهالك ومن مكر الغادرين، فهو الذي يرسل صواعقه لحماية خليفته ومن سار على نهجه وهذا يتضح من سبب نزول الآية التالية وما جاء فيها من شرح وتفسير، (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ)، نزلت هذه الآية الكريمة في أمر عامر، والأرد بن قيس، حين أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن عامر بن الطفيل العامري دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أُسَلِّمُ عَلَى أَنْ لَكَ الْمَدْرُ وَلِي الْوَبْرُ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما أنت امرؤ من المسلمين، لك ما لهم، وعليك ما عليهم"، قال: فلك الوبر ولي المدر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، قال: في الأمرين من بعدك، قال له النبي صلى الله عليه وسلم مثل قوله الأول: "لك ما لهم، وعليك ما عليهم"، فغضب عامر، فقال: لأملأنها عليك خيلاً، ورجالاً، ألف أشقر، عليها ألف أمرد.

<sup>١٧٢</sup> الإسراء، ٤٤.

<sup>١٧٣</sup> الرعد، ١٣.

ثم خرج مغضباً، فلقي ابن عمه أريد بن قيس العامري، فقال عامر لأريد: ادخل بنا على محمد، فألهيه في الكلام، وأنا أقتله، وإن شئت ألهيته بالكلام وقتلته أنت، قال أريد: ألهه أنت وأنا أقتله، فدخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحدثه وهو ينظر إلى أريد متى يحمل عليه فيقتله، ثم طال مجلسه، فقام عامر وأريد فخرجا، فقال عامر لأريد: ما منعك من قتله؟ قال: كلما أردت قتله وجدتك تحول بيني وبينه، وأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره بم أرادا، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهما، فقال: "اللهم اكفني عامراً وأريداً، وأهد بني عامر"، فأما أريد، فأصابته صاعقة فمات، فذلك قوله تعالى: (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ)<sup>١٧٤</sup>.

والجليل يملك الملك ويخلق الخلق ويهيمن وهو الجليل الملك المتعال ومع ذلك يعفو ويغفر ويهدي كل من يرغب الهداية ولأنه الجليل بالرغم من أن الأمر كل الأمر بيده فهو يمهل ولا يهمل لتكون الفرصة أمام الناس سانحة لأن يعودوا إلى ممارسة مهام الخليفة التي بها يتحقق رضي الله ورضا النفس ورضي الخليفة.

وَجَلَّ الشَّيْءُ يَجَلُّ جَلَالاً وَجَلَالَةً وَهُوَ جَلٌّ وَجَلِيلٌ وَجُلَالٌ عَظْمٌ، وَأَجَلَّهُ عَظَّمَهُ يُقَالُ: جَلَّ فلانٌ فِي عَيْنِي أَي عَظَّمُ وَأَجَلَّلْتُهُ رَأَيْتُهُ جَلِيلاً نَبِيلاً وَأَجَلَّلْتُهُ فِي الْمَرْتَبَةِ وَأَجَلَّلْتُهُ أَي عَظَّمْتُهُ، وَجَلَّ فلانٌ يَجَلُّ بِالْكَسْرِ جَلَالَةً أَي عَظَّمُ قَدْرَهُ فَهُوَ جَلِيلٌ وَقَوْلٌ لِبَيْدٍ:

غَيْرَ أَنْ لَا تَكْذِبْنَهَا فِي التَّقَى وَأَجْزَاهَا بِالْبِرِّ لِلَّهِ الْأَجَلُّ

والأجلُّ يعني الأعظم، وقيل: الحمدُ اللهُ العَلِيُّ الْأَجَلُّ أُعْطِيَ فلم يَبْخَلْ ولم يُبْخَلْ، يريد الأجلُّ فأظهر التضعيف ضرورة.

والتَّجَلَّى الجَلَالَةُ وَأَنشَدَ ابن بري ليلَى الْأَخْيَلِيَّةِ:

يُشَبِّهُونَ مُلُوكاً فِي تَجَلَّتِهِمْ وَطُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَاللَّمَمِ

وَجَلُّ الشَّيْءِ وَجَلَالُهُ مَعْظَمُهُ وَتَجَلَّلَ الشَّيْءُ أَخَذَ جُلَّهُ وَجَلَالَهُ<sup>١٧٥</sup>.

<sup>١٧٤</sup> تفسير مقاتل، ج ٢، ص ١٦٨.

<sup>١٧٥</sup> لسان العرب، ج ١١، ص ١١٦.

وصفات الله تتداخل بعظمته وجلاله، فلا تستقل بالتمام صفة عن أخرى بل كل الصفات الحسان كاملة وتكمل بعضها بعضاً، ولذلك فالجليل هو ذو الجلال، أي ذو الكمال التام والعظمة المطلقة والسلطان العظيم، فهو الذي يهيمن بجلاله وقوته على الشيء الذي لو لم يكن هو عز وجل ما كان للشيء وجود.

وليس كل من يُظهر الجلال جليل إلا الذي يجلب الله طاعة كاملة، يوحد ولا يشرك به شيء، ولهذا ليس كل ما يقال حق، ولا كل ما يُسمع يُصدق. وعليه فالجليل بالإضافة من يجلب الله حق جلاله، ويطيعه فيما أمر بالإتباع فيما يجب والامتناع عما يجب الامتناع عنه وتجنب الشبهات، والإقدام على فعل الخير والإصلاح في الأرض بما يُرضي الله جلالة.

الجليل المطلق هو الذي جلالة دائم، والجليل بالإضافة هو من طاعته لله دائمة، والجليل المطلق هو الذي لا يخاف، والجليل بالإضافة هو الذي يخاف الجليل المطلق حتى يستمد قوته منه فلا يخشى أحداً في الحق ولا لومة لائم. الاسم الجليل متضمن الاسم الكبير والعظيم لما فيه من هيبة وخوف في قلوب الخلق ومن معاني الجليل أيضاً الكثير، ومن ذلك ما ورد في حديث الدعاء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةً وَجَلَّةً وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ"<sup>١٧٦</sup>.

والجَلَلُ الشيء العظيم وهو من الأضداد في كلام العرب ويقال للكبير والصغير جَلَلٌ وقال امرؤ القيس لما قُتل أبوه بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ: (أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٌ) أي يسير هين. وأنشد أبو زيد لأبي الأخوض الرياحي:

لَوْ أَدْرَكَتَهُ الْخَيْلُ وَالْخَيْلُ تَدَّعِي بِذِي نَجَبٍ وَمَا أَقْرَبَتْ وَأَجَلَّتِ

أي دَخَلَتْ فِي الْجَلَلِ وهو الأمر الصغير، قال الأصمعي: (يقال هذا الأمر جَلَلٌ فِي جَنْبِ هَذَا الْأَمْرِ أَي صَغِيرٌ يَسِيرٌ وَالْجَلَلُ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَأَمَّا الْجَلِيلُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا لِلْعَظِيمِ وَالْجَلِيُّ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَجَمْعُهَا جُلَلٌ مِثْلُ كُبْرَى وَكُبْرٍ وَفِي الْحَدِيثِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: "يَجْزِي الْمَصْلِي

<sup>١٧٦</sup> صحيح مسلم، ج ٣، ص ٣٠.

مثل مؤخرة الرجل في مثل جلة السوط"<sup>١٧٧</sup>. وجاء الحديث بلفظ متغير بعض الشيء في لسان العرب "يَسْتُرُ المَصْلَى مِثْلُ مُؤَخِرَةِ الرَّحْلِ فِي مِثْلِ جُلَّةِ السَّوْطِ" أي في مثل غلظه، وفي حديث أبي بن خلف "إن عندي فرساً أجلاً كل يوم فرقاً من ذرة أفتك عليها فقال عليه السلام بل أنا أفتك عليها إن شاء الله" قال ابن الأثير أي أعلفها إياه فوضع الإجلال موضع الإعطاء وأصله من الشيء الجليل.

والجلُّ الأمر العظيم كالجلَّ والجِلُّ نقيض الدقِّ والجلال نقيض الدُّقاق والجلال بالضم العظيم، وجلَّ الشيء تجليلاً أي عمَّ والمُجَلَّلُ السحاب الذي يُجَلَّلُ الأرض بالمطر أي يعم وفي هذا كمن يقول: (وابلاً مُجَلَّلاً أي يُجَلَّلُ الأرض بمائه أو بنباته).

الاسم الجليل أول ما يلقانا من معانيه أنه صاحب العظمة والكبرياء والعلو والرهبنة والإحاطة، فهو العظيم، والاسم الجليل وصف ملازم لأسم الله جل جلاله كما هو الحال مع الاسم العظيم الذي يقترن باسم الله عز وجل، ولأنه صاحب العظمة والكبرياء والعلو فجميع الخلق يخافون غضبه ويتقون عقابه كما أن الأسماء الإلهية تنقسم كما سبق أن بينا قبل ذلك إلى أسماء جمال مثل: الرحمن الرحيم الرؤوف الكريم اللطيف وغير ذلك من أسماء تحمل معاني الرحمة والعفو.

وثانياً: من معاني اسم الجليل إنه المحتوي لصفة القوي والرحيم في وقت واحد، وصفة الرحمن والمنتقم في وقت واحد، وصفة الرؤوف والمهيمن في وقت واحد، وصفة الجبار والمقيت في وقت واحد، وهذه الصفات غير متناقضة بل هي صفات إعجاز بيد الواحد الأحد لا شريك له لا إله إلا هو جل جلاله.

وثالثاً: أسماء تحوي الجمال والجلال والكمال مثل، ذو الجلال والإكرام الغفور الشكور المحيط الرزاق. والاسم الجليل أسم جامع لصفات المغفرة والعفو مع صفات الجمال والرحمة مع صفات القوة والإجبار، لذا فالذين يعرفون حقيقة هذا الاسم يعملون وهم مدركون مدى جلال الله فقلوبهم وجلة أي في خشية وخوف دوماً من الجليل.

<sup>١٧٧</sup> فتح الباري لابن رجب، ج ٣، ص ٣١٤.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} <sup>١٧٨</sup>. أي يعطون ما أعطوا من الصدقات وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ خائفة من أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به. والمعنى يفعلون من العبادات ما فعلوه وقلوبهم وجلة. والوجل خشوع وطاعة تامة وخوف من غضب الله، ولهذا تكون الطاعة عبادة تامة لله تعالى، وعمل صالح تكسوه الصدقات وتقديم العون لمن هم في حاجة وبما يحقق جزاء خير من الله جل جلاله.

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ {الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} قَالَتْ عَائِشَةُ أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ قَالَ لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ" <sup>١٧٩</sup>.

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ هَذَا (والذين يأتون ما آتوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله تعالى؟ قال: لا ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو مع ذلك يخاف الله تعالى أن لا يتقبل منه. ولأن كل بحسابه فمن يعمل صالحا يلقاه جزاء صالحا، ومن يعمل سوء ليس له بدا إلا الجزاء عليه، قال تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} <sup>١٨٠</sup>، ولهذا في كلا الحاليتين الله جليل يستوجب العبادة على جلالته وعظمته وعدله.

والله يطلب من عباده أن يتضرعوا إليه في خوف وشفقة ولا يعتدوا ولا يفسدوا في الأرض محل الخلافة حتى ينالوا رحمته ويصلوا إلى درجة الإحسان، وهذا من تجليات الاسم الجليل الذي يبث في النفس الرهبة والخشية والشفقة والمهابة، فيقول الله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ

<sup>١٧٨</sup> المؤمنون، ٦٠.

<sup>١٧٩</sup> سنن الترمذي ج ١٠، ص ٤٥٤.

<sup>١٨٠</sup> الزلزلة، ٧، ٨.

قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ<sup>١٨١</sup>. الخليفة هو الذي يُجل الله حق جلاله في دعائه وتضرعه إليه، وفي ما يقوم به من عمل صالح في الأرض، فهو الذي يُصلح ولا يُفسد ولا يُسفك الدماء فيها بغير حق، وهو الذي لا يقول إلا الحق، ولا يفعل غيره شيئاً، ولذلك يكون الوريث في الدارين دنيا وآخره.

وقوله: (وادعوه خَوْفًا وَطَمَعًا) المراد: وادعوه مع الخوف من وقوع التقصير، في بعض الشرائط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء، ومع الطمع في حصول تلك الشرائط بأسرها، وفي هذا الأمر تكون الطاعة للجليل المطلق الذي بيده الرحمة وبيده العذاب، والمؤمن من شدة حرصه على الاستخلاف في الأرض ودخول الجنة وهو يعلم أنه بشر وأن أبوه آدم صلى الله عليه وسلم كاد أن يخسر الجنة الواسعة لولا أن رحمة الله بالمغفرة، فهو بين هذا وذاك يخاف ويخشى وهو يُجل الله ويُعظمه في كل حين، ولأن الكمال لله وحده فالإنسان يخاف أن يغفل وبغفلته قد يخسر ما يأمل بلوغه في مرضاة الجليل العظيم عز وجل. اللهم أرضى عنا ولا تجعلنا من الغافلين عما يُرضي الجليل حتى نفوز في الدارين ونكون من الصالحين الوارثين.

فقوله: (خَوْفًا وَطَمَعًا) أي أن تكونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في كل أعمالكم، ولا تقطعوا أنكم وإن اجتهدتم فقد أدبتم حق ربكم. ويتأكد هذا بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ<sup>١٨٢</sup>. يُستمد من الآيات السابقة صفات أربع:

الصفة الأولى: قوله: (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) والإشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف، فمنهم من قال: جمع بينهما للتأكيد، ومنهم من حمل الخشية على العذاب، والمعنى الذين هم من عذاب ربهم مشفقون، ومنهم من حمل الإشفاق على أثره وهو الدوام في الطاعة، والمعنى الذين هم من خشية ربهم دائمون في طاعته، جادون في طلب مرضاته.

<sup>١٨١</sup> الأعراف، ٥٥، ٥٦.

<sup>١٨٢</sup> المؤمنون، ٥٧، ٦٠.



والتحقيق أن من بلغ في الخشية إلى حد الإشفاق وهو كمال الخشية، كان في نهاية الخوف من سخط الله عاجلاً، ومن عقابه آجلاً، فكان في نهاية الاحتراز عن المعاصي.

الصفة الثانية: قوله: (وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) واعلم أن آيات الله تعالى هي دلائل وجوده، والإيمان بها هو التصديق بها، والتصديق بها إن كان بوجودها فذلك معلوم بالضرورة، وصاحب هذا التصديق لا يستحق المدح، وإن كان بكونها آيات ودلائل على وجود الصانع فذلك مما لا يتوصل إليه إلا بالنظر والفكر والعقل الذي يُدرك المعجزات من الكيفية التي بها خلقت، وصاحبه لا بد وأن يصير عارفاً بوجود الصانع وصفاته، وإذا حصلت المعرفة بالقلب حصل الإقرار باللسان ظاهراً وذلك هو الإيمان، وهي القاعدة التي يتم بها الإيمان بالله تعالى.

الصفة الثالثة: قوله: (وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) وليس المراد منه الإيمان بالتوحيد ونفي الشريك لله تعالى لأن ذلك داخل في قوله: (وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) بل المراد منه نفي الشرك الخفي، وهو أن يكون مخلصاً في العبادة لا يقدم عليها إلا لوجه الجليل تعالى، والإيمان بآيات الله إيماناً به جل جلاله، ولهذا الإيمان بما جاء به الله في تقدير الإيمان بذاته العلية.

الصفة الرابعة: قوله: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) معناه يعطون ما أعطوا فدخل فيه كل حق يلزم إيتاؤه سواء كان ذلك من حق الله تعالى: كالزكاة والكفارة وغيرهما، أو من حقوق الآدميين: كالودائع والديون وأصناف الإنصاف والعدل، وبين أن ذلك إنما ينفع إذا فعلوه وقلوبهم وجلة، لأن من يقدم على العبادة وهو وجل من تقصيره وإخلاله بنقصان أو غيره، فإنه يكون لأجل ذلك الوجل مجتهداً في أن يوفيهما حقها في الأداء. وعليه فالذين يؤتون ما أعطوا فهم المؤمنون حقاً بأن ما آتوه هو في أساسه ليس منهم، بل هو من الرحمن الرحيم الذي بجلاله يريدون أن يعطوه طاعة له ومخافة من التقصير في العطاء، ولهذا فهم يؤتون وهم يؤمنون بأنهم سيجزون الجزاء الأوفى والأوفر من عند الجليل العاطي والكريم المغني.

وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) الإشفاق يكون من أمرين، إما الخوف من ترك الواجبات أو الخوف من الإقدام على المحظورات، وهذا كقوله: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا

وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ<sup>١٨٣</sup> . وكقوله تعالى: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}<sup>١٨٤</sup> . صدق الله العظيم الذي بذكره تطمئن القلوب وتخشع بالطاعة والعمل الصالح الذي به تُفْلح الأرض وتزرع بأفعال الخير حتى تعم الرحمة الأرض ومن عليها.

(إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) أي خائفون وجلون، والخشية مخافة مع رفعة في الأدب والتقدير للمخشي منه وهو الجليل عز وجل، والشفقة مخافة مع حرص على أن لا يحدث فعل لا يرضيه الله تعالى، وهذه من صفات المؤمن الذي سكن الإيمان في قلبه حتى جعله الله خليفة في الأرض يعمل ويصلح ولا يُفسد ولا يسفك الدماء فيها بغير حق. (والذين هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) أي بكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطع أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب (والذين هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) يؤمنون به واحداً واحداً لا شريك له فهم الذين يُؤْتُونَ مَا آتَوْا، أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات ولا يبخلوا عن العطاء في سبيل الله تعالى. وقرىء (يأتون ما أتوا) بالقصر أي يفعلون ما فعلوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ خائفة أي لا تقبل منهم لتقصيرهم (أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) الرجوع لله مخافة من غضبه، وطاعة لأمره، وعرفانا بوحدانيته، وتسليماً بما أنزل في الرسالة الخاتمة، ولهذا هم راجعون إليه في كل أمر وهم وجلون. (أُولَئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) لأنهم يعرفون النهاية ويؤمنون بأمر الخاتمة وبرغبتهم في الطاعة فيبادرونها وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ، لأجل الخيرات سابقون إلى الجنات أو لأجلها سبقوا الناس وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

قال تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ}<sup>١٨٥</sup> . وفي السماء رِزْقُكُمْ، من سحب ورياح ملقحة ومخصبة، ومطر غيث يحيي الأرض الميتة التي فيها الأقوات. وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ، ولكنكم تحرمونه لخطاياكم<sup>١٨٦</sup> ، وَمَا تُوعَدُونَ: الجنة: وهي الغاية المطلقة من وراء

<sup>١٨٣</sup> المؤمنون، ٦٠.

<sup>١٨٤</sup> الحج، ٣٥.

<sup>١٨٥</sup> الذاريات، ٢٢، ٢٣.

<sup>١٨٦</sup> النكت والعيون، ج ٤، ص ٢١٧.

كل قول حق وفعل حق، وفي السماء، المقصود: العلو والرفعة التي مثالها السماوات السبع طباق فوق طباق، أن ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون به في العقبى كله مقدّر مكتوب في السماء . إن هذا لحق ، كما أنك ترى وتسمع، ومثل ما إنك ههنا. وهذا الضمير إشارة إلى ما ذكر من أمر الآيات والرزق. وعن الأصمعي: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود له فقال: من الرجل؟. قلت: من بني أصمع. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. فقال: اتل عليّ، فتلوت (و الذاريات) فلما بلغت قوله تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) قال: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وولى، فلما حجبت مع الرشيد طفقت أطوف، فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر، فسلم عليّ واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت: فوربّ السماء والأرض إنه لحق، فصاح وقال: يا سبحان الله، من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين؛ قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه<sup>١٨٧</sup>.

قال تعالى: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَمَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قُبُلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}<sup>١٨٨</sup>

في قوله تعالى: (ذِي الْجَلَالِ) وجهان:

أحدهما: أنه الجليل.

الثاني: أنه المستحق للإجلال والإعظام.

وفي (الإكرام) وجهان:

<sup>١٨٧</sup> النكت والعيون ، ج ٤ ، ص ٢١٧.

<sup>١٨٨</sup> الرحمن ، ٧٢ . ٧٨.

أحدهما: الكريم.

الثاني: ذو الإكرام لمن يطيعه<sup>١٨٩</sup>.

فقوله تعالى: (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) تعاضم وتعالى ربُّ العزة باسمه الرحمن ذي الجلال والإكرام، أي برحمته يُكرم مخلوقاته ويفيض من عطائه عليها بغيثه ورزقه وفضله على من خلقهم في أحسن تقويم، وباسم الرحمن يتبارك المؤمنون المستخلفون في الأرض بإدراكهم أسم ربهم الرحمن ذي الجلال والإكرام. ولذا فهو برحمته يكرم خلقه، وبجلاله يضيء عليهم البركة وبكرمه يرحمهم سبحانه لا إله إلا هو واحد احد تبارك وتعالى.

الجليل مالك الملك الواحد القهار، الذي يكيد الكائدين ويمكر بالماكرين وهو جل جلاله على كل شيء قدير. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}<sup>١٩٠</sup>.

إنها آيات عظام من عظيم جليل، لو قرأها كافر عن وعي وبضمير وتيقن، ليس له بدّ إلا أن يسلم وجهه لله رب العالمين، وعندما يقرأها المؤمن ليس له بدّ إلا ان يُكبر لنصر الله المبين. قالت عائشة: رأيت قائد الفيل وسائقه أعميين مقعدين يستطعمان أهل مكة.

ووقفوا بالمغمّس فقال عبد الله بن مخزوم:

أنت الجليل ربنا لم تدنس ... أنت حبست الفيل بالمغمّس

حبسته في هيئة المكرّس ... وما لهم من فرجٍ ومنفسٍ<sup>١٩١</sup>.

ويوم معركة الحق مع أهل الفيل (طير الأبابيل مع الفيل) بصر أهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر، فقال عبد المطلب: إن هذه لطير غريبة بأرضنا، ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية، وإنما أشباه اليعاسيب، وكان في مناقيرها وأرجلها حجارة، فلما أطلت على القوم ألقته

<sup>١٨٩</sup> النكت والعيون ، ج ٤ ، ص ٤٥٥.

<sup>١٩٠</sup> الفيل ، ١ . ٥ .

<sup>١٩١</sup> تفسير حقي ، ج ٢ ، ص ١٠٧.

عليهم حتى هلكوا، قال عطاء بن أبي رباح: جاءت الطير عشية فبانن، ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم.

قال الشاعر:

أين المفر وإله الطالب ... والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبُ  
يعني بالأشرم أبرهة، سمي بذلك لأن أرباط ضربه بحربة فشرم أنفة وجبينه، أي وقع بعضه على بعض.

وقال أبو الصلت بن مسعود ، وقيل بل قاله عبد المطلب:

إن آيات ربنا ناطقاتٌ .... لا يُماري بهنّ إلا الكفور

حبسَ الفيلَ بالمغمس حتى .... مرَّ يعوي كأنه معفور<sup>١٩٢</sup>.

"والجليلُ وذلك مما وردَ به الأثرُ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَبَرِ الْأَسَامِي ، وَمَعْنَاهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، فَإِنَّ جَلَالَ الْوَاحِدِ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ إِنَّمَا يَظْهَرُ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ أَمْرٌ نَافِذٌ لَا يَجِدُ مِنْ طَاعَتِهِ فِيهِ بُدًّا ، فَإِذَا كَانَ مِنْ حَقِّ الْبَارِي جَلًّا تَنَاقُضُهُ عَلَى مَنْ أْبَدَعَهُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ عَلَيْهِ نَافِذًا ، وَطَاعَتُهُ لَهُ لَازِمَةً ، وَجَبَ لَهُ اسْمُ الْجَلِيلِ حَقًّا ، وَكَانَ لِمَنْ عَرَفَهُ أَنْ يَدْعُوهُ بِهَذَا الْاسْمِ ، وَبِمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ ، وَيُؤَدِّي مَعْنَاهُ. فَهُوَ مِنَ الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ ، وَمَعْنَاهُ مُنْصَرَفٌ إِلَى جَلَالِ الْقَدْرِ ، وَعِظَمِ الشَّانِ ، فَهُوَ الْجَلِيلُ الَّذِي يَصْغُرُ دُونَهُ كُلُّ جَلِيلٍ ، وَيَتَضَعُ مَعَهُ كُلُّ رَفِيعٍ"<sup>١٩٣</sup>.

الجليل المطلق الله، والجليل بالإضافة الخليفة الذي استخلف في الأرض لمنع الفساد وسفك الدماء فيها بغير حق، وهو الذي لا يشهد زورا، وإذا تداين بدين إلى أجل مسمى يكتبه، وهو الذي إذا حكم بين الناس يحكم بينهم بالعدل، وإذا كتب بينهم كتاب يكتبه بالعدل، وهم كذلك يفعلون اتقاءً لله تعالى والله بكل شيء عليم. قال تعالى: لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ

<sup>١٩٢</sup> المصدر السابق، ص ١٠٧.

<sup>١٩٣</sup> الأسماء والصفات ، البيهقي ١، ٧٠.

فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَيِّخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَبِعَلِّمُوا اللَّهَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>١٩٤</sup>.

(وليتق الله ربه) جمع بين الاسم الجليل والنعمة الجميل للمبالغة في التحذير أي وليتق المملى دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى (ولا يبيخس منه) أي من الحق الذي يمليه على الكاتب (شيئاً) فانه هو الذي يتوقع منه البخس خاصة. وأما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس وإنما شدد في تكليف المملى حيث جمع فيه بين الأمر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي إلى المنهي عنه فان الإنسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته<sup>١٩٥</sup>.

الجليل هو الذي بجلاله يملك الملك ويؤتي الملك من يشاء من عباده، وينزعه ممن يشاء كيف يشاء، بيده الملك لا إله إلا هو جل جلاله بعظيم قدسيته، إنه هو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>١٩٦</sup>.

(قل اللهم) أصله يا الله فالميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل وشددت لقيامها مقام حرفين. وقيل أصله يا الله أمانة بخير أي اقصدنا به فخفف

<sup>١٩٤</sup> البقرة، ٢٨٢.

<sup>١٩٥</sup> تفسير حقي، ج ٢، ص ١٤٣.

<sup>١٩٦</sup> آل عمران، ٢٦.

بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) أي مالك جنس الملك على الإطلاق ملكا حقيقا بحيث يتصرف فيه كيف يشاء له إيجاباً وإعداداً وإحياءً وإماتةً وتعذيباً وإثابةً من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيويوه فان الميم عنده تمنع الوصفية لأنه ليس في الأسماء الموصوفة شيء على حد اللهم (تؤتى الملك) بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى وكون مالكية الغير بطريق المجاز كما ينبئ عنه إيثار الإيتاء الذي هو مجرد الإعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة (من يشاء) إيتاءه إياه (وتنزع الملك ممن تشاء) نزعه منه فالملك الأول حقيقي عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتيهما إلى صاحبهما مجازية (وتعز من تشاء) إن تعزه في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما بالنصر والتوفيق (وتذل من تشاء) إن تذله في أحدهما أو فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة (بيدك الخير) وتعريف الخير للتعظيم وتقديم الخبر للتخصيص أي بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لان الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة، فقال: بيدك الخير تؤتية أوليائك على الرغم من أعدائك ولان كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه. روى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة من أهل المدينة أربعين ذراعا وجميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالفيل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه الصلاة والسلام واخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها مقدار ثلثها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيتها كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال: أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال: أضاءت لي منها القصور الحمر في ارض الروم، ثم ضرب الثالثة فقال: أضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام إن أمتي ظاهرة على الأمم كلها فابشروا. فقال المنافقون: ألا تعجبون يمينكم وبعدمكم الباطل ويخبركم انه

يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وإنما تفتح لكم وانتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت الآية: (انك على كل شيء قدير) من الإعزاز والإذلال<sup>١٩٧</sup>.

الجليل جل جلاله هو الذي يؤتي الملك من يشاء، أي هو الذي يضيفه على من يراد له أن يكون خليفة له، ومع أنه يضيفه عليه، إلا أن من يضيفي الحكم إليه يكون في حالة اختبار، فتكون نتيجة الفوز أو السقوط، فإن عدل بين الناس إذا ما دعي لأن يحكم بينهم فقد فاز بما استخلف به في الأرض، وإن ظلم ولم يعدل سقط في الامتحان ولا يعد مع تعداد الخلفاء في الأرض وذلك لإفساده في الأرض بما ارتكب من مظالم.

ولأن الجليل بمقام عدله جليل، فهو من أبواب عدله وجلاله ينزع الملك ممن يشاء، ويؤتيه لمن يشاء، أي ينزعه من الظالم والمُفسد في الأرض وسافك الدماء فيها بغير حق، ويؤتيه لمن يُراد له أن يكون خليفة، فإن اقتدى بخير سلف كان خليفة، ومن لم يفتد سقط في الامتحان وسينزع الجليل منه الحكم ويؤتيه لا محالة لمن يشاء إلى أن تتم مشيئة الجليل على العدل ومشية الرحمن على الرحمة ومشية الملك في ملكه لا إله إلا هو جل جلاله.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَرُوا بِالْقِسْطِ قَدْ كَانُوا إِتْقَانًا} (سورة المائدة: ٨٤) <sup>١٩٨</sup>.

قال المولى أبو السعود وليس هذا الكلام منه عليه السلام أول ما خاطبهم اثر دعوتهم إلى التوحيد بل إنما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله فلم يقبلوا كلامه وكذبوه ألا يرى إلى ما في سورة هود من قوله تعالى: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) إلى آخر الآيات (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف كأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله أنبهكم عليها أو أشير إليها في حال كونها آية وعلامة دالة على صحة نبوتي وإضافة الناقة إلى الاسم الجليل لتعظيمها

<sup>١٩٧</sup> تفسير حقي، ج ٣، ص ٤١٠.

<sup>١٩٨</sup> الأعراف، ٧٣.



كما يقال بيت الله أو لمجيئها من جهته تعالى بلا أسباب معهودة ووسائل معتادة يعنى كانت بالتكوين من غير اجتماع ذكر وأنثى ولم تكن في صلب ولا رحم ولم يكن للخلق فيها سعى ولكم بيان لمن هي آية له وخصوا بذلك لأنهم هم الذين طلبوها وينتفعون بها لو تركوا العناد وطلبوا الاهتداء بالدليل والبرهان، (فذروها) تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها أي دعوها (تأكل في ارض الله) جواب الأمر أي الناقة ناقة الله والأرض ارض الله فاتركوها ترتع ما ترتع في ارض الحجر من العشب فليس لكم أن تحولوا بينها وبينه وعدم التعرض للشرب للاكتفاء عنه بذكر الأكل (ولا تمسوها بسوء) الباء للملابسة أي لا تمسوها ملتبسين بسوء ولا تتعرضوا لها بشيء مما يسوءها أصلا من قتل أو ضرب أو مكروه إكراما لآية الله تعالى والسوء اسم جامع لأنواع الأذى ويجوز أن تكون الباء للتعدي وفيه مبالغة حيث نهى عن المس الذي هو مقدمة الإصابة (فياخذكم عذاب اليم) جواب النهي<sup>١٩٩</sup>.

فالخليفة من أطاع أمر الله، وبعض البشر هم الذين لم يكن للخلافة حظ لهم فيها وهم الذين عقروا الناقة الآية فكانت الدممة عقاب لهم على معصيتهم الأمر المطلق من الجليل المطلق جل جلاله.

إن المعجزة للعوام أن يخرج لهم من حجارة الصخرة ناقة عشراء والمعجزة للخواص أن يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر بسقب سر السر وهو الخفي وناقة الله التي تحمل أمانة معرفته وتعطى ساكني بلد القالب من القوى والحواس لبن الواردات الإلهية فذروها تأكل في ارض الله أي ترتع في رياض القدس وتشرب في حياض الأنس ولا تمسوها بسوء مخالفت الشريعة ومعارضات الطريقة فياخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن مواصلات الحقيقة<sup>٢٠٠</sup>.

<sup>١٩٩</sup> تفسير حقي ، ج ٤ ، ص ٣٢٩.

<sup>٢٠٠</sup> تفسير حقي ، ج ٤ ، ص ٣٢٩.

قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَؤْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} <sup>٢٠١</sup>. يستنبط من هذه الآية الكريمة أن الخلفاء في الأرض هم الذين يؤمنوا بأسمائه الحسنى وهم الذين يدعونه بها، وهم الذين يعلمون العاقبة بما يؤمنون، وبما يكفر الضالون الملحدون في أسمائه جل جلاله.

(ولله الأسماء الحسنى) تأنيث الأحسن أي الأسماء التي هي أحسن الأسماء واجلها لأنها دالة على معاني هي أحسن المعاني وأشرفها والمراد بها الألفاظ الدالة الموضوعية على المعاني المختلفة دل على إن الاسم غير المسمى ولو كان هذا المسمى لكان المسمى عدد الأسماء وهو محال.

قال الإمام الغزالي: "الحق إن الاسم غير التسمية وغير المسمى فإن هذه ثلاثة أسماء متباينة غير مترادفة (فادعوه بها) فسموه بتلك الأسماء واذكروه بها وفي الحديث "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقدر المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور" <sup>٢٠٢</sup>.

هذه الأسماء التي سمى بها الله نفسه ووصف بها أفعاله لا إله إلا هو، إنه الجليل بهذه الأسماء الحسان والصفات العظام، ولأنه الكامل بالتمام، فهو الجليل، ولأنه الله الكامل والمنزه

<sup>٢٠١</sup> الأعراف، ١٨٠.

<sup>٢٠٢</sup> تفسير حقي، ج ٤، ص ٣٧٤.

عن النقيصة فهو الجليل جل جلاله. أما الجليل بالإضافة فهو الخليفة الذي يتخذ صفاته الخاصة من صفات الله ويتخذ أفعاله الخاصة مما يُرضي الله.

وعليه نحن نفرق بين من يتخذ صفاته من صفات الله، وبين من يتخذ صفاته من صفات ما خلق الله، والفرق كبير بين هذا وذاك، فهذا من عند الخالق الكامل، وذاك من عند المخلوق الناقص، مما يجعل الفرق بين هذا وذاك.

بناء على ما تقدم: لا كمال إلا لله، ولا كمال للناس إلا لمن اتخذ صفاته وأفعاله من صفات وأفعال الله الكاملات الحسان. ومع أن الإنسان بإمكانه أن يكون على درجات الكمال إلا أنه لن يكون على كمال الله جل جلاله، ولكن يكون كماله على درجة رضا الله تعالى، التي بها ينال الوصف بأنه خليفة الله في خلقه على أحسن تقويم، حتى بلغ هذا الحسن التقويمي الذي به كان على درجة الكمال من رضا الله عليه.

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} ٢٠٣.

(إنما المؤمنون) إنما الكاملون في الإيمان المخلصون فيه (الذين إذا ذكر الله) عندهم (وجلَّتْ قلوبهم) من هيبة الجلال وتصور عظمة المولى جل جلاله، وهذا الخوف لازم لأهل كمال الإيمان سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو مؤمنا تقيا نقيًا وهذا بخلاف العقاب الذي يحصل بالمعصية.

(وإذا تليت) قرئت بروية ووضوح بين مع دقة وافية وتوحد وجداني مع المقروء (عليهم آياته) آيات الله يعنى القرآن امرأ ونهيا وغير ذلك (زادتهم) تلك الآيات والإسناد مجازي (إيماننا) أي يقينا وطمانينة نفس فان تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين.

(وعلى ربهم يتوكلون) على مالكم ومدبر أمورهم الخاصة يفوضون أمورهم ولا يخشون إلا الجليل جل جلاله ولا يرجون إلا إياه جل جلاله.

فالخوف من الصفات التي يتحلي بها الخليفة ولكنه الخوف من الله فقط لذا فمن يخاف الله يخاف منه كل شيء ومن لا يخاف الله لا يخاف من أن يفعل أي شيء في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، أي تتساوى عنده الأعمال الصالحة مع الأعمال الطالحة، وللخليفة الأسوة الحسنة في سيد الخلفاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الأخوف من الله والأتقى له عز وجل ، لذا فالأكثر تقوى هو الأكرم عند الله الأعلى بين العباد يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ٢٠٤ .

(يأيها الناس إننا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى) من آدم وحواء أو خلقنا كل واحدٍ منكم من أبٍ وأمٍ الكلُّ سواءٌ في ذلك فلا وَجَهَ للتفاخرِ بالنسبِ (وجعلناكم شعوباً وقبائل) الشعبُ الجمعُ العظيمُ المنتسبونَ إلى أصلٍ واحدٍ وهو يجمعُ القبائلَ، والقبيلةُ تجمعُ العمائرَ، والعمارةُ تجمعُ البطونَ والبطنُ يجمعُ الأفخاذَ والفخذُ يجمعُ الفصائلَ فخرَيمةُ شعبٌ وكنانةُ قبيلةٌ وقريشٌ عمارةٌ وقُصيَ بطنٌ وهاشمٌ فخذٌ والعباسُ فصيلةٌ وقيلَ الشعوبُ بطونُ العجمِ والقبائلُ بطونُ العربِ (لتعارفوا) ليعرفُ بعضُكم بعضاً وتتبادلوا ما لديكم من معارفٍ تفيدُ بعضكم بعضاً، ولا تستهزؤا ببعضكم فكلكم لآدم وادم من تراب، وجميعكم خلقتم في أحسن تقويم وجميعكم خلقتم وأنت في حاجة لبعضكم بعض فتناسبوا وتصاهروا وأعملوا صالحا يفيدكم في الدار الآخرة، وأعلموا أنكم في الدار الدنيا لن تكون مخلصين ولا خالدين. وبحسب الأنسابِ فلا يعتزى أحدٌ إلى غير آباءه، لا لتتفاخروا بالآباءِ والقبائلِ وتَدَّعُوا التفاوتَ والتفاضلَ في الأنسابِ وقُرىءَ تتعارفوا على الأصلِ ولتعارفوا بالإدغامِ ولتعرِفُوا (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ) تعليلٌ للنهي عن التفاخرِ بالأنسابِ المستفادِ من الكلامِ بطريقِ الاستئنافِ التحقيقيِّ كأنه قيلَ إِنَّ الأكرمَ عندهُ تعالى هو الأتقى فإن فخرتم ففاخروا بالتقوى وقُرىءَ بَأَنَّ المفتوحةِ على حذفِ لامِ التعليلِ كأنه قيلَ لا نتفاخرُ بالأنسابِ فقيلَ لَأَنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ لا أنسبكم فإن مدارَ كمالِ النفوسِ وتفاوتِ الأشخاصِ هو التقوى فمن رامَ نيلَ الدرجاتِ العُلا فعليه التقوى قالَ عليه الصلَاةُ والسَّلَامُ " (مَنْ

سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلِيَتَقِ اللَّهَ) وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى)<sup>٢٠٥</sup>. وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بِكُمْ وَبِأَعْمَالِكُمْ (خَبِيرٌ) ببواطنِ أحوالِكُمْ<sup>٢٠٦</sup>.

(لتتعارفوا) أي: إنما جعلناكم كذلك ليعرف بعضكم نسب بعض، ويعرف بعضكم ثقافة بعض وعادات بعض حتى تستفيدوا معرفة الأفضل والجود والحسن الذي به تستخلفون في الأرض وترثون الجنة من بعدها.

ثم ذكر الخصلة التي يفضل بها الخليفة، ويكتسب الشرف والكرم عند الله، فقال: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) وذلك لأن مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى، فمن رام نيل الدرجات العلا والفوز بالجنة فعليه أن يكون الخليفة بإيمانه الذي لا يتزعزع بأن الله واحد أحد لا شريك له، وأن محمداً رسول الله وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، وإن فعل الخير والإصلاح في الأرض هو الذي يحقق الفوز في الدارين والنجاة من النار.

قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُؤْفِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}<sup>٢٠٧</sup>. العلماء هم الذين يُدركون الحق هو كما هو، وهم الذين بإدراكهم له، يسلمون وجوههم إليه، وهم الذين يعملون عل إعلاء كلمته في الأوساط غير العالمية بالحق الذي تمكنوا من إدراكه، ولهذا فإن الله بجلاله المطلق لا يخاف أحداً ولا يخشى أحداً، ولكنه يُقدّر العالم بما علم وعمل، وإن علم العالم ولم يخش الله فيما علم ليكون من خلفائه في الأرض يكون ظلاله كبير، وهذه معيبة كبيرة على من يعلم بالحق ولا يعمل به، وإن عاد وحاد عن انحرافه بمبلغ العلم يجد الله عزيزاً غفوراً. والخوف على مراتب ثلاث:

<sup>٢٠٥</sup> تفسير أبي السعود، ج ٦، ص ١٨٨.

<sup>٢٠٦</sup> المصدر السابق، ص ١٨٨.

<sup>٢٠٧</sup> فاطر، ٢٨. ٣٠.

الخوف، والخشية، والهيبة.

أولاً: فالخوف من شرط الإيمان وقضيته: فمن يولي أمره لأحد يخافه إن لم يكن تقياً، ولهذا الذين يولون أمرهم للشيطان بطبيعة الحال سيخافونه، وهكذا من يولي أمره لملك أو سلطان بالضرورة يخافه، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} ٢٠٨. أما من يولي أمره لله فلا يخاف أحداً والله لا يظلم أحداً مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} ٢٠٩.

ثانياً: الخشية من شرط العلم، قال الله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

ثالثاً: الهيبة من شرط المعرفة، قال الله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} ٢١٠.

والخوف على ضربين: رهبة، وخشية.

فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب إذا خاف، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب. وعليه من خاف من شيء هرب منه، ومن خاف من الله عز وجل هرب إليه ٢١١.

بناءً على ما تقدم فإن الخليفة لا يخاف الحق، بل يخاف الكذب فلا يكذب، ولا يخاف العدل بل يخاف الظلم فلا يظلم، ولا يخاف الزواج فيتزوج، ولكنه يخاف الزنا فلا يزني، ولا يخاف الإصلاح بل يخاف الفساد فلا يُفسد، ولأنه يخاف الكفر آمن، ولا يخاف الكيد والمكر من الماكرين فهو مولي أمره لمن آمن به وبما آمن من قوله جل جلاله: {إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ

٢٠٨ آل عمران ١٧٥.

٢٠٩ النساء ٤٠.

٢١٠ آل عمران، ٢٨.

٢١١ الرسالة القشيرية، ج ١، ص ٥٩.

بِالْهَزْلِ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوَيْدًا<sup>٢١٢</sup>، وقوله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}<sup>٢١٣</sup>.

وعليه الجليل صفة المولى عز وجل، وهو نعت إلهي يملأ القلوب مهابة وتعظيما وبه يظهر اسم الجليل تبارك وتعالى وهو من أعجب صفات الله تعالى للمتأمل فيها فإنه ليس كمثلته شيء، فقد قال الله تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ}<sup>٢١٤</sup>، وهذا تنزيه لله خالق الخالق والقوة والغلبة عما ينعته به من المفتريات، فهو مالك العزة والغلبة على الإطلاق، وتعالى وتنزه عما يصفونه به مما لا يليق بجناب كبريائه وجلاله، وذلك لأن أهم ما يعني المخلوق العاقل معرفة إله الكون على قدر استيعاب العقل البشري، وأقصى ما يمكن معرفته والوقوف عليه من صفات الله تعالى ثلاثة أنواع:

أولها: التسبيح تنزيها وتقديسا عن كل ما لا يليق بصفات جلال الله تعالى.

والثاني: وصفه بكل ما يليق بالذات الإلهية الذي يجمعه لفظ رب العزة، وهو ما يدل على الاستغراق والشمول لأية عزة كانت ولأي مخلوق كان له عزة، وفيها كمال القدرة والحكمة والرحمة.

والثالث: أنه منزّه عن الشريك والنظير والمثيل وهي كلمة محتوية على أقصى الدرجات وأكمل النهايات في معرفة إله الكون، وسبحان ربك رب العزة في غاية التمجيد لله تعالى، وهو من أعلى درجات الجلال له سبحانه.

"فمن وصفه إنما وصف نفسه ولا يعرف منه إلا نفسه لأن رب العزة لا يعينه وصف ولا يقيده نعت ولا يدل على حقيقته اسم خاص وأن يكن الحكم ما ذكرناه فما هو رب العزة فإن العزيز هو المنيع الحمى ومن يوصل إليه بوجه ما من وصف أو نعت أو علم أو معرفة فليس بمنيع الحمى ولذلك عم بقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون ولحضرة الجلال السبحات الوجهية

<sup>٢١٢</sup> الطارق، ١٣ . ١٧.

<sup>٢١٣</sup> آل عمران، ٥٤.

<sup>٢١٤</sup> الصافات ١٨٠

المحرقة ولهذا لا يتجلى في جلاله أبداً لكن يتجلى في جلال جماله لعباده فبه يقع التجلي فيشهدونه مظهر ما ظهر من القهر الإلهي في العالم، قال الشاعر:

إن الجليل هو الذي لا يعرف وهو الذي في كل حال يوصف

فهو الذي يبدو فيظهر نفسه في خلقه وهو الذي لا يعرف<sup>٢١٥</sup>

فلجلال الجليل يقوم القائمون ويصوم الصائمون خشية من الله وهيبة له حيث قال تعالى: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} <sup>٢١٦</sup> فهؤلاء الذين ملأ الإيمان قلوبهم هيبة من الله الجليلة وخشية منه، فأعلنوا ذلك بألسنتهم ضارعين إلى الله ربنا إننا آمننا استجابة لدعوتك فاعف عن ذنوبنا، واحفظنا من عذاب النار، وهم الذين يتحملون المشقة في سبيل الطاعة وتجنب المعصية واحتمال المكروه في أقوالهم وأفعالهم ونياتهم، المداومون على الطاعة في خشوع وضراعة، الباذلون ما يستطيعون من مال وجاه وغيره في وجوه التأمل والتفكير في عظمة الخالق، لذلك فهم في تسبيح وتكبير وتهليل، تنزيها له عن الصفات التي لا تليق بجلاله، و هذا هو الذي يعطيه حكم الجلال بما يسكن في قلوب خلقه من مهابته سبحانه وتعالى. والجلال أيضا نقف عليه في قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} <sup>٢١٧</sup> القدر هو التعظيم لله الجليل والمراد أنهم ما عظموا الله حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا بما لا يليق بشأنه العظيم، فهم لم يقدروا عظمتة تعالى في أنفسهم حق عظمتة مهابة منه ووقارا له، وإن كان هذا قد بدر منهم إما لمعصيتهم وإما لعدم إدراكهم، فالله تعالى لا يُعرف حق المعرفة بحسب كنهه، ولكن تتعلق به تلك المعرفة بقدر عقولنا، وعلى هذا فالمقصود أنهم ما عرفوا الله حق معرفته بحسبهم لا بحسب الله، إذ لو عرفوه بحسبهم ما أضافوا إليه الشريك والولد، تعالى الله

<sup>٢١٥</sup> الفتوحات المكية ٤، ٢٤٣

<sup>٢١٦</sup> آل عمران ١٦، ١٧

<sup>٢١٧</sup> الزمر، ٦٧.



الجليل عما يقولون علوا كبيرا، فهم لم يعرفوا الله حق معرفته وما وصفوه حق وصفه وما عظموه حق تعظيمه فمن اتصف بتمثيل أو جنح إلى تعطيل حاد عن جادة الحق، وانحرف عن الطريقة الحسنى، فصفوا الحق بالأعضاء وتوهموا في نعتة الأجزاء فما قدروا الله حق قدره، وإظهار قدر الجليل بأن الأرض جميعا مقبوضة له يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، أي في ملكه وتصرفه من غير منازع يتصرف فيها تصرف المالك في ملكه، وهذا غاية العظمة وكمال القدرة في الوقوف على هيبة الجليل من قبل الخلق.

والخليفة الذي ملأ قلبه مهابة الجليل، فإنه لا يفعل غير الحق ولا يقدم على غير الخير ولا يسعى في غير الصلاح، حتى وإن ابتلي ونزلت به النوازل، فهو يعلم أن هذا البلاء أو تلك النازلة إنما هي اختبار من الجليل، فهل سيحافظ على هيئته ووقاره وجلاله الذي كساه إياه الجليل فيما ابتلاه به، فالله سبحانه وتعالى يبتلي النبيين والصديقين والخلفاء والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لهؤلاء دليلا على سخطه عليهم أو عدم رضاه عنهم، ولكن ذلك كرامة لهم وزيادة في أجورهم.

إن من عظمة الله وجلاله وما يعرفه الخليفة ومن تخلق بأخلاق الجليل وصفاته النسبية هم الخلفاء الذين تنكسر قلوبهم هيبة وتمتلئ صدورهم رهبة من الجليل جل جلاله، فإذا ذكروا عظمة الله انكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم وطاشت أحلامهم وعقولهم فرعا من الله وهيبة له، فإذا عادوا استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية، يعدون أنفسهم مع الظالمين وإنهم لهم الأبرار، ومع المقصرين وإنهم هم الأتقياء، ولكنهم لا يستكثرون الله عز وجل الكثير، ولا يرضون له القليل، ولا يمتنون عليه بالأعمال، فهم حيث تراهم خائفون وجلون من جلال الله وعزته، فمن أخذ بهذه الصفات فهو الجليل بالإضافة، وهو الخليفة الذي استخلفه الله تعالى في أرضه. فهؤلاء هم الخلفاء الذين آمنوا بالله رغبة ورهبة، رغبة فيما وعد الذين آمنوا، ورهبة مما أوعدهم الذين كفروا، لذلك فهم قلوبهم وجلة كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ٢١٨. إن المؤمنين حقا وصدقا

هم الخلفاء الذين يستشعرون دائما الخوف من هيبة الله وجلاله، ويطمعون بما عنده بطاعته، فإذا ذكر سبحانه فرزت قلوبهم وجلة، وامتألت منه هيبة، ولذا كلما تذكروا جلال الله تعالى ازداد إيمانهم رسوخا، وازدادوا لله إذعانا وعلما، ولا يعتمدون إلا على الله، ولا يهابون سواه، ولا تأخذهم في غيره لومة لائم.

فالخلفاء هم أصحاب الإيمان التام المخلصون فيه، لذلك تراهم إذا ذكر الله عندهم وجلت قلوبهم من هيبة الجلال وتصور عظمة المولى التي لا تزال ساكنة في نفوسهم، وهذا الخوف لازم لأهل كمال الإيمان سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو مؤمنا تقيا نقيا أو خليفة الله في أرضه، ويكون ذلك ملازما لهم هيبة من الله وجلاله، وهذا بخلاف الذي يخاف العقاب فإنه لا يحصل بمجرد ذكر الله، بل مما ارتكب من المعصية، وذكر عقاب الله انتقاما من العصاة، يجعلهم يخافون من جرّاء ما ارتكبوا من الذنوب، وفرق كبير بين من يهمل بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه، وبين من ينزع بمجرد ذكره من غير أن يذكر هناك ما يوجب النزاع من صفاته وأفعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه.

فالخليفة عندما يتحلى بهذه الصفة يكون شهما شجاعا، جريئا، بعيد الهمة، نافذ العزيمة، قوي الشكيمة، لبيبا، جوادا، حازما، وتظهر فيه نباهة القدرة وجلالة النفس، وسمات الخلافة التي ارتضاها الجليل لخليفته، مما لا يتصف به الآخرون الذين يعجزون عن حمل الأمانة التي أمر بها الله عباده المؤمنين الذين يرثون الأرض. فالجليل بالإضافة مثلما يحمل صفات الهيبة والوقار، كذلك يحمل من الذكاء والنبيل والفتنة والتؤدة، ما يكون بها متممات ما يشتغل به الخلفاء مما هم مكلفون به، لذلك فهو يسعى لنشر الفضيلة والدعوة إلى الخير بما أمر الله به الخلفاء من إقامة الدين للناس فيحتمل الكبير والصغير وما يصيبه من أذى فهو يصبر له ابتغاء مرضاة الله، ولهذا نراه عظيم الهيبة جليلا، كثير المروءة واسع الصدر، كثير الجلال والوقار محافظا على مودة الناس وقضاء حوائجهم، دائم التققد لهم حريصا عليهم. فالله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة بالمؤمنين وخوفا عليهم وهو سيد الخلفاء عليه الصلاة والسلام لحرصه على أمته حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ<sup>٢١٩</sup> فالله تعالى خاطب الناس بأرقّ خطاب حيث أن هذا الرسول الخليفة الذي جاءكم أيها الناس، هو رسول ولكنه من البشر مثلكم في تكوينه، غير أنه يشق عليه ما يصيبكم من الضرر، وهو حريص على هدايتكم، ولذلك كان عظيم العطف عليكم والرحمة بكم.

إن الله يزرع الهيبة والجلال بالرحمة في قلب من يشاء من عباده صغيرا أو كبيرا، وتظهر على خلقه من خلال أفعالهم وأقوالهم وتصرفاتهم، فمتى كانت في القلب ظهرت على اللسان ولا تكون المهابة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة، وإذا جعل الله تعالى عبده مهيبا جليلا يهابه الصغير ويجله الكبير عند الصبا لم تسقط منزلته عند الكبر، فيقبل على ربه مستغيثا به متضرعا إليه، فالخليفة يكون من جلال الله وخيفته، للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما، لما في صدره هيبة من الجليل، ومخافة منه من أجل رضوانه جل جلاله. فالخليفة طالما أنه اتصف بصفات الجليل النسبية فهو عاقل، فاضل، حسن السياسة، كثير الإصابة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأي، محب للفضائل وأهلها، باذل في مواضع العطاء، مانع في أماكن المعصية، ناظر في عواقب الأمور، وهو ثقة صدوق شديد الورع، عظيم المهابة، وله مع الله جانب كبير كثير الذكر دائم المراقبة والفكر، وهذا دأبه على الدوام. ويحاذر الرياء ويكون مع مسايرته للناس وبشاشته ومخاطبته لهم على قدر عقولهم عظيما جليلا في نفوسهم وقورا محتشما ذا جلال وجمال، وتكون الهيبة فيه مقرونة بالورع فمن قل ورعه قلت هيبته، ويكون سكوته فكرا ونطقه ذكرا وكلامه عبرا، لأن سقطات الكلام تذهب الهيبة، وأقل ما في الكلام من الزلل سقوط هيبة الرب سبحانه وتعالى من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة عري من الإيمان، ومن تمام أخلاق الخليفة أن يكون شديد الهيبة، رزين المجلس، وقورا صامتا، بطيء الالتفات، قليل الإشارات، ساكن الحركات، لا يصخب ولا يغضب، ولا يبهر في كلامه، ويكون كلامه في علم وأدب وثروة وعفة، ولم يزل يتخلق بمكارم الأخلاق ويسمو إلى معالي الأمور حتى تبعد همته، ويشتد أمره، ويعلو صوته، ويكون عزيزا

في الناس، فيلقي الله تعالى عليه الهيبة، وبها يكون جليلا. وعندما يتحلى الخليفة بهذه الأخلاق فإن الله الجليل سيطوقه بالمحبة من الناس، ويشرح له صدره، فيسمع كل شيء، ويقوي له فهمه فيفقه كل شيء، ويطلق له لسانه فينطق بكل شيء، ويفتح له سمعه فيعي كل شيء، ويمد له بصره فينقد كل شيء، ويشد له ركنه فلا يغلبه شيء، ويقوي له قلبك فلا يروعه شيء، ويحفظ له عقله فلا يعزب عنه شيء، يبسط له ما بين يديه فيسطو فوق كل شيء، ويشد له وطأته فينهّد له كل شيء، ويلبسه الهيبة فلا يهولنه شيء، ويسخر له النور ويهديه به، فهذا حجاب من الجليل المطلق يكسو به الجليل بالإضافة ليكون خليفته في أرضه، وهذه الجلالة التي هو في تعظيمها على نورٍ وهدى من ربه، وعندما يعلم الناس ما هو عليه من هذه الصفات الجلالية، يسارعون إلى إجابة دعوته حين تتضح لهم أدلة الصواب، فيفوضون الأمر إليه لأنهم وثقوا من عدله، والبشر من مهابته قد أمنت من الوجل، والنفوس الأبية قد رضيت خلافته من غير مهل، فيرد الله به مثيروا الفتنة، وتظهر الألفة والمودة من سرائر الذين التقوا حوله، وقد أنزل الله عليه ناموس المهابة والجلال، وفوض إليه ما ولاه الله من أمور الخلافة، وأسند إليه مصالح عباده المؤمنين، ليقيم على أساس أحكامه دعائم الدين القويم، وتسير الخلائق على منهاج طريقه المستقيم، وتحسن إن شاء الله برعايته عاقبة الناس كما أصبحت قلوبهم به راضية مرضية، فإذا صار هكذا كان خليفة الله في أرضه ويده يد الملك فكل من بايعه فإنما بايع الله يد الله فوق أيديهم والله ذو الفضل العظيم قال تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} ٢٢٠ لقد أراد قارون أن يلبس ثوب الجليل تكبرا على الله وعلى الناس، غرورا بنفسه وماله، وقد أعطاه الله كنوزا زاخرة بالأموال، بلغت مفاتيحها من الكثرة بحيث يثقل حملها على الجماعة الأقوياء من الرجال، وحين اغتر بنعمة الله عليه وكفر بما نصحه قومه عندما نهوه على عدم الاغترار بالمال والملك، حيث فتن بهذا المال وأخذته الفرحة في زينة الحياة الدنيا بما يأخذ من زينة ولباس ونسي شكر الجليل الذي أنعم عليه هذه النعم، فالله الجليل لا يرضى عن المغرورين المفتونين الذين اغتروا بما أعطاهم الله فأصبحوا من المتكبرين المتعاليين، فالذي يريد أن يكون جليلا، إذا أنعم الله عليه بنعمه يجعل نصيبا مما آتاه الله في سبيل الخير من الصدقات ومساعدة المحتاجين في تقى وتواضع حتى يكون جليلا، فيحسن مثلما أحسن الله إليه، ولا يسعى في الأرض فسادا في تجاوز حدود الله تعالى، لأنه تعالى لا يحب المفسدين، فالذين لا يستجيبون لأوامر الجليل في التواضع، ولا لنصح خليفته، وينسون ما تفضل الجليل عليهم من النعم التي أكسبهم المهابة بين الناس، ويتجاهلون أن الله قد أهلك قبلهم كثيرين كانوا أكثر منهم قوة وقدرة على كسب المال وخبرة بوجه استثماره، فهؤلاء يدخلون النار بغير حساب، وذلك لأنهم لم يحمدوا الله على ما آتاهم، وكذلك لتكبرهم على خلق الله ظناً منهم أنهم أجلاء وأصحاب هيبة فما ينبغي لهم أن يخالطوا الفقراء ويجالسونهم. إن المتكبرين الذين يدعون الجلال بغير حق، فإن الله سبحانه وتعالى بجلال عزته يلبسهم ثوب الذلة والصغار جزاء بما كانوا يتكبرون، وهكذا كان أمر قارون الذي لم يعبا بنصح قومه، وخرج عليهم في زينته، فاغتر به الذين يحبون متاع الحياة الدنيا، وتمنوا أن يكون لهم مثل ما أُعطى قارون من المال والحظ العظيم في الحياة.

أما الذين يرزقهم الله التواضع لجلال الله تعالى فلا تفتنهم الحياة الدنيا وزينتها، وهم يتوجهون بالنصح والإرشاد للمفتونين، بأن لا يتمنوا زينة الحياة الدنيا وزخرفها ولا ينصرفوا عما أمر به الجليل من التواضع ولين الجانب وسهولة الخلق في معاملة الناس والنظرة إليهم، فإن ما عند

الله من ثواب ونعيم أزكى لمن آمن به وعمل صالحاً، وتلك نصيحة حقة لا يتقبلها إلا من يجاهدون أنفسهم ويصبرون على الطاعة الذين يتصفون بصفات الجليل ليكونوا خلفاء في الأرض. لذلك عندما أراد قارون أن يلبس ثوب الجلال تكبرا على عباد الله، خسف الله به الأرض فابتلغته هو وداره بما فيها من أموال وزينة، فلم يكن له أنصار يمنعونه من عذاب الله، ولم يكن يستطيع أن ينتصر لنفسه.

فإنه الجليل برحمته وحكمته عندما أرسل موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام إلى فرعون الذي عاث في الأرض فسادا وتكبيرا وتجبرا ليضفي على نفسه الهيئة المصطنعة والجلال الزائف الزائل، قال تعالى: {أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي أذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} ٢٢١ فقد أمره الله تعالى أن يذهب مع أخيه مؤيدين بمعجزات الجليل الدالة على المهابة والجلال وأوصاهما بأن لا يضعفا أو يستكينا في تبليغ رسالة الجليل، ولا يغفلا عن ذكر الجليل تواضعا له جل جلاله. إن فرعون تجاوز الحد في كفره وطغيانه وتكبره، ومع هذا الله تعالى جليل فقد أمرهما أن يدعوا إلى الإيمان في رفق ولين، رجاء أن يتذكر ما غفل عنه من الإيمان، ويخشى عاقبة كفره وطغيانه وتجبره. ولشدة تكبر فرعون وتجبره فقد تضرع موسى وهارون إلى الجليل خوفا من أن يُبادرهما فرعون بالأذى، ويتجاوز الحد في الإساءة، ولكن العظيم الجليل نهاهما عن الخوف من فرعون، لأن هيبته الله أعظم وجلاله أكبر وقدرته أسمى فهو معهما بالرعاية والحفظ، سميع لما يقول، مبصر لما يفعل، ولكن الدين النصيحة فعسى أن يرتدع أو يهاب الجليل، ويتذكر أن ما به من نعمة وسلطان وملك هو من العزيز الجليل.

فلما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال: لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا، فإن ناصيته بيد الله ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذنه تعالى، ولا يعجبكما ما متع به منها، فإنما هي زهرة الدنيا وزينة المترفين. فلو شاء الله أن يزينهما بزينة

من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته أعجز من أن تأتي مثلها لفعل، ولكن الجليل القدير يرغب بهما عن ذلك لأنه كساهما جلال الإيمان، وكذلك يفعل بخلفائه، لأنه تعالى يزودهم عن نعيم الدنيا شفقة عليهم ورحمة بهم وتكريماً لهم وإبعاداً لهم عن مراتع الهلكة، وما ذاك لهوانهم على الجليل، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامته سالماً موفراً. إنما يتزين له خلفاؤه وأولياؤه بالذل والخضوع والخوف والتقوى التي تنبت في قلوبهم فتظهر على أجسادهم، فهي ثيابهم التي يلبسون فيها الجلال، وديارهم الذي يظهر به المهابة، وضميرهم الذي يستشعرون به الإيمان، ونجاتهم التي بها يفوزون بالجنة، ورجاؤهم الذي إياه يأملون عقبى الدار، ومجدهم الذي به يفخرون في الآخرة، وسيماهم التي بها يعرفون أنهم الأتقياء. فإذا شاهدتهم أحد فإنه يخفض لهم جناحه ويذل لهم قلبه ولسانه، فهؤلاء خلفاء الله في أرضه كسأهم ثوبه الجليل بما أدوا من الطاعات، ومنحهم الهيبة والعظمة بما كانوا عليه من التواضع، وجللهم بالوقار لما خفضوا جناح الذل للجليل جل جلاله.

إن الله سبحانه وتعالى لبس ثوب العزة والجلال، فتعزز بالقدرة وتفرد بالوحدانية، وأعرف خلق الله بالجليل من خلقه أدناهم إلى آيات قدرته، لما علم يقينهم بأن العزة لله، فذلت قلوبهم وخشعت من جلال هيئته، فهو الجليل الدائم الجلال، وكل شيء هالك إلا وجهه الكريم، فكان الخلفاء مدركين أن أي مخلوق بما أنعم الله عليه صائر إلى الفناء والموت، ولهذا رسّخ في يقين الخليفة بما أنعم الله عليه من ذل التواضع مهابة من الجليل، وما أعزه الله به ورفعته بين خلقه بتواضعه، كانت دعوته ونصيحته للخلق بما علم من هيبة الجليل، حيث يذكر أن الخلق كلهم ميتون ومبعوثون من بعد الموت، ثم موفون على أعمالهم، فيجازيهم الجليل بها، فيميز المتكبرين المتجبرين الذين كانوا ينازعون الله ثوب الجلال فيومئذٍ تسودّ وجوههم بما كانوا يطلبون بغير طائل فقد قال تعالى: لَمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ<sup>٢٢٢</sup> فمن كان يريد الشرف والقوة والجلال والهيبة، فليطلبها بطاعة الجليل فإن هذه

الصفات لله تعالى، ومن أراد أن يأخذ بنصيبه منها ويكون خليفة الله في أرضه فعليه بتقوى الله وطاعته خضوعا وعبودية وذلا لله تعالى، فمن كان كذلك رفعه الله وألبسه الهيبة والجلال من غير زينة الحياة الدنيا، وإنما لما يقع له في قلوب الآخرين من التواضع والاحترام والمهابة التي يكون بها جليلا، ولأنه جليل فله القوة كلها، و إليه يعلو الكلم الطيب، ويرفع الله العمل الصالح فيقبله ويجزي عليه بأحسن ما عمل العاملون.

فالعزة حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب، وعندما يكون غالبا أبدا فهو جليل عن أن يدخل في منازعات ومخاصمات مع الآخرين لأنهم عرفوا أن الغلبة تكون له، ولذلك يهابونه ويجلون، فلا ينازعونه الجلال لأنه جليل، ومن جلال العزة أيضا أن العزيز هو قهار فلا يقهر، ولأنه سبحانه وتعالى عزيز قهار جليل، فقد أضفي على خليفته من هذه الصفات ما يكون بها جليلا بين الناس، بحبهم له وتواضعهم بين يديه وإطاعة أمره فيما يدعوهم إليه بما أمر به الجليل، لأنهم إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن رأيه يصدرن، ومن قوله يستهدون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقا للبارئ جل ثناؤه ولم يكن بهم استغناء عنه في بدء أمرهم وهو إيجابهم، إذ لو لم يوجد لهم ما وجدوا، ولا في إبقاء حياتهم بعد الإيجاد، ولا في العوارض التي تعرض لهم أثناء البقاء، كان حقا له جل جلاله أن يكون جليلا، وكان حقا عليهم أن يدعو به هذا الاسم المستحق للأمر والنهي، فإن جلال الواحد فيما بين الناس إنما يظهر بأن يكون له على غيره أمر نافذ لا يجد من طاعته فيه بدا، فإذا كان من حق الله تعالى جل جلاله على من أبدعه أن يكون أمره عليه نافذا، وطاعته له لازمة، وجب له اسم الجليل حقا، وكان لمن عرفه أن يدعو بهذا الاسم، وبما يجري مجراه، ويؤدي معناه، فهو من الجلال والعظمة، و منصرف إلى جلال القدر وعظم الشأن، فهو الجليل الذي يصغر دونه كل جليل، ويتضع معه كل رفيع، ولننظر إلى صورة الجليل في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>٢٢٣</sup> فهذه الصورة من المهابة والجلال بحيث أن الملائكة وهم أشد خلق الخالق محيطين بالعرش ينزهون الله تعالى



عن كل نقص، تنزيهاً مقترناً بحمد ربهم وخالقهم، وقد فصل بين جميع الخلائق بالعدل، ونطق الكون كله قائلاً: الحمد لله رب العالمين.

وكذلك نقف على صورة الجليل بقوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} ٢٢٤ ففي ذلك الموقف المهيب الجليل حين يجمع الله الرسل ويسألهم بماذا أجابتكم به أممكم الذين أرسلتكم إليها، أبا إيمان أم بالإنكار؟ والأمم حينئذ حاضرة لتقوم عليهم الحجة بشهادة رسلهم، بأننا لا نعلم ما كان بعدنا من أمر من أرسلنا إليهم، وليس المقصود منه نفي العلم بجوابهم حال التبليغ ولا وقت حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل المقصود نفي علمهم بما كان من الأمم بعد الأنبياء في العاقبة وآخر الأمر الذي به الاعتبار لان الثواب والعقاب إنما يدوران على الخاتمة وذلك غير معلوم لهم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وهذا الموقف في يوم الحساب تتجلى فيه عظمة الجليل تبارك وتعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُنزِلَ لَهُ الرِّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} ٢٢٥ فإله سبحانه يتجلى بجلاله في ذلك اليوم الجليل، وهو على كل شيء قدير سبحانه جل جلاله.

اللهم يا الجليل يا صاحب العزة والجلال، أنت اعلم بحالنا وغني عن سؤالنا، نسألك أن نكون من عتقائك يوم تتجلى لخلقك، اللهم أنت الجليل العظيم، نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، أن تسدل علينا من نعمتك ثوب المهابة والجلال في الدنيا والآخرة تواضعا لعلو شأنك، وأن تجلنا عن النار وعذابها وترأ بنا عنها نحن ووالدينا وأزواجنا وذريتنا إنك غني حميد، اللهم أنت الجليل فاجعلنا من الأجلاء عما نهيتنا عنه من المعاصي، واجعلنا من الأجلاء بما أمرتنا به من الطاعات، فسبحان الجليل الذي تعطف بالمجد وتكرم به، وسبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا بحمده، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي العزة والكرم، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه، وسبحان الذي خضع كل شيء لعزته، وسبحان الذي عنت

٢٢٤ المائة ١٠٩

٢٢٥ النبأ ٣٨

الوجوه لجلال هيئته، نسألك اللهم أن تلبسنا ثوب الجليل في الدنيا والآخرة، والحمد لك على ما رزقت ووهبت لنا من خيرات حسان والحمد لله رب العالمين.  
اللهم بجلالك العظيم أن تجعل الرحمة علينا وتجعلنا من الأقوياء الراشدين لا من الضعفاء واجعلنا من العلماء والحكماء لا من الجاهلين، ومن المؤمنين الصالحين المستخلفين في الأرض والمصلحين لا من المفسدين وسافكي الدماء فيها بغير حق.

## الكريم

الكريم "هو الذي إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى وإذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق"<sup>٢٢٦</sup>.

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً سرا وعلنا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك حمداً طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، والصلاة والسلام التامان الأكلان على أشرف خلقك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه.

الكريم اسم كمال من أسماء الله الحسنى وهو كثير الخير الجواد المِعْطِي الذي لا يَنْقُدُ عَطَاؤُهُ وهو الكريم المطلق والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل والكريم اسم جامع لكل ما يُحْمَدُ فالله عز وجل كريم حميد الفِعال ورب العرش الكريم العظيم.

<sup>٢٢٦</sup> المقصد الأسنى، ج ١، ص ١١٧.

من اسمه الكريم تستمد صفة الكرم في خلفائه في الأرض، ولذا فإن جمع الكَريم كُرماء وكِرام. الكَرم الحقيقي المطلق هو من صفة الله تعالى ثم هو من صفة الخليفة مَنْ آمن به وأسلم لأمره وهو مصدر يُقام مُقام الموصوف فيقال رجل كَرَمٌ، والكريم بالإضافة هو الرجل المسلم المستحق للاسم المشتق من الكريم المطلق، وقوله: كَرَأَمُ الأموال أي نفائسها التي تتعلّق بها نفسُ مالِكها<sup>٢٢٧</sup>.

الكريم جل جلاله هو مصدر العطاء دون انتظار مقابل، فهو يخلق الأسباب ويجعل تيسيرها بين أيدي من هم في حاجة. ولذا فالعلاقة قوية بين اسمه الكريم واسمه الجواد إلا أن تميّزاً كبيراً لكل فعل مترتب على اسم من اسمائه المطلقة.

الجود والكرم:

إن الكرم يتصرف على وجوه فيقال لله تعالى كريم ومعناه أنه عزيز وهو من صفات ذاته ومنه قوله تعالى: {ما غرك بربك الكريم}<sup>٢٢٨</sup>. أي العزيز الذي لا يغلب، ويكون بمعنى الجواد المفضل فيكون من صفات فعله، ويقال: رزق كريم إذا لم يكن فيه امتهان أي كرم صاحبه، والكريم الحسن في قوله تعالى: {من كل زوج كريم}<sup>٢٢٩</sup>. ومثله {وقل لهما قولا كريما}<sup>٢٣٠</sup> أي حسنا والكريم بمعنى المفضل في قوله تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}<sup>٢٣١</sup>. أي أفضلكم ومنه قوله تعالى: {ولقد كرّمنا بني آدم}<sup>٢٣٢</sup>. أي فضلناهم، والكريم أيضا السيد، كما في قوله صلى الله عليه وسلم "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا"<sup>٢٣٣</sup> أي سيد قوم، ويجوز أن يقال الكرم هو إعطاء الشيء عن طيب نفس قليلا كان أو كثيرا.

<sup>٢٢٧</sup> لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ٥١٠.

<sup>٢٢٨</sup> الانفطار ، ٦.

<sup>٢٢٩</sup> الشعراء ، ٧.

<sup>٢٣٠</sup> الإسراء ٢٣.

<sup>٢٣١</sup> الحجرات ، ١٣.

<sup>٢٣٢</sup> الإسراء ، ٧٠.

<sup>٢٣٣</sup> سنن ابن ماجه ، ج ١١ ، ص ١٢١.

والجود سعة العطاء ومنه سمي المطر الغزير الواسع جوداً، ويجوز أن يقال الكريم هو إعطاء من يريد إكرامه وإعزازه. وقيل في الفرق بينهما أن الجواد هو الذي يعطي مع السؤال. والكريم: الذي يعطي من غير سؤال. وقيل بالعكس<sup>٢٣٤</sup>. والحق: الأول، لما ورد في أدعية الصحيفة الشريفة: "وأنت الجواد الكريم" ترقياً في الصفات الحسان، وقيل: الجود إفادة ما ينبغي لا لغرض<sup>٢٣٥</sup>.

والكريم والجواد لا فرق بينهما إنهما صفتان لاسم واحد هو الله عز وجل، ولذا فالكريم هو الجواد بالتمام، وهما الأول والآخر، إلا أن الفرق بين فعل الكرم وفعل الجود: الكرم صفة لفعل العطاء قبل انتظار الطلب أو قبل توجيهه، والجود فعل عطاء مترتب على فعل الطلب، فيكون فعل سريع الإجابة لمن تضرع أو تقدم بطلب، ولذلك كلا الصفتين حسنتان.

والخليفة الكريم هو من لا ينتظر طلب محتاج إذا علم بحاجته، وإذا لم يعلم بوجود بعد علم ومعرفة، ولذا فالفرق كبير ودون مقارنة فقط للتبيان، الفرق كبير بين الكريم والجواد المطلق وبين الكريم والجواد بالإضافة، الأول جل جلاله في الحالتين هو عليم، ولذلك فهو يعلم من هو في حاجة ويكرمه بمكرمة، ومن هو مؤمن به ويتوجه إليه بالطلب والدعاء ويستجيب له بالجود الواسع. وعليه الكريم يعطي خلقه دون طلب سواء بشراً أو حيواناً أو طيراً أو سمكاً أو نباتاً وكل من هو في حاجة للحياة التي يعلمها الكريم جل جلاله.

فللخليفة أن يكون معرضاً عن تصرفات اللئام متصرفاً تصرف الكرام لتظهر مكرماته فيعمل المستخلفون بعمله فيكون طبقاً لما قال الشاعر:

وأغفر عوراء الكريم ادّخاره      وأعرض عن شتم اللئيم تكراً  
مسميات كريمة:

<sup>٢٣٤</sup> الكليات ٢، ١٧٢

<sup>٢٣٥</sup> الفروق اللغوية، ج ١، ص ١٧٠، ١٧١، وتهذيب اللغة، ج ٣، ص ٣٧٤

المسميات الكريمة جميعها إعجازية، ولذا فهي مكارم ذات فضائل حسان قال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ} ٢٣٦. واعلم أنه تعالى سمي سبعة أشياء بالكريم {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} ٢٣٧. إذ لا جواد أجود منه، والقرآن بالكريم، لأنه لا يستفاد من كتاب من الحكم والعلوم ما يستفاد منه إنه عطاء دون طلب، وفيه كل مفاتيح الخير والسلامة والحفظ من كل شر، وسمى موسى كريماً {وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ} ٢٣٨. وسمى ثواب الأعمال كريماً، {فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} ٢٣٩. وسمى عرشه كريماً {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} ٢٤٠ لأنه منزل الرحمة، وسمى جبريل كريماً، {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} ٢٤١. ومعناه أنه عزيز، وسمى كتاب سليمان كريماً، {إِنِّي أُقِيِّ إِلَيْ كِتَابٍ كَرِيمٍ} ٢٤٢ فهو كتاب كريم من رب كريم نزل به ملك كريم على نبي كريم لأجل أمة كريمة ورسالة عظيمة، فإذا تمسكوا به نالوا ثواباً كريماً واتبعوا ما يقول الخليفة ويفعله لأنه هو أهل الإنقاذ من العذاب للدخول للجنة والفوز بالنعيم بأمر ربه بما منحه البركة والبرهان ٢٤٣.

معاملة الكريم للسائل:

الخليفة الذي يوده الله أن يكون خليفة له في الأرض هو فاعل الخيرات وهو الكريم الذي يجود على من هم في حاجة كلما علم بحاجتهم دون أن ينتظر طلب منهم ودون أن ينتظر وجاهة أو مقابلاً مهما كان، إنه كريم لوجهه الكريم عز وجل. قال تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} ٢٤٤. في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل:

٢٣٦ الواقعة، ٧٧.

٢٣٧ الانفطار، ٦.

٢٣٨ الدخان ١٧.

٢٣٩ يس، ١١.

٢٤٠ النمل، ٢٦.

٢٤١ التكوير، ١٩.

٢٤٢ النمل، ٢٩.

٢٤٣ تفسير الرازي، ج ١، ص ٢٨٣.

٢٤٤ البقرة ٢٦٣.

الأولى . قوله تعالى: (قول معروف) أي قول معروف أولى، وهو القول الذي اعتاده الناس وتعارفوا عليه بأنه مملوء بالأفعال الحسان المرغوبة من قبلهم وهي في درجات التفضيل القيمي عندهم مما جعلها محببة إليهم ويرغبونها أن تسود وهم يتوادون بها في كل خير. والقول المعروف هو الدعاء والتأنيس والترجية بما عند الله، خير من صدقة هي في ظاهرها صدقة وفي باطنها لا شيء، لان ذكر القول المعروف فيه أجر وهذه لا أجر فيها. قال صلى الله عليه وسلم: "الكلمة الطيبة صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق"<sup>٢٤٥</sup>. فيتلقى السائل بالبشر والترحيب، ويقابله بالطلاقة والتقريب؛ ليكون مشكورا إن أعطى ومعدورا إن منع. وقد قال بعض الحكماء: ألق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره. وحكى أن رجلا قصد بعض الوزراء في حاجة لم يقضها وظهر له منه ضجر فقال شاعرا:

لا تدخلنا ضجرة من سائل	فلخير دهرك أن ترى مسئولا
لا تجبهن بالرد وجه مؤمل	فبقاء عزك أن ترى مأمولا
تلقى الكريم فتستدل ببشره	وترى العبوس على اللئيم دليلا
واعلم بأنك عن قليل صائر	خبرا فكن خبرا يروق جميلا

وروى من حديث عمر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها، ثم ردوا عليه بوقار ولين، أو ببذل يسير، أو رد جميل، فقد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون صنيعكم فيما خولكم الله تعالى"<sup>٢٤٦</sup>. قلت: دليله حديث أبرص وأقرع وأعمى، وذلك أن ملكا تصور في صورة أبرص مرة وأقرع أخرى وأعمى أخرى امتحانا للمسؤول وقال بشر بن الحارث: رأيت عليا في المنام فقلت: يا أمير المؤمنين! قل لي شيئا ينفعني الله به، قال: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء رغبة في ثواب الله تعالى، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بموعد الله<sup>٢٤٧</sup>. هذا للخليفة أن

<sup>٢٤٥</sup> صحيح مسلم، ج ١٣، ص ٦٩

<sup>٢٤٦</sup> تفسير القرطبي، ج ٣، ص ٣٠٩، ٣١٠. شرح النيل وشفاء العليل، ج ٢٢، ص ٣١٠.

<sup>٢٤٧</sup> تفسير القرطبي، ج ٣، ص ٣٠٩، ٣١٠.

ينظر في المساكين والفقراء والمحتاجين كما عمل من سبقه من الخلفاء فهذا رسول الله يأمر بالعطف والرحمة وإكرام المسكين والفقير والإحسان إليهم ليرفعه الله تعالى بهم فهم أحق الخلق بمعرفه وفضله فيكون بذلك قد أدى ركنا من أركان الأمانة والتي تبدأ بهذا العمل القليل في حجمه الكبير في معناه وثوابه.

الثانية - قوله تعالى: (مغفرة) المغفرة هنا: الستر للخلة وسوء حالة المحتاج، فالمغفرة تسامح وتجاوز عن الخطايا ممن يعلم ما فعل الآخرين به ومع ذلك يمتلك المقدرة التي بها يسامح ويغفر الذنب ويعفو عن كثير.

الثالثة - قوله تعالى: (والله غنى حليم) الله لأنه كريم غفور فهو بطبيعة الحال هو غنى حليم بمودته وحفظه للذين خلقهم خلائف في أحسن تقويم، ولهذا أخبر تعالى عن غناه المطلق أنه غنى عن صدقة العباد، وإنما أمر بها ليثيبهم، وعن حلمه بأنه لا يعاجل بالعقوبة من مَنْ وأذى بصدقته<sup>٢٤٨</sup>.

شرط الكريم:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ليس الكريم إذا أسدى بمنان

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}<sup>٢٤٩</sup>. قوله تعالى: (بالمن والأذى) عبر تعالى عن عدم القبول وحرمان الثواب بالإبطال، والمراد الصدقة التي يمن بها ويؤذى، لا غيرها. والعقيدة أن السيئات لا تبطل الحسنات ولا تحبطها، فالمن والأذى في صدقة لا يبطل صدقة غيرها. قال جمهور العلماء في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذى بها فإنها لا تقبل. وقيل: بل قد جعل الله للملك عليها أمانة فهو لا يكتبها، وهذا

<sup>٢٤٨</sup> تفسير القرطبي، ج ٣، ص ٣٠٩، ٣١٠.

<sup>٢٤٩</sup> البقرة، ٢٦٤.

حسن. وقال بعض البلغاء: من مَنْ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره<sup>٢٥٠</sup>. وسمع ابن سيرين رجلا يقول لرجل: وفعلت إليك وفعلت! فقال له: اسكت فلا خير في المعروف، إذا أحصى. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إياكم والامتنان بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر - ثم تلا - {لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى}<sup>٢٥١</sup>. وقوله تعالى: {كالذي ينفق ماله رياء الناس}<sup>٢٥٢</sup>. مثل الله تعالى الذي يمن ويؤدى بصدقته بالذي ينفق ماله رياء الناس لا لوجه الله تعالى، وبالكافر الذي ينفق ليقال جواد وليثى عليه بأنواع الثناء. ثم مثل هذا المنفق أيضا بصفوان عليه تراب فيظنه الظان أرضا منبثة طيبة، فإذا أصابه وابل من المطر أذهب عنه التراب وبقي صلدا، فكذاك هذا المرئي. فالمن والأذى والرياء تكشف عن النية في الآخرة فتبطل الصدقة كما يكشف الوابل عن الصفوان. وقيل: المراد بالآية إبطال الفضل دون الثواب، فالقاصد بنفقته الرياء غير مثاب كالكافر، لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى فيستحق الثواب. وخالف صاحب المن والأذى القاصد وجه الله المستحق ثوابه - وإن كرر عطاءه - وأبطل فضله<sup>٢٥٣</sup>. فالخليفة ولأنه يسير بما أمره ربه في مستخلفيه فلن يكون منانا بما أسدى من صالح لمستخلفيه وإلا ضاع كل ما بنى في مهمته التي كلفه الله بها وسقط - والعياذ بالله - فيما هو محذور عليه فيقع في غضب الله تعالى فنسال الله تعالى أن يرقق قلب كل إنسان حتى تعم قيم الخليفة البشرية كلها ويعم الرخاء والكرم والجود من فضل الله، وأن يطعم الخليفة القاصي والداني فلربما جاءه رجل يشق آلاف الأميال طمعا في ثرائه وجاهه فيكون في رده النكبة والنكسة وهو لا يراه. وعلى المستخلفين أن يراعوا ما بالخليفة من قوة صرف وسعة يد فلا يطلبوا مستحيلا وذلك بالتخفيف عليه وحتى لا يتقلوا كاهله بالطلبات الضرورية وغير الضرورية فلربما طلب إنسان أمرا ليس بالضروري ضيع به شيئا على إنسان آخر أمرا ضروريا. ومع ذلك التصدق رحمة والزكاة

<sup>٢٥٠</sup> تفسير القرطبي، ج ٣، ص ٣١١

<sup>٢٥١</sup> البقرة، ٢٦٤.

<sup>٢٥٢</sup> البقرة، ٢٦٤.

<sup>٢٥٣</sup> تفسير القرطبي، ج ٣، ص ٣١٢.



رحمة والعطاء بدون منة كرم والعطاء بعد الطلب جود، فليكن الإنسان رحيماً وكرماً وجواداً  
يجود الله عليه بواسع فضله من غير ما يحتسب. ولهذا من يكرم يُكرم ويُكرم من الكريم  
المتعال.

عفو الكريم:

قال الشاعر:

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف بما جنى من الذنوب واقترب

إن ملازمة الإلحاح بباب الكريم، دليل على صحة التوبة وأنه لا غافر للذنوب سواه. قال  
صلى الله عليه وسلم: "إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه"<sup>٢٥٤</sup>. وفي  
صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لو  
لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم"<sup>٢٥٥</sup>. وهذه فائدة اسم الله  
تعالى الغفار والتواب فكلها من كريم حكيم. والذنوب التي يتاب منها إما حق الله تعالى يكفي  
في التوبة منه الترك، غير أن منها ما لم يكتف الشرع فيها بمجرد الترك بل أضاف إلى ذلك  
في بعضها قضاء كالصلاة والصوم، ومنها ما أضاف إليها كفارة كالحنث في الإيمان والظهار  
 وغير ذلك، وأما حقوق الأدميين فلا بد من إيصالها إلى مستحقيها، وعلى الخليفة أن يراعي  
حقوق العباد الموكول إليه أمرهم فإن لم يوجدوا تصدق عنهم، ومن لم يجد السبيل لخروج ما  
عليه لإعسار فعفو الله مأمول، وفضله مبدول، فكم ضمن من التبعات وبدل من السيئات  
بالحسنات فهو أكرم الأكرمين<sup>٢٥٦</sup>.

صفة الكريم:

<sup>٢٥٤</sup> صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٤٨.

<sup>٢٥٥</sup> صحيح مسلم، ج ١٣، ص ٣٠١.

<sup>٢٥٦</sup> تفسير القرطبي، ج ٤، ص ٢١٣.

الكريم اسم عظيم لصفة عظيمة، بها يتم تقدير الذات بالقدرة، وتقدير الآخر بالعطاء دون منة، يترتب عليها رضا نفسي وقناعة تامة بأن فعلها هو الحق، ولذا فالكرم صفة لكريم، والصفة الثابتة ترتبط بالفعل المنفذ لها، مما يجعلها تنتقل من القول إلى الفعل الذي يُرضي أربعة:

أولاً: يُرضي الكريم المطلق جل جلاله.

ثانياً: يرضي من أقدم على الفعل الكريم، أو من قام بفعل المكرمة.

ثالثاً: يُرضي من قدمت المكرمة إليه.

رابعاً: يرضي كل كريمٍ ومحِبٍّ للكرم.

قال تعالى: {فدلاهما بغرور} <sup>٢٥٧</sup>. انحدر بهم من علوٍ إلى دنيا سفلية، فأوقعهما في الهلاك. قال ابن عباس: غرهما باليمين. وكان يظن آدم أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً، فغرهما بوسوسته وقسمه لهما. وقال قتادة: حلف بالله لهما حتى خدعهما. وقد يخدع المؤمن بالله إذا صدق كل حديث يقال أو قسم يُحلف. كان بعض العلماء يقول: من خادعنا بالله خدعنا. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: {المؤمنُ غرٌّ كريمٌ والفاجرُ خَبٌّ لئيمٌ} <sup>٢٥٨</sup>. فالخليفة لا يتأثر بخدع الخادعين فيحرم به من ليس كذلك فإنه يُخدع خيراً من أن يحرم محتاجاً وهو يظنه مخادعاً ويبقى من شيمه كما قال الشاعر:

إن الكريم إذا تشاء خدعته وترى اللئيم مجرباً لا يخدع.

ولهذا فالخليفة صادق الوعد، وهو المؤمن الذي بإيمانه التام لا يظن من مسلم أو مؤمن أن يكذب إذا قسم بالله تعالى، ومع أن إبليس يؤمن بالله كما هو مبين في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ} <sup>٢٥٩</sup>. في هذه الآية يذكر إبليس ربه ويقسم بعزته تعالى أن يغويهم أجمعين ثم تيقن فاستثنى منهم عباده {عباد الرحمن المخلصين}. ولأن إبليس أعوذ بالله

<sup>٢٥٧</sup> الأعراف، ٢٢.

<sup>٢٥٨</sup> سنن الترمذي، ج ٧، ص ٢٢٦.

<sup>٢٥٩</sup> ص، ٧٩. ٨٣.

منه هو أول المُعزَّرين بالعباد فقد أقسم لهم وهو يعلم أنه بقسمه لهم سيصدقونه وهذا ما حدث مع أبونا آدم وأمنا حواء، اللذان غفر لهما الجليل عز وجل ما سلف منهما من ذنب بأسباب الغفلة التي أوقعتهما في الخطيئة، وبمغفرته لهما أصبحا في الجنة خالدين فيها أبداً. اللهم أغفر لنا خطايانا وتب علينا أنت مولنا فنعم المولى ونعم الكريم.

ولأن الله هو الخالق وهو الرازق وهو المحيي والمميت، فهو الكريم الذي يعلم بالأمر فيعطي قبل الطلب وقبل الترجي، ولهذا أكرم أبونا آدم وأمنا حواء بالجنة، وذلك لعلمه بنواياهما تجاهه، فهو يعلم أن إبليس قد غرر بهم، ويعلم إنهما من عباده الصالحين ولهذا أخرجهما من الجنة إلى الدار الدنيا ثم أعادهما إليها بواسع فضله. وهكذا الخليفة الذي جعله الله في الأرض معرض للأخطاء والتغريب به، ولأنه مخلوق في أحسن تقويم فإن هذا التقويم بطبيعة الحال سيرتقي به إلى الدرجات العلاء وسيكون من الوارثين للجنة. الخليفة إنسان لم يخلقه الله تعالى ملكاً، ولم يخلقه شيطاناً رجيماً، لقد خلقه في أحسن تقويم، له حقوق ونصيب في الدنيا يجب أن يأخذها ولا ينسى شيئاً من نصيبه منها، وله عقل يدرك به المجرى الذي به يتعلم ويتذكر ويتفكر حتى يدرك الحق ولا يحيد عنه ولأجل ذلك يفوز بالجنة. وله واجبات ينبغي أن يؤديها تجاه خالقه الكريم الذي انعم عليه بمكرمة العيش في الدنيا وأخذ نصيبه منها والفوز بالجنة والحياة فيها دائماً أبداً، وعليه أن يؤدي واجبه تجاه نفسه التي لها الحق عليه، وأن يؤدي واجبه تجاه والديه وأبنائه وزوجه وكل من له حق عليه. وله مسؤوليات يجب عليه حملها دون تردد، فليعبد الله الكريم ويصون الدين والعرض ويلتزم بما أمره الكريم جل جلاله ولا يتعدى الحدود التي حددها له الخالق، حيث يصدق ولا يكذب ويصوم ويصلي ويحج، ويتعبد ويذكر الله ربه ويصلي ويسلم على كل الأنبياء والرسل وأن يؤمن بمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه.

رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ:

قال تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} <sup>٢٦٠</sup>. فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه سبحانه التي يصرف عليها عباده جل وعلا من البدء والإعادة والإثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة أي ارتفع سبحانه بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح الحميدة. الملك الحق: أي الحقيق بالمالكية على الإطلاق إيجاباً وإعداداً بدءاً وإعادة إحياء وإماتة عقاباً وإثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته، وقيل: الحق أي الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه، وهذا وإن كان أشهر إلا أن الأول أوفق بالمقام (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فهو الأول والآخر واحد أحد لا شريك له وكل ما عداه عبده تعالى: (رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) وهو جرم عظيم وراء عالم الأجسام والأجرام وهو أعظمها وقد جاء في وصف عظمه ما يبهر العقول فيلزم من كونه تعالى ربه كونه سبحانه رب كل الأجسام والأجرام، ووصف بالكريم لشرفه وكل ما شرف في بابه وصف بالكرم كما في قوله تعالى: {وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} <sup>٢٦١</sup>، وقوله سبحانه: {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} <sup>٢٦٢</sup>. وقد شرف بما أودع الله تعالى فيه من الأسرار، وإسناد الكرم إليه مجازي والمراد الكريم، وقيل: هو على تشبيه العرش لنزول الرحمة والبركة منه بشخص كريم <sup>٢٦٣</sup>. ولأن الكريم منزله قال: (فتعالى الله الملك الحق) والملك الذي بيده الحكم المطلق والملك المطلق، هو المالك للأشياء الذي لا يبيد ولا يزول ملكه وقدرته، وأما الحق فهو الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه، وهو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه، وبين أنه لا إله سواه وأن ما عداه فمصيره إلى الفناء وما يفنى لا يمكن أن يكون إلهاً كريماً وبين أنه تعالى: (رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ). قال أبو مسلم: "والعرش ههنا السموات بما فيها من العرش الذي تطوف به الملائكة ويجوز أن يعني به الملك العظيم"، وقال الأكثرون: المراد هو العرش حقيقة وإنما وصفه بالكريم لأن

<sup>٢٦٠</sup> المؤمنون، ١١٦.

<sup>٢٦١</sup> الدخان، ٢٦.

<sup>٢٦٢</sup> الإسراء، ٢٣.

<sup>٢٦٣</sup> تفسير الألوسي، ج ١٣، ص ٣٠٣.

الرحمة تنزل منه والخير والبركة ولنسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال بيت كريم إذا كان ساكنوه كراماً<sup>٢٦٤</sup>.

قال حقي: "وإنما وصف العرش الكريم لأنه مقسم فيض كرم الحق ورحمته منه تنقسم آثار رحمته كرمه الى ذرات المخلوقات"<sup>٢٦٥</sup>.

الكريم هو الذي تنزل منه الخيرات الحاصلة للعباد، مع شرف جوهره، وعلى رتبته، والكريم من ستر مساوي الأخلاق بإظهار معاليها وتنزه عن كل دناءة؛ قال الفزاز: وأصل الكرم في اللغة الفضل والرفعة<sup>٢٦٦</sup> وبه يأخذ الخليفة في ستر أحوال مستخلفيه ولا يفضحهم بذكرهم والترفع عن ذلك بالفضل والرفعة التي حباه الله بها وبطبيعة الحال يجد نفسه كذلك وتلك نعمة يجب المحافظة عليها.

الكريم بالإضافة هو من يتعالى عن الصغائر، ويرتفع عن مواضع الشبهة، وينطق بالحق في كل حديث، ولا يفعل إلا العمل الذي يرضاه الله والعباد المستخلفين في الأرض، ولا يزني ولا يشرب مسكراً ولا يشهد شهادة زور، ولا يظلم احداً ولا يطفف الميزان إذا وزن ولا ينقص المكيال إذا اکتال الناس ويتقي الكريم الذي أكرمه بخلقه في أحسن تقويم.

أما أولئك الطامعين الهامعين المفسدين في الأرض، وسافكي الدماء فيها بغير حق، آكلي أموال اليتامى ظلماً هم المذنبون الذين سيجازون العذاب الشديد وَسَيَصَلُونَ سَعِيرًا ، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصَلُونَ سَعِيرًا}<sup>٢٦٧</sup>.

الكريم هو شديد العقاب وعفو يحب العفو فمن أذنب واستغفر وندم وصدّق واهتدى واتبع سبل الخير دون تردد وجد الكريم يتعالى به إلى المقامات العظام، وإن تمسك بضلاله وكفره ليس له من بد إلا الشقاء والعذاب ولهذا فإن الإنسان حر يمتد في دائرة الممكن المخير والمسير. عن

<sup>٢٦٤</sup> تفسير الرازي ، ج ١١ ، ص ٢١٤.

<sup>٢٦٥</sup> نظم الدرر للبقاعي ، ج ٥ ، ص ٤٣٥.

<sup>٢٦٦</sup> المصدر السابق، ص ٤٣٥.

<sup>٢٦٧</sup> النساء، ١٠.

عبد الله بن شميظ قال: سمعت أبي ذكر المعاصي فأكبرها وأعظمها، ثم قال: وإن كان كل ما عصيت به عظيما فإنه في سعة كرمك ورحمتك صغير. وقالت امرأة من العرب ذات عقل ودين: سبحانك إلهي إمهالك المذنبين أطمعني لهم في حسن عفوك عنهم، سبحانك إلهي لم يزل قلبي يشهد برضاك لمن نال عفوك، سبحانك إلهي تفضلا منك وامتنانا على خلقك يا كريم<sup>٢٦٨</sup> وعن زيد بن سعد المجاشعي حدثني امرأة من أهلي قالت: "أتاني آت في منامي وكانت هذه المرأة تطيل الدعاء جدا قالت: قال لي: قولي يا جميل الفعال أنت وليي يا كريم الصنيع أنت القريب، قالت: فما دعوت بها في كرب قط إلا كشفه الله عني"<sup>٢٦٩</sup>.

ولأن النفس لأمانة بالسوء إلا من تاب وآمن واهتدى فإن الخليفة هو من يفوز برحمة ومغفرة الكريم جل جلاله، قال تعالى: {وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ إِنَّ رَبِّيْ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ}<sup>٢٧٠</sup> ثم قال: {ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم}<sup>٢٧١</sup>. إن نفس كل شيء حقيقته وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات، ولذلك تختلف أسماء النفس باختلاف أحوالها العارضة عليها:

أولا: النفس المطمئنة:

فإن اتجهت إلى صواب الصواب ونزلت عليها السكينات الإلهية، فتطمئن إلى ذكر الله عز وجل وتسكن إلى المعارف الإلهية، فيقال: نفس مطمئنة، قال الله تعالى: {يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية}<sup>٢٧٢</sup>. هذه صفات النفس الخليفة التي ترث الأرض حقا وتملؤها عدلا وتفوز بالجنة.

ثانيا: النفس اللوامة:

<sup>٢٦٨</sup> حسن الظن بالله، ج ١، ص ٦٤

<sup>٢٦٩</sup> الامات، ج ١، ص ٨٣

<sup>٢٧٠</sup> يوسف، ٥٥.

<sup>٢٧١</sup> يوسف، ٣١.

<sup>٢٧٢</sup> الفجر، ٢٨.

إن كانت مع قواها وجنودها في حراب وقتال وشجار ونزاع، فتارة تنزع إلى جانب العقل فتتلقى المعقولات وتثبت على الطاعات وتارة تستولي عليها القوى فتتهبط إلى الحضيض فهذه النفس نفس لومة غير ثابتة على موقف متأرجحة فهي بين هذا وذاك، تلوم على ما فعلت من سلبيات وإيجابيات ولهذا فهي النفس المعرضة دائما للوم، وهذا اللوم يتخذ سبيلين:

السبيل الأول: العودة عن المنهي عنه: بالرجوع إلى ما أمر الكريم به، وهذه لازلت تتخير فإن ثبتت على الحق واستقرت أصبح صاحبها من الخلفاء المتصفين بالنفس المطمأنة، وإن بقيت متذبذبة بين ارتكاب السلوك المنهي عنه والسلوك المرضي عنه فهي لا زالت الموصوفة بالنفس اللوامة. قال الله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} ٢٧٣. النفس اللوامة هي غير الثابتة على اليقين، ولهذا كان القسم بيوم القيامة ولم يكن بالنفس اللوامة. الكريم عز وجل دائما يقسم بالثواب والآيات العظام ولا يقسم بالمهتزازات، فقد أقسم بيوم القيامة، وبالفجر والعصر، والضحي والليل إذا سجي، والشفع والوتر، ياسين والقرآن الكريم وغيرها من الآيات الثابتة الدالة على الوجود الإعجازي لله تعالى، ولذا فقله (ولا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) تعني نفيه القسم بالنفس اللوامة ولا تعني القسم بها كما جاء في قوله (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ).

السبيل الثاني: سبيل العودة عن المُفضَّل والمُحَبَّب: النفس اللوامة هي التي قد تفعل خيرا ثم تتدم على فعله، وهذه النفس هي الراجعة المائلة المتأرجحة سالبا، وفي هذه الحالة كمن يقوم بمعروف ومغفرة ثم يتبعهما بأذى مصداقا لقوله تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} ٢٧٤. إنها النفس التي تتقدم خطوة وتتأخر إلى الخلف أربع خطوات، هذه لم ترتق بعد لأن تكون النفس الخليفة،

٢٧٣ القيامة، ٢.

٢٧٤ البقرة، ٢٦٣، ٢٦٤.

ولكن لازالت الفرصة أمامها وهي إمام الرحمن الرحيم وبين يديه واسع المغفرة، ويجوز أن تنتقل إلى النفس المطمأنة إذا تولى أمرها مريون ووعاظ للخير وفاعلون للمعروف وناهون عن المنكر.

ثالثا: النفس الزكية:

التي تتطهر من الخطيئة والذنوب، فهي التي تذنّب وتتوب كلما أذنبت، ولهذا فهي تتطهر بالتوبة حتى توصف أفعالها بالزكية، ولو كانت لم تُذنّب قط لكان الوصف لها بالنفس الزاكية التي لم تقع في أفعال الذنوب. قال تعالى: {فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} <sup>٢٧٥</sup>. نزلت هذه الآية الكريمة لتوضح من أدرك علم الغيب وهو الرجل الصالح {السيد الخضر صلوات الله وسلامه عليه}، ومن يؤمن بعلم الغيب ويُسلم به بالمطلق إيمان بالكريم المطلق جل جلاله وهو {سيدنا موسى صلوات الله وسلامه عليه}. وعليه فالفرق كبير بين من أظهره الله تعالى على علم الغيب وأدركه به فيرى ما لم يره الآخرين، وبين من أظهره على شيءٍ من علم الغيب فأمانا به وسلم تسليما صادقا مطلقا. ويتضح هذا الأمر في قوله تعالى: {قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا}. النفس التي قُتلت بالنسبة لسيدنا موسى صلوات الله وسلامه عليه هي نفس زكية، وبالنسبة للسيد الخضر صلوات الله وسلامه عليه، فهي لم تكن كذلك، مصداقا لقوله تعالى: {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} <sup>٢٧٦</sup>. هذه النفس هي التي باهتدائها تُستخلف في الأرض وترث الجنة.

<sup>٢٧٥</sup> الكهف، ٧٤.

<sup>٢٧٦</sup> الكهف، ٧٨ .. ٨٢.



#### رابعاً: النفس الظالمة:

التي لا تقف عند الحد بل تتجاوزها إلى المنهي عنه فتفعله وهذه ظالمة لنفسها أولاً، وللآخرين ثانياً. قال تعالى: {لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} <sup>٢٧٧</sup>. الكريم جل جلاله هو صاحب الحق والعدل، فهو لا يظلم أحداً، وأولئك الذين أسروا الندامة تكبراً ولم يعتذروا ولم يكفروا عن سيئاتهم هؤلاء لن ينفعم شيئاً ولا ينجيهم من عدل الله فيهم بالعذاب شيئاً، فبعد أن يفوت الأوان لن ينفعم الندم ولو افتدوا بما في الأرض جميعاً. وهؤلاء هم الذين أعطيت لهم الفرصة لأن يكونوا من الخلفاء في الأرض لأجل أن يرثوا الجنة من بعدها فخسروا بارتكابهم المظالم كل شيء. اللهم أجعل أنفسنا طاهرة زكية مطمئنة ولا تجعلها ظالمة ومتجاوزة للحدود المنهي عنها. قال تعالى: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} <sup>٢٧٨</sup>. يظن أن بستانه بما فيه من أشجار متنوعة ومتعددة إنه الجنة التي لا تزول أبداً، وبهذا ظلم نفسه بكفره، يقول الطبري: هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب (دَخَلَ جَنَّتَهُ) وهي بستانه (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) وظلمه نفسه: كفره بالبعث، وشكّه في قيام الساعة، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه. وقال البغوي: أعطت كل واحدة من الجنتين أكلها أي ثمرها تاماً (وَلَمْ تَظْلِمِ) لم تنقص منه شيئاً.

#### خامساً: النفس الشح:

قال تعالى: {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} <sup>٢٧٩</sup>. أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ: إن النفوس عرضة للبخل، فينبغي أن يكون التسامح بينها كاملاً. والشح أكثر من التقليل في العطاء، وكأنه مرتبط بمقابل، فإن توفر المقابل كان العطاء وإن لم

<sup>٢٧٧</sup> يونس، ٥٤.

<sup>٢٧٨</sup> الكهف، ٣٥، ٣٦.

<sup>٢٧٩</sup> النساء، ١٢٨.

يتوفر لا يحدث العطاء، ولذا فالأنفس الشح هي الأنفس التي لا تتقي الله في الآخر المناظر في الحقوق والواجبات لأسباب لا تتعلق بالإيمان كما هو حال الزوجين عندما يتخلى الزوج عن زوجه بأسباب الكبر أو عدم الرغبة وهي تود أن تستمر معه ولرعاية أبنائها.

سادسا: النفس الأمانة بالسوء:

قال تعالى: {وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} ٢٨٠ وما أبريء نفسي، والنفوس مائلة إلى الشهوات أمانة بالسوء. وقال الزمخشري: وما أبريء نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد خنته حين قذفته وقلت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن، وأودعته السجن تريد الاعتذار لما كان منها أن كل نفس لأمانة بالسوء إلا نفساً رحمها الله بالعصمة إن ربي غفور رحيم، استغفرت ربه واسترحمته مما ارتكبت. ولذا فالنفس الأمانة بالسوء هي التي لا تفعل الخير، السوء فتنة، فمن يفعله فعل إثماً وبهتان كبيراً، والفتنة أشد من القتل، وهذه النفس هي التي وضعها الكريم في امتحان فإن استغفرت وتابت رحمها الله بالاستخلاف في الأرض وإن لم تفعل ذلك خسرت الدنيا والآخرة.

سابعا: النفس المجادلة:

قال تعالى: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادَلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ٢٨١. يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ، تخاصم عن نفسها، وتحتج عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر أو إيمان أو كفر، (وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) في الدنيا من طاعة بالجزاء الأوفى الذي به تورث في الجنة، ولهذا قال الله تعالى: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} ٢٨٢ والجدل لا يتم ببسر، بل يتم بنقاش يؤدي إلى البينة التي بها الإنسان يدرك مميزاً بين ما يجب ويقدم عليه وبين ما لا يجب ويبتعد عنه، ولذلك فالجدل يؤدي إلى اليقين إذا سادت روح الديمقراطية والمشاورة بكل شفافية بين المتحاورين حيث لا غالب ولا مغلوب إلا سيادة الحق

٢٨٠ يوسف، ٥٣.

٢٨١ النحل، ١١١.

٢٨٢ الكهف ٥٤.

وإحقاقه. وعليه فإن اعتدلت النفس بالجدل مع إحقاق الحق كانت الخليفة وإن مالت عن الحق مالت عن مبررات سيادة الخليفة.

ثامنا: النفس المتحسرة:

قال تعالى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} <sup>٢٨٣</sup>. والحسرة الغم والندم على ما فات، أي من شدة الغم يتحسر الإنسان على ما فات وهو نادم ويا ليته لم يفعل ما فعل، أو يا ليته فعل ما يجب في وقته، ولأن الوقت لا يعود إلى الخلف والفعل حدث فإن الندم يحلُّ بالنفس حتى توصف به، وهذه النفس أن كانت نادمة في الزمن الذي يُمكنها من الإصلاح أو التكفير فقد تكسب خيرا على ندمها وتكفيرها على ما قدّمت يداها، وإن لم يسعفها الوقت لكي تُكفّر عن ما أقدمت عليه فلا ندم ينفعها. ولذلك فالخليفة هو المؤمن الحق الذي إذا ما غضب تملك نفسه عند الغضب، وإذا ما أخطأ كفر عن سيئاته ولهذا فالحسرة من أجل أفعال الخير حسرة خير، والحسرة على عدم فعل الشر، عقابها شديد إن لم يرحم الله ويغفر.

تاسعا: النفس ذات البصيرة:

{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} <sup>٢٨٤</sup>. البصيرة: ما يُمكن من بلوغ عين اليقين فيما يُدرك ويُتخذ قرار بشأنه عن وعي وبيّنة واضحة أي حجة بينة واضحة على ما صدر عن النفس من الأعمال، ولهذا لا تنفع المعاذير بما أن النفس على بينة بما حدث، وليتقي الإنسان ربه الكريم. فإن اتقاه كانت نفسه ذات بصيرة وإن لم يتقه فلا معاذير تنفعه.

قال الفراء منشدا:

كأن على ذي العقل عينا بصيرة ... بمجلسه أو منظر هو ناظره  
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم ... من الخوف لا يخفى عليهم سرائره  
عاشرا: النفس الهاوية:

<sup>٢٨٣</sup> فاطر، ٨.

<sup>٢٨٤</sup> القيامة، ١٤، ١٥.

النفس الهاوية هي المنحدرة عن المستوى القيمي والفضائل التي يرضيها الله تعالى، وإن هوت وأثرت الحياة الدنيا وقعت في الرذيلة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾<sup>٢٨٥</sup> يقول ابن كثير: من تَمَرَّدَ وعتا، وقدم الحياة الدنيا على أمر دينه وأخراه، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ أَي: فإن مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم {وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}<sup>٢٨٦</sup>. يقول الطبري في تفسيره: ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله، ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك، وخالف هواها إلى ما أمره به ربه (فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) أي أن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة.

وعليه فالخليفة هو الذي لا ينسى نصيبه من الدنيا ولا يملأ يديه منها، أي يجعلها بين يديه ولا يجعلها في قلبه، ويعمل لآخرته وهي الغاية التي لا يحيد عنها أبدا. قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>٢٨٧</sup>.

الحادية عشرة: النفس العاملة: العمل فعل خير في كل أوجهه بالنسبة للخليفة، وقد لا يكون كذلك لغيره، ولذا يقول تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>٢٨٨</sup> الآية جاءت موجهة للمؤمنين لتحثهم على العمل، ولكن أي عمل؟، إنه العمل الصالح مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>٢٨٩</sup>. ولذلك فالله تعالى يخاطب النفس العاملة للخير، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا

<sup>٢٨٥</sup> النازعات، ٣٧، ٣٨.

<sup>٢٨٦</sup> النازعات، ٤٠، ٤١.

<sup>٢٨٧</sup> القصص، ٧٧.

<sup>٢٨٨</sup> التوبة ١٠٥.

<sup>٢٨٩</sup> الكهف، ١١٠.

عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} ٢٩٠.

وعمل النفس لايوافق بالضرورة عمل الجسد، فكل ما لا يظهر في افعال الجسد ويؤثر في المقابل هو من افعال النفس، فالنوايا من عمل النفوس يقول الصادق الامين صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى"، ومع أن النفس العاملة تحاسب على أفعالها بالنيات، إلا ان الجريمة ما بين البشر يكون الفعل فيها دليلا شاهدا حتى ولو كان الفعل نتاج خطأ، ولهذا أوجب الله تعالى التكفير عن الخطايا، لَوْ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} ٢٩١. والنفس العاملة بعملها تستخلف في الأرض وبعملها ترث الجنة، وبعملها تُفسد الأرض وتسفك الدماء فيها بغير حق، وبعملها ترث جهنم.

والمكر من صفات النفوس التي طالما اشار اليه الله متحدياً كيد النفس الانسانية : مصداقا لقوله تعالى: {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين} ٢٩٢ وقوله تعالى: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُهُمْ رُؤِيدًا} ٢٩٣ فالكيد من عمل النفس، وفي سورة يوسف عليه الصلاة والسلام يتعالى عز وجل على كيد النفس الانسانية فيقول: {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} ٢٩٤. لانه يعلم في علم الغيب عنده أن كيد الشر في نفوس اخوة يوسف أقوى من كيد الخير في نفس

٢٩٠ آل عمران، ٣٠.

٢٩١ النساء، ٩٢، ٩٣.

٢٩٢ آل عمران، ٥٤.

٢٩٣ الطارق، ١٥، ١٧.

٢٩٤ يوسف، ٧٦.

يوسف فهو يحسب لغضب الله حساباً كما يحسب لرضاه عز وجل، فنفس يوسف عليه الصلاة والسلام تأبى أن تخوض في الباطل الذي هو مباح لنفوس اعداءه. والكره من عمل النفس لانه لا يظهر في افعال الجسد لكنه يُحس من قبل الآخر. وقد يتساءل البعض: عمن يحسه؟ بطبيعة الحال تكون الإجابة النفس. ولهذا ليس لحواس الجسد قدرة على الاحساس بافعال النفوس، وانما النفوس تحس وتشعر بعمل النفوس الاخرى .

الحادية عشر: النفس الوسوسة:

قال تعالى: {ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه} <sup>٢٩٥</sup> لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وفي هذا التقويم ظاهر وهو الشكل الذي صوره عليه وهو يمشي سوياً، والباطن الذي يتعرض للامتلاء الاحتمالي على النحو الآتي:

١ . الامتلاء باليقين الإيماني، الذي به يتمكن من إدراك الحقيقة، وبلوغ الغايات العظام، حتى يتمكن من الاستخلاف في الأرض ويكون من الوارثين في الجنة.

٢ . الامتلاء الشكي الذي يعتمد على سلامة المدركات العقلية والجدل والحوار إلى أن يحدث التبيّن وحينها يكفر من يكفر ويسلم من يسلم وجهه الله تعالى.

٣ . الامتلاء الظني الذي يملأ النفس بالظنون والوساوس التي بعضها إثم وذلك لفقدانها المعطيات والمبررات الصادقة.

ولذا فالخليفة هو من خلقه الكريم جل جلاله أكثر شيئاً جدلاً، بتذكره وتفكره في خلق السماوات والأرض إلى أن يقف على الحقيقة الظاهرة والباطنة في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا

رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ<sup>٢٩٦</sup>.

وعليه فالخليفة هو الذي يؤمن أن ما يقدم عليه من عمل أو ما يجول بخاطره من خواطره الله يعلمها، ولهذا يخافه ويتقيه ويخشاه ويؤمن به ظاهراً وباطناً. وهؤلاء هم الذين جعلهم الله تعالى خلفاء على خلقه؛ لترفعهم عن الدنيا والخطايا والزلات؛ وبما خصهم الله جل جلاله من صفات الرفعة والعلو فكان اسم الكريم وارداً في حقهم بكل وضوح وجلاء فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولأن الخالق عز وجل جعل الإنسان خليفة في الأرض لذا فقد آمن المستخلف فيها بأن يعمل صالحاً يرضاه الخالق فيتصدق ويتعبد ويطيع ويزكي ويوحده واحداً واحداً لا شريك له في الملك ولا يتضرع إلا إليه سبحانه وتعالى ربُّ العرش العظيم. في الصحيحين من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل"<sup>٢٩٧</sup>. عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبَدَهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا إِنْ رَكَمَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبَدَهُ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا"<sup>٢٩٨</sup>.

ولأنه الكريم المطلق فكتابه كريم مطلق، قال تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ}<sup>٢٩٩</sup>. النجوم هي الكواكب ومواقعها مساقطها عند غروبها قال مجاهد مواقع النجوم يقال مطالعها ومشارقتها واختاره ابن جرير وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين المقسم عليه وهو القرآن من وجوه: أن النجوم جعلها الله ليُهتدى

<sup>٢٩٦</sup> آل عمران، ١٨٩، ١٩٤.

<sup>٢٩٧</sup> صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢١.

<sup>٢٩٨</sup> سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٨٧.

<sup>٢٩٩</sup> الواقعة، ٧٥، ٧٧.

بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن هداية بها في ظلمات الغي والجهل فتلك هداية في الظلمات الحسية، وآيات القرآن هداية في الظلمات المعنوية فجمع بين الهدايتين مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة للعالم وفي القرآن من الزينة الباطنة. ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن والنجوم آياته المشهودة العيانية. والقرآن آياته المتلوة السمعية مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول. وفي قوله: (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) قال ابن كثير: "أي وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتكم المقسم عليه وقوله: (إنه لقرآن كريم) هذا هو المقسم عليه وهو القرآن أي انه وحي الله وتنزيله وكلامه لا كما يقول الكفار إنه سحر وكهانة أو شعر بل هو قرآن كريم أي عظيم كثير الخير؛ لأنه كلام الله، وقيل: فوصفه بما يقتضي حسنا وكثرة خيره ومنافعه وجلالته فإن الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع وهو من كل شيء أحسنه وأفضله، والله سبحانه وصف نفسه بالكريم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن قال الأزهري: الكريم اسم جامع لما يحمده والله تعالى كريم جميل الفعال وإنه لقرآن كريم يحمده لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة، وهذا من إشارة الآية وتنبئها وهو أنه لا يلتذ به وبقرآته وفهمه وتدبره إلا من يشهد أنه كلام الله تكلم به حقا وأنزله على رسوله وحيا وخاصة الذين كلفوا بالخلافة في أرضه إذ الذي لا يفهمه ولا يفهم معاني كرمه إلا من يستحق أن يكون خليفة؛ وبذلك يكون أجدر بها بما منحهم الله من فهم وإدراك لمعانيه ومبانيه، والسير على نهجه الكريم<sup>٣٠٠</sup>.

وعليه فكتابه كريم لأنه ممتلئ بالبيان الحق، الذي يرشد للتي هي أحسن وأقوم، وكريم لأنه أعطى كل شيء لما خلق دون أن ينتظر مقابل، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ظل فقد ظل نفسه عن هداها وما ربك بظلام للعبيد.

<sup>٣٠٠</sup> شرح كتاب التوحيد، ج ١، ص ٤٠٦، ٤٠٧.



قال تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ٣٠١. لَهُمْ درجات عِنْدَ رَبِّهِمْ: أي كرامة وعلو مكانة على أن يراد بالدرجات العلو المعنوي وقد يراد بها العلو الحسي، وفي الخبر، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ لَوْ أَنَّ الْعَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فِي إِحْدَاهُنَّ لَوَسِعَتْهُمْ" ٣٠٢. والدرجات المراد المستويات الرفيعة المترتبة على بعضها البعض والتي تتميز من حسن إلى الأحسن ومن جيد إلى الأجود ومن الأفضل إلى الأكثر تفضيلاً، والمؤمنون المستخلفون في الأرض لهم درجات وَمَغْفِرَةٌ عَظِيمَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وهو ما أعط لهم من نعيم الجنة.

والكرم كما نقل الواحدي اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن في بابهِ فلعل وصف الرزق به هنا حقيقة. وقال بعض المحققين: معنى كون الرزق كريماً أن رازقه كريم، ومن هنا وصفوه بالكثرة وعدم الانقطاع إذ من عادة الكريم أن يجزل العطاء ولا يقطع فكيف بأكرم الأكرمين تبارك وتعالى، وجعله نفسه كريماً على الإسناد المجازي للمبالغة، ولم يذكروا لتوسيط المغفرة، والرزق الكريم بمقابلة الإنفاق منه في الأوجه التي بها يُستخلف الإنسان في الأرض وذلك لأجل الإصلاح، والمناسبة في ذلك ظاهرة، وإلى هذا يشير كلام أبي حيان أو يقال: قدم سبحانه الدرجات لأنها بمحض الفضل، وذكر بعدها المغفرة لأنها أهم عندهم من الرزق مع اشتراكهما في كونهما في مقابلة شيء، ويؤيد هذا ما قاله ابن زيد: "المغفرة بترك الذنوب والرزق الكريم بالأعمال الصالحة" فتدبر ٣٠٣.

قال الله تعالى: {وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} ٣٠٤. لقد أوضح الله تعالى من هم أصحاب الشمال بأنهم هم الذين في سموم الحر والعذاب الشديد، وهم مكمورون في ظلمات الدخان الفائر في جهنم اللهم أحفظنا منه وأدخلنا الجنة إنك واسع المغفرة والفضل سبحانه لا إله إلا أنت جل جلالك وتعاليت يا أكرم

٣٠١ الأنفال، ٤ .

٣٠٢ سنن الترمذي، ج ٩، ص ٧٦.

٣٠٣ تفسير الألوسي، ج ٧، ص ١٧.

٣٠٤ الواقعة، ٤١ . ٤٤.

الأكرمين. (لا بارد ولا كريم) لا بارد المدخل ولا كريم المنظر، والسموم هو الريح الحارة، وهذه الآية تضمنت ذكر ما يتبرد به في الدنيا من الكرب والحر وهو ثلاثة الماء والهواء والظل أما هواء جهنم فهو السموم الشديدة الحر وماؤها الحميم الذي قد اشتد حره وظلها اليموم<sup>٣٠٥</sup>. (لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ): أي لا بارد كسائر الظلال، ولا نافع لمن يأوى إليه من أذى الحر وذلك كرمه فهناك استعارة، ونفي ذلك ليمحق توهم ما في الظل من الاسترواح إليه وإن وصف أولاً بقوله تعالى: (مَنْ يَحْمُومٍ) والمعنى أنه ظل حار ضار إلا أن للنفي شأنًا ليس للإثبات ومن ذلك جاء التهكم والتعريض بأن الذي يستأهل الظل الذي فيه برد وإكرام غير هؤلاء فيكون أشجى لحلوهم وأشد لتحسرهم، وقيل: الكرم باعتبار أنه مرضى في بابه، فالظل الكريم هو المرضى في برده وروحه، وفيه أنه لا يلائم ما هنا لقوله تعالى: (لَا بَارِدٍ) والمراد أنهم يستظلون به وهم مهانون<sup>٣٠٦</sup> وبناء على ذلك أتساءل: هل للخليفة مع كرمه أن يعاقب من خالف نهج الله تعالى؟. بطبيعة الحال الخليفة هو من اتصف بصفات الله تعالى ولهذا فعليه أن يعاقب وفقا للخطأ بعد حكم عادل، ولذلك فهذه الآية الكريمة تؤيد وتوجب العقاب في محله. قال تعالى: {وَأَنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ}<sup>٣٠٧</sup>.

ولأن الله تعالى كريم قال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}<sup>٣٠٨</sup>. وهذه المحبة من كرمه جل جلاله، فلو لم يكن كريما ما كان توابا ومحبا للتوابين والمتطهرين، فهذا الفرح منه بتوبة التائب يناسب محبته له ومودته له، وكذلك قال تعالى: {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ}<sup>٣٠٩</sup>، وقوله تعالى: {وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}<sup>٣١٠</sup>. ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يَرُويهِ عَنْ

<sup>٣٠٥</sup> التخويف من النار، ج ١، ص ٨٢.

<sup>٣٠٦</sup> تفسير الألويسي، ج ٢٠، ص ٢٣٦.

<sup>٣٠٧</sup> النحل، ١٢٦.

<sup>٣٠٨</sup> البقرة، ٢٢٢.

<sup>٣٠٩</sup> البروج، ١٤.

<sup>٣١٠</sup> الملك، ٢.

رَبِّهِ قَالَ: "إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"<sup>٣١١</sup>.

قال تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ}<sup>٣١٢</sup>. فالقرآن قول رسول أرسله الله لم يرسله الشيطان وهو ملك كريم ذو قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فهو مطاع عند ذي العرش في الملائكة الأعلى، والشياطين لا يطاعون في السماوات، بل ولا يصعدون إليها، وإبليس من حين أهبط منها لم يصعد إليها. وإن الشياطين تعين الكهانة والسحرة وتخبرهم وتعاونهم بتصرفات خارقة ومقصودهم الكفر والفسوق والعصيان، والأنبياء صلوات الله عليهم تعينهم الملائكة هم الذين يأتونهم فيخبرونهم بالغيب ويعاونونهم بتصرفات خارقة كما كانت الملائكة تعين النبي صلى الله عليه وسلم في مغازية مثل يوم بدر أمده الله بألف من الملائكة ويوم حنين قال تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَابَسَتْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ}<sup>٣١٣</sup>، وقال تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}<sup>٣١٤</sup>، وقال تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}<sup>٣١٥</sup>. من هذا يتضح أن الخلفاء منصورين بإذنه تعالى وبكل الأحوال كما فعل مع الرسول الكريم في أكثر من

<sup>٣١١</sup> صحيح البخاري، ج ٢٣، ص ٧٠.

<sup>٣١٢</sup> التكوين، ١٩، ٢٥.

<sup>٣١٣</sup> التوبة، ٢٥، ٢٦.

<sup>٣١٤</sup> التوبة، ٤٠.

<sup>٣١٥</sup> الأنفال، ١٢.

موقف ومكان لذلك على الخليفة أن لا يخشى أحدا في سبيل تحقيق ما يصلح برعيته ليعينهم على حياتهم وعبادتهم للكريم جل جلاله الذي فضله يستخلفهم في الأرض ويدخلهم الجنة. كن كريم في طاعة الله تفوز بالآتي:

أولا: رضا الكريم المطلق.

ثانيا: تكون من المستخلفين في الأرض.

ثالثا: رضا الصالحين.

رابعا: الفوز بالجنة.

عن جرير بن عبد الله قال لما بعث النبي أتيته لأبأيعه فقال لي: "ما حاجتك يا جرير. قلت: جئت لأسلم على يديك قال: فألقى لي كساءه، ثم أقبل على أصحابه فقال: {إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٍ فَأَكْرَمُوهُ} ٣١٦.

من خصائص الاسم الكريم للخليفة:

قضاء الدين والغنى:

الكريم اسم من أسماء الله الحسان وهو ذو الصفة المتعالية بالمكانم العظام، فهو الذي يغني من غير حساب، وهو الذي بكرمه يرحم العباد من حيث لا يحتسبون، قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} ٣١٧ ولذلك فالخليفة هو المؤمن بالكريم المطلق ويولي أمره إليه، حتى يخلصه من كل دين ومن كل حاجة وفاقة، فهو على كل شيء قدير، ومن يتمسك بالكريم ليس له بدا إلا أن يكرم الناس بالخيرات التي تتوفر بين يديه، ولهذا الكريم قال اعملوا فالعمل الناجح هو الذي يفك الدين عن المدنيين، ويغنهم عن كل عوز. وفيه ما أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: "جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله خادماً فقال لها قولي: "اللهم رب السماوات السبع ورب العرش الكريم العظيم ربنا

٣١٦ سنن ابن ماجه ، ج ١١ ، ص ١٢١ .

٣١٧ الطلاق ، ٣ . ١ .

ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر<sup>٣١٨</sup>.

الشفاء:

قال تعالى: {وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} <sup>٣١٩</sup>. الأكمة هو الذي ولد أعمى، أو أنه الممسوح العين الذي لم يشق بصره ولم يخلق له حدقة، والأبرص هو الذي به الوضح المعروف وتخصيص هذين الأمرين لأنهما أمران معضلان أعجزا الأطباء وكانوا في غاية الحداقة مع كثرتهم في زمنه، ولهذا أراهم الله تعالى المعجزة من جنس الطب. ومن الأدعية الشافية كما روي على لسان موسى عليه الصلاة والسلام: "اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير وملكك القديم إنك على كل شيء قدير" <sup>٣٢٠</sup>.

وعليه فالخليفة هو من يستمد صفة الكريم بعلمه ومعرفته ليقف على الحق ويُعرّف الناس عليه، ويعمل بما أظهره الكريم له من علم في كل ما يُفيد العباد، ويشفي مرضاهم ويقوي نفوسهم وحواسهم في مرضات الله تعالى. ولهذا فالعلم والدواء والشفاء مكارم من الكريم المطلق من عمل بها وعمل عليها نال صفة الكريم ورضاه واستخلف في الأرض بعلم من عليم حكيم كريم.

<sup>٣١٨</sup> تفسير الأوسى، ج ٢٠، ص ٣٠٢. صحيح مسلم، ج ١٣، ص ٢٣٩

<sup>٣١٩</sup> آل عمران، ٤٩.

<sup>٣٢٠</sup> تفسير الأوسى، ج ٣، ص ٥٠.

قال تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} ٣٢١ .  
هذه الآيات بدأت بالعزة والرحمة ووقف الرسول الكريم على المغفرة والكرم، وماذا كان نتاج ذلك؟ فعن عمر بن عبد الله مولى غفرة، أن قريشا اجتمعوا ليقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم، وليبلغوا منه بعض ما يكره، فقال لهم عتبة بن ربيعة: لا تعجلوا على ابن أخيكم حتى أذهب فأكله ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ يصلي عند البيت العتيق، فأتاه فجلس إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضى صلاته، فقال: يا ابن أخي إنه قد عظم على قومك ما جئتهم به، وقالوا: إنما أراد الشرف والمال، فإن كنت أردت ذلك فانزع عما جئت به، ولك الله علي أن أجمع لك من المال ما تكون به أكثر قريش مالا، وأن يشرفك قومك حتى تكون أعظمهم، وقد قالوا: إن بك جنونا، فإن كنت اعترفت فأعلمني فلا أترك طبيبا إلا طلبته لك حتى يشفيك، فأطعني وانزع عما أنت تذكر، فلما فرغ عتبة من كلامه ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {حم تنزيل من الرحمن الرحيم} إلى قوله: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} ٣٢٢ . فرجع عتبة إلى كبراء قريش، فقال: لقد سمعت قولاً مغدق الأعلى مثمر الفرع حديث العهد بالعرش، وإني سمعت السحر والشعر والكهان فما هو شيء من ذلك، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يأتي جماعتهم فأتاهم وفي يده قبضة من تراب فقراً من سورة ياسين قوله تعالى: {يس والقرآن الحكيم إلى قوله {فبشره بمغفرة وأجر كريم} وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع على رأس كل إنسان منهم من ذلك التراب شيئاً وقد أمسك الله عنه أيديهم وألسنتهم ثم انصرف سالماً والحمد لله فقال لهم عتبة: قد كنتم تتفلتون عليه فقد آتاكم فلم تصنعوا شيئاً فقالوا: لكأن عقولنا قد ذهبت فقال: لينظر كل امرئ منكم أي شيء

٣٢١ ياسين، ١١ .

٣٢٢ فصلت، ١٤٠ .

وضع على رأسه فإذا على رأس كل امريء من التراب فلم يبق من أولئك الذين وضع على رؤوسهم التراب إلا قتل يوم بدر<sup>٣٢٣</sup>. وللخليفة أن يكون رجب الصدر وكريم الكف وواسع العطاء وأن يحذر عدوه ولا يتهاون في الحق؛ لأنه المسؤول أمام ربه وبما كلفه به من إصلاح وخير وتعمير وألا يلتفت إلى أقوال وأفعال الأعداء والخصوم وأن يسير في دربه ونهجه ونسأل الله أن يكون في عونه كما فعل الرسول الكريم فهو جل في علاه كفل الحفظ لخلفائه في أرضه بمنه وكرمه.

فقد جاء في قوله تعالى: {وَأَنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}<sup>٣٢٤</sup>. أي أن أعداء الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو دين الرسالة الخاتمة، عملوا كل ما في وسعهم من أجل أن يعتدوا على محمد ليهلكوه ما استطاعوا وذلك لحفظ الله الكريم إليه من كل شر، لقد سهروا الليالي وعيونهم لم تغمض ومع ذلك فشلوا في مراقبته حيث جعل الله بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشاهم جميعا حتى عندما حاصروه خرج عليهم وعيونهم مبصرة ولم يستطيعوا بصره حيث أغشاهم الكريم جل جلاله.

كرم الكريم:

كرم الكريم من كرم الله، ولذا فالقاعدة تقول: (أكرم مما أكرمك الله به) وذلك لأن ما بين أيدي العباد هو من عند الله، ولم يكن من عندهم، فانه خالق الأشياء كلها، من سموات سبع وأراضي سبع، وما فيهم وما بينهم كله ملك لله، ولأنه الكريم المطلق فهو الذي بكرمه جعل كل الخيرات ميسرة ودلولة بين أيدي العباد، ولهذا فمن المستغرب وهو الاستثناء أن لا يكرم البعض بعضا. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ}<sup>٣٢٥</sup>. {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}؟: هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس

<sup>٣٢٣</sup> دلائل النبوة، ج ١، ص ٢٢٢.

<sup>٣٢٤</sup> القلم، ٥١، ٥٢.

<sup>٣٢٥</sup> الانفطار، ٦، ٧.

من أنه إرشاد إلى الجواب؛ حيث قال: (الكَرِيم) حتى يقول قائلهم: غره كرمه. بل المعنى في هذه الآية: ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم-أي: العظيم-حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء في الحديث: "يقول الله يوم القيامة: ابن آدم، ما غرك بي؟ ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟". وعن سفيان: أن عمر سمع رجلاً يقرأ: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) فقال عمر: الجهل. وقال قتادة: (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) شيءٌ، ما غرَّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان. وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: "ما غرك بي لقلت: سَتُورِكَ المُرْخَاة. وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) لقلت: غرني كرم الكريم<sup>٣١</sup>. قال البغوي: وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: (بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) دون سائر اسمائه وصفاته، لأنه لفته الإجابة. وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه الْكَرِيم؛ لينبه على أنه لا ينبغي أن يُقَابَلَ الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء. وقوله: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) أي: ما غرك بالرب الكريم الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، أي: جعلك سَوِيًّا معتدل القامة منتصبها، في أحسن الهيئات والأشكال<sup>٣٢٦</sup>.

#### المقام الكريم:

قال تعالى: {وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}<sup>٣٢٧</sup>، وقال تعالى: {إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ}<sup>٣٢٨</sup>. الكريم الذي تملأه المكارم وهي الآيات العظام، التي تُظهر الإعجاز لتمد به العباد وليقتدوا به في الكرم، حتى يستمدوا الصفة من صفاته التي بها يرثون الأرض ويرثون الجنة. والمقام كريم، المجلس اللائق الذي ميزه الله عز وجل عن المقامات السفلى، فهو المقام العالي بالمكارم والفضائل الحسان، ولذا فمن يُراد له أن يكون خليفة للكريم عليه أن يختار الأماكن الخيرة التي تليق به ولا يذهب إلى أماكن الفساد وضياع الأخلاق وفعل المنكرات.

<sup>٣٢٦</sup> تفسير ابن كثير، ج ٨، ص ٣٤٢.

<sup>٣٢٧</sup> الشعراء ٥٨.

<sup>٣٢٨</sup> النمل، ٢٩.



المقام الكريم هو مقام القول الطيب والفعل الطيب والذوق الرفيع، ولأن المقام الرفيع هو المجلس الحسن، ألا ترى إلى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله لموسى وهرون: (فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى). وكلها وجوه حسان وهذا أحسنها. وقد روى أنه لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أحد قبل سليمان. والوصف بالكريم في الكتاب غاية الوصف، ألا ترى قوله تعالى: (إنه لقرآن كريم) وأهل الزمان يصفون الكتاب بالخطير وبالآثير وبالمبرور، فإن كان لملك قالوا: العزيز وأسقطوا الكريم غفلة، وهو أفضلها خصلة.<sup>٣٢٩</sup> فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة لخلفائنا والثبات على دينهم الدال على سبق العناية بتعلق الإرادة لتحقيق السعادة داعين ربنا أن يوفق خليفته في أرضه لما يرضي ربه وأن نكون من المتفهمين لحقوق الخليفة علينا وأن نعمل بما يرضيه ويرضي ربنا وأن يتوفنا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ويدخلنا الجنة غير مخزيين ولا مفتونين آمين.

كان الرسول الكريم أحلم في النفار من كل حليم وأسلم في الخصام من كل سليم وقد مني بجفوة الأعراب فلم توجد منه نادرة ولم يحفر عليه بادرة ولا حليم غيره إلا ذو عثرة ولا وقور سواه إلا ذو هفوة فإن الله تعالى عصمه من نزغ الهوى وطيش القدرة بهفوة أو عثرة ليكون بأمرته رؤوفاً وعلى الخلق عطوفاً قد تناولته قريش بكل كبيرة وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم وما تفرد بذلك سفهاؤهم دون حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم بل تمالأ عليه الجلة والدون فكلما كانوا عليه من الأمر وألح كان عنهم أعرض وأفصح حتى قهر فعفا وقدر فغفر وقال لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه: "ما ظنكم بي"، قالوا: ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك، وإن تنتقم فقد أسأنا<sup>٣٣٠</sup>، فقال: "بل أقول كما قال يوسف لأخوته: {لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين}<sup>٣٣١</sup>". قال: "اللهم قد أدقت

<sup>٣٢٩</sup> تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ١٩٢.

<sup>٣٣٠</sup> أعلام النبوة، ج ١، ص ٢٨٩.

<sup>٣٣١</sup> يوسف، ٩٢.

أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالاً<sup>٣٣٢</sup>. وأتته هند بنت عتبة وقد بقرت بطن عمه حمزة ولاكت كبده فصطح عنها وأعطاهما يده لبيعتها. فإن قيل فقد ضرب رقاب بني قريظة صبرا في يوم أحد وهم نحو سبعمائة فأين موضع العفو والصفح والكرم وقد انتقم انتقام من لم يعطفه عليهم رحمة ولا داخلته لهم رقة؟ قيل: إنما فعل ذلك في حقوق الله تعالى وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه موسى قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله: "هذا حكم الله من فوق سبعة أرقعة"، فلم يجز أن يعفو عن حق وجب الله تعالى عليهم وإنما يختص عفو بحق نفسه<sup>٣٣٣</sup>. وهذا سلوك من استخلفوا في الأرض بين اللين والشدة تبعا لما تقتضيه المصلحة فيجعلون لكل ربح شرع حتى يكللوا بالنجاح في ما كلفوا به فتارة باللين وتارة بالقسوة من غير تقريط ولا معصية ودونما فضاضة ليظهر الكرم الذي ألبسه الله خلقه وأزين بزينته في سلوكه ومنهجه.

قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إنه لسان الشاكر الذي اعترف بكرم الكريم وجوده وعطاه بدون منة، وإنه العرفان التام بفضل صاحب الفضل، فقله الحمد لله يدل على أنه لا محمود إلا هو جل جلاله. والله الحمد والشكر وجوه تتعدد والخليفة هو الشاكر له في كل الوجوه والحامد له على كل حال مع دعواه وتضرعه إليه بالمغفرة والرحمة وهو الرحمن الرحيم.

الأول: أنه تعالى لو لم يخلق داعية الإنعام في قلب المنعم لم ينعم فيكون المنعم في الحقيقة هو الله الذي خلق تلك الداعية.

وثانيها: أن كل من أنعم على الغير فإنه يطلب بذلك الإنعام عوضاً إما ثواباً أو ثناء أو تحصيل حق أو تخليصاً للنفس من خلق البخل، وطالب العوض لا يكون منعماً، فلا يكون مستحقاً للحمد في الحقيقة، أما الله سبحانه وتعالى فإنه كامل لذاته، والكامل لذاته لا يطلب

<sup>٣٣٢</sup> أعلام النبوة، ج ١، ص ٢٨٩

<sup>٣٣٣</sup> المصدر السابق، ص ٢٨٨.

الكمال، لأنّ تحصيل الحاصل محال، فكانت عطاياه جوداً محضاً وإحساناً محضاً، فلا جرم كان مستحقاً للحمد، فثبت أنه لا يستحق الحمد إلا الله تعالى.

وثالثها: أن كل نعمة فهي من الموجودات الممكنة الوجود، وكل ممكن الوجود فإنه وجد بإيجاد الحق إما ابتداءً وإما بواسطة، ينتج أن كل نعمة فهي من الله تعالى ويؤكد ذلك بقوله تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} ٣٣٤.

ورابعها: النعمة لا تكون كاملة إلا عند اجتماع أمور ثلاثة:

أحدها: أن تكون منفعة، والانتفاع بالشيء مشروط بكونه حياً مدركاً، وكونه حياً مدركاً لا يحصل إلا بإيجاد الله تعالى.

وثانيها: أن المنفعة لا تكون نعمة كاملة إلا إذا كانت خالية عن شوائب الضرر والغم، وإخلاء المنافع عن شوائب الضرر لا يحصل إلا من الله تعالى.

وثالثها: أن المنفعة لا تكون نعمة كاملة إلا إذا كانت آمنة من خوف الانقطاع، وهذا الأمر لا يحصل إلا من الله تعالى، إذا ثبت هذا فالنعمة الكاملة لا تحصل إلا من الله تعالى، فوجب أن لا يستحق الحمد الكامل إلا الله تعالى، فثبت بهذه البراهين صحة قوله تعالى الحمد لله.

وكون الإنسان عاجزاً عن حمد الله وشكره فالوجوه التي تدل عليه هي:

الأول: أن نعم الله على الإنسان كثيرة لا يقوى عقل الإنسان على الوقوف عليها، كما قال تعالى: {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} ٣٣٥. إذا امتنع وقوف الإنسان عليها امتنع اقتداره على الحمد والشكر والثناء اللائق بها.

الثاني: أن الإنسان إنما يمكنه القيام بحمد الله وشكره إذا أقره الله تعالى على ذلك الحمد والشكر وإذا خلق في قلبه داعية إلى فعل ذلك الحمد، والشكر، فالعبد لا يمكنه الإتيان بالشكر والحمد إلا عند الإتيان به مراراً لا نهاية لها، وذلك محال، والموقوف على المحال محال.

٣٣٤ النحل، ٥٣.

٣٣٥ إبراهيم ٣٤.

الثالث: أن الحمد والشكر ليس معناه مجرد قول القائل بلسانه الحمد لله؛ بل معناه علم المنعم عليه بكون المنعم موصوفاً بصفات الكمال والجلال وكل ما خطر ببال الإنسان من صفات الكمال والجلال فكمال الله وجلاله أعلى وأعظم من ذلك المتخيل والمتصور، وإذا كان كذلك امتنع كون الإنسان آتياً بحمد الله وشكره وبالثناء عليه.

الرابع: أن الاشتغال بالحمد والشكر معناه أن المنعم عليه يقابل الإنعام الصادر من المنعم بشكر نفسه وبحمد نفسه وذلك بعيد لوجوه:

أحدها: أن نعم الله كثيرة لا حد لها فمقابلتها بهذا الاعتقاد الواحد وبهذه اللفظة الواحدة في غاية البعد.

وثانيها: أن من اعتقد أن حمده وشكره يساوي نعم الله تعالى فقد ظل.

وثالثها: أن الإنسان محتاج إلى إنعام الله في ذاته وفي صفاته وفي أحواله، والله تعالى غني عن شكر الشاكرين وحمد الحامدين، فكيف يمكن مقابلة نعم الله بهذا الشكر وبهذا الحمد، فثبت بهذه الوجوه أن العبد عاجز عن الإتيان بحمد الله وبشكره فلهذه الدقيقة لم يقل أحمدوا الله، بل قال الحمد لله لأنه لو قال احمدوا الله فقد كلفهم ما لا طاقة لهم به، أما لما قال الحمد لله كان المعنى أن كمال الحمد حقه وملكه ولا حمد إلا له عز وجل، سواء قدر الخلق على الإتيان به أو لم يقدرُوا عليه؛ ونقل أن داود عليه الصلاة والسلام قال: "يا رب كيف أشكرك وشكري لك لا يتم إلا بإنعامك عليّ وهو أن توفقني لذلك الشكر؟ فقال: يا داود لما علمت عجزك عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك<sup>٣٣٦</sup>.

حمد الكريم:

يجب علينا أن نبحث عن حقيقة الحمد وماهيته فنقول: تحميد الله تعالى ليس عبارة عن قولنا الحمد لله، لأن قولنا الحمد لله إخبار عن حصول الحمد، والأخبار عن الشيء مغاير للمخبر عنه، فوجب أن يكون تحميد الله مغايراً لقولنا الحمد لله، فنقول: حمد المنعم عبارة عن كل فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً. وذلك الفعل إما أن يكون فعل القلب، أو فعل اللسان،

<sup>٣٣٦</sup> تفسير الرازي، ج ١، ص ٢٠١.

أو فعل الجوارح، أما فعل القلب فهو أن يعتقد فيه كونه موصوفاً بصفات الكمال والإجلال وفي هذا الأمر يترسخ الإيمان الذي لا يكمن إلا في القلب السليم (إنه قلب الخليفة)، وأما فعل اللسان فهو أن يذكر ألفاظاً دالة على كونه موصوفاً بصفات الكمال وفي هذا الأمر يتضح القول الحق (الصدق) الذي به تطمئن القلوب، التي آمنت في الفقرة الأولى وفيه يتميز الكلم للذين لا يقولون إلا ما يفعلون، ومن هنا يتميز الخليفة بقوله الذي يتماثل مع الفعل الحق. وأما فعل الجوارح فهو أن يأتي بأفعال دالة على كون ذلك المنعم موصوفاً بصفات الكمال والإجلال فعندما يتطابق القلب مع ما يقال مع ما يُفعل تصبح العلامة الصادقة كما في قوله تعالى: {سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} <sup>٣٣٧</sup>، وهذا التماثل هو من صفات الخليفة بالإضافة، وهو المراد من اسمه الكريم جل جلاله.

وكما جاء في تفسير الرازي في مسألة الحمد فقد افترق العلماء في هذا المقام إلى فريقين: الفريق الأول: الذين قالوا: إنه لا يجوز أن يأمر الله عبده بأن يحمده، واحتجوا عليه بوجوه: الأول: أن ذلك التحميد إما أن يكون بناءً على إنعام وصل إليهم أولاً وبناءً عليه، فالأول باطل، لأن هذا يقتضي أنه تعالى طلب منهم على إنعامه جزاء ومكافأة، وذلك يقدح في كمال الكرم، فإن الكريم إذا أنعم لم يطلب المكافأة، وأما الثاني فهو إتعاب للغير ابتداءً، وذلك يوجب الظلم.

والثالث: قالوا الاشتغال بهذا الحمد متعب للحامد وغير نافع للمحمود، لأنه كامل لذاته، والكامل لذاته يستحيل أن يستكمل بغيره، فنثبت أن الاشتغال بهذا التحميد عبث وضرر، فوجب أن لا يكون مشروعاً.

والرابع: أن معنى الإيجاب هو أنه لو لم يفعل لاستحق العقاب، فإيجاب حمد الله تعالى معناه أنه قال لو لم تشتغل بهذا الحمد لعاقبتك، وهذا الحمد لا نفع له في حق الله، فكان معناه أن هذا الفعل لا فائدة فيه لأحد، ولو تركته لعاقبتك أبد الآباد، وهذا لا يليق بالحكم الكريم. الفريق الثاني: قالوا الاشتغال بحمد الله سوء أدب من وجوه:

الأول: أنه يجري مجرى مقابلة إحسان الله بذلك الشكر القليل.

الثاني: أن الاشتغال بالشكر لا يتأتى إلا مع استحضار تلك النعم في القلب، واشتغال القلب بالنعم يمنع من الاستغراق في معرفة المنعم.

الثالث: أن الثناء على الله تعالى عند وجدان النعمة يدل على أنه إنما أثنى عليه لأجل الفوز بتلك النعم، وذلك يدل على أن مقصوده من العبادة والحمد والثناء الفوز بتلك النعم، وهذا الرجل في الحقيقة معبوده ومطلوبه إنما هو تلك النعمة وحظ النفس، وذلك مقام نازل<sup>٣٣٨</sup>.

قال تعالى: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} <sup>٣٣٩</sup>. قَالَ مَجِيباً عَمَا عَرْضُوا بِهِ وَضَمَنُوهُ كَلَامَهُمْ مِنْ ذَلِكَ: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ} وكان الظاهر على هذا الإقتصار على التعرض بما فعل مع الأخ إلا أنه عليه الصلاة والسلام تعرض لما فعل به أيضاً لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما، فإن المراد بذلك أفرادهم له عنه وإذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع أن يكلمهم إلا بعجز، والاستفهام ليس عن العلم بنفس ما فعلوه لأن الفعل الإرادي مسبوق بالشعور لا محالة بل هو عما فيه من القبح بدليل قوله: {إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} أي هل علمتم قبح ما فعلتموه زمان جهلكم قبحه وزال ذلك الجهل أم لا؟ وفيه من إبداء عذرهم وتلقينهم إياه ما فيه كما في قوله تعالى: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} <sup>٣٤٠</sup> والظاهر لهذا أن ذلك لم يكن تشفياً بل حثاً على الإقلاع ونصحاً لهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم ما رأى مع خفي معاتبة على وجود الجهل وأنه حقيق الانتقاء في مثلهم، فله تعالى هذا الخلق الكريم كيف ترك حظه من التشفي إلى حق الله تعالى على وجه يتضمن حق أخوة يوسف عليه الصلاة والسلام أيضاً والتلطف في اسماعه مع التنبيه على أن هذا الضر أولى بالكشف، للناظر أن يرى كيف أوجد الله هذا السلوك في خليفته فلم يدعو نفسه للثار من إخوته حين تملكه القدرة بل كان عند

<sup>٣٣٨</sup> تفسير الرازي، ج ١، ص ٢٠٧.

<sup>٣٣٩</sup> يوسف، ٨٩.

<sup>٣٤٠</sup> الانفطار، ٦.

حسن ظن ربه به فهل لنا الاقتداء بهم؟ والظاهر أنه عليه السلام لما رأى ما رأى منهم وهو من أرق خلق الله تعالى قلباً وكان قد بلغ الكتاب أجله شرع في كشف أمره فقال ما قال <sup>٣٤١</sup>.  
إكرام الكافر بالبحيم:

قال تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} <sup>٣٤٢</sup>. قال قتادة: نزلت في أبي جهل وكان قد قال: ما فيها أعز مني ولا أكرم، فلذلك قيل له: ذق إنك أنت العزيز الكريم. وقال عكرمة: التقى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو جهل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله أمرني أن أقول لك أولى لك فأولى) فقال: بأي شيء تهددني! والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً، إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه على قومه <sup>٣٤٣</sup>. فقتله الله يوم بدر وأذله ونزلت هذه الآية. أي يقول له الملك: ذق إنك أنت العزيز الكريم بزعمك. وقيل: هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتتقيص، أي قال له: إنك أنت الذليل المهان. وهو كما قال قوم شعيب لشعيب: {إنك لانت الحليم الرشيد} <sup>٣٤٤</sup> يعنون السفية الجاهل في أحد التأويلات على ما تقدم. وهذا قول سعيد بن جبير <sup>٣٤٥</sup>. في هذا إشارة واضحة إلى وجوب ردع الطغاة والظالمين فللخليفة أن يردع هذا الصنف من الرعية فإن من كرم الكريم أن ينزع اللثيم عن طريق السالكين على نهجه القويم ليظهر كرمه ويستقيم الرعية على طريق الحق الذي أمر الله سبحانه بإتباعه وذلك بتوجيه الخليفة لهم ولا يترك المفسدين يعثون في الأرض فساداً.

الاستغفار سلاح الكريم:

قال تعالى: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنَكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} <sup>٣٤٦</sup>. المراد بالآية قيل: وجعلها بعضهم كناية عن الاستغفار؛

<sup>٣٤١</sup> تفسير الألويسي، ج ٩، ص ١١٩.

<sup>٣٤٢</sup> الدخان ٤٩.

<sup>٣٤٣</sup> أخبار مكة للفاكهي، ج ٥، ص ٥٧.

<sup>٣٤٤</sup> هود، ٨٦.

<sup>٣٤٥</sup> تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ١٥١.

<sup>٣٤٦</sup> الممتحنة، ٤.

لأن عدة الكريم خصوصاً مثل إبراهيم عليه السلام لا سيما إذا أكدت بالقسم يلازمها الانجاز وليس بلازم كما لا يخفى، وكان هذه العدة غير العدة السابقة في سورة مريم في قوله تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ ولعلها وقعت منه عليه الصلاة والسلام بعد تلك تأكيداً لها وحكيت ههنا على سبيل الاستثناء<sup>٣٤٧</sup>. ما يقال في هذا: أن يكون الخليفة كريماً حتى مع أعداء الله رجاء في إيمانهم؛ لأن هدفه هو أن يتبع المستخلفين ما جاء به الخليفة من ربه لينجح في ما كلف به. ولأن استغفار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر بمعنى أن يوفقه الله تعالى للتوبة ويهديه سبحانه للإيمان وإن كان جائزاً عقلاً وشرعاً لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم وأنه يموت على الكفر كما دل عليه ما في سورة التوبة<sup>٣٤٨</sup>.

قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِالنَّفْوَى"<sup>٣٤٩</sup>. ومن جملة خطبته صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظَمَهَا بِآبَائِهَا فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنٌ عَلَى اللَّهِ وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ أَكْرَمُكُمْ﴾<sup>٣٥٠</sup> وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَبَّةٍ عَلَى أَحَدٍ كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ طِفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلُؤْهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِدِينٍ أَوْ تَقْوَى"<sup>٣٥١</sup>. وقوله صلى الله عليه وسلم : "الناس سواء كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية"<sup>٣٥٢</sup> أي كلهم متساوون في الصور وإنما يتفاوتون بالأعمال. ولأن الله جعل في الأرض خليفة وخلق في أحسن تقويم، إذن بطبيعة

<sup>٣٤٧</sup> تفسير الألويسي، ج ٢٠، ص ٤٥٧.

<sup>٣٤٨</sup> تفسير الألويسي، ج ٢٠، ص ٤٥٧.

<sup>٣٤٩</sup> المعجم الكبير للطبراني، ج ٤، ص ١٨.

<sup>٣٥٠</sup> الحجرات، ١٣.

<sup>٣٥١</sup> مسند أحمد، ج ٣٥، ص ٣١٤.

<sup>٣٥٢</sup> أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني، ج ١، ص ٢٠٨.



الحال في أساس الخلق لا فرق بين عبد وعبد، الكل عبيد الله، ولكن الفرق يأتي عندما يرضى أحد أن يكون عبداً لغير الله ولهذا جاء الإسلام برسالته الخاتمة ليحرر العبيد من قبضة العبيد، والخليفة هو الخليفة حيث ظل الله في أرضه ولكن الناس غير الناس فالتفاوت موجود بين المستخلفين في الأرض في كل زمن وحين، ولهذا يجب على الخلائف أن يتعاونوا على البر والتقوى، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان، وأن يستغفروا الله عن كل خطيئة أو ذنب اقترفوه والحمد لله رب العالمين الذي بكرمه يغفر كل ذنب بمشيئته جل جلاله.

قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ} ٣٥٣. ليس المراد من قوله تعالى: (إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ) أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود، ولكنها مرادة قطعاً من هذه الآية، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطر لتهدمت أبنيتها، فيسوق الله إليها النيل بما يتحملة من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر، وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضاً لينبت الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود ابتداء. كما قال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعَيْنًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} ٣٥٤. والأرض الجرز التي ورد ذكرها في الآيات الكريمة السابقة هي لأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها وهي التي إذا ما هطلت الأمطار عليها أعطت بفضل الكريم المطلق، ولهذا على الكريم بالإضافة أن يعمل بفضل الكريم المطلق الذي جاء بالماء إليه من بلد بعيد سيولا وأنهارا أو أمطارا وليتقي الله ربه فيما يعمل. قال عكرمة، وغيره: الأرض الجرز: التي لا نبات فيها. وهي مغبرة. قلت: وهذا كقوله:

٣٥٣ السجدة، ٢٧.

٣٥٤ عبس، ٢٤ ٣٢.

{وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ. لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} ٣٥٥.

قال تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ} ٣٥٦.

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم، وحلول غضبه ونقمته عليهم، استبعاداً وتكذيباً وعناداً: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ)؟ أي: متى تنصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتاً تُدَال علينا، ويُنتقم لك منا، فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين! قال الله تعالى: (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) أي: فتح الله وهو يوم أن يقول للشيء كن فيكون إنه اليوم الذي يأذن الله فيه لنا بالنصر، يومها ستجدون ما قلت لكم حقاً، ويومها يكون النصر حليفنا بإذن الله صاحب الأمر ومالك الملك جل جلاله. وإذا حلَّ بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة، (لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ)، ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النَّجَّة، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريباً من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم؛ لقوله: (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ)، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل، كقوله تعالى: {فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ٣٥٧.

وقوله: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} ٣٥٨. ثم قال: (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ) أي: أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك، كقوله: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} ٣٥٩. وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد.

٣٥٥ يس، ٣٣ . ٣٥.

٣٥٦ السجدة، ٢٨ . ٣٠.

٣٥٧ الشعراء، ١١٨.

٣٥٨ سبأ، ٢٦.

٣٥٩ الأنعام، ١٠٦.

وقوله: (إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) أي: أنت منتظر، وهم منتظرون، ويتربصون بكم الدوائر، (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ)<sup>٣٦٠</sup>، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله، في نصرتك وتأييدك، وسيجدون غداً ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك، من وبيل عقاب الله لهم، وحلول عذابه بهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والله أعلم<sup>٣٦١</sup>.

وأيضاً فإن فروض الصلاة أكثر من سائر الأعمال ونقتصر منه على بعض ما تضمنه إكرام الله تعالى للخليفة في أمر العبادات:

. الشهادة: كانت الشهادة توحيدا واعيا وإدراكا تاما بالواحد الأحد عز وجل، ومساواة تامة بين المستخلفين في الأرض لأن لا يكون أحد منهم عبدا لغير الله تعالى.

. الصلاة: ولأن الصلاة تنتهي عن الفحشاء والمنكر كانت تؤدي خمس مرات إكراما من الله لخلائفه في الأرض، واعترافا كريماً منهم أن يؤديها في أوقاتها. أن فرض الصلاة كان رحمة على رسول الله وعلى العباد المستخلفين في الأرض لأن يلتقوا في اليوم الواحد خمس مرات في الجامع الذي لا يفرق بين من آمن وعمل صالحا. ولذا يتفقد المؤمنون بعضهم بعضا كل يوم وليزدادوا رابطة وقوة برابطة الحق وقوته.

. الزكاة: على رأس المكارم المادية والروحية، فهي تعطي عينا، وتطهر الأنفس وتصفيها مع الحق وعليه. وذلك لأجل أن يتزكى الملك، وتتزكى النفس المتزكية مما تملك وفقا لما أمر الكريم به. فالزكاة هي مفتاح الكرم المباشر ثم تليها الصدقات التي يزلنا المصائب والبلايا اللهم أحفظنا أجمعين وارض عنا وعن البنين والزوجات والوالدين وصحابتنا ومشايخنا وصحابة رسول الله وأمهاتنا زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم. وبهذا الكرم كان الإنسان خليفة لله جل جلاله، يتزكى ويتطهر وهو بهذا يزداد كرما حتى يخلف الكريم في الأرض ويرثه بالجنة.

<sup>٣٦٠</sup> الطور، ٣٠.

<sup>٣٦١</sup> تفسير ابن كثير، ج ٦، ص ٣٧٤.

. الصوم: اعتراف بالحق الذي غفل الخليفة عنه لأي مسبب من الأسباب فالكمال لله وحده، ف جاءت فريضة الصوم ليتذكر الخليفة ذوي العلاقة به من العباد وفقا لما أمر به تعالى، فيصوم حتى يحس بحاجة الفقير ويقدم على إشباعها ما استطاع في ذلك سبيلا، ويتصدق ليصوّب نفسه عن غفلتها وبعدها يكون له العيد بعد إتمامه صوم شهر رمضان الكريم، وتكون له أعياد في الجنة.

. الحج: الحج احتفال روحي كبير يتم فيه أظهر القوة واللحمة والوحدة بين العباد المستخلفين في الأرض ليظهروا إيمانهم جهارا نهارا وليلا مخافة من الواحد الأحد، الذي أمر بذلك لمن استطاع إليه سبيلا. فالحج نجاة من الكفر والشرك والتزاما تاما بطاعة الله ورسوله الكريم الذي جاء بالرسالة الخاتمة صلوات الله وسلامه عليه. في الحج يلتقي المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها ليتعارفوا مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>٣٦٢</sup>.

الجهاد: كرم من كريم لأن يضحي الخليفة بنفسه في سبيل إحقاق الحق الذي يرضاها خالقه، وهو ليس بقتال ويحتوي على الآتي:

١ . جهاد النفس حتى لا تتغمس في الرذيلة والشهوات التي تلهيها عن ذكر الله عز وجل أو تجعلها في حالة غفلة فتعمى بصيرتها التي بها تدرك الله والحق جليا.

٢ . جهاد المال وهو على المستطاع به إن لم يكن بالنفس قديرا، فيكون صرفه في وجه يرتضيه الله تعالى فيجعل صاحبه وريثا في الجنة بعد استخلاف في الأرض.

٣ . جهاد القول بالكلمة المحرّضة على الفداء دون الدين والوطن والشرف والعرض ولذلك قائل كلمة الجهاد ناطق بالشهادة، وقائل كلمة الحق مستخلفا في الأرض ووارث في الجنة. قول المعروف في كل مكان وزمان جهاد يستوجب التقدير والاحترام وذلك لأن الله تعالى مجازي عليه العباد بالاستخلاف في الأرض وإراث الجنة.

٤ . جهاد العين الناضرة فيما ترى حتى لا تقدم على حرام أو تشهد زورا.

<sup>٣٦٢</sup> الحجرات، ١٣.

٥ . جهاد اليد بالعمل الصالح وإصلاح ما يفسده المفسدون في الأرض ومنع سفك الدماء فيها بغير حق. اليد الصالحة تبني وتعمل حلال، وتقبض على الأيدي المفسدة وتحول بين اليد التي تحاول الإفساد في الأرض.

٦ . جهاد السمع بالبعد عن مشاركة القائلين للكلام الحرام والعاملين عليه، فالخليفة هو الذي يستمع إلى الحق ويتبعه كاملاً، { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }<sup>٣٦٣</sup>.

٧ . جهاد الحواس بتمتعها في كل ما من شأنه حلال ومنعها عن ملامسة الحرام أو المنهي عنه، فمن يفعل ذلك كان من المستخلفين الكرام في الأرض والوارثين الجنة.

٨ . جهاد النية وهي التي بها تتطهر النفس من كل ظن حيث أن بعض الضن إثم.

٩ . جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو جهاد يُرسخ الخليفة به كرامته ورضاء الله عليه بالعمل على إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

١٠ . جهاد الاستغفار على ما فات والتكفير عنه، بالطاعات التامة بالصلاة والصدقة والإسراع على أفعال الخير.

١١ . جهاد الحاضر: هو الذي به يعتصم الخليفة عن الطمع في الدنيا على حساب الآخرة فيتقي الله ربه. قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ }<sup>٣٦٤</sup>، وقال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لِلَّهِ مَا

<sup>٣٦٣</sup> المائدة، ٤١.

<sup>٣٦٤</sup> آل عمران، ١٤٥.

فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>٣٦٥</sup>

١٢ . جهاد المستقبل: بأن يكون له طموح دائم على العمل الصالح ومناصرة المظلوم والقبول بالشهادة في سبيل الله تعالى وفي سبيل الوطن إذا تعرض لاحتلال أو غزو من أجنبي. قال تعالى: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}<sup>٣٦٦</sup>.

وعليه فأصحاب المكارم بالجهاد والعمل الصالح لهم حسن مآب قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}<sup>٣٦٧</sup>. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى، ففتتح له أكمامها، فيأخذ من أي ذلك شاء، إن شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن"<sup>٣٦٨</sup>.

ولأن الله يُريد الخليفة كريماً قال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}<sup>٣٦٩</sup>.

يقول تعالى أمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن السرف: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ أَي: لا تكن بخيلاً منوعاً، لا تعطي أحداً شيئاً، كما قالت اليهود عليهم لعائن الله: {يُدُّ اللَّهُ مَغْلُولَةَ<sup>٣٧٠</sup>. أي نسبهه إلى البخل، تعالى وتقدس الكريم الوهاب.

<sup>٣٦٥</sup> البقرة، ٢٨٣، ٢٨٤.

<sup>٣٦٦</sup> البقرة، ١٣٣.

<sup>٣٦٧</sup> الرعد، ٢٩.

<sup>٣٦٨</sup> رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة برقم ١٤٦

<sup>٣٦٩</sup> الإسراء، ٢٩، ٣٠.

<sup>٣٧٠</sup> المائدة، ٦٤.

وقوله: (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، فتقع ملومًا محسورًا. ومتى بسطت يدك فوق طاقتك، قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون كالحسير، وهو: الدابة التي قد عجزت عن السير، فوقفت ضعفاً وعجزاً، وهو مأخوذ من الكلال، كما قال تعالى: {فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} <sup>٣٧١</sup> كليلاً عن أن يرى عيباً. هكذا فسر هذه الآية - بأن المراد هنا البخل والسرف - ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم. وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما. فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت - أو وفرت - على جلده، حتى تخفي بنانه وتعفو أثره. وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها فلا تتسع" <sup>٣٧٢</sup>، وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنفقي هكذا وهكذا وهكذا، ولا توعي فبوعي الله عليك، ولا توكي فبوكي الله عليك" وفي لفظ: "ولا تحصي فيحصي الله عليك" <sup>٣٧٣</sup>.

إكرام الضيف:

قال تعالى: {فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} <sup>٣٧٤</sup>. الاستطعام كان طلباً للطعام على وجه الضيافة بأن يكونا قد قالوا: إنا غريبان فضيفونا أو نحو ذلك كما يشير إليه التعبير بقوله تعالى: (فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا) دون فأبوا أن يطعموهما مع اقتضاء ظاهر (استطعما أهلهما) إياه، وإنما عبر باستطعما دون استضافا للإشارة إلى أن جل قصدهما الطعام دون الميل بهما إلى منزل وإيوائهما إلى محل. وذكر بعضهم أن في فأبوا أن يُضَيِّفُوهُمَا من التشنيع ما ليس في أبوا أن يطعموهما لأن الكريم قد يرد السائل المستطعم ولا يعاب كما إذا رد غريباً استضافه بل لا يكاد يرد الضيف إلا لئيم،

<sup>٣٧١</sup> الملك، ٣، ٤.

<sup>٣٧٢</sup> صحيح البخاري، ص ١٤٤٣.

<sup>٣٧٣</sup> صحيح البخاري، ص ١٤٣٣.

<sup>٣٧٤</sup> الكهف، ٧٧.

ومن أعظم هجاء العرب فلان يطرد الضيف، وعن قتادة أنه قال: "شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه"<sup>٣٧٥</sup>. وقيل: إنما خص سبحانه الاستطعام بموسى والخضر عليهما السلام والضيافة بالأهل لأن الاستطعام وظيفه السائل والضيافة وظيفه المسؤول لأن العرف يقضي بذلك فيدعو المقيم القادم إلى منزله يسأله ويحمله إليه. فوجدا (فِيهَا جِدَارًا) روى أنهما التجأ إليه حيث لم يجدا مأوى وكانت ليلتهما ليلة باردة وكان على شارع الطريق (يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) أي يسقط والمعنى يريد أن يتفتت فيصير حصى انتهى<sup>٣٧٦</sup>. وعليه فالمكارم تُجَنَّبُ العباد المصائب، اللهم اجعلنا من عبادك الكرماء ولا تجعلنا من المسرفين ولا المبذرين ولا البخلاء وزدنا صفاء ونقاء وعنا على الدنيا وارحمنا بالاستخلاف فيها واجعلنا من الوارثين وأرضى عنا وعن الوالدين والأبناء والزوجات والصحابة وأمهاتنا زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم تسليما.

قال تعالى: {ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ}<sup>٣٧٧</sup>. أي قدم الكلمة الطيبة التي تفيد وتنفع وتصلح ولا تفسد ولا تثير الغضب، واصبر وما صبرك إلا بالله العظيم، وادفع بالحسنة التي هي أحسن الحسنات التي يدفع بها السيئة بأن تحسن إلى المسيء ما استطعت، وادفع بالحسنة السيئة، وجوز أن تعتبر المفاضلة بين الحسنة والسيئة على معنى أن الحسنة في باب الحسنات أزيد من السيئة في باب السيئات ويطرد هذا في كل مفاضلة بين ضدين كقولهم: العسل أحلى من الخل فإنهم يعنون أنه في الأصناف الحلوة أميز من الخل في الأصناف الحامضة، ومن هذا القبيل ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال: نشأت أنا والأعمش في حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا فإنه عن استواءهما في بلوغ كل منهما الغاية حيث بلغ هو الغاية في التدلي والأعمش الغاية في التعلي<sup>٣٧٨</sup>. وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو نعيم

<sup>٣٧٥</sup> تفسير الألويسي، ج ١١، ص ٣٥٦

<sup>٣٧٦</sup> تفسير الألويسي، ج ١١، ص ٣٥٧.

<sup>٣٧٧</sup> المؤمنون، ٩٦.

<sup>٣٧٨</sup> تفسير الألويسي، ج ٧، ص ٤٤٥.



في «الحلية» عن أنس أنه قال في الآية: يقول الرجل لأخيه ما ليس فيه فيقول: إن كنت كاذباً فأنا أسأل الله تعالى أن يغفر لك وإن كنت صادقاً فأنا أسأل الله تعالى أن يغفر لي. وقيل: التي هي أحسن شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك، وقال عطاء. والضحاك: التي هي أحسن السلام والسيئة، وقيل: الأول الموعظة والثاني المنكر، واختار بعضهم العموم وأن ما ذكر من قبيل التمثيل، (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) أي بوصفهم إياك أو بالذي يصفونك به مما أنت بخلافه، وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإرشاد له عليه الصلاة والسلام إلى تفويض أمره إليه عز وجل. وهذا ما يكون عليه الخليفة في تفويض أمره إلى الله عز وجل، فيكون أكثر صونا واعترافاً لربه ورعاية لمستخلفيه والله يهدي إلى سواء السبيل<sup>٣٧٩</sup>.

قال تعالى: {دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}<sup>٣٨٠</sup>. وقيل: لعلهم يقولون: سبحانك اللهم عندما يعاينون من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديساً لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيهاً لوعده الكريم عن سمات الخلف ويكون خاتمة دعائهم أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين نعتاً له تعالى شأنه بصفات الإكرام إثر نعته بصفات الجلال، والمعنى دعاؤهم منحصر فيما ذكر إذ ليس لهم مطلب متروك حتى ينظموه في سلك الدعاء، ولعل توسط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل إلى ختم الحكاية بالتحميد تبركاً.

وعليه يكون الخليفة جادا في تهذيب مستخلفيه بدءاً بإكرامهم بالتحية وغرسها في نفوسهم، فينشأوا على المحبة والكرم؛ لأنه مسؤول عن تصرفات مستخلفيه أمام فيكون قد نجا من غضب ربه إذا ما نصح وأمر بما يرضي ربه<sup>٣٨١</sup>. فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما

<sup>٣٧٩</sup> تفسير الألويسي، ج ٧، ص ٤٤٥.

<sup>٣٨٠</sup> يونس ١٠.

<sup>٣٨١</sup> تفسير الألويسي، ج ٧، ص ٤٤٥.

يشاء، أن يخلصنا مما يُسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه، من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطرافَ النهار، إنه الأكرم الكريم والأرحم الرحيم، والحمد لله رب العالمين.

اللهم يا الكريم ما لدينا من فضل وكرم هو من فضلك وكرمك فاجعل أنفسنا كريمات الدعاء سخيات العطاء فنكون ممن كرمتهم بالجنة، اللهم اغفر لنا واجعلنا من المكرمين، اللهم يا الكريم أكرمنا بعلمٍ مفيدٍ وعقلٍ سديدٍ ونفسٍ مطمأنة آمنة مستقرة، وأسبغ علينا كرمك فما فضلٍ إلا منك وما من كرمٍ يفوق كرمك يا الكريم. اللهم اكرمنا في الدنيا والآخرة كراماً نكون فيه من السعداء أنت ولينا سبحانه فلا نطلب ولا نسعى إلا إليك متيقنين أن كرمك سيصيبنا لأنك أنت الكريم سبحانه جل جلالك.

اللهم إنك الكريم نسألك أن تكون حياتنا مكرمة بكرمك وجودك وفضلك وعزتك وغناك وقدرتك وعلمك وحكمتك، اللهم يا الكريم إننا نتوجه إليك بالمطالب فلا تجعلنا من الذين يتوجهوا إلى سواك، اللهم أجب مطالبنا بواسع رحمتك فرفع آيادينا إليك فلا تردّها خائبة، وتتوجه قلوبنا إليك فاجعلها راضية مسرورة، وتتوجه أنفسنا إليك فاجعلها آمنة مطمأنة، وتتوجه بحاجاتنا إليك فاجعلها بما يشبعها مجابة.

اللهم إنك الكريم نسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك. اللهم إنك الكريم فنسألك الجنة، ونعوذ بك من النار، ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيتته لنا خيراً، اللهم اجعلنا من الذين أكرمهم في الدنيا والآخرة ولا تجعلنا من الخاسرين.

نسألك يا الكريم مغفرة كل ما أحاط به علمك من ذنوبنا، والتجاوز عن كل ما كان منا إنك الجواد تحب الجود، اللهم بك نعوذ وبك نلوذ، اللهم اجعل لنا في اللفظ إلى جودك والرضا بضمائك مندوحة عن منع البخلاء، وغنى لا عوز من بعده إلا الفوز بالجنة.

## الرقيب

الرقيب "المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت"<sup>٣٨٢</sup>.  
الرقيب "هو العليم الحفيظ فمن راعى الشيء حتى لم يغفل عنه ولاحظه ملاحظة دائمة لازمة لزوما لو عرفه الممنوع عنه لما أقدم عليه سمي رقبيا"<sup>٣٨٣</sup>.  
واسم الله الرقيب "يدل على ذات الله وصفة الرؤية والمتابعة بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى صفة الإبصار وحدها بدلالة التضمن، وبديل باللزوم على الحياة والقيومية، والعلم والهيمنة، والإحاطة والقوة والعظمة والعزة، وكل ما يلزم لقيام معنى المراقبة المطلقة ودوامها وما يترتب عليها"<sup>٣٨٤</sup>.

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحة بما اجتاحت، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست، الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض تحركت أو سكنت، المحاسب على النقيير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت، المتفضل بقبول طاعات العباد وإن صغرت، المتطول

<sup>٣٨٢</sup> شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، ج ١، ص ٥٨.

<sup>٣٨٣</sup> المقصد الأسنى، ج ١، ص ١١٧.

<sup>٣٨٤</sup> أسماء الله الحسنى، ج ١٤، ص ٢٤.

بالغفو عن معاصيهم وإن كثرت. وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت وتتنظر فيما قدمت وأخرت، فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت، وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت، فسبحان من عمّت نعمته كافة العباد وشملت، واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والآخرة وغمرت، فبنفحات فضله اتسعت القلوب للإيمان وانشرحت، وبيمين توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأديت، وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت، وبتأييده ونصرته انقطعت مكاييد الشيطان واندفعت، وبلفظ عنايته تترجح كفة الحسنات إذا ثقلت، وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت. فمنه العطاء والجزاء والإبعاد والإدناء والإسعاد والإشقاء والصلاة والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأتقياء<sup>٣٨٥</sup>.

ومن يراقب الله يعلم بأن الله عزّ وجلّ علمه يحيط بخلقه وهم في أحوال العدم والوجود والظهور والقبور والبعث والنشور، ومن علمه المحيط المطلق أنه سبحانه وتعالى خلق المخلوقات لحكمة لا يعلمها إلا هو {وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}<sup>٣٨٦</sup>. ومن تلك الحكمة أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليكون الخليفة على الأرض فيعمرها ويصلحها ولا يفسدها يقول الله تعالى للخليفة في الأرض: {وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}<sup>٣٨٧</sup>، ويقول تعالى: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}<sup>٣٨٨</sup> ويقول تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}<sup>٣٨٩</sup> ولسان حال الخليفة الذي ينبغي الإصلاح في الأرض ويراقب الله ويعلم أن الله يراقبه يقول مستعينا بالله: {رَبِّ انصُرْنِي

<sup>٣٨٥</sup> إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٤٧٩

<sup>٣٨٦</sup> يس، ٧٥.

<sup>٣٨٧</sup> الأعراف ١٤٢.

<sup>٣٨٨</sup> المائدة ٦٤.

<sup>٣٨٩</sup> القصص ١٧٧.

عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ<sup>٣٩٠</sup>، وطالما إن الخليفة لا يفسد في الأرض فهو من فريق الصالحين والله لا يضيع عمله سدى وسيكافئه عليه بما يليق يقول الله تعالى: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ<sup>٣٩١</sup> لذا فالخليفة لا يبغى إلا الإصلاح ما استطاع إليه سبيلا إنه الفاعل للخير المبعد عن الشر يقول الله تعالى: {إِنْ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ<sup>٣٩٢</sup> والله سبحانه وتعالى أعطى الخليفة من المقومات التي تعينه على ذلك من جوارح تطيعه ولا تعصيه من يد تبطش وتدمر أو تحنو وتعمّر ورجل تمشي في الشر والفساد أو تخطو للطاعة والرشاد وعين تبصر آلاء الرحمن أو تنتهك الحرمات وتهيم في العصيان وأذن تسمع للعلم ودلائل الإيمان أو تتجسس لتعرف ما لا يحق لها ولا يجوز أن تخرجه من طي الكتمان، وهذه النعم وغيرها إن كانت في طاعة الإنسان إلا أنها رقيبة عليه وشاهدة لما يرتكب من أعمال حسنة أو سيئة، والله جل جلاله وعلا ذكره يراقب الإنسان بحفظه لأعماله من خير وشر فهو جلّ جلاله قد كلف من الملائكة الحفظة الذين يقومون بهذا العمل حتى يحاسب الإنسان على أعماله خيرا بخير وشرًا بما يليق به، ويظهر أثر عمله عليه فعن جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَسْرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ"<sup>٣٩٣</sup>. أي إن الله يراقب الإنسان و يعلم ما يسره في نفسه ويظهر من أثر ذلك على وجهه من خير أو شر في ملامحه وسلوكه وأقواله وأفعاله، والله رقيب على أعمال العباد ولا يحتاج إلى الحفظة من الملائكة ولكن ذلك من باب تقريب المعنى للإنسان حتى يعلم أن الله قد أحاط به ولم يتركه دون رقابة وذلك نوع من التوجيه للإنسان حتى يستقيم ولا يعيث فسادا ويرتدع ليتفرغ للمهمة العظمى الملقاة على عاتقه ألا وهي الخلافة وإصلاح الأرض والقيام بما كلف به رقابة الأرض وما يحدث فيها وتوجيه نفسه وغيره للإصلاح انطلاقا من التخلق بصفة الرقيب التي تحتوي على العليم والخبير

<sup>٣٩٠</sup> العنكبوت ٣٠.

<sup>٣٩١</sup> الأعراف ١٧٠.

<sup>٣٩٢</sup> هود ٨٨.

<sup>٣٩٣</sup> المعجم الكبير للطبراني، ج ٢، ص ٢٣٥

والسميع والبصير والشاهد والحافظ والحفيظ والمهيمن والعلي والحكم والعدل لأنه لو يكن متحققة فيه تلك الصفات بشكل كلي مطلق لما كانت رقابته مطلقة ولما كانت خلافة الخليفة له كاملة شاملة.

مع العلم بأن علم الله شمولي ورقابته محكمة ولا يغيب عن علمه ساكن أو متحرك في ملكه أو ملكوته يقول الله تعالى: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} <sup>٣٩٤</sup> فيخاطب الله عز وجل هؤلاء الذين لم يرقبوه ويحفظوه في أعمالهم ولم يتوقعوا أنه قادر عليهم رقيب لهم حافظ لما عملوه محاسب على كل صغيرة وكبيرة فيقول لهم: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} <sup>٣٩٥</sup>.

أما الذين لم يعرفوا الله حق المعرفة وغرَّتهم الأمانى وأرادوا أن يضلوا الناس عن طريقه ولم يعملوا بالمنهج الذي وضعه لهم ليحققوا الخلافة المرجوة منهم وساروا وفق آراء فاسدة وعقول عقيمة ضالة مضلة فلهم عذاب الحريق المادي في الآخرة؛ والمعنوي في الدنيا ببعدهم عن شرف الخلافة والسير في ركب الخليفة الذي يراقب الله في السر والعلن ليحيي الخلافة المنظمسة معالمها بشكل جديد وبنسق يتناسب مع روح العصر. قال صلى الله عليه وسلم: "كل نفس من بني آدم سيد فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها ومن لا أهل له ولا بعل سيد على جوارحه" <sup>٣٩٦</sup>، فعلى كل أحد أن يعرف قدر ما ولاه الله عليه ويعلم أنه رقيب عليه وهو الذي استخلفه على ذلك وجعل له عليه السيادة ونبه بذلك على أن السيد إذا نقص من حال من ساد عليه نقص من سيادته بقدر ذلك وعزل بقدره <sup>٣٩٧</sup>.

<sup>٣٩٤</sup> الرعد ١١.٨.

<sup>٣٩٥</sup> آل عمران ١٨٢.

<sup>٣٩٦</sup>، فيض القدير، ج ٥، ص ٤٧

<sup>٣٩٧</sup>، فيض القدير، ج ٥، ص ٤٧

والخليفة يراقب الله في أعماله ويراقب الآخرين بترشيدهم ودفعهم لتولي المسؤولية الكاملة في خلافة الله وإصلاح النفس والأرض، وتلك الدعوة المنبثقة من الإيمان بالله بأن الخلافة خلافة علمية عملية إيمانية بأن الله رقيب قريب وقادر سيحاسب الجميع على أعمالهم ليجازي أو يعاقب ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾<sup>٣٩٨</sup>، ويقول أصدق القائلين عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِي﴾<sup>٣٩٩</sup>.

فإنه هو الحق المطلق، ولأنه الحق المطلق فهو الذي يملك القدرة المطلقة في وهب الحياة وسلبها والبعث وعنده علم الساعة، ويتحدى الذي يجادل بغير علم ولا هدى ولا كتاب ينير له الطريق ليصل إلى الخلافة المرجوة على الأرض ويتخذ وسائل مضلة من عقل ناقص لا يرى نور الحق الواضح ويبتعد عن طريق الهداية ولا يراقب الله في نفسه وفي الآخرين ولا يعتقد بأن الله رقيب على المخلوقات جميعها، ورقيب على كل إنسان رقابة عامة وخاصة علنية وسرية خارجية وداخلية فهو عز وجل قد وكل من الملائكة لمراقبة أعمال الإنسان، بل جعل

<sup>٣٩٨</sup> الأعراف، ٨ . ١١ .

<sup>٣٩٩</sup> الحج، ٦ . ١٤ .

من جوارح الإنسان رقباة عليه يشهدون بما فعل إن أراد الإنكار فقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾<sup>٤٠٠</sup>، وهذه رقابة محكمة لصيقة لا يفطن لها إلا الخليفة المتحقق بالاسم الرقيب، أما الذي لا يرى أن رقابة الله سبحانه وتعالى ملازمة له في أنفاسه وحركاته وسكناته فهو ينكر على تلك الأدوات الرقبية عليه من قبل الرقيب فيقول: ما الذي جعلكم تشهدون عليّ؟ ويصوّر القرآن ذلك الموقف بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>٤٠١</sup>.

فإنه رقيب على العباد والكل عباد الله طوعا أو قهرا فهو رقيب على الشمس التي تشرق وتغيب بمقدار ونظام محكم لا يمكن أن يتم بهذه الصورة المحكمة دون رقيب فيأتي النهار ثم الليل بالطريقة والكيفية التي أراها الرقيب الأعلى، والسماء تمطر بأمره وبالقدر الذي يريد وفي الزمان والمكان الذي يريده ولا يستطيع كائن من كان أن يخالف إرادته لأنه رقيب على خلقه يسيره كيفما شاء وذلك لأنه الذي خلق الإنسان وأرسل له المنهج في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم يعرض من أراد لنفسه التخلف عن ركب الخلافة ويغلق قلبه وعقله عن النور والهداية ويشرك بالذي خلق الأرض والسماء وجعل الجبال لتثبيت الأرض وزين السماء بالنجوم، وأطاعته الأرض والسماء ومن فيهما من كائنات وقدر أقوات الخلق لأنه الخالق المدبر الرقيب الحافظ يقول الله تعالى: ﴿لَحْمٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا

<sup>٤٠٠</sup> النور، ٢٤، ٢٥.

<sup>٤٠١</sup> فصلت، ٢١-٢٣.



يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمِ تَأْتِي السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ<sup>٤٠٢</sup>. وهو يحفظ أعمال الخلائق ويحصيها ولا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء وبهذا العلم يحفظهم من شر أعمالهم قال الله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}<sup>٤٠٣</sup>.

لذا فالله تعالى هو الرقيب المطلق ومعناه الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء<sup>٤٠٤</sup>، وفي الحديث عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: "ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ"<sup>٤٠٥</sup> أي أحفظوه فيهم.

والرقيب هو من لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يتعب ولا يغفل يعلم بالشيء والشيء المترتب عليه وهو القادر الحفيظ، ولذا فالرقابة رصد وتتبع دون غفلة.

ولأن الله رقيب فعلى الإنسان الخليفة المتحقق بالاسم الرقيب أن يراقب الله في كل أعماله وأقواله، لأن الكلام إما له أو عليه، له بالحسنة والثواب، أو عليه بالسيئة والعقاب، ولهذا إن لم يرقب الإنسان نفسه في لسانه فعليه بالصمت فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"<sup>٤٠٦</sup>. لأن من آمن بالله حق إيمانه خاف وعبده ورجا ثوابه واجتهد في فعل ما أمر به وترك ما نهى

<sup>٤٠٢</sup> فصلت ١، ١١

<sup>٤٠٣</sup> الأنعام، ٥٩

<sup>٤٠٤</sup> لسان العرب، ج ١، ص ٤٢٤

<sup>٤٠٥</sup> الحديث صحيح البخاري، ج ١٢، ص ٥١

<sup>٤٠٦</sup> شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ج ١، ص ١٧

عنه، وأهم ما عليه من ذلك ضبط جوارحه التي هي رعاياه وهو المسؤول عنها كما قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} ٤٠٧، وقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تَوْسُوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} ٤٠٨. الرقيب وحده يعلم ما توسوس به النفس ولذا كل ما يمكن أن يقال يعلمه وكل ما يقال لديه رقيب لا يغيب ولا يغفل صامد لا يتحرك عن مهمة الرقابة المكلف بها.

والله الرقيب قد وكل ملائكة لحفظ الإنسان من نفسه وغيره -إلا بقدر الله- ومن بين يديه، عَنْ كِنَانَةَ الْعَدَوِيِّ، قَالَ : "دَخَلَ عُمَانُ بْنُ عَفَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْعَبْدِ، كَمْ مَعَهُ مَلَكٌ؟ فَقَالَ: عَلَى يَمِينِكَ مَلَكٌ عَلَى حَسَنَاتِكَ، وَهُوَ أَمِينٌ عَلَى الْمَلِكِ الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ، فَإِذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً، قَالَ الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ لِلَّذِي عَلَى الْيَمِينِ : أَكْتُبُ؟ فَيَقُولُ لَهُ : لَا، لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ، فَإِذَا قَالَ ثَلَاثًا، قَالَ: نَعَمْ، أَكْتُبُ أَرَأَيْتَ اللَّهُ مِنْهُ، فَبَسَّ الْقَرِينُ، مَا أَقَلَّ مُرَاقَبَتَهُ لِلَّهِ، وَأَقَلَّ اسْتِحْيَاءَهُ مِنَّا، يَقُولُ اللَّهُ : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)، وَمَلَكَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ يَقُولُ اللَّهُ: {لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} ٤٠٩ وَمَلَكَ قَابِضٌ عَلَى نَاصِيَتِكَ، فَإِذَا تَوَاضَعْتَ لِلَّهِ رَفَعَكَ، وَإِذَا تَجَبَّرْتَ عَلَى اللَّهِ قَصَمَكَ، وَمَلَكَانِ عَلَى شَفَتَيْكَ، لَيْسَ يَحْفَظَانِ عَلَيْكَ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَمَلَكَ قَائِمٌ عَلَى فَيْكِ، لَا يَدْعُ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَّةُ فِي فَيْكِ، وَمَلَكَانِ عَلَى عَيْنَيْكَ، فَهَوْلَاءِ عَشْرَةَ أَمْلاكٍ عَلَى كُلِّ ابْنِ آدَمَ يَتَبَدَّلُونَ، مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ عَلَى مَلَائِكَةِ النَّهَارِ، لِأَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ سِوَى مَلَائِكَةِ النَّهَارِ، فَهَوْلَاءِ عِشْرُونَ مَلَكًَا، عَلَى كُلِّ ٤١٠.

٤٠٧ الإسراء ٣٦ . ٣٨ .

٤٠٨ ق، ١٦ . ١٨ .

٤٠٩ الرعد ١٣ .

٤١٠ نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ، ج ٢ ، ص ٤٢٥

فكل هؤلاء الملائكة لمراقبة أعمال الإنسان وحفظ أعماله له وعليه بسيطة كانت أم كبيرة مع أن الله قادر وعالم ومحيط وراقيب ولا يحتاج إلى هؤلاء الملائكة ولكن ذلك على سبيل المثال حتى يفهم الإنسان أن الله يراقبه ويحصى عليه أعماله ويحفظه من بين يديه ومن خلفه.

وهنا نتذكر العظة التي وعظها الرسول صلى الله عليه وسلم لحبر الأمة عبداً لله بن عباس رضي الله عنهما، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عباس: "يا غلام، ألا أعلمك شيئاً لعل الله عز وجل أن ينفعك به، أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله يكن أمامك، إذا سألت فاسأل الله عز وجل، وإذا استعنت فاستعن بالله، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك عند الشدة، وجف القلم بما هو كائن، فلو أن الناس اجتمعوا جمعياً على أن يعطوك شيئاً لم يعطك الله لم يقدروا عليه، ولو أن الناس اجتمعوا على أن يمنعوك شيئاً قدره الله لك وكتبه لك ما استطاعوا، واعلم أن لكل شيء شدة ورخاء، وأن مع العسر يسراً، وأن مع العسر يسراً"<sup>٤١١</sup> والحديث بلفظ آخر: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئاً لم يرد الله أن يعطيك لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا أن يصرفوا عنك شيئاً أراد الله أن يصيبك به لم يقدروا على ذلك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، واعلم أن القلم قد جرى بما هو كائن"<sup>٤١٢</sup>.

والحفظ بمعنى المراقبة فإن راقب الإنسان الله وحفظه في أوامره ونواهيه راقبه الله وحفظه وكان معه بالحفظ والعون والتوفيق، والله قريب من الإنسان في كل وقت وهو حاضر معه ولا يغيب عنه والخليفة المتحقق بنور الاسم الرقيب يعلم ذلك ويعلم أن الله مع أي مخلوق يسمع السر وأخفى ويسمع نجوى الإنسان يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

<sup>٤١١</sup> الإبانة الكبرى لابن بطة، ج ٤، ص ٣٤

<sup>٤١٢</sup> المستدرک على الصحيحين للحاكم، ج ١٤، ص ٤٠٨

الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>٤١٣</sup>

قد يتساءل البعض: لماذا المعية مع كل كثرة أو قلة؟. فيكون البحث في هذا الموضوع مبنيا على الإحاطة، والرقابة وذلك لأجل متابعة سلوك من خلق في أحسن تقويم، هل هو على القول والفعل الحق أم انه على غير ذلك؟، ولذا يسأل الإنسان عما يعمل؟ ولماذا لم يعمل خيرا؟ ولا يسأل لماذا لم يفعل شرا، وذلك لأن القاعدة (خلق الإنسان في أحسن تقويم) ولأنه كذلك لا يسأل عما يعمل أو يفعل من خير مع أنه سيجازى بالمتوبة على كل فعل خير بأسباب ارتباط الإجابة مع أمر الطاعة لله تعالى.

وجاء في تفسيرها: (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) استشهاد على شمول شهوده تعالى والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل من يستحق الخطاب، ألم تعلم علما يقينيا بمرتبة المشاهدة انه تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض من الموجودات. (روي) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا وقال الثالث إن كان يعلم بعضه فهو يعلم كله وصدق لأن من علم بعض الأشياء بغير سبب فقط علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم فنزلت الآية (ما يكون من نجوى ثلاثة) ما نافية ويكون تامة بمعنى يوجع ويقع ومن مقم ونجوى فاعله وهو مصدر بمعنى التناجي كالشكوى بمعنى الشكاية يقال نجاه نجوى ونجوى ساره كناجاه مناجاة والنجوى السر والنجوى مصدر مضاف الى فاعله (إلا هو) اي الله تعالى (رابعهم) اي جاعلهم أربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها، بمعنى إلا هو رابعهم علما وحكما وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما يوجد في حال ما إلا في هذه الحال وفي الكلام اعتبار التصبير، وقيل: من شهد معية الحق معه زجره عن كل مخالفة وعن ارتكاب كل محذور ومن لا يشاهد معيته فانه مختط الى الشبهات والمحارم (ولا خمسة) أي ولا نجوى خمسة نفر (إلا هو سادسهم) إلا وهو

تعالى جاعلهم ستة فى الاطلاع على ما وقع بينهم وتخصيص العددين بالذكر لخصوص الواقعة لان المنافقين المجتمعين فى النجوى كانوا مرة ثلاثة وأخرى خمسة ويقال إن التشاور غالبا إنما يكون من ثلاثة الى ستة ليكونوا اقل لفظا وأجدر رأيا واكتم سرا. ثم عمم الحكم فقال (ولا أدنى من ذلك) أي أقل مما ذكر كالثنتين والواحد فإن الواحد أيضا يناجى نفسه (ولا أكثر) كالسنة وما فوقها (إلا هو معهم) أي الله مع المتاجين بالعلم والسماع يعلم ما يجرى بينهم و لا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المشاهدة والحضور معهم حضورا جسمانيا {أيما كانوا} أي فى أي مكان كانوا من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض فان علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة ولو كانوا تحت الأرض فان علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة قريبا وبعدا<sup>٤١٤</sup>.

ولأن الرقيب هو الأول والآخر فلا أول قبله ولا آخر بعده إنه الواحد الأحد لا شريك له فهو المحيط بكل أمر وهو العليم الحكيم يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو الملك المتعال، ولأنه خالق الزمان والمكان والحركة والسكون فهو يعلم بالزمان في أي مكان سواء كان المعلوم به أو بأمره في حالة حركة أو حالة سكون أي سواء كان ظاهر بالقول أو كاتما له أو متقلب في الأمر أو دارب عليه، ولذا فهو الرقيب.

وفي تفسير قوله تعالى: (رقيب عتيد) قال مجاهد: أي رصيد وقوله الرقيب هو من أسماء الله سبحانه وتعالى ومعناه الحافظ وقوله فارتقب أي انتظر وقوله في الرقاب هم المكاتبون يعطون من الصدقات ما يفكون به رقابهم<sup>٤١٥</sup>، وقوله تعالى: لوما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد<sup>٤١٦</sup>.

<sup>٤١٤</sup> تفسير حقي، ج ١٥، ص ١٧١

<sup>٤١٥</sup>، مقدمة الفتح، ج ١، ص ١٢١

<sup>٤١٦</sup> ق، ١٨.

الرقيب المطلق هو القريب الذي لا تفصل بينه وبين من يراقب مسافة ولا زمن فهو مع كل حركة تحدث ومع كل سكون واستقرار، ومع كل قول يسمع أو يناجى به أو يسر ويكتم، وقد وقعت الإشارة في القرآن العظيم إلى هذا المعنى في مواضع كثيرة: قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} <sup>٤١٧</sup>، وقوله تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} <sup>٤١٨</sup>، وقال تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} <sup>٤١٩</sup>. وأكثر ما يُراد بترك ما لا يعني حفظ اللسان من لغو الكلام كما أشير إلى ذلك في الآيات الأولى التي هي في سورة (ق).

وسخر الله من الرقباء على الإنسان ملائكة كرام عن يمينه وشماله يكتبون ما يفعله بدقة ونزاهة وقد سماهم الله: كراما كاتبين، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ} <sup>٤٢٠</sup>.

وجاء في تفسير قوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ) مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ، وَصَلَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ شُعَيْبِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ وَالْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ "مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ" قَالَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًا <sup>٤٢١</sup>. بما انه

<sup>٤١٧</sup> ق، ١٦. ١٨.

<sup>٤١٨</sup> يونس، ٦١.

<sup>٤١٩</sup> الزخرف، ٨٠.

<sup>٤٢٠</sup> ق، ١٦. ٢٣.

<sup>٤٢١</sup> مصنف ابن أبي شيبة، ج ٨، ص ٢٨٩

رقيب مطلق لابد وان يكون له كتبة يكتبون كل شيء يلفظ أو يعمل أو يفعل، ولكن الفرق أن كتابة ما يلفظ وما يفعل أو يُعمل على وجوه:

الوجه الأول: ما يلفظ كفرا وشركا يكون له سجلا عقابا مؤجلا إلا من رحم الله قال تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} ٤٢٢، وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} ٤٢٣.

الوجه الثاني: ما يلفظ قولاً لا تصاحبه نية التنفيذ السالبة فهذا الأمر فاقده للنية التي عليها تتم المحاسبة بالجزاء أو الثناء وذلك فالأعمال بالنيات قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ٤٢٤.

الوجه الثالث: قول سالب يُلفظ به مع نية وعزم على التنفيذ وحال الله بينه وبين ما يجب أن يُعمل أو يُفعل فهذا القول أو اللفظ وكأنه عُمِلَ أو فُعِلَ فالرقيب سبحانه ليس بغافل، قال تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفَّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنصِفَانِ اللَّهَ وَبَلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ٤٢٥.

الوجه الرابع: لفظ مع نية سالبة للتنفيذ مع بلوغ العمل أو الفعل قال تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} ٤٢٦ فيكون العقاب مضاعف بثلاثة:

٤٢٢ الدخان ٤٠ . ٤٢ .

٤٢٣ هود، ١١٨ ، ١١٩ .

٤٢٤ يونس، ٤٤ .

٤٢٥ الأحقاف، ١١٧ . ١١٩ .

٤٢٦ النساء ١٨ .

١ . بسلبية اللفظ.

٢ . بسلبية النية المنهي عنها.

٣ . بسلبية الفعل أو العمل المنهي عنه أو المحرم.

الوجه الخامس: لفظ ظاهره موجب ونيته سالبة تدرج تحت أبواب النفاق قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنزَلْنَاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾<sup>٤٢٧</sup>.

الوجه السادس: لفظ اجتنابي مع فعل ابتعادي يفوز صاحبه بالمغفرة والتواب بالتكفير عن سيئاته قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>٤٢٨</sup>.

الوجه السابع: لفظ طيب يلفظ به مع نية طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>٤٢٩</sup>، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>٤٣٠</sup>.

<sup>٤٢٧</sup> الأحزاب، ١٣ . ١٥ .

<sup>٤٢٨</sup> النساء ٣١ ، ٣٢ .

<sup>٤٢٩</sup> إبراهيم ٢٤ . ٢٧ .

<sup>٤٣٠</sup> ياسين، ٣٤ . ٣٦ .



الوجه الثامن: اللفظ الإفك الذي يلفظ ولا يفعل إنه مجرد قول وهراء أي أن أصحابه يلفظون بما لا يفعلون قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ} ٤٣١.

الوجه التاسع: لفظ حق مع نية حق مع فعل حق ويهدي إلى الحق يستوجب الإلتباع قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ} ٤٣٢.

والرقيب المطلق سبحانه وتعالى أراد أن يعطي الإنسان الخليفة درسا عمليا في مراقبة الله، وأن يقع اليقين في قلبه بأن الله يراقبه وهذا التدريب العملي متمثل في فرض الصيام قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} ٤٣٣، فالصوم من أكبر الوسائل التي يستعين بها الإنسان على تدريب نفسه وعلى مراقبة الله عز وجل، لذا فقد فرض الله الصيام على الأمم السابقة وعلى الأمة المحمدية لأن الإنسان يمكن أن يخلو

٤٣١ الشعراء، ١١٧ . ٢٢٦.

٤٣٢ النجم ٣ . ١١.

٤٣٣ البقرة ١٨٣ . ١٨٦.

بنفسه فيأكل ويشرب ثم يخرج ويدعي أنه صائم، أمّا من يريد إحياء خلافة الرقيب في نفسه وفي الآخرين فهو يحيي ذلك الاسم بالصدق مع الذات ومع الآخرين بمراقبة الله في أعماله ومراقبة الآخرين بتوجيههم إلى العمل الصحيح المبني على الصدق في القول والفعل، لأن القول دون فعل مصيبة المصائب وكارثة الكوارث لأن من يفعل ذلك لا يراقب الله ولا يعتقد بأن الله يراقبه فيقول الله تعالى للذين آمنوا به أنه هو العزيز الحكيم القادر على كل شيء الذي يسبح بحمده ويقر بقدرته من في السموات والأرض من مخلوقات لا يعلمها ولا يحصيها ولا يراقب أعمالها إلا الرقيب عز وجل، ويخص الله الذين آمنوا بالحديث بأنه سبحانه وتعالى لا يحب القول دون عمل ولا يحب العمل دون إخلاص ومن أفضل الأعمال التي تظهر إخلاص المؤمن الصيام لأنه من الأعمال السرية التي لا يضطلع عليه إلا الرقيب، فيقول الله تعالى : {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}٤٣٤. وعليه لو لم يكن رقيباً وعليما بما قيل ويقال ما قال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) أي انه سمع وعلم بكل ما قالوا وشهد على كل ما فعلوا فرأى أنهم يقولون ما لا يفعلون. وهنا لابد أن نعود إلى الصيام ونلقي نظرة على ما جاء في تفسير آيات الصيام ونقوم بالربط بين القديم في التفسير وبين الرؤية الآنية التي ننطلق منها في ربط اسماء الله بالخليفة بمفهوم جديد يعتمد على أن الخلافة يمكن أن تتحقق عن طريق الأخلاق والسلوكيات التي تؤدي على الإصلاح والتعمير وهذا هو الهدف الذي من أجله قد جعل الله الخليفة من النوع الإنساني إن راقب الله وأصلح وعمّر، وجاء في تفسير آيات الصيام (يا أيها الذين امنوا كتب) فرض (عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) من الأمم (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) المعاصي فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها. واختلف أهل العلم في معنى قوله: فليقل: إني صائم، فقيل: يقول: إني صائم، للذي

يشاتمته، ليكف عن شتمه، واستدل بعضهم بقول مريم: {إني نذرتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ  
الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} {٤٣٥}.

قال الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

وقال تعالى: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا} {٤٣٦}، فلا إطعام لوجه الله بلفظ  
أو بدون لفظ، و بلفظ سالب أو بلفظ موجب، صادق أو كاذب قال تعالى قال: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ  
فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ  
إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ  
العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا  
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ  
نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّئَةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} {٤٣٧}.

وقوله: الصيام لي وأنا أجزى به، فالأمر يرتبط بنية الصائم التي لا يعلمها إلا الرقيب العزيز  
جل جلاله، ولذا فالأعمال بالنيات، والنية شرط لقبول الأعمال ولذا فالصيام وجميع الأعمال  
لله تعالى، ولذا فالأعمال تصعد للرقيب الأعلى ليجازي بها من يشاء من عباده.

وقد ورد الاسم الرقيب في القرآن الكريم مرتين قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي  
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي  
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} {٤٣٨} إن للإنسان حقوق وعليه واجبات وله  
مسؤوليات فعليه أن يمارس حقوقه ويحترم ويقدر الآخرين وحقوقهم، وأن يؤدي واجباته ويساعد

٤٣٥ مريم ٢٦.

٤٣٦ الإنسان ٩.

٤٣٧ هود ٦ . ١١.

٤٣٨ النساء ١.

الآخرين على ذلك، وأن يحمل مسؤولياته ويتحمل ما يترتب عليه من أعباء ويتقي الرقيب ربه ولا يظلم أحداً، وليعلم أن الله رقيب فلا يغفل ولا يقرب ما نهى عنه ويجتنبه بأعمال الخيرات، (إن الله كان عليكم رقيباً) والرقيب هو المراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك أي حافظاً مطلعاً على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما فى الضمائر من النيات وما تكنه الأنفس.

والتقوى هي العمدة وهي سبب الكرامة العظمى فى الدنيا والعقبى والتقوى فى عرف الشرع وقاية النفس عما يضرها فى الآخرة" وهي على مراتب:

الأولى: التوقي عن العذاب المخلد بالتبري من الشرك قال تعالى: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} {٤٣٩}، لأنه بالتقوى يشعر الإنسان أن الله سيحاسبه وطالما أنه سيحاسبه فإنه عز وجل يراقبه وبما إنه يرقبه فلا بد للإنسان بوصفه الخليفة فى الأرض أن يتقي الله بالبعد عن نواهيه واجتناب معاصيه ومن هنا تكون المرتبة الثانية.

المرتبة الثانية: التجنب عن كل إثم وهو المتعارف باسم التقوى وهو المعنى بقوله تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ

وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيُزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>٤٤٠</sup> ، فالتقوى سبب رئيس في تكفير الذنوب وسترها في الدنيا والعمو والمغفرة في الآخرة، وهذا لأنه هو الرقيب الذي يحصي السيئات ولأنه الرؤوف الرحيم يستر في الدنيا ويغفر في الآخرة.

المرتبة الثالثة: التنزه عن جميع ما يشغله، وهي التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ<sup>٤٤١</sup> . فينبغي للسالك أن يتقى ربه ويراقب الله في جميع أحواله كما قال تعالى (إن الله كان عليكم رقيباً).

والمراقبة كما يراها حقي: علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه فاستدامته لهذا العلم تتحصل مراقبة لربه وهذا أصل كل خير ولا يكاد يصل الى هذه الرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة فإذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله في الوقت ولأزم طريق الحق وأحسن ما بينه وبين الله من مراعاة القلب وحفظه مع الله الأنفاس وراقب الله سبحانه في عموم أحواله فيعلم انه عليه رقيب ومن قلبه رقيب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القرية<sup>٤٤٢</sup> .

ولأن الله رقيب على العباد فهو يطلب ممن أعطاهم شرف الخلافة أن يعملوا ويخبرهم أنه يعلم ويرى ما يعملون وما لا يرون، وليس الأمر إلى هذا الحد فقط ولكن يخبرهم أن الرسول ومن سار على هديه يرون أعمال الناس وهذه الرؤية ليست لأي أحد ولكن للرسول والخليفة المؤمن الذي يعمل ما أمر به الله ورسوله ويسير في طريق الخلافة الحقيقية يقول الله تعالى:

<sup>٤٤٠</sup> المائدة، ٦٥ . ٦٩ .

<sup>٤٤١</sup> آل عمران ، ١٠١ ، ١٠٢ .

<sup>٤٤٢</sup> تفسير حقي ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ .

{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} <sup>٤٤٣</sup>. إن العمل المسيء ظلما تصعد الى السموات بقدر قوة غفلة وخبائة نفسه فالله تعالى يراها وروح رسوله وأرواح المؤمنين وفي الحديث "تصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصوم وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطعون به الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يدي الرب جل جلاله ويشهدون بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على ما في نفسه إنه لم يردي بهذا العمل ولا أخلصه لي وأنا اعلم بما أراد بعلمه" <sup>٤٤٤</sup>، ولذا فالرقيب لا تخفى عنه خافية في السموات العلى والأرضين وما بينها وهو على كل شيء قدير.

والتقوى تدل على الإيمان التام بالرقيب وبوحدانيته وقدسيته وهيمنته وعظمته، فالرقيب بالإضافة هو المؤمن بالرقيب المطلق الذي بإيمانه يراقب نفسه ويجنبها عن الظن الإثم، ويوجهها إلى العمل الصالح وينهاها عن الإفساد في الأرض ويتقي الرقيب ربه في كل قول وفعل ويتقيه في والديه وأبنائه وزوجه ومن لهم الحق عليه. ويراقب إيمانه بالله تعالى بتدبر القرآن ليعلم ما يرضي الله فيتبعه حق الإتياع، ويحمده ويشكره على مغفرته ورحمته وعزته له خليفة في الأرض ويتقي الله ربه الذي خلقه من نفس واحدة مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ <sup>٤٤٥</sup>.

(أَيُّهَا النَّاسُ) خطاب يعم بني آدم. (اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) هي النفس البشرية. (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) خلق من النفس البشرية الزوجين الذكر والأنثى قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ <sup>٤٤٦</sup>. (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) بيان

<sup>٤٤٣</sup> التوبة ١٠٥.

<sup>٤٤٤</sup> تفسير حقي، ج ٢، ص ٣٩٦.

<sup>٤٤٥</sup> النساء ١.

<sup>٤٤٦</sup> النجم، ٤٥، ٤٦.

لكيفية تولدهم منهما، والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة، (كثيراً) حملاً على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى، والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليتها، أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها. وقد نبه سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه الكريم على أن صلتها بمكان منه. (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) لن يترككم هكذا عبثاً فتفسدون ولا تصلحون إنه الرقيب الذي يرى في خليفته خير ما خلق ولهذا تدوم الرقابة لأجل البقاء الأصح.

والله سبحانه وتعالى يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم في مسألة منعه صلى الله عليه وسلم من تبديل زوجة مكان أخرى ولو أعجبه صلى الله عليه وسلم حسن المرأة التي يريد الزواج منها والله هو الرقيب على ذلك، وهذا بالنسبة لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم الذي هو أتقى الناس بل أتقى الخلق جميعاً وأكثرهم مراقبة لله فما الحال بالنسبة لنا أو لمن أراد التخلق بأخلاق الاسم الرقيب أظن أن الأمر فيه من الصعوبة التي لا تسهل إلا بالاستعانة بالله الرقيب لذا يقول المؤمن في سورة الفاتحة: (إياك نعبد وإياك نستعين) أي نحن نعبدك يا الله وحدك لا نشرك بك وفي الوقت ذاته نستعين بك لأنك الرقيب على عبادتنا لك وما يشوبها من قصور ونقص فالكمال لك وحدك سبحانه لا إله إلا أنت، فقال الله تعالى: {لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا} <sup>٤٤٧</sup>.

وقوله: (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) جاءت مطلقة دون استثناء لشيء من الأشياء وبذا لا يوجد شيئاً خارج رقابته.

والخليفة المتحقق بالاسم الرقيب يعلم بأن الله رقيب عليه ولا يحتاج إلى رقابة من بشر عليه، أمّا الذي لم يتحقق بهذا الاسم ولا يريد أن يراقب الله يذكره الله ويقول له ولمن هو على شاكلته وبغض النظر عن السبب الذي نزلت الآية بسببه فنحن الآن في مقام رؤية منهجية حديثة

للقرآن الكريم ومحاولة استنباط الوسيلة التي تتحقق بها الخلافة لله عز وجل من خلال التخلق باسمائه الحسنى علما وعملا فنلقي نظرة على الآية في السياق التي نزلت بسببه وربط معناها ومدلولها بالرؤية التي تعالج فكرة الخلافة والتحلي بصفة الرقيب، ومن هنا ينطلق الإنسان الخليفة في تعمير الأرض مراقبا لله، ومتيقنا بأن الله تعالى رقيب عليه ولهذا يقول الله للإنسان الذي يعمل على الإفساد معتقدا بأنه بعيد عن الرقيب: {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ}٤٤٨.

{أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ} أي حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس أو حرصاً على معاداته للنبي صلى الله عليه وسلم يعني أن الله تعالى كان يراه وكان سبحانه عليه رقيباً فهو عز وجل يسأله عنه ويجازيه عليه، {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ} أي أن الإنسان الذي يخالف المنهج ولا يريد أن يصلح في الأرض معتقدا بأنه بعيد عن الرقابة يذكره الرقيب أنه يراه ويعد له وعليه وسيحاسبه وعليه فلا بد من مراجعة النفس وأخذ الأمر على محمل الجد فالرقيب موجود ويرى كل شيء ويسمع كل شيء ويعلم بأمر كل شيء إنه السميع العليم، فالله لم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا في الأرض عبثاً ولكن لحكمة وهدف محكم يعلمه عز وجل وهو الإصلاح يقول الله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}٤٤٩. {أَفَحَسِبْتُمْ} أيها الخلق {أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} أي: سدى وباطلاً تأكلون وتشربون وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، ولا نراقبكم، و{لا} ننهاكم ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؟ ولهذا قال: {وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} لا يخطر هذا ببالكم، ولأن كل شيء من الله فالرجوع إليه ضرورة لإشباع حاجات متنوعة ومتطورة عبر الزمن، {فَتَعَالَى اللَّهُ} تعاضم وارتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلى القدر في حكمته. {الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} فكونه ملكاً للخلق كلهم حقا، في صدقه، ووعدته، ووعيده، إلهها معبوداً، لما له من الكمال {رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} فما دونه

٤٤٨ البلد ٧.

٤٤٩ المؤمنون ١٥ . ١٨.



من باب أولى، يمنع أن يخلقكم عبثاً<sup>٤٥٠</sup>. ولأنه سبحانه لم يخلقنا عبثاً فهو الرقيب علينا الذي ينظر ما نفعه وينتظر منا التوبة والعودة إلى الطريق الصحيح طريق الهداية فيذكرنا بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) أي مراقباً، وهي صيغة من رَقَبَ يَرْقُبُ رَقْبًا وَرُقُوبًا وَرُقْبَانًا إذا أَحَدَ النَّظَرَ لأمر يريد تحقيقه، أي حافظاً مطلعاً على جميع ما يصدر عنك من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائرِك من النيات مُريداً لمجازاتك بذلك<sup>٤٥١</sup>.

ومن صور التحقق بالاسم الرقيب العبادة على المشاهدة بمعنى أن الذي يعبد الله بيقين يعلم أن الله يراه ويراقبه ولذا فعليه أن يراقب هو الله وهذه المراقبة بالبعد عن الدنيا بمعنى البعد عن الرغبة التخريبية واللهث وراء المفسد والرغبات الدنيئة وضد ذلك يكون بالرغبة في الإصلاح من خلال العمل الجاد والبناء والعمار الذي ينطلق من مبدأ أن الله رقيب وهذا العمل يثمر صفاء الروح وشفافيتها فترى ما يحدث في الجنة والنار وهذا ما نقصده من العبادة على المشاهدة فعن محمد بن صالح الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عوف بن مالك فقال: "كيف أصبحت يا عوف بن مالك قال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل قول حقيقة، فما ذلك؟ فقال يا رسول الله: لم أطلب نفسي عن الدنيا، سهرت ليلي وأظمأت هواجري وكأني أنظر إلى عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغنون فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عرفت وأمنت فألزم"<sup>٤٥٢</sup>.

وورد الحديث مع صحابي آخر فعن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فاستقبله شاب من الأنصار يقال له: حارثة بن النعمان، فقال له: «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انظر ما تقول، فإن لكل حق حقيقة إيمانك؟» قال: فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي

<sup>٤٥٠</sup> تفسير السعدي، ج ١، ص ٥٦٠

<sup>٤٥١</sup> تفسير أبي السعود، ج ٢، ص ٢٩

<sup>٤٥٢</sup> مصنف ابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٢٢٦

وأظمأت نهاري، وكأنني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأنني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأنني أنظر إلى أهل النار كيف يتعادون فيها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أبصرت فالزم، مرتين، عبد نور الله الإيمان في قلبه» قال: فنودي يوما في الخيل: يا خيل الله اركبي، فكان أول فارس ركب، وأول فارس استشهد، فجاءت أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، أخبرني عن ابني حارثة، أين هو؟ إن يكن في الجنة لم أبك ولم أحزن، وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا، قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أم حارثة، إنها ليست بجنة ولكنها جنان، وحارثة في الفردوس الأعلى، قال: فانصرفت وهي تضحك وتقول: بخ بخ لك يا حارثة"<sup>٤٥٣</sup>.

ومن المراقبة أن يغلب على قلب الإنسان المتحقق بالاسم الرقيب أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع، ونسبة العاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلباً للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها، وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها؛ فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون، وثمره هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات الخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ. ومن ذلك؛ اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون، وثمرته أن يكون الإنسان في خلوته متأدباً في جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فإنه لا يزال مطرقاً متأدباً في جميع أعماله متماسكاً محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كما هو في أعماله الظاهرة، وهنا يتحقق بأن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع

<sup>٤٥٣</sup> شعب الإيمان للبيهقي ، ج ٢٢ ، ص ١٥

الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس، وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة، وهذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة فاليقين والمراقبة في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان فاليقين بأن الله رقيب هو الأصل والأساس، وعلى الذي يراقب الله أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكراً الله تعالى وكان صورته دليلاً على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع، وقد قيل ما ألبس الله عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الأنبياء وسيم الصالحين والصدّيقين<sup>٤٥٤</sup>.

وقال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}٤٥٥  
فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته، فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فرابطوا أنفسهم أولاً بالمشاركة، ثم بالمراقبة، ثم بالمحاسبة، ثم بالمعاقبة، ثم بالمجاهدة، ثم بالمعاقبة. فكانت لهم في المرابطة

<sup>٤٥٤</sup>، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٤٦٩

<sup>٤٥٥</sup> البقرة، ٢٣٥.

ست مقامات، ولكن كل حساب فبعد مشارطه ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق:

المقام الأول من المرابطة:

المشارطة:

اعلم أن مطالب المتعاملين في التجارات المشتركة في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه، فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطلبه وربحه تركية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾<sup>٤٥٦</sup>، وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة، والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله، وكما أن الشريك يصير خصماً منازعاً يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولاً ويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثاً ويعاقبه رابعاً؛ فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولاً فيواظب عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق، ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة، فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال، ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء، فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيراً من تدقيقه في أرباح الدنيا معه أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى، ثم كيفما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء، ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم، لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائماً وقد انقضى الشر، والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائماً وقد انقضى الخير<sup>٤٥٧</sup>.

<sup>٤٥٦</sup> الشمس، ٩، ١٠.

<sup>٤٥٧</sup> إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٤٨٠.

يقول الجنيد: سمعت أبا عبد الله الحارث بن أسد يقول: وسئل عن المراقبة لله، وعن المراقب لربه- فقال: إن المراقبة تكون على ثلاث خلال، على قدر عقل العاقلين ومعرفتهم بربهم، يفترقون في ذلك.

فإحدى الثلاث: الخوف من الله.

والخلة الثانية: الحياء من الله.

والخلة الثالثة: الحب لله.

فأما الخائف فمراقب بشدة حذر من الله تعالى، وغلبة فزع من عقاب الله.

وأما المستحي من الله فمراقب بشدة انكسار وغلبة إخبات.

وأما المحب فمراقب بشدة سرور وغبطة نشاط وسخاء نفس، مع إشفاق لا يفارقه.

ولن تكاد أن تخلو قلوب المراقبين من ذكر اطلاع الرقيب بشدة حذر من قلوبهم أن يراهم غافلين عن مراقبته.

والمراقبة ثلاث خلال في ثلاثة أحوال أولها:

التثبيت بالحذر قبل العمل بما أوجب الله، والترك لما نهى الله عنه مخافة الخطأ، فإذا تبين له الصواب بالمبادرة إلى العمل بما أوجب الله والترك لما نهى الله مخافة التفريط، فإذا دخل في العمل فالتكميل للعمل مخافة التقصير، فمن لم يثبت قبل العمل مخافة الخطأ فغير مراقب لمن يعمل له إذ كان لا يأمن من أن يعمل على غير ما أحب وأمر به، ومن لم يبادر ويسارع إلى عمل ما يحب الله بعد ما تبين له الصواب، فما راقب إذا بطأ عن العمل لمحبة من يراقبه، إذ يراه متنبطاً عن القيام بما أمر به. ومن لم يجتهد في تكميل عمله فضعيف مقصر في مراقبة من يراقبه، إذا قصر عن إحكام العمل لمن يعمل وقد علم أن الله جل ثناؤه يحب تكميله وإحكامه. وقال: سبع خلال يكمل لها عمل المرید وحكمته:

١ . حضور العقل.

٢ . نفاذ الفطنة.

٣ . سعة العمل بغير غلط.

٤ . قهر العقل للهوى.

٥ . عظم الهم كيف يرضى الرب تعالى.

٦ . التثبت قبل القول والعمل.

٧ . شدة الحذر للآفات التي تشوب الطاعات.

وأقل المريدين غفلة أدمهم مراقبة مع تعظيم الرقيب، والدليل على صدق المراقبة بإجلال الرقيب شدة العناية بالفظنة لدواعي العقل من دواعي الهوى، والتثبيت بالنظر بنور العلم، والتمييز بين الطاعة وما شابها من الآفات، وقوة العزم على تكميل المراقبة في الحظوة في عين المليك المطلع، وشدة الفرع مما يكره خوف المقت، والدليل على قوة الخوف شدة الإشفاق مما مضى من السيئات أن لا تغفر، وما تقدم من الإحسان أن لا يقبل، ودوام الحذر فيما يستقبل أن لا يسلم، وعظم الهم من عظيم الرغبة، وعظيم الرغبة من كبر المعرفة بعظيم قدر المرغوب فيه وإليه، وسمو الهمة يخفف التعب والنصب، ويهون الشدائد في طلب الرضوان، ويستقل معه بذل المجهود بعظيم ما ارتفع إليه الهم. والنشاط بالدعوى دائم، والسرور بالمناجاة هائج، والصبر زمام النفس عن المهالك وإمساك لها على النجاة، فاليقين راحة للقلوب من هموم الدنيا، وكاسب لمنافع الدين كلها، وحسن الأدب زين للعالم وستر للجاهل، من قصر أمله حذر الموت، ومن حذر الموت خاف الفوت، ومن خاف الفوت قطع الشوق، ومن قطع الشوق بادر قبل زوال إمكان الظفر، فاجعل التيقظ واعظك، والتثبت وكيكك، والحذر منبهك، والمعرفة دليلك، والعلم قائدك، والصبر زمامك، والفرع إلى الله عز وجل عونك، ومن لم توسعه الدنيا غنى، ولا رفعة أهلها شرفاً، ولا الفقر فيها صفة فقد ارتفعت همته وعزفت عن الدنيا نفسه. من كانت نعمته السلامة من الآثام، ورجب إلى الله في حوادث فوائد لمريد نقل عن الدنيا بقلبه. ومن اشتد تفقده ما يضره في دينه وينفعه في آخرته، وذكر اطلاع الله إليه ومثل عظيم هول المطلع وأشفق مما يأتي به الخير فقد صدق الله في معاملته وحقق استعمال ما عرفه ربه. ومن قدم العزم لله على العمل بمحبته ووفاء لله بعزمه وجانب ما يعترض بقلبه من خطرات السوء ونوازع الفتن فقد حقق ما علم وراقب الله في أحواله، كهفه المريد وحرزه التقوى،

والاستعداد عونته وجنته التي يدفع بها آفات العوارض وصور النوازل. والحذر يورثه النجاة والسلامة، والصبر يورثه الرغبة والرغبة، وذكر كثرة سوائف الذنوب يورثه شدة الغم وطول الحزن، وعظم معرفته بكثرة آفات العوارض في الطاعات تورثه شدة الإشفاق من رد الإحسان<sup>٤٥٨</sup>.

ومن المراقبة الإخلاص والورع فقليل: المخلصون من الورعين هم الذين تفقدوا قلوبهم بالأعمال والنيات في كل أحوالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكونهم مواظبين للاستقامة المفترضة على طاعة الله، وله محافظين، ومن دخول الفساد عليهم مشفقين، فأورثهم الله مراقبته، فهناك تنتصب قلوبهم بمداومة المحافظة لنظر الله إليهم ونظره إلى سرائرهم وعلمه بحركاتهم وسكونهم فهناك تقف القلوب بعلم الله بهم في ذلك، فلم تبرز حركات الضمير إلى تحريك الجوارح إلا بالتحصيل والتمييز لقوله تعالى: {إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} <sup>٤٥٩</sup>. ولقوله سبحانه: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} <sup>٤٦٠</sup>. ما من عمل إلا والرقيب شاهد عليه فهو الذي لا تخفى عنه خافية فأينما تكون الله يعلمها في الأرض وفي السماوات العلاء كبيرة كانت أم صغيرة لا تخفى عن بصره ولا تغيب عن رقابته، وكل شيء في كتاب مبين.

والخليفة الذي يستوعب ما قيل عن المراقبة وعن الرقيب ويعلم أن الله رقيب شاهد بصير حافظ محصي مبدئي معيد حسيب عليّ كبير عظيم وغير ذلك من صفات ترتبط بالرقيب الذي لا تنتهي أدوات رقابته على الإنسان ومن هذه الأدوات ما أشرنا إليه قبل ذلك ونزيده في هذا المكان أن الرقابة لصيقة ولهذا يقول الله تعالى: {قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

<sup>٤٥٨</sup> حلية الأولياء ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

<sup>٤٥٩</sup> النساء ١ .

<sup>٤٦٠</sup> يونس ٦١ .

تَسْتَعْجِلُونَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ  
كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ  
وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}٤٦١.

ففي نفس الإنسان من الرقباء ما قد يغفل عنهم ومن مثل ذلك شهادة الجسم أو أجزاء منه على الإنسان كالرجل التي يستخدمها الإنسان في سعيه خيرا وشرا يقول الله تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ}٤٦٢.

ولأن الخليفة هو الأكثر مراقبة لله فهو الذي يوفي بالعهد الذي عاهد الله بني آدم عليه بعدم اتباع الشيطان وعدم السير في طريق الضلال لأن الله تعالى رقيب عليهم بعلمه الشامل وبما رصد من أدوات كلفها بمراقبة أعمال الإنسان يقول الله تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ}٤٦٣.

والعهد يتلخص في الخلافة الصحيحة المبنية على المنهج الذي أراده الله بالإصلاح والتعمير على كافة المستويات من أخلاق وعادات وتقاليد وتعليم واقتصاد وسياسة وزراعة وبناء للإنسان لأنه الثروة الحقيقية التي يجب الاهتمام بها، فما فائدة علم دون أخلاق؟ وما فائدة حضارة دون إنسان أنموذجي؟ ولذلك فلا جدوى إلا بمراقبة الإنسان الخليفة لأفعاله وأفعال الآخرين والتيقن أنها تصب في بناء الإنسان الذي يمثل الأداة الإلهية في تعمير الأرض، وعندما يخلق الإنسان النموذجي الجديد يمكن أن نقول أن الإنسان قد أوفى العهد مع الله لأنه

٤٦١ الذاريات ١٠، ٢١ .

٤٦٢ النور ٢٤، ٢٥ .

٤٦٣ يس، ٦٠، ٦٦ .



في هذه الحالة سيؤدي وباقتدار الدور الذي خلق من أجله وهو خلافة الله في الأرض انطلاقاً من فهم وعلم وإتقان ومراقبة لله في الله والله وفي نفسه ولنفسه وفي الأرض محل الخلافة بما ينفع، والبعد عما يضر نفسه والآخرين.

ومن تجليات الرقيب أنه سيجمع كل من كان في الأرض ليعمرها وذلك عندما يأخذ الله الجبال التي تثبت الأرض هنا يصبح الكل في حال كشف فتكون الأرض بارزة ظاهرة مستوية لا تخفي شيء ولا يستطيع أي مخلوق أن يختفي من الرقيب لأنه في هذا الموقف قد انتهت ولاية الإنسان على الأرض وحتى على نفسه ولأنه الرقيب الذي لا يغيب عليه وعنه شيء فقد جعل أعمال العباد مجموعة في كتاب حصر أعمالهم الصغيرة والكبيرة ولم يغادر أقل حركة أو سكنة أو كلمة أو خاطر قام به الإنسان وهذا لأنه سبحانه العادل الذي لا يظلم أحداً يقول الله تعالى: {وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَنَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا} ٤٦٤.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} ٤٦٥. ولأنه الرقيب المطلق فهو معنا أينما نكون (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) يراقبكم ويبصر أعمالكم وهو مالك ملك السماوات والأرض، لذا ترجع كل الأمور إليه وحده لا شريك له سبحانه عز وجل، ولأنه الرقيب فأكثر من ذلك إنه يعلم ما تكنه الصدور (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)، والعلم بالذات يعني علم بمكوناتها ونواياها وأفعالها التي تضرر عليها قبل أن تقدم على تنفيذها.

٤٦٤ الكهف، ٤٧ . ٤٩

٤٦٥ الحديد ٤ . ٦

قال تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِدَاتِ الصُّدُورِ}٤٦٦. التسبيح اعتراف إيماني بخالق عظيم وعلم بأمره رقيب مطلق لا تخفى عليه خافية، ولأنه رقيب عادل رحمن رحيم فالحمد له والشكر له رب عظيم. والتسبيح بذلك الاعتراف بالوحدانية والقدرة المطلقة يعني الطاعة التامة له واحدا أحدا لا شريك له في الأمر والملك، والمصير له فهو الخالق الباسط الرازق الذي يعلم ما يُسر ويعلن ما يُعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِدَاتِ الصُّدُورِ}٤٦٧.

فالرقيب هو الذي يعلم ما في السموات والأرض من الأمور الكلية والجزئية والأحوال الجلية والخفية، ويعلم ما يُسر وما يُعلن، أي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الأمور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لأنه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما قال في برهان القرآن إنما كرر ما في أول السورة لاختلاف تسبيح أهل الأرض وأهل السماء في الكثرة والقلة والبعد والقرب من المعصية والطاعة وكذلك اختلاف ما تسرون وما تعلنون فإنما ضدان ولم يكرر ما في السموات والأرض لأن الكل بالإضافة إلى علم الله جنس واحد لا يخفى عليه شيء، والله عليم بديات الصدور، أي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه. وإنما قيل لها ذات الصدور وصاحبها لملاستها لها وكونها مخزونة فيها ففي الآية ترقى من الأظهر إلى الأخفى لأنه عالم بما في السموات وما في الأرض وبما يصدر من بني آدم سرا وعلنا وبما لم يصدر بعد بل هو مكنون في الصدور وإظهار الجلال للإشعار بعلية الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم القدرة على العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته بالذات

٤٦٦ التغابن، ١ . ٤ .

٤٦٧ التغابن ٤ .

وعلى علمه بما فيها من الاتفاق والاختصاص ببعض الجهات الظاهرة مثل كون السماء في العلو والأرض في السفلى أو الباطنة.

قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} <sup>٤٦٨</sup>.

في هذه الآية تساؤل (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) أَلَا يَعْلَمُ الرقيب جل ثناؤه (مَنْ خَلَقَ) من خلقه؟ يقول: كيف يخفي عليه خلقه الذي خلق وَهُوَ اللَّطِيفُ بعباده، الْخَبِيرُ بهم وبأعمالهم وبكل أمر، والذي بفضلته جعل الأرض ذلولاً ممتلئة بالرزق الذي هو من فضل الله تعالى.

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} <sup>٤٦٩</sup>. بما انه عليم فبطبيعة الحال أن يكون رقيباً، ولأنه رقيب فبطبيعة الحال يكون عليماً، وعلمه بذات الصدور علم بالخفي فما بالك بالظاهر الذي يتمكن العباد من مراقبته والتعرف عليه.

وقوله تعالى: {وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} <sup>٤٧٠</sup>. ابتلاء الصدور بما فيها من أسرار لا يعلمها إلا الرقيب الذي يلم بكل ما فيها من كبيرة وصغيرة وبكل تفاصيلها من محبة أو كره وود أو حقد وسوء نية أو صفاء نية، والقلوب هي مكامن الأسرار التي تحس بالأثر الموجب المُفرح والأثر السالب المؤلم والمُحزن، ولذا عندما تحب أحد لا تجد مكاناً يليق به إلا القلب وأحاسيسه الراقية التي تحف من تحب بالمودة والصدق والوفاء، مما يجعل المحب مدخل للفرحة في القلوب. وهكذا أمر الحزن لا مكان له إلا القلب فعندما تفارق حبيب يؤلمك في قلبك ولا يؤلمك في رأسك، وعلينا أن نتذكر عندما نفرح وعندما نحزن لو وضعنا يدينا على صدرنا لأحسنا بمكان ومكانة من نفرح أو بمن نحزن.

<sup>٤٦٨</sup> الملك، ١٤، ١٥.

<sup>٤٦٩</sup> آل عمران ١١٩.

<sup>٤٧٠</sup> آل عمران ١٥٤.

قال تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} <sup>٤٧١</sup>. ثني الصدر تغليفه بما ليس حق، مما يجعل صاحبه يظهر ما لا يخفي فيحجب حقيقته عن الأمر الواقع، والذي يثني صدره غافل عن الرقيب الذي لا يغفل عن شيء ظاهر أو كامن سبحانه علام الغيوب عالم ما في السموات والأرض وما تكنه الصدور أو تخفيه.

(ألا إنهم ينتنون صدورهم) قيل: في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: "أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحلف إنه ليحبّه، ويضمر خلاف ما يُظهر له، فنزلت فيه هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يُفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء، فنزلت فيهم هذه الآية رواه محمد بن عباد عن ابن عباس.

والثالث: أنها نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثني صدره وظهره وطأ رأسه وغطى وجهه لئلا يراه رسول الله، قاله عبد الله بن شداد.

والرابع: أن طائفة من المشركين قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشنا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، كيف يعلم بنا؟ فأخبر الله عما كتموا، ذكر زجاج.

والخامس: أنها نزلت في قوم كانوا لشدة عداوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا منه القرآن حنوا صدورهم، ونكسوا رؤوسهم، وتغشوا ثيابهم ليبعد عنهم صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل اسماعهم شيء من القرآن، ذكره ابن الأنباري <sup>٤٧٢</sup>.

وفي قوله تعالى: {ينتنون صدورهم} المشركون يضمرون في صدورهم الكفر ظناً منهم أنه يخفى على الله ما تضرره نفوسهم <sup>٤٧٣</sup> وفي هذا الأمر خمسة أقوال:

<sup>٤٧١</sup> هود ١ . ٥ .

<sup>٤٧٢</sup> زاد المسير، ج ٤، ص ٧٧.

أحدها: "يكتمون ما فيها من العداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: يثنون صدورهم على الكفر، قاله مجاهد.

والثالث: يثنونها لئلا يسمعوا كتاب الله، قاله قتادة.

والرابع: يثنونها إذا ناجى بعضهم بعضاً في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله ابن زيد.

والخامس: يثنونها حياءً من الله تعالى، وهو يخرج على ما حكينا عن ابن عباس<sup>٤٧٤</sup>.

وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}<sup>٤٧٥</sup>.

وقوله تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}<sup>٤٧٦</sup>. جميع الآيات الكريمة تؤكد علمه المطلق بما يظن البعض انه لا يعلمه، وهذا الأمر يدل على سذاجة التفكير لدى البعض من العباد ولذلك فإن بعض الظن إثماً، {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}<sup>٤٧٧</sup>.

وعليه أتساءل:

. هل يمكن لأحد أن يعلم بالشيء إن لم يكن الشيء موجوداً؟ وهل يمكن للشيء أن يكون لو لم يكن سابقاً على وجوده من بيده أمر الكينونة (كن) فيكون؟ وهل يمكن أن يكون هو كما هو لو لم يكن عليه رقيب عتيد؟.

<sup>٤٧٣</sup> التفسير الميسر، ج ٣، ص ٤٨٦

<sup>٤٧٤</sup> زاد المسير، ج ٤، ص ٧٨.

<sup>٤٧٥</sup> فاطر ٣٨.

<sup>٤٧٦</sup> الزمر ٧.

<sup>٤٧٧</sup> يونس، ٣٥، ٣٦.

. هل يمكن لأحد أن يدرك إن لم يكن له عقل سليم؟. وهل يمكن للعقل أن يترك سدى لا رقيب عليه؟. أم أن العقل من مكوناته وملكاته الذاتية الرقابة التي تمكن من التمييز بين ما يجب وبين ما لا يجب؟ وإذا سلمنا بذلك، إلا يكون من الصواب أن نبتعد ونجتنب عما يجب تجنبه والانتفاء عنه وأن نقدم على ما يجب أن يكون؟ إذا سلمنا بذلك جدلاً، إلا يحق للخليفة أن يراقب نفسه حتى لا تخطئ أو تتحرف عن أداء ما يجب وتبتعد عما يجب الابتعاد عنه؟ وإذا سلمنا بذلك جدلاً، إلا يحق للعقلاء أن يرعوا غير العقلاء حفظاً على النوع وحفظاً على مكارم الأخلاق؟.

. هل يمكن للإنسان أن يرى لو لم يكن بصيراً؟. الرؤية قد تكون عينية وقد تكون إدراك حقيقة بخبر لا شك فيه، ومع ذلك فالتبني سيد الأحكام. وبذلك ألا تكون العقول قادرة على التقصي والتتبع الواعي والبحث في أغوار الأشياء حتى تدرك كنهها؟. ألا يكون الكافر والمشرك بالحقيقة كافر بالحق المطلق؟. إذا كانت الإجابة بنعم، ألا يكون من يكفر بالحق المطلق مفسداً في الأرض؟. إذا كان كذلك ألا يكون من يفسد في الأرض يشكل خطراً على العباد؟ إذا كان كذلك إلا تكون مراقبته ضرورة حفظاً على النوع البشري؟ إذا لم ينته ألا يكون عقابه حق يستوجب الإحراق؟

. ألا يكون العقل شيئاً لا يوصف ولا يشاهد وبه تدرك الأشياء القابلة للمشاهدة والملاحظة. إذا كانت الإجابة بنعم، ألا يكون العقل أفضل ما نملك؟ وإذا كان كذلك ألا يحق لنا أن نتساءل: بما أنه الأفضل الذي به تدرك الأشياء المادية والروحية أو المعنوية، إذا كان الأمر كذلك ألا نكون قد سلمنا بوجود ما هو مادي قابل للمشاهدة البصرية وما هو غير مادي لا يقبل للمشاهدة المادية، إذا سلمنا بذلك إلا نسلم بوجود مطلق يدرك ولا يشاهد؟ وإذا سلمنا به ألا نسلم برقابته علينا وعلى ما نقول ونعمل أو نفعل وما نُظهر وما نكن ونخفي في صدورنا؟.

. ألا يكون الإنسان العاقل قدراً على أن يميز بين الحق والباطل؟ بما انه يكون بدون شك، فلما لا يميز؟ ألا يكون ما تكنه الصدور وتثني عليه انسحاباً بدل الإقدام على إحراق الحق وإزهاق الباطل.

كل التساؤلات السابقة تحمل إجاباتها فيها فمن يدرك الحق يدركها ومن غفل عنه غفل عن الحقيقة. ومن يغفل عنها جهل وظل، ومن أدركها اهتدى سبل الرشاد.

فالتساؤلات السابقة مبنية على الآيات الكريمة السابقة عليها، التي تؤكد حق الرقابة لأجل ترسيخ ما يجب من حق وتجنب ما لا يجب من باطل، ولذا فالرقيب المطلق هو الله سبحانه وتعالى، والرقيب بالإضافة هو الخليفة الذي أدرك الحق واتبعه قال تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}٤٧٨. ولأن الكمال للرقيب المطلق وحده لا شريك له، فالرقيب بالإضافة ليس بكامل ولذا فهو في حاجة لمن يغفر له إن أدرك الحق واتبعه فكان فضل الرقيب المطلق واسع الرحمة ومجيب الدعاء فالحمد له وحده لا شريك له. وعليه: {أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَفِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَاسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}٤٧٩. جاء أمر التسليم من الخليفة الذي اصطفاه الرقيب المطلق ليكون شهيدا (رقيبا) عليهم ويكونوا هم شهداء على الناس ولذلك فأمة الإسلام هي الأمة الوسط التي جاء موقعها بين شهادة رسول الله عليها وبين شهادتها على الناس، وأمة وسط هي أمة العدل التي لا تظلم أحدا، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

٤٧٨ البقرة، ٢٨٤.

٤٧٩ البقرة، ٢٨٥، ٢٨٦.

لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ<sup>٤٨٠</sup>. ويكون الرسول عليكم شهيدا ليراقبكم فيما أمرتم بإتباعه، وتكونوا انتم شهداء لتراقبوا بعد أن تعملوا على هداية الناس أن تراقبهم فيما يعملوا لتصححوا لهم الأخطاء وتعلموهم وتؤمموهم تجاه الحق، وتصلحوا ما استطعتم والصلح خير، وقولوا (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) وقال تعالى: {وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهَا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ<sup>٤٨١</sup>} ولذا فعليكم بقول الحق فالرقيب المطلق لا تخفى عليه خافية ومن اعترف بذنبه وكفر عنه يجد الله عفورا رحيفا وما ربك بظلام للعبيد.

والجملة الكريمة صريحة في أن الله - تعالى - يحاسب العباد على نياتهم وما تكسبه قلوبهم سواء أخفوه أم أظهروه .

وقد بين المحققون من العلماء أن هذه المحاسبة إنما تكون على ما يعزم عليه الإنسان وينويه ويصر على فعله، سواء أنفذ ما اعترم عليه أم حالت دونه حوائل خارجة عن إرادته: كمن عزم على السرقة واتخذ الوسائل لذلك ولكن لم يستطع التنفيذ لأسباب لم يتمكن معها من السرقة التي أصر عليها، وبهذا الخصوص أعرض قصة سرقة الليمونة مع أنها لا زالت في الشجرة. سرقت الليمونة مع أنها لا زالت في الشجرة:

قرر مجموعة من اللصوص سرقة الليمونة من الشجرة، كل وفق الفرصة التي تمكنه من النجاة بها.

فالأول قرر السرقة ونفذ قراره. وقبض عليه متلبسا في حالة سرقة وجُرم وفق القانون.

والثاني قرر السرقة ولكنه لم ينفذ قراره، وبالتالي لم يتهم بالسرقة. ولكن بما أنه قرر سرقة الليمونة وهو عاقل، ألا يعد بالنسبة للعقل سارقا؟ مضمون القصة هنا تأثر بالزمن وحدث المتغيرات. أنه قرر السرقة والوقت كان منتصف النهار تقريبا، وفي قراره أنه سيسرق الليمونة في الليل، وعندما جاء المساء علم بأن الأول قد قبض عليه أثناء قيامه بسرقة الليمونة

<sup>٤٨٠</sup> البقرة، ١٤٣، ١٤٤.

<sup>٤٨١</sup> البقرة ٢٨٤.



المستهدفة، وبالتالي الليمونة التي يود سرقتها قد سرقت، مما جعله لا ينفذ قراره، لا لتقوى ومخافة الله، بل لأن الفرصة قد ضاعت بالنسبة له. انه في هذه الحالة ووفق المدركات العقلية مثله مثل السارق الذي قبض عليه، مع أنه لم يتهم بالسرقة لعدم قيامه بها. ولا فرق في هذه الحالة بين السارق الأول والثاني، إلا أن الأول قد نفذ قراره ولم ينج، والثاني لم تتح له فرصة التنفيذ فنجاً من القبض، وقد يعتقد البعض أنه خال من عيوب السرقة. ولكن لو لم ينفذ الأول قراره في ذلك اليوم، يجوز أن يكون الثاني هو السارق الذي قبض عليه.

أما الثالث فهو الذي قرر سرقة الليمونة من شجرة الجيران، وفق خطة تتضمن بدائل لتنفيذ عملية السرقة. الخطوة الأولى: يقوم بسرقة الليمونة عندما يكون جيرانه خارج المنزل، وهذه تتطلب منه مراقبة الجيران عند خروجهم من المنزل. والبديل الثاني: إذا لم يخرج الجيران جميعهم من المنزل قرر أن يكون علاقة مع الحارس والكلب الذي قد يعيقه أثناء تنفيذه قرار السرقة. والبديل الثالث: أن يقتل الحارس والكلب.

كل هذه العملية الحسابية عملية عقلية، وغير عفوية، لأنها وفق خطة وإصرار على دخول المخاطرة، وب عقل مدبر. وما التنفيذ إلا خطوة من خطوات الخطة، ولهذا لم تكن المشكلة في فعل السرقة، بل المشكلة في العقل الذي قرر السرقة ووضع لها خطة. وعليه ينبغي أن يستهدف العلاج العقل.

والرابع قرر سرقة الليمونة، ولكنه تراجع نتيجة خوفه من أن يقبض عليه. في هذه الحالة لا يختلف عن سابقه فهو لم يخف الله بل خاف القبض عليه. أنه سارق ولكن الخوف حال بينه وبين ارتكاب فعل السرقة. لم تمنعه الأخلاق، ولا القيم والأعراف، ولا الدين، بل شيء آخر أنتج الخوف. انه العقل المدبر الذي يقرر، ويخطط، ويغير قراراته وخطته وفق المواقف والظروف والمتغيرات الطارئة.

تعد الليمونة في كل الحالات مسروقة، وتعتبر سرقت منذ أن اتخذ قرار سرقتها، وما التنفيذ إلا خطوة لاحقة لذلك. هذه القصة تذكرني بقصة أخرى بعنوان ذبح الخروف ليلاً وأصبح بخير:

## ذبح الخروف ليلا وأصبح بخير

حضر الضيف إلى المدينة، واتصل بصديقه من الفندق، ليبلغه بوصوله، فدعا الصديق المقيم صديقه الزائر إلى وجبة الغذاء ليوم الغد. وقرر ذبح الخروف الذي اشتراه يوم أمس لهذه الضيافة. وصدر قرار ذبح الخروف ليلا، على أن ينفذ صباحا لتتمكن الزوجة من إعداد وجبة الغذاء في وقتها المناسب. في هذه الحالة يعد الخروف مذبوحا وفقا لقرار ذبحه، سواء بالنسبة للخروف أو لمالكه، ولكن من الناحية التنفيذية لازال الخروف على قيد الحياة. إن التنفيذ في حقيقته ما هو إلا تأكيد على اتخاذ القرار.

في الصباح الباكر اتصل الصديق الزائر بصديقه يعتذر له على عدم حضوره وجبة الغذاء التي اتفقا عليها نتيجة ظروف طارئة اضطرته إلى المغادرة في الحال. انه متغير تابع أثر على تنفيذ القرار المتخذ بشأن ذبح الخروف. وعليه مع أن العقل قد قرر ذبح الخروف، إلا أن الظروف جعلته لا يزال حيا، ولهذا ذبح الخروف ليلا وأصبح بخير<sup>٤٨٢</sup>.

قال الفخر الرازي: الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين: فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه ويعزم على إدخاله في الوجود، ومنها ما لا يكون كذلك، بل تكون أمورا خاطرة بالبال مع أن الإنسان يكرهها ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس. فالقسم الأول يكون مؤاخذاً به.

والثاني لا يكون مؤاخذاً به، ألا ترى إلى قوله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ}<sup>٤٨٣</sup> وقال الألويسي: المؤاخذة على تصميم العزم على إيقاع المعصية في الأعيان وهو من الكيفيات النفسانية التي تلحق بالملكات، وليس كذلك سائر ما يحدث في النفس أي من خواطر لا تصميم ولا عزم معها<sup>٤٨٤</sup>.

<sup>٤٨٢</sup> عقيل حسين عقيل، سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي. مالطا، شركة الجأ، ١٩٩٧، ص ،

.٢٨

<sup>٤٨٣</sup> البقرة ٢٢٥.

<sup>٤٨٤</sup> الوسيط لسيد طنطاوي ، ج ١ ، ص ٥٣٠،

وجاء في تفسير الآيات أيضاً، قوله عز وجل: (لله ما في السموات وما في الأرض) ملكاً وأهلها له عبيد وهو مالكمهم (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها، والمؤاخظة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق: وأجيب عن هذا بأن الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه ويعزم على إظهاره إلى الوجود، فهذا مما يؤخذ الإنسان به. والقسم الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكره ولا يعزم على فعله ولا إظهار إلى الوجود فهذا مغفو عنه بدليل قوله تعالى: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وقال قوم: إن هذه الآية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم: هي متصلة بالآية التي قبلها وإنما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الآية (وإن تبدوا ما في أنفسكم) أيها الشهود من كتمان الشهادة أي تخفوه أي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف، لأن اللفظ هام وإن كان وارداً عقيب قضية فلم يلزم صرفه إليها. وقال بعضهم: إن الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى: وإن تبدوا أي تظهروا ما في أنفسكم يعني من ولاية الكفار أو تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله.

عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله). اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا فلما اقتراها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في أثرها: {أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} <sup>٤٨٥</sup> ثم جاء التيسير بقوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ  
وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} ٤٨٦.

وأخيرا فيجب أن نراقب الله في أنفسنا وفي الآخرين ونعلم أننا لا نستطيع أن نستخفي من الله  
لأنه معنا في أي مكان وزمان يقول الله تعالى: {وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا  
تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا  
يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ  
مُحِيطًا} ٤٨٧.

فسبحان الله الرقيب الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم الذي يحيط علمه بنا في الظاهر  
والباطن في السر والعلن في الليل والنهار وهو السميع البصير.

الرقيب هو الذي لا يغفل ولا يغيب ولا يتأخر عن مهمة الرقابة أو المراقبة، ورقيب تعني  
الاستمرارية المتصلة دون انقطاع وتدل على الدقة المتناهية والوعي الكامل بأمر من وضع  
تحت المراقبة، ورقابة الله تعالى بعباده متصلة مع الحياة والحركة والسكون ولهذا فللرقيب  
المطلق جنود يعملون تحت أمره يسجلون عن اليمين والشمال ويحفظون خلفائه في الأرض  
ويشهدون عليهم وما ربك بظلام للعبيد. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ  
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} ٤٨٨،  
وقال تعالى: {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ  
إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} ٤٨٩.

اللهم إنك الرقيب الذي لا تأخذه سنة ولا نوم { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا  
فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ

٤٨٦ البقرة، ٢٨٦.

٤٨٧ النساء ١٠٦ . ١٠٨ .

٤٨٨ الفتح ٤ .

٤٨٩ المدثر، ٣١ .

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ<sup>٤٩٠</sup> اجعلنا يا رقيب تحت رقابتك محفوظين مما يعمله لنا شياطين الجن والإنس وأحطنا بعنايتك وحفظك.

اللهم يا الرقيب إننا نؤمن بك واحداً واحداً ولا نشرك بك شيئاً ونؤمن بثوابك ونرتقبه فلا تجعلنا خائبين، ونؤمن بعقابك فنخشاك ونتقيك فجنبه عنا إنك أنت الرحمن الرحيم.

اللهم يا الرقيب اجعلنا على الفطنة كي لا نغتر واجعلنا على الطاعة كي لا نعصي، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم يا الرقيب اجعلنا وآبائنا وأولادنا ونسائنا وإخوتنا تحت رعايتك مسلمين خاشعين لك طائعين وألحقنا بالصالحين الأبرار الذين بروا بما وعدوا من الاستقامة على هذا الإيمان إلى أن قبضتهم إليك وأنت راض عنهم. (وأتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) اللهم ارحمنا ولا تعذبنا، ووقفنا، فإنه لا ملجأ لنا إلا إليك، ولا معول لنا إلا عليك.

اللهم إنك الرقيب لا تخفى عليك خافية فطهر أنفسنا من ضعفها وطهرها من وساوس الشيطان، اللهم يا الرقيب اجعل بيننا وبين الحفظة المكلفين بنا خير علاقة واجعلنا من الذين تقلت موازينهم ولا تجعلنا من الخاسرين الذين خفت موازينهم.

اللهم يا الرقيب لا ملجأ لنا إلا إليك، ولا معول لنا إلا عليك ولا حافظ ولا نافع ولا رؤوف وغفور إلا أنت لا إله إلا أنت سبحانك.

اللهم يا رقيب ارحمنا وأكرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا إنك على كل شيء قدير.

<sup>٤٩٠</sup> الأنعام .٥٩

## المجيب

المجيب "هو الذي يقال مسألة السائلين بالإسعاف ودعاء الداعين بالإجابة وضرورة المضطرين بالكفاية بل ينعم قبل النداء ويتفضل قبل الدعاء وليس ذلك إلا لله عز وعل فإنه يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم وقد علمها في الأزل فدبر أسباب كفاية الحاجات بخلق الأطعمة والأقوات وتيسير الأسباب والآلات الموصلة إلى جميع المهمات"<sup>٤٩١</sup>.

المجيب "من أسمائه تعالى (المجيب) لدعوة الداعين وسؤال السائلين وعبادة المستجيبين"<sup>٤٩٢</sup>.  
المجيب هو الذي يسأل فيجيب دون منة، ولا مجيب بالمطلق إلا مالك الملك المطلق. والمجيب هو السميع الذي يدرك الأمر وما يتعلق به من حاجة فيستجيب إليها والمجيب هو السريع في الإجابة مصداقا لقوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}<sup>٤٩٣</sup> فالفعل قريب يتعهد الإجابة الفورية لمن استجاب لله دون سواه.

أما الاستجابة فهي في حق العبد الذي لم يعرف الحقيقة بعد فيمر بزمان الانتظار المشروط بالاستجابة التي لما يصل إليها يدعو الله، حينها يكون الله هو المجيب وليس المستجيب،

<sup>٤٩١</sup> المقصد الأسنى، ج ١، ص ١١٨.

<sup>٤٩٢</sup> شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، ج ١، ص ٦٢.

<sup>٤٩٣</sup> البقرة ١٨٦.

مصدقًا لقوله تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ} الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ٤٩٤ ولأنه العليم بالشيء وأسبابه والحاجة ومشبعاتها من ملكه، قال تعالى: {وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} ٤٩٥. الدابة البرية ترعى فيما استجاب إليها الله به فهي لا تملك أن تنتج ولا تزرع ولا تمتلك بذور الزرع ولا تخرج الماء من بطن الأرض كما يفعل الذي خلقه تعالى في أحسن تقويم، ومع ذلك المجيب يرزقها بما يشبع حاجتها للماء والطعام سبحانه جل جلاله.

وقال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} ٤٩٦.

وقال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ٤٩٧. المجيب لا يجيب إلا بما يفيد وفقا لما يراه من حق وعدل، فالقرية التي ضرب بها الله مثلا كانت آمنة مطمئنة بما آتاها الله من رزق مفيد ونافع وغير منقوص، ولما كفرت به وبنعمه جاء الحق بما عملت أيديهم من فساد في الأرض، خاصة وأن الله قد انذرهم برسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب بظلمهم، وفي هذا درس وحكمة لبني آدم ليعلموا أن المجيب هو محق الحق ومزهق الباطل قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

٤٩٤ آل عمران ١٧٢، ١٧٣.

٤٩٥ العنكبوت ٦٠.

٤٩٦ هود ٦.

٤٩٧ النحل، ١١٢، ١١٤.

وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ  
أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ  
الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ<sup>٤٩٨</sup>.

المجيب جل وعلا هو الذي يسمع الظاهر والباطن من الدعاء، فهو الذي يسمع الملفوظ من  
دعاء العباد و يحثهم عليه ليجيبهم فيقول: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ  
مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ<sup>٤٩٩</sup>، وإن لم ينطق العبد استجاب الرحمن لما في صدره  
فهو الذي يعلم المكنون في الصدور: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ  
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ<sup>٥٠٠</sup>، وعلمه سبحانه  
كلي مطلق شامل وسمع الدعاء من علمه بالباطن، فلا يشترط لفظ القول في ما يدعو  
الإنسان به ربه لأنه عليم بذات الصدور: {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ<sup>٥٠١</sup>، فهو السميع الذي لا تخفى عليه خافية: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ  
فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَعُوا كِتَابِيهِ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ فَهُوَ فِي  
عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَأَمَّا  
مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ يَا لَيْتَنِي كَانَتِ  
الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ خُدُوهُ فَغَلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ  
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ  
الْمِسْكِينِ<sup>٥٠٢</sup>.

<sup>٤٩٨</sup> الأنبياء ١٦ . ٢٢ .

<sup>٤٩٩</sup> غافر ٦٥ ، ٦٦ .

<sup>٥٠٠</sup> ق، ١٦ ، ١٧ .

<sup>٥٠١</sup> الملك ١٣ .

<sup>٥٠٢</sup> الحاقة ١٧ . ٣٤ .



والمجيب دائم الإجابة لا يمل ولا يبخل فهو الكريم، لان إجابته مطلقة نص عليها سبحانه مشروطة بالدعاء ظاهراً كان أم خفياً: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} ٥٠٣، وفي هذه الآية الكريمة نشعر بكرمه سبحانه إذ جعل الإطلاق صفتها الأساسية، فليس هناك تحديد للدعاء، فأنت تستطيع أن تدعو المجيب بكل ما تريد وما تشتهي نفسك، وإذا سأل السائل عن دعوة تخالف مرضاة الله؟ فالإجابة تكون بقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} ٥٠٤، أما الكلام غير الصالح فانه لا يرقى إلى ملكوته عز وجل، والذين يمكرون السيئات لا يغفل عنهم فلهم العذاب الشديد فهؤلاء يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} ٥٠٥.

فللعبد أن يدعو الله في الحاجة الواحدة ما يشاء من الدعاء، وفي كثرة الحاجات فوق ذلك. كما أنه من كرمه لم يحدد نوع الدعاء المطلوب لتحقيق الإجابة لأنه يعلم بعلمه أن بين عباده المتمكن من القول بدرجات البلاغة والفصاحة والبيان، ومنهم الأمي الذي لا يعرف من القول إلا ما سمع من غيره وكل ذلك مقبول عنده مرضي من جلاله: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} ٥٠٦. الحديث موجه للخليفة الذي لا يدعو مع الله إليها آخر، ولأن الأعمال بالنيات فأيا ما يدعو له الاسماء الحسنى، وأيا ما يدعوها تكون الإجابة.

٥٠٣ غافر ٦٠.

٥٠٤ فاطر ١٠، ١١.

٥٠٥ الأنفال ٣٠.

٥٠٦ الإسراء ١١٠.

وكما الدعاء مطلق فالإجابة مطلقة تتبع إرادته سبحانه، فهي فورية أحياناً لا تأخير فيها وذلك عندما يكون الدعاء بقصدٍ مخصوص كما في دعاء سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} <sup>٥٠٧</sup>، سأل عيسى عليه الصلاة والسلام ربه فكانت الإجابة فورية لان الدعاء كان لغرض إلزام الحجة التي يجب أن تكون قاطعة لا لبس فيها. وسؤال عيسى يقيني بأنه مجيب وظن الآخرين فيه شك فكانت الإجابة يقينا كما رآها عيسى يقينا. وهكذا يكون الخليفة أبداً، مؤمناً بأنه المجيب، أي بطبيعة الحال بما أنه المجيب لابد وان يجيب فهذه من صفاته، وإنه لمن الغرابة أن يؤمن الإنسان بأنه المجيب ويظن في دعائه إليه بين شك ويقين، استغفر الله دائماً من يدعوه دون شكٍ يجده أسرع المجيبين، قال تعالى: {وَتُوحَا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} <sup>٥٠٨</sup>، وقال تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ} <sup>٥٠٩</sup>، وقال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ

<sup>٥٠٧</sup> المائدة ١١٤، ١١٥.

<sup>٥٠٨</sup> الأنبياء ٧٦ . ٨١.

<sup>٥٠٩</sup> الأنبياء ٨٣، ٨٤.

كَأَنَّهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَأَنَّا لَنَا خَاشِعِينَ<sup>٥١٠</sup>. ما أجمل كلمة (فاستجبنا) المعبرة عن الالتزام مع أمره كن فيكون فهي ليست استعجاليه بل هي المتلازمة مع الأمر كن، ولذا تتكون من معطيات القوة التي ترتبط بقوة المجيب دون تردد وذلك لارتباط قوة السائل بالمجيب دون شك وتردد.

وللإجابة الفورية شرط أساس هو الإخلاص التام في الدعاء والانقطاع إلى الله عز وجل دون غيره، وأمثلة القران المؤكدة لذلك عديدة منها قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>٥١١</sup>، ولأن الإنسان في الحياة الدنيا هو محل اختبار في كل ما يقول ويفعل ولأن الله يمهل ولا يهمل فالله يجيب دعاء السائل المحتاج إليه حين السؤال ليبين له أنه المجيب المطلق فإن آمن كان خيرا له وأن ارتد أو كفر فله عذاب اليم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالذِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ<sup>٥١٢</sup>.

فالإخلاص في الدعاء أنجى هؤلاء ومثلهم كثير مع معرفته سبحانه بأنهم سيعودون إلى سابق عهدهم في النكران ولكنه سبحانه يريد أن يفهم خليفة الله في الأرض أن الإخلاص له مكانة عالية ودرجة رفيعة يجب أن يثاب عليه المخلص، قال تعالى: {عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ

<sup>٥١٠</sup> الأنبياء ٨٧ . ٩٠.

<sup>٥١١</sup> يونس ٢٢ ، ٢٣.

<sup>٥١٢</sup> الانفطار ٦ . ١٩.

عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا<sup>٥١٣</sup>. الله جل جلاله يريد بالإنسان خيرا ولهذا خلقه في أحسن تقويم، ولكن بعض من بني الإنسان يريدون الحياة الدنيا على حساب الآخرة فمثل هؤلاء ليس لهم في الآخرة من نصيب، قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا<sup>٥١٤</sup>.

والتوحيد الخالص المطلق الذي يجعل الإنسان مع ربه الكريم فقط ودون غيره مع التيقن بالإجابة من دواعي الإجابة الفورية: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا<sup>٥١٥</sup>.

وقد تكون إجابة المجيب سبحانه أجنبية أي بأجل مخصوص كما في إجابة دعاء سيدنا أيوب على عظمة عبادته وإخلاصه كما يصفه عز وجل في كتابه العزيز: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ هَذَا فَلْيُدْوِفُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ

<sup>٥١٣</sup> الإسراء ٨ . ١١ .

<sup>٥١٤</sup> الإسراء، ١٨ . ٢١ .

<sup>٥١٥</sup> الاسراء، ٦٧ .

صَالُوا النَّارِ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبئْسَ الْقَرَارُ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا  
فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ} <sup>٥١٦</sup>.

وربما لنا أن نقف مع هذه الإجابة ونتساءل: إذا كان أيوب عليه الصلاة والسلام كما وصفه  
الله تعالى من العبادة والصبر والإيمان فلم تأخر في دعوته حتى يستجيب الله له؟  
لأنه يعلم بأنه نبي.

لأنه يعلم أن لا قدرة على الصبر إلا عند الصالحين.

لأنه يعلم أن في ذلك أجرا عظيما.

لأنه يعلم أن في الصبر عبادة.

وذلك لعلمه بأن الله مجيب، ولذا عندما حان وقت الدعاء دعا فكانت الإجابة.

قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} <sup>٥١٧</sup>، لان ما مر به أيوب  
بمثابة الدرس لخليفة الله ليأخذ من قصته العبرة التي تعينه في القيام بأمر الخلافة، وأيوب  
صلى الله عليه وسلم كان ممن خصه الله تعالى بأنواع البلاء وهو غير مغضوب عليه،  
والمقصود من جميع هذه القصص الحكمة والاعتبار. كأن الله تعالى قال: يا محمد اصبر  
على سفاهة قومك فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمة ومالاً وجاهاً من داود وسليمان عليهما  
الصلاة والسلام، وما كان أكثر بلاء ومحنة من أيوب عليه الصلاة والسلام، فتأمل في أحوال  
هؤلاء لتعرف أن أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد، وأن العاقل المؤمن لا بد له من الصبر على  
المكاره، واعلم أنه كان قد حصل عنده نوعان من المكروه: الغم الشديد بسبب زوال الخيرات  
وحصول المكروهات، والألم الشديد في الجسم ولما حصل هذان النوعان لا جرم، ذكر الله  
تعالى لفظين وهما النَّصَب والعذاب، وقد روي أن إبليس سأل ربه، فقال هل في عبيدك من لو  
سلطتني عليه يمتنع مني؟ فقال الله تعالى: نعم عبيدي أيوب، فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى  
إبليس عياناً ولا يلتفت إليه، فقال: يا رب إنه قد امتنع علي فسلطني على ماله، وكان يجيئه

<sup>٥١٦</sup> ص، ٤٤ . ٦١ .

<sup>٥١٧</sup> العنكبوت، ٤٣ .

ويقول له: هلك من مالك كذا وكذا، فيقول الله أعطى والله أخذ، ثم يحمد الله، فقال: يا رب إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده، فجاء وزلزل الدار فهلك أولاده بالكلية، فجاءه وأخبره به فلم يلتفت إليه، فقال يا رب لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده، فأذن فيه، فنفخ في جلد أيوب، وحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه، فمكث في ذلك البلاء سنين، حتى صار بحيث استقدره أهل بلده، فخرج إلى الصحراء وما كان يقرب منه أحد، فجاء الشيطان إلى امرأته، وقال لو أن زوجك استعان بي لخلصته من هذا البلاء، فذكرت المرأة ذلك لزوجها، فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة، وعند هذه الواقعة قال: {وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْجُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مِغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} <sup>٥١٨</sup> فأجاب الله دعاءه ، فأظهر الله من تحت رجله عيناً باردة طيبة فاغتسل منها، فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه، ورد عليه أهله وماله <sup>٥١٩</sup>.

فهذه الآية وأخواتها في الكتاب الحكيم تبين لنا ولغيرنا صبر أيوب عليه الصلاة والسلام فلا نعبد الله على حرف: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} <sup>٥٢٠</sup>، وبهذا المثل يتبين أن ليس تأخير إجابة الدعاء دليلاً للإنكار وإنما تكون هذه الأمثال دليلاً على الوجود، وتبيان قوة الإيمان لدى المستخلف بالاصطفاء ليكون الخليفة من بعده مقتدياً بأمر الطاعة للمجيب المطلق.

وقد تكون الإجابة إجابة تدبير لان المجيب هو المدبر، فربما دعا إنسان ربه طلباً للمال مثلاً فان الإجابة تكون بالتدبير كأن يسهل الله لهذا العبد عملاً من الأعمال وبيارك له فيه وهكذا يجيب المدبر: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ

<sup>٥١٨</sup> ص، ٤١، ٤٢.

<sup>٥١٩</sup> تفسير الرازي، ج ١٣، ص ١٩٧.

<sup>٥٢٠</sup> الحج ١١.

الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} ٥٢١.

ومن كرمه سبحانه أنه يجيب المحتاج مثل سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} ٥٢٢، في قوله: {فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} الخليفة موسى عليه الصلاة والسلام يشكر ربه على عطائه واستجابته له، ويقر إنه لا غنا عنه في أي إجابة بل كل ما يجيب المجيب جل جلاله تزداد الحاجة إليه إثباتا. والحاجة التي يلبسها المجيب سبحانه لا تكون بالضرورة حاجة مادية كالجمال أو الطعام فربما تكون حاجة معنوية كالصحة والشفاء قال تعالى: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى} ٥٢٣، أو السلطان أو الحكم: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} ٥٢٤، أو الذرية وهي من الحاجات التي جبل الله العباد على حبها، فما من بشر إلا ورغب في ذرية على ما فيها من نصب وعناء في الإنفاق والرعاية لكنها سنة الله في خلقه ليكون من بعد الخليفة خليفة، وقد طلب هذه الحاجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ

٥٢١ يونس، ٣٢، ٣١.

٥٢٢ القصص، ٢٣، ٢٥.

٥٢٣ طه، ٢٥، ٣٧.

٥٢٤ ص، ٣٥.

نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ  
فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} <sup>٥٢٥</sup>، وطلبها زكريا عليه الصلاة والسلام: {وَزَكَرِيَّا  
إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} <sup>٥٢٦</sup>، وهذه الحاجات هي الدنيوية وعلى  
العبد أن يدعو لحاجته الأخروية فلا يجعل كل دعائه للدنيا كما يأمرنا المجيب: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ  
مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا  
لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا  
عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} <sup>٥٢٧</sup>.

وغير المحتاج إجابته واقعة بإذن الله وليس المقصود بغير المحتاج أنه الغني عن المجيب،  
فلا مخلوق من بشر وشجر وحيوان وأفلاك ونجوم غنى عن الله سبحانه فكل المخلوقات فقيرة  
ومحتاجة إلى الله وإنما المقصود من يمتلك عونا ماديا يجعله في واسع أمره كأن يملك المال  
فله أن يطلب مزيد، وإذا أمتلك القوة والصحة فله طلب المزيد وإذا رزق بالبنين فله أن يطلب  
مزيد، يقول المولى سبحانه: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي  
لَشَدِيدٌ} <sup>٥٢٨</sup>، وفي هذه المسألة أمور مهمة أولى بنا إن نقف عليها للإجابة عن سؤال لماذا  
يدعو غير المحتاج؟ ولماذا يجيب الله سبحانه دعوته؟.

غير المحتاج يدعو الله لعلمه إن ما أعطاه إياه هو فضل منه، ولذا فإن الاعتراف بالفضل  
اعتراف بالحق الذي لا يكون إلا من مجيب، ولهذا تكون الزيادة مرضاة من السميع المجيب،  
أما دعوة المحتاج فتكون أحيانا للضرورة أي للحاجة وبالتالي ليس دائما كل سائل خليفة، فغير  
الخليفة لا ضامن له بالاستمرار في الدعاء، وقد يظن أن ما أتاه ليس بأسباب الدعاء والسؤال  
لله تعالى، فيتغير أو يحدد عن النفس التي بها دعا الله حتى الإجابة، وإجابة الله دليل إثبات  
إنه قريب مجيب الدعاء.

<sup>٥٢٥</sup> هود، ٦٩ . ٧١.

<sup>٥٢٦</sup> الانبياء، ٨٩.

<sup>٥٢٧</sup> البقرة، ٢٠٠ . ٢٠٢.

<sup>٥٢٨</sup> إبراهيم، ٧.



المجيب يجيب لثبات صفة الإجابة عنده، ووقت الإجابة لم يكن بيد البشر، فهو دائماً بيد  
المجيب العليم الخبير الذي يعلم ويخبر متى تكون الإجابة ومتى لا تكون من حيث الظرف  
الزماني والمكاني ومن حيث التقدير العام. فالله سبحانه وتعالى يعلم مصلحة الداعي فيقدر  
وقت الإجابة تأجيلاً أو تعجيلاً بما تقتضيه المشيئة الإلهية المتعلقة بالمصلحة التي من أجلها  
دعا الداعي فتكون الإجابة في وقتها أمراً نافداً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.  
والإجابة أنواع:

. إجابة لإثبات قدرة ومُلك.

. إجابة ليقين السائل بأنه المجيب.

. إجابة لإزالة الظن والشك في القوة والقدرة والسمع والبصر.

. إجابة ابتلائية.

. إجابة عقابية.

. إجابة لإحقاق حق وزهق باطل.

وعليه فبالنسبة لله الكل محتاج إليه، إما بالنسبة لمن يقارن بغيره من حيث الحاجة ودرجات  
إشباعها فالأمر يستوجب التعرف على ما يجيب على السؤال السابق بجزءيه المركب منهما.  
إن قصر الإجابة على المحتاج هو نقيض للكرم الذي هو من صفاته عز وجل فهو الكريم،  
فإذا ترك غير المحتاج أول مرضى النفوس البخل للعزیز الأكرم سبحانه وتعالى عما يصفون،  
وكذلك فيه مدخل للقول بالضعف عن إجابة الكل والله هو القوي لذا فإن المجيب وفي كل  
الآيات المتعلقة بالدعاء استخدم أسلوب الإطلاق لا الحصر وهو أسلوب يتناسب مع صفات  
المجيب من حيث الكرم والقوة والدوام والغنى وكل الصفات له سبحانه: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا  
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا

رَبُّكُمْ تَضَرَّعًا وَخُفِيَّةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} ٥٢٩.

وربما يتخذ بعض مرضى النفوس مسألة قصر الإجابة على المحتاج ذريعة للقول بالحاجة إلى اله أو آلهة تجيب من تركهم المجيب، وليس غريبا أن نجد مثل هؤلاء، فقد قال نفر منهم أن الله فقير: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} ٣٠، وقال نفر أن له أبناء: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ} ٣١، والمجيب سبحانه اله واحد فرد صمد، ووجدانيته تغني عن سؤال غيره، وكل ما سواه مقصّر عن الإجابة إما كلياً وإما جزئياً، كلياً لأن الله الواسع الغني يجيب الدعاء صغيراً وكبيراً، فلو دعا إنسان يطلب الذرية وهو فاقد الوسيلة إليها لأي سبب كان فلا يستطيع أحد إجابة دعوته إلا الله: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} ٣٢.

وجزئياً من حيث أن قدرة البشر على العطاء مهما كبرت فإنها تبقى محدودة قاصرة، فلو طلبت من بشر كريم مال أعطاك لكن من الضامن لدوام حال البقاء للمال أو لغيره إلا المعطي سبحانه، وإذا سألت طبيباً علاج مرضك فمن يضمن البراء من الداء إلا المجيب اللطيف جل وعلا.

الدعاء دليل إيماني وهو عبادة لا تؤدي إلا بالدعاء الصالح الذي تكون إجابته إحقاق حق وإزهاق باطل، أو تخلص من مظالم أو فتح باب رزق وخير ورحمة وهداية وشفاء.

ولذا فإن ترك الدعاء هو تقصير عن عبادة وتكبر في غير محله قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ

٥٢٩ الاعراف، ٥٤ . ٥٦ .

٥٣٠ ال عمران، ١٨١ .

٥٣١ التوبة، ٣٠ .

٥٣٢ يس، ٧٧ . ٧٩ .

لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ} ٥٣٣.

الدعاء تقرب إلى الله، والتقرب إلى الله عبادة، فمن عبد الله كفر بالشرك وبالظلم وأكل الحرام، ولذا فالتقرب لله معطيات محمودة منها:

أولاً: الاعتراف المسبوق بالنية الخالصة: بشهادة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهذه الدعوة الأولى المستجابة. قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ٥٣٤، وقال تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى} ٥٣٥.

ثانياً: التسليم بمن أرسل: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ٥٣٦، هذه الآية تعني فيما تعني، إن الله خالق محمد والملائكة وخالق كل شيء يصلي أي يبارك على محمد وملائكته الطائفة له تصلي على محمد مثلما يصلي جل جلاله عليه، والفرق بين الصلاتين: الأولى صلاة معرفة، والثانية صلاة تسليم بما أمر الله به (الصلاة عليه).

في هذه الآية الرسالة موجهة للمؤمنين الذين تستخلف الأرض بهم، وهم الطائعون مثلما أطاع الملائكة أمر الله تعالى بالصلاة والسلام على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه أبداً؛

٥٣٣ غافر، ٦٠، ٦٦.

٥٣٤ النحل، ١١٥.

٥٣٥ النجم، ٣٢.

٥٣٦ الأحزاب، ٥٦.

وجاءت المخاطبة هنا للمؤمنين وذلك لارتباط الإجابة منهم بالطاعة التامة لمن صلى على النبي وأمر بالصلاة والسلام عليه.

وعليه فقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) تدل على وجوب المباركة بمن جاء به رسولا، أي من يصطفيه الله للعباد الصالحين يستوجب مباركتين اثنتين هما:

الأولى: مباركة الاختيار: أي مباركة من اختاره الله فهو علام الغيوب وهو السميع العليم وهو الخالق الذي له جميع صفات الجمال والكمال جلا جلاله ولهذا سجد الملائكة لله ولأمره طائعين قال تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} ٥٣٧. ولذا فالصلاة عليه تدل على الاعتراف به مصطفىا من عند الله واعترافا بأن اختيار الله هو الاختيار الذي لا يدخله الباطل من أمامه وخلفه ولا من بين جانبيه ولا من تحته ولا من أعلى منه، إنه الاختيار الحق الواجب الإلتباع. و(صلوا عليه وسلموا تسليما) هذه الأخرى هي دليل اعتراف تسليمي، أي أنها التسليم بالمطلق بمحمد وبما أتى به محمد من عند الله تعالى، {إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ} ٥٣٨. ولأن محمد عليه الصلاة والسلام مستخلف بالاصطفاء المباشر من عند الله تعالى فاتباعه واجب ومن تبعه وجوبا يكون من المستخلفين فيها حيث الغاية واحدة وهي الإصلاح في الأرض قال تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} ٥٣٩، وقال تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَّانَهُ} ٥٤٠. لا شيء يبقى غير الهداية، والهداية عمل صالح والصلح خير.

وعليه فالتسليم اعتراف عن يقين، ولهذا آمن الرسول بما انزل إليه والمؤمنون كل آمن بالله وبالرسول وبالكتاب، والإيمان بالكتاب يتضمن الإيمان بما يحتويه الكتاب من أوامر ونواهي

٥٣٧ الحجر ٣٠.

٥٣٨ النجم ٤، ٥.

٥٣٩ الجاثية ١٤، ١٥.

٥٤٠ القيامة، ١٤، ١٩.

وعبادات، وبما فيه من عبر وقصص وفقا لقاعدة الأخذ بما يجب الأخذ به، والابتعاد عما يجب الابتعاد عنه. ولذا فالصلاة والسلام على الرسول الكريم أمر تسليم وطاعة، والمؤمنون هم الخلفاء الذين يصلون عليه ويسلمون تسليما.

والثانية: مباركة المختار: الذي أمره الله بأن يقول: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} <sup>٥٤١</sup>، فقال المحسنون منهم كما جاء في الكتاب العزيز: {وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} <sup>٥٤٢</sup>. ولذلك قال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} <sup>٥٤٣</sup>. ولذا علينا أن نقول إيماننا: تبارك الله على محمد صلوات الله وسلامه عليه الذي ارتبطت طاعته بطاعة الله.

قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} <sup>٥٤٤</sup>، وقال تعالى: {أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} <sup>٥٤٥</sup>. هذا الإيمان المتسلسل من خليفة بالاصطفاء إلى خليفة بالاتباع والاهتداء جاء بهيئته التسليمية المطلقة بالله تعالى، ثم بالملائكة التي ارتبطت مباركتها للرسول مع مباركة الله له، ثم الكتب التي أنزلها الله على من اصطفى من الرسل، ثم جاء إيمان الرسل بالرسول

<sup>٥٤١</sup> الأعراف، ١٥٨.

<sup>٥٤٢</sup> المائدة ٨٤، ٨٥.

<sup>٥٤٣</sup> النساء، ٨٠.

<sup>٥٤٤</sup> الأعراف، ١٥٨.

<sup>٥٤٥</sup> البقرة، ٢٨٥.

الذين سبقوهم، ولهذا فنحن لا نفرق بين أحد من رسله، وهكذا جاء إيمان الخليفة بالرسول حتى الرسالة الخاتمة.

ثالثاً، التسليم بما أمر: قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}°٤٦. والأمر الذي احتوته الآية السابقة هو:

١ . الإيمان بالله: وخير ما نستدل به ما قاله تعالى في سورة محمد صلوات الله عليه وسلم تسليماً: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ}°٤٧.

٢ . الإيمان باليوم الآخر: قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}°٤٨.

٣ . الإيمان بالملائكة: قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}°٤٩، وقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}°٥٠، وفي

°٤٦ البقرة، ١٧٧.

°٤٧ محمد، ١٩.

°٤٨ التوبة، ٢٩.

°٤٩ البقرة، ٢٨٥.

°٥٠ فاطر، ١.

سورة النحل قال تعالى: {يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} ٥٥١.

٤ . الإيمان بالكتاب: قال تعالى: {الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى} ٥٥٢، وقال تعالى: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ٥٥٣.

٥ . الإيمان بالنبیین: قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ٥٥٤، وقال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} ٥٥٥.

٦ . إيتاء المال على حبه لمن لهم حق فيه وهم:

أ . ذوي القربى: قال تعالى: {وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} ٥٥٦، وقال تعالى: {وَإِذَا

٥٥١ النحل، ٢.

٥٥٢ البقرة ١، ٢.

٥٥٣ البقرة ٩٩، ١٠١.

٥٥٤ البقرة ٢١٣.

٥٥٥ مريم ٥٨، ٦٠.

٥٥٦ البقرة ١٧٧.

حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا<sup>٥٥٧</sup>. وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ<sup>٥٥٨</sup>.

ب . اليتامى: قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>٥٥٩</sup>. وقال تعالى: {وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا<sup>٥٦٠</sup>.

ج . المساكين: قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ<sup>٥٦١</sup>، وقال تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ<sup>٥٦٢</sup>.

د . ابن السبيل: قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ<sup>٥٦٣</sup>، وقال تعالى: {وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا<sup>٥٦٤</sup>.

<sup>٥٥٧</sup> النساء، ٨.

<sup>٥٥٨</sup> النحل، ٩٠.

<sup>٥٥٩</sup> البقرة،

<sup>٥٦٠</sup> النساء، ٢.

<sup>٥٦١</sup> التوبة، ٦٠.

<sup>٥٦٢</sup> الحشر ٧.

<sup>٥٦٣</sup> البقرة ٢١٥.

<sup>٥٦٤</sup> الإسراء ٢٦، ٢٧.



هـ السائلون: قال تعالى: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} <sup>٥٦٥</sup>، وقال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} <sup>٥٦٦</sup>.

و. في الرقاب: قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} <sup>٥٦٧</sup>، وقال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} <sup>٥٦٨</sup>.

ع. إقامة الصلاة: قال تعالى: {الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} <sup>٥٦٩</sup>، وقال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} <sup>٥٧٠</sup>.

غ. إيتاء الزكاة: قال تعالى: {إِنَّمَا يَعْزَّمُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} <sup>٥٧١</sup>. وقال تعالى: {وَأَقِيمُوا

<sup>٥٦٥</sup> الضحى ١٠.

<sup>٥٦٦</sup> البقرة ١٧٧.

<sup>٥٦٧</sup> التوبة ٦٠.

<sup>٥٦٨</sup> البقرة ١٧٧.

<sup>٥٦٩</sup> البقرة ١٠٣.

<sup>٥٧٠</sup> النساء ١٠٣.

<sup>٥٧١</sup> التوبة

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ<sup>٥٧٢</sup>، وقال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}<sup>٥٧٣</sup>.

ف . الوفاء بالعهد: قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا}<sup>٥٧٤</sup>، وقال تعالى: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}<sup>٥٧٥</sup>.

ق . الصَّابِرُونَ فِي الْبَأْسَاءِ: قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرُلُزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}<sup>٥٧٦</sup>، وقال تعالى: {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}<sup>٥٧٧</sup>.

ك . الصابرون في الضراء: قال تعالى: {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}<sup>٥٧٨</sup>، وقال تعالى: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}<sup>٥٧٩</sup>.

ل . الصابرون حين البأس: قال تعالى: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا}<sup>٥٨٠</sup>، وقال تعالى: {وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}<sup>٥٨١</sup>.

<sup>٥٧٢</sup> البقرة ٤٣ .

<sup>٥٧٣</sup> البقرة ١١٠ .

<sup>٥٧٤</sup> الإسراء ٣٤ .

<sup>٥٧٥</sup> البقرة ١٧٧ .

<sup>٥٧٦</sup> البقرة ٢١٤ .

<sup>٥٧٧</sup> البقرة ١٧٧ .

<sup>٥٧٨</sup> الأعراف ٩٥ .

<sup>٥٧٩</sup> الحج ٣٥ .

<sup>٥٨٠</sup> الأحزاب ١٨ .

<sup>٥٨١</sup> البقرة ١٧٧ .

رابعاً: الإقدام على العمل الصالح: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ٥٨٢. وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ٥٨٣.

فقد يتوهم بعض البشر بمقارنته مع الآخرين أنه غني، ويعلم المتقون منهم إنهم الفقراء أمام الغني المطلق، ولذا فالخليفة فقير لله في حاجة إليه في كل حين، وسيظل كذلك وهو يعلم لا يستغنى إلا به فيمد يده إليه حتى يفوز برضاه فيستغنى بالعمل الصالح في الأرض حتى يرث الجنة. قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ٥٨٤، وقال تعالى: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} ٥٨٥.

وعلى ذلك كانت الإجابة من المجيب سبحانه للمحتاج وغير المحتاج فهو رب الجميع ولا اله غيره وكل من يدعو غيره فهو في ضلال عقدي وفكري، عقدي من حيث فساد الاعتقاد عنده بقدرة غير الله على الإجابة: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} ٥٨٦، والضلال الفكري يتمثل في تصور وجود قوة غير الله

٥٨٢ البقرة ٦٢.

٥٨٣ الكهف ١١٠.

٥٨٤ المؤمن ١١.

٥٨٥ محمد ٣٨.

٥٨٦ الاحقاف ٥.

سبحانه قادرة على فعل شيء: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} ٥٨٧.

إذن من الذي ينصرك إذا غلبت أو تغلبت؟. المناصرة يمكن أن تأتيك من بشر، أما النصر فلا يأتيك إلا من الله الذي يملك الأسباب مصداقا لقوله تعالى: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} ٥٨٨. ولذا فالخليفة ليس له بدا إلا أن يقول كل صباح ومساء توكلت على الله توكلت على الله توكلت على الله، وما توفيقى إلا بالله وما توفيقى إلا بالله وما توفيقى إلا بالله.

والكريم يجيب المضطر: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ٥٨٩، والمضطر هو الذي أحوجته شدة من الشدائد وألجأته إلى اللجوء والضراعة إلى الله عز وجل، فهو اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة، وعليه فالمضطر في اشد الحاجة لنصير، وعندما تضيق الحظيرة به ويعقل الحق يدرك لا ناصر له إلا هو جل جلاله، فيلتجئ إليه واحداً واحداً فيجيبه سألته بما انه قرر بكل وعي لا ملجأ منه إلا إليه فهو المجيب الذي يملك الأمر المجيب على كل سؤال، والحمد لله رب العالمين، (وَيَكْشِفُ السُّوءَ) المجيب وحده يعلم الأسباب فيكشفها أي يظهرها بعد أن كانت خفية، وأسباب السوء هي أسباب ظالمة جائرة، وبمعرفتها يتم التمكن من الإصلاح ومغالبتها

٥٨٧ الاعراف ١٩٧.

٥٨٨ آل عمران ١٦٠.

٥٨٩ النمل ٥٩. ٦٣..

بنصر من المجيب عز وجل، فإن كان السوء بمرض يكشف سر علاجه ويتحقق الشفاء بتوفر الدواء، وإن كان عطشاناً، يكشف الماء ويُمكن الخليفة من بلوغه، وهكذا من يملك الأمر يُجيب والحمد لله. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَكُمٌّ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} ٥٩.

وعليه فقله (وَيَكْشِفُ السُّوءَ) أي يرفع عن الإنسان ما يعترضه من الأمر الذي يسوؤه، والكشف لا يتم إلا بقوة مالك الإجابة، وبالكشف لن يعد هناك خافية، ولهذا الكشف أعم من الدفع والرفع.

والله يجيب غير المضطر وهو من وسع الله عليه في الرزق وفي الذرية وفي كل شيء مما كتبه الله له في الدنيا والآخرة ومثالنا امرأة فرعون المؤمنة العارفة بالله التي تسكن في قصر من أعظم قصور الدنيا في زمانها وعند ملك تخشاه الملوك في زمانه، ومثلها غير مضطر، فالاضطرار لم يكن بالنسبة لها مادياً فهي لم تكن محتاجة فعندها خير القصور والجواري في الدنيا، غير ان الاضطرار كان معنوياً فقد أرادت أن تفر من ضيق الماديات إلى واسع رحمته جل جلاله فطلبت مكاناً لها في الجنة نجاة من فرعون وكفره. ولمعرفتها برحمة الله وحسن ثوابه طلبت قصرًا في الجنة وهو ما لا يمكن لأحد أن يجيب مثل هذه الدعوة إلا الله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} ٥٩.

٥٩ الانعام، ٣٩ . ٤٤ .

٥٩١ التحريم ١١ .

والمجيب الكريم لا يرد الدعاء لأنه عليم بالحاجات، فلم يرد دعوة القوي بالاضافة {داوود} وهو يطلب المزيد لتحقيق نصر الله: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} ٥٩٢،

فقوة داوود عليه الصلاة والسلام من إيمانه بالله سبحانه وثقته بالمؤمنين من حوله لكنه لم يكن بغنى عن إجابة المجيب فدعاه فأجابه سبحانه وحقق له ما يأمل به كل مؤمن، ولهذا فالمؤمن القوي أحب إلى الله، قال تعالى: {وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} ٥٩٣.

أما الجبارون فبطشهم بالناس من ظلمهم وليس من إجابة دعاء، لان الجبابة ممن وصفهم الله بالخبيبة والخذلان فقال: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} ٥٩٤.

٥٩٢ البقرة ٢٤٧ . ٢٥١ .

٥٩٣ الصف ١٣ .

٥٩٤ ابراهيم ١٥٠ .

أما جبايرة العناد الفكري من المجادلين بغير حق فهؤلاء ممن حكم الله عليه بالضلال إلى يوم القيامة، {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} <sup>٥٩٥</sup>.

وكما القوي فإن للضعيف عند المجيب إجابة لأنه النصير: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ} <sup>٥٩٦</sup>، أي ضعيف مستحقر، فيه من الإهانات ما يعيبه ويجعل السخرية فيه، وعندما دعا هذا الضعيف وجد إجابة القوي العزيز، {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} <sup>٥٩٧</sup>، وهذه الإجابة كانت لنصرة الضعيف على فرعون المتكبر الجبار، والمثير في هذه الآية أن الحوار كان لموسى عليه الصلاة والسلام والإجابة كانت له ولأخيه وفي ذلك قول يتعلق بصفة الإجابة فهي إجابة العليم الذي يسمع الظاهر من الكلام على لسان موسى والمخفي في صدر هارون في آن واحد فيجيبهما معا وليس لأحد سواه قدرة على ذلك، سبحانه إنه المجيب.

ومن صفة إجابة المجيب أنها دائمة، ويتلازم دوام الإجابة مع قدرة المجيب، فالله سبحانه يجيب من يسأله وهو قادر على الإجابة، {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} <sup>٥٩٨</sup>، وهذا الدوام مرتبط بالقدرة فهو القوي الدائم، فلا كثرة الدعاء ولا كبر ما يُطلب من القوي يقلل من قدرته على الإجابة.

وإجابة المجيب سبحانه دائمة من حيث الزمن، فلا زمن وقتي مخصوص، وإنما هو زمن مطلق لان المجيب حي قيوم، {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

<sup>٥٩٥</sup> غافر ٣٥.

<sup>٥٩٦</sup> الزخرف ٥٢.

<sup>٥٩٧</sup> يونس ٨٨، ٨٩.

<sup>٥٩٨</sup> الملك ١.

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ  
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} <sup>٥٩٩</sup>، فإذا دعوت في الصباح أو في المساء أو في السحر أو في الفجر تجد  
السميع مجيب الدعاء.

ولا حدود مكانية تمنع الإجابة لان المجيب يقول: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ  
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} <sup>٦٠٠</sup>.

وربما يسأل السائل عن أماكن مخصوصة كالكعبة المشرفة أو المدينة المنورة وعن الدعاء  
فيهما؟ والجواب يكون بالآتي: إن شرف المكان يزيد في صدق وإخلاص الدعاء فيكون الرجاء  
في الإجابة أقوى، لان العبد في هذه المواضع يفترض أن يتجرد من الدنيا ويخلص الدعاء  
لربه، فإذا فعل وأيقن بالإجابة وهو يدعو نال مراده من رب كريم، وهكذا ستكون الإجابة لكل  
خليفة مخلص. ومع ذلك فإن للمحظوظين شأن عظيم عند المجيب الكريم، يقول المجيب في  
الكتاب المحفوظ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُهْتَدِينَ} <sup>٦٠١</sup>، فهو العالم الذي يعرف صدق الدعاء من زيفه فيجيب لمن يشاء.

والمجيب الكريم عادل، فهو يسمع كل دعاء ويجيب متى يشاء، كيف يشاء، لمن شاء، {فَدَعَا  
رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ  
عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرِ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ} <sup>٦٠٢</sup>،  
ضمير الدعاء يعود على سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام، الذي دعا الله عز وجل يشكوه حاله  
مع قومه الذين لم يقدره حق قدره، فهم الساخرون منه، المقللين من شأنه وشأنه عظيم،  
وعندما حسَّ بمغالبتهم له اشتكاهم إلى ربه جل جلاله، فكانت الإجابة الغرق بأسباب المطر  
الغزير المنهمر، والمنهمر هو الساقط بكل قوة، وفجَّر الأرض عيوناً، أي وكأن الأرض  
أصبحت عيوناً من كثرت العيون التي فجرها المجيب لدعاء نوح عليه الصلاة والسلام، وهذا

<sup>٥٩٩</sup> البقرة ٢٥٥.

<sup>٦٠٠</sup> البقرة ١١٥.

<sup>٦٠١</sup> القصص ٥٦.

<sup>٦٠٢</sup> القمر ١٠. ١٤.



دليل الكثرة عن واقع وليس دليل للمبالغة، فالتقى ماء السماء مع ماء الينابيع في الأرض فحُقَّ الحق وزهق الباطل بفعل الغرق وبفعل النجاة، غرق المكذبون والفاسقون والضالون ونجى نوح ومن معه من المؤمنين الذين رضي الله عنهم فأنجاهم من الغرق. نوح عليه الصلاة والسلام من المطيعين المخلصين ومن أولى العزم، وإجابة المجيب سبحانه لدعوة هؤلاء خاصة فيها إقبال منه سبحانه للإجابة كما ينص تعالت أسماؤه، {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} ٦٠٣.

(فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) تدل على ارتباط الطلب بالإجابة في علاقة صلة لا انفصال فيها، ولهذا فالمجيب يجيب بالطبيعة لأنه المجيب، والإجابة له وقتيه في الزمن الآن، والفرق فقط في أن بعض الإجابات المليية للطلب والدعاء يكون الفعل فيها مرتبطاً مع القول، والبعض الآخر تسجل الإجابة في الحين ويؤخر موعد فعلها. ولفظ (فلنعم المجيبون) تدل على أن تلك الإجابة كانت من النعم العظيمة، وبيانه من وجوه:

الأول: أنه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال: (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ) والقادر العظيم لا يليق به إلا الإحسان العظيم.

والثاني: أنه أعاد صيغة الجمع في قوله: (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) وذلك أيضاً يدل على تعظيم تلك النعمة وتعزيزه عز وجل لنوح عليه الصلاة والسلام. لا سيما وقد وصف تلك الإجابة بأنها نعمت الإجابة.

والثالث: أن الفاء في قوله: (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) يدل على أن حصول هذه الإجابة مرتب على ذلك النداء، والحكم المرتب على الوصف المناسب يقتضي كونه معللاً به، وهذا يدل على أن النداء بالإخلاص سبب لحصول الإجابة، ثم إنه تعالى لما بين أنه سبحانه نعم المجيب على سبيل الإجمال، بين أن الإنعام حصل في تلك الإجابة من وجوه:

الأول: قوله تعالى: (ونجيناها وأهلها من الكرب العظيم) وهو على القول الأول الكرب الحاصل بسبب الخوف من الغرق، وعلى الثاني الكرب الحاصل من أذى قومه.

والثاني: في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) يفيد الحصر وذلك يدل على أن كل من سواه وسوى ذريته فقد فنوا.

والثالث: في قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) التسليم بنوح حق تم إثباته شاهداً أمام الأبصار والعقول المدركة، وفي هذا تشریف وتكريم لنوح عليه الصلاة والسلام، (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ).

الله تعالى سميع لدعاء العاصي والمشرك ويجيب دعائهما: (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَأَن نُّنَجِّيَنَّهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ} <sup>٦٠٤</sup>. ظلمات البر والبحر ظلمات مخيفة لا يعلم أمرها إلا الله تعالى، وهو القادر على أن ينجي من يشاء منها، وجاءت ظلمات البر والبحر غير محددة فهي في حاجة للتفسير والاجتهاد، وفي معظم التفاسير والاجتهادات نسب بين اتفاق وتباين أو اختلاف، ولكن الذي يمكن أن يكون الاتفاق عليه هو إن في الظلمات مخاوف، وذلك لانعدام تجلي الرؤية وانعدام الوضوح في كل ظلمة، ولأن في الظلمة غمة فالغموض سيكون سائداً في الظلمة سواء كانت ظلمة بر أو ظلمة بحر، وفي الظلمة يحاط الإنسان بالمخاوف والشكوك والظنون وهو في دائرة الحركة والسكون، ولذا يلتجئ بالسؤال والدعاء للسميع المجيب ليخرجه من الظلمة وينجيه من كل كرب؛ وغير المؤمن يدعو ربه حتى تتحقق له الإجابة ثم ينسى ربه والعياذ بالله فلا يشكره حتى وإن توعد بشكره أثناء الدعاء أو السؤال.

وقد يتساءل البعض: لماذا تجاب دعوة العاصي وهو عاص لله؟ المجيب يجيب دعوة العاصي لأنه ربه ولا رب غيره فإذا لم يجب فمن ذا غيره يجيب؟ لاسيما تلك الدعوات التي تتعلق بالنجاة من الهلاك وفي ذلك حكمة عظيمة، إذ عسى أن تكون هذه الإجابة سبباً في عودة

هؤلاء إلى طاعة الرحمن الرحيم وتوحيد واحد أحد، ولهذا فهو يمهل ولا يهمل ويؤجل ولا يعجل حتى تتاح للاستغفار والتوبة فرصة.

فالمجيب يقبل دعاء الاستغفار على صغير الذنوب مصداقا لقوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} ٦٠٥، ويقول الحق سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} ٦٠٦، فكيف إذا عاد المشرك وأحس بعظم الجرم الذي اقترفه ودعا ربه طالبا التوبة والمغفرة؟ هل يُغلق بوجهه الباب؟ إن ربه الأكرم واسع المغفرة لا يغلق باباً للرحمة: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ٦٠٧، و(جميعاً) هذه لوحدها باب من أبواب رحمته عز وجل والوقوف عندها واجب، فلو وردت الآية من غيرها في هذا لموضع وقيل يغفر الذنوب لما استقام المعنى المراد ولبقي شك وإبهام هل المقصود بالذنوب الكبيرة أم الصغير؟ هل هي ذنوب المسرفين أم المقلين؟ لكن ورود جميعاً في الآية أزال كل لبس، فما من ذنب يمكن أن يثنى العبد من العودة إلى الله وطلب مغفرته والبدء بطاعته وعبادته ثم الاستمرار في الحياة آمناً فيها سعيداً برحمة الله دون الرجوع إلى المعاصي أو الإصرار على ما كان منه في الماضي، فهل من رب غيره بهذا الكرم وهذه المغفرة؟ وعلى الخليفة أن يتسع صدره ويقبل من الناس عودتهم عن أخطائهم فلا يغلق الباب بوجه أحد ويسمح للمستغفرين والتائبين ببدء حياة جديدة ما داموا في حالهم الجديد، فإذا عادوا إلى ما كانوا عليه أخذ على أيديهم: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَفْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

٦٠٥ النجم ٣٢.

٦٠٦ النساء ١١٦.

٦٠٧ الزمر ٥٣.

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ إِنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا<sup>٦٠٨</sup>.

والمجيب يرسل إلى ذوي الألباب من عباده إشارات واضحة ليدركوا دواعي الإجابة، فالمجيب سبحانه يهدينا الطريق لتصيبنا إجابته، وهو إلى ذلك يدعو ويهدي ويرسل الرسل لأنه لا يريد لنا العذاب بل يريد لنا الرحمة فهو المجيب الودود: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا<sup>٦٠٩</sup>.

ومن دواعي الإجابة:

١ . السؤال وهو أن تسأل الله حاجتك التي تريد ولا تشك في إجابته لان الكريم الذي لا يرد السائل ويعلم عباده ذلك فيقول لهم: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ<sup>٦١٠</sup>، فإذا كان المجيب يعلم عباده ويحثهم على إجابة السائل فلاشك أن من يسأل الله يجده ودودا مجيباً: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى<sup>٦١١</sup>.

والدعوة طلب يقدم مع ترجي وأمل بأحد الآتي أو بها جميعا أو ببعض منها:

أ . دعوة قولية: كالاستغفار وطلب العفو والمسندة وغيره كثير. قال تعالى: {كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ

<sup>٦٠٨</sup> الإسراء ٨ . ١١ .

<sup>٦٠٩</sup> النساء ١٤٤ . ١٤٧ .

<sup>٦١٠</sup> الضحى ١٠ .

<sup>٦١١</sup> طه ٢٥ . ٣٦ .

لُدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا<sup>٦١٢</sup>، وقال تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ وَاسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ<sup>٦١٣</sup>.

ب . دعوة عملية: قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ<sup>٦١٤</sup>، وقال تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ<sup>٦١٥</sup>، وقال تعالى: {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

<sup>٦١٢</sup> مريم ١ . ١١ .

<sup>٦١٣</sup> الأنبياء ٨٣ . ٩٠ .

<sup>٦١٤</sup> المائدة ٢٧ . ٣٠ .

<sup>٦١٥</sup> المائدة ٤٥ .

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ  
سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ  
يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ{٦١٦}.

ج . دعوة سلوكية أو فعلية: فالله تعالى يدعونا إلى اخذ العبرة والعظة، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ  
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ  
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ  
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ  
يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ{٦١٧}، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ  
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَعَوْا  
فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ{٦١٨}، وقال  
تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا  
أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ{٦١٩}.

د . سؤال قلبية: التوجه بنية الاستجابة مصداقا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا  
بِطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي  
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ  
بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنْامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ  
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ  
تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ

٦١٦ الأعراف ١٤٤ . ١٤٦ .

٦١٧ النحل ٣٥ . ٣٧ .

٦١٨ الفجر ٦ . ١٤ .

٦١٩ الفيل ١ . ٥ .

الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ٦٢٠، وقال تعالى: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} ٦٢١، وقال تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} ٦٢٢.

وكل هذه السُّؤْلُ مما يجب على الخليفة إجابتها امتثالاً لأمر الله ولو بكلمة طيبة: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} ٦٢٣. اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال الأشقياء وأحوال السعداء، ذكر مثلاً يبين الحال في حكم هذين القسمين، وهو هذا المثل. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى ذكر شجرة موصوفة بصفات أربع ثم شبه الكلمة الطيبة بها. فالصفة الأولى: لتلك الشجرة كونها طيبة، وذلك يحتمل أموراً. أحدها: كونها طيبة المنظر والصورة والشكل.

وثانيها: كونها طيبة الرائحة.

وثالثها: كونها طيبة الثمرة يعني أن الفواكه المتولدة منها تكون لذيدة مستطابة.

ورابعها: كونها طيبة بحسب المنفعة يعني أنها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها، ويجب حمل قوله: شجرة طيبة، على مجموع هذه الوجوه لأن اجتماعها يحصل كمال الطيب. والمسألة الثانية: قوله: (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) أي راسخ باق آمن الانقلاع والانقطاع والزوال والنفاء وذلك لأن الشيء الطيب إذا كان في معرض الانقراض والانقضاء، فهو وإن كان يحصل الفرح بسبب وجدانه إلا أنه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه، أما إذا علم من حاله أنه باق دائم لا يزول ولا ينقضي فإنه يعظم الفرح بوجوده ويكمل السرور بسبب الفوز به.

والمسألة الثالثة: قوله: (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين:

٦٢٠ آل عمران ١١٨ . ١٢١ .

٦٢١ البقرة ٢٣٥ .

٦٢٢ غافر ١٩ .

٦٢٣ ابراهيم ٢٤ .

الأول: أن ارتفاع الأغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق.  
والثاني: أنها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الأرض وقاذورات الأبنية  
فكانت ثمراتها نقية ظاهرة طيبة عن جميع الشوائب.

والمسألة الرابعة: قوله: (تَوْتِي أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) والمراد: أن الشجرة المذكورة كانت  
موصوفة بهذه الصفة، وهي أن ثمرتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات، ولا  
تكون مثل الأشجار التي تكون ثمارها فصلية أو موسمية حاضراً في بعض الأوقات دون  
بعض، فهذا شرح هذه الشجرة التي ذكرها الله تعالى في هذا الكتاب الكريم ومن المعلوم  
بالضرورة أن الرغبة في تحصيل مثل هذه الشجرة يجب أن تكون عظيمة، وأن العاقل متى  
أمكنه تحصيلها وتملكها فإنه لا يجوز له أن يتغافل عنها وأن يتساهل في الفوز بها.  
ولذا فالخليفة إذا سأل لا يسأل إلا المجيب، ولهذا تكون الإجابة عليه كالشجرة الضارية في  
الأرض والمنقرعة في السماء وتؤتي أكلها كل حين سبحانه جل جلاله مجيب عظيم.

وعليه نعود لتبيان الصفات السابقة الذكر:

الصفة الأولى: فهي كونها طيبة فهي حاصلة، بل نقول: لا طيب ولا لذيق في الحقيقة إلا هذه  
المعرفة وذلك لأن اللذة الحاصلة بتناول الفاكهة المعينة إنما حصلت، لأن إدراك تلك الفاكهة  
أمر ملائم لمزاج البدن، فلأجل حصول تلك الملائمة والمناسبة حصلت تلك اللذة العظيمة  
وهنا الملائم لجوهر النفس النطقية والروح القدسية، ليس إلا معرفة الله تعالى ومحبته  
والاستغراق في الابتهاج به فوجب أن تكون هذه المعرفة في مثالها لذة، بل نقول: اللذة  
الحاصلة من إدراك الفاكهة يجب أن تكون أقل حالاً من اللذة الحاصلة بسبب إشراق جوهر  
النفس بمعرفة الله وبيان هذا التفاوت من وجوه:

الوجه الأول: أن المدركات المحسوسة إنما تصير مدركة بسبب أن سطح الحاس يلاقي سطح  
المحسوس فقط، فأما أن يقال إن جوهر المحسوس نفذ في جوهر الحاس فليس الأمر كذلك،  
لأن الأجسام يمتنع تداخلها أما ههنا فمعرفة الله تعالى وذلك النور وذلك الإشراق صار سارياً



في جوهر النفس متحداً به وكأن النفس عند حصول ذلك الإشراق تصير غير النفس التي كانت قبل حصول ذلك الإشراق فهذا فرق عظيم بين البابين.

والوجه الثاني: في الفرق أن في الالتذاذ بالفاكهة المدرك هو القوة الذائقة، والمحسوس هو الطعم المخصوص وههنا المدرك هو جوهر النفس القدسية، والمعلوم والمشعور به هو ذات الحق جل جلاله، وصفات جلاله وإكرامه، فوجب أن تكون نسبة إحدى اللذتين إلى الأخرى كنسبة أحد المدركين إلى الآخر.

الوجه الثالث: في الفرق أن اللذات الحاصلة بتناول الفاكهة الطيبة كلما حصلت زالت في الحال، لأنها كيفية سريعة الاستحالة شديدة التغير، أما كمال الحق وجلاله فإنه ممتع التغير والتبدل واستعداد جوهر النفس لقبول تلك السعادة أيضاً ممتع التغير، فظهر الفرق العظيم من هذا الوجه.

واعلم أن الفرق بين النوعين يقرب أن يكون من وجوه غير متناهية فليكتف بهذه الوجوه الثلاثة تنبيهاً للعقل السليم على سائرهما.

الصفة الثانية: وهي كون هذه الشجرة ثابتة الأصل، فهذه الصفة في شجرة معرفة الله تعالى أقوى وأكمل، وذلك لأن عروق هذه الشجرة راسخة في جوهر النفس القدسية، وهذا الجوهر جوهر مجرد عن الكون والفساد بعيد عن التغير والفناء، وأيضاً مدد هذا الرسوخ إنما هو من تجلي جلال الله تعالى، وهذا التجلي من لوازم كونه سبحانه في ذاته نور النور ومبدأ الظهور، وذلك مما يمتع عقلاً زواله لأنه سبحانه واجب الوجود لذاته، وواجب الوجود في جميع صفاته والتغير والفناء والتبدل والزوال والبخل والمنع محال في حقه، فثبت أن الشجرة الموصوفة بكونها ثابتة الأصل ليست إلا هذه الشجرة المباركة.

الصفة الثالثة: لهذه الشجرة كونها بحيث يكون فرعها في السماء .  
واعلم أن شجرة المعرفة لها أغصان صاعدة في هواء العالم الإلهي وأغصان صاعدة في هواء العالم الجسماني وفيها أنواع.

النوع الأول: التأمل في دلائل معرفة الله تعالى في عالم الأرواح، وفي عالم الأجسام، وفي أحوال عالم الأفلاك والكواكب، وفي أحوال العالم السفلي، ويدخل فيه محبة الله تعالى والشوق إلى الله تعالى والمواظبة على ذكر الله تعالى والاعتماد بالكلية على الله تعالى، والانقطاع بالكلية عما سوى الله تعالى والاستقصاء في ذكر هذه الأقسام غير مطموح فيه لأنها أحوال غير متناهية.

النوع الثاني: الرحمة والرأفة والصفح والتجاوز عن الذنوب، والسعي في إيصال الخير لكل من هو في حاجة، مع دفع الشر ومقابلة الإساءة بالإحسان. وهذه الأقسام أيضاً غير متناهية وهي فروع ثابتة من شجرة معرفة الله تعالى فإن الإنسان كلما كان أكثر توغلاً في معرفة الله تعالى كانت هذه الأحوال عنده أكمل وأقوى وأفضل.

وأما الصفة الرابعة: فهي المستمدة من قوله تعالى: (تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) فهذه الشجرة أولى بهذه الصفة من الأشجار الجسمانية، لأن شجرة المعرفة موجبة لهذه الأحوال ومؤثرة في حصولها والسبب لا ينفك عن المسبب فأثر رسوخ شجرة المعرفة في أرض القلب أن يكون نظره بالعبرة كما قال: {فاعتبروا يا أولي الأبصار} <sup>٦٢٤</sup>، وأن يكون سماعه بالحكمة كما قال: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} <sup>٦٢٥</sup>، ونطقه بالصدق والصواب كما قال: {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ} <sup>٦٢٦</sup>.

وهذا الإنسان كلما كان رسوخ شجرة المعرفة في أرض قلبه وسمائه أقوى وأكمل، كان ظهور هذه الآثار عنده أكثر، وربما توغل في هذا الباب فيصير بحيث كلما لاحظ شيئاً لاحظ الحق فيه، وكلما نظر الخير رأى نور المجيب فيه، وربما عظم ترقيه فيه فيصير لا يرى شيئاً إلا وقد ملأ الله قلبه. فهذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى: (تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) وأيضاً فما ذكرناه إشارة إلى الإلهامات النفسانية والملكات الروحانية التي تحصل في جواهر

٦٢٤ الحشر ٢.

٦٢٥ الزمر ١٨.

٦٢٦ النساء ٣٥.

الأرواح وتفيض على الأنفس مطمئنة، ثم لا يزال يصعد منها في كل حين ولحظة ولمحة كلام طيب وعمل صالح وخضوع وخشوع وبكاء وتذلل، كثمرة هذه الشجرة المباركة. وقد قال بعض المحققين الشجرة لا تستحق أن تسمى شجرة، إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وأغصان عالية. كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: معرفة في القلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان<sup>٦٢٧</sup>.

ونحن نقول لا تبقى الشجرة ضاربة الجذور في الأرض ومتفرعة في السماء إلا بالماء، والماء هو رحمة المجيب على الخليفة، ولهذا من يتقي ربه يجد له مخرجا، مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}<sup>٦٢٨</sup>، وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}<sup>٦٢٩</sup>، وقال تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}<sup>٦٣٠</sup>.

وعليه: عمل الخير في الأرض رحمة ويمكن من بلوغ شيئين عظيمين هما:

الشيء الأول: الاستخلاف في الأرض: قال تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}<sup>٦٣١</sup>، وقال تعالى: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتَ بِهِجَةَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِنَّ اللَّهَ بِلِ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ

<sup>٦٢٧</sup> تفسير الرازي، ج ٩، ٢٤٤.

<sup>٦٢٨</sup> الأعراف ٥٦، ٥٧.

<sup>٦٢٩</sup> الطلاق ٢، ٣.

<sup>٦٣٠</sup> آل عمران ٨.

<sup>٦٣١</sup> الأعراف ٧٤.

قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ٦٣٢. ولذلك فالاستخلاف في الأرض لا يتم إلا بالعمل الصالح مصداقا لقوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ٦٣٣، وقال تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} ٦٣٤، وقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ٦٣٥.

والشيء الثاني: الوراثة في الجنة: قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ٦٣٦، وقال تعالى: {أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ٦٣٧، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} ٦٣٨.

وللخير وجهان:

٦٣٢ النمل ٥٩، ٦٣.

٦٣٣ الأنعام ٥٤.

٦٣٤ يونس ٦١.

٦٣٥ النحل ٩٧.

٦٣٦ المؤمن ١، ١١.

٦٣٧ المؤمن ١٠، ١١.

٦٣٨ الكهف ١٠٧، ١٠٨.

الوجه المادي: وورد ذلك في آيتين من القران، فالخير بمعنى المال ورد في قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} ٦٣٩.

وورد الخير للإشارة إلى الخيل في قوله تعالى: {إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} ٦٤٠، والإشارة مخصوصة ولكنها تفيد العموم فكل ما ينفق ابتغاء مرضاة الله فهو خير.

الوجه المعنوي: قال تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} ٦٤١. قَوْلٌ مَعْرُوفٌ أي كلام جميل متعارف عليه آفه الناس فيه منطوق وبنال التقدير والاحترام من القائل والمقال له، مثل يرضى الله عنك ويرحمك بواسع رحمتهم ويحفظك من كل شر وسوء.

أما العمل المخصوص وهو العبادة الخالصة النابعة من إيمان ثابت فإن أجره كبير في الدنيا والآخرة، ومن أجر هذا العمل قبول الدعاء: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} ٦٤٢.

والعمل المخصوص هو العمل الصالح: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ٦٤٣.

٦٣٩ البقرة ٢١٥.

٦٤٠ ص ٣١، ٣٢.

٦٤١ البقرة ٢٦٣.

٦٤٢ ال عمران ١٩١ . ١٩٥.

٦٤٣ النحل ٩٧.

وتطرح هذه الآية عدة أسئلة منها:

السؤال الأول: لفظة «من» في قوله : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا) تفيد العموم فما الفائدة في ذكر الذكر والأنثى؟

والجواب: أن هذه الآية للوعد بالخيرات والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة إثباتاً للتأكيد وإزالة لوهم التخصيص.

السؤال الثاني: هل تدل هذه الآية على أن الإيمان مغاير للعمل الصالح؟.

والجواب: نعم لأنه تعالى جعل الإيمان شرطاً في كون العمل الصالح موجباً للثواب. وشرط الشيء مغاير لذلك الشيء.

السؤال الثالث: ظاهر الآية يقتضي أن العمل الصالح إنما يفيد الأثر بشرط الإيمان، فظاهر قوله: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) يدل على أن العمل الصالح يفيد الأثر سواء كان مع الإيمان أو كان مع عدمه.

والجواب: إن إفادة العمل الصالح للحياة الطيبة مشروط بالإيمان، أما إفادته لأثر غير هذه الحياة الطيبة وهو تخفيف العقاب فإنه لا يتوقف على الإيمان.

السؤال الرابع: هذه الحياة الطيبة تحصل في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة. والجواب فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: قال تعالى: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، لا يبعد أن يكون المراد به الحياتين: الدنيا والآخرة مصداقاً لقوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا أَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} ٦٤٤.

بقي أن نطرح سؤالاً مهماً عن الأعمال غير الصالحة: هل لها ثواب؟. فتكون الإجابة: الأمر يتعلق بالعمل ولا يتعلق بالمجيب لأن المجيب باقي دائم الكرم، أما العامل فهو المتغير فإذا غير الإنسان عمله الطالح إلى العمل الصالح مخلصاً صادقاً أثيب برحمة الله على مجمل

أعماله، بل يبذل له المجيب الكريم أجر سيئاته باجر جديد هو اجر الحسنات: {إِلَّا مَنْ تَابَ  
وَأَمَّنْ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ  
وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} ٦٤٥، وكلما كان العمل السابق سيئاً كريهاً وكان ترك  
العبد له تركاً نهائياً منقطاً ضاعف له المجيب الأجر: {إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا  
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} ٦٤٦.

. وكذلك ترك المعاصي على لذاتها، وهذا من دواعي الإجابة لان فيه إخلاص واستقامة: {وَأَمَّا  
مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} ٦٤٧، ومن ابلغ ما علمنا الله  
مثله الذي ضربه لنا في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام الذي ترك عصيان المجيب بترك  
اللذة ثم دعا فكانت الإجابة: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي  
كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ} ٦٤٨.

. والإنفاق وهو البذل بالحق على النفس أو على غيرها، فالإنفاق على العيال من الإنفاق في  
سبيل الله، والإنفاق على الفقراء والمساكين كذلك، وهو من دواعي إجابة المجيب: {تَتَجَافَىٰ  
جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ  
لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ٦٤٩.

. الصبر على الشدة: قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا  
يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ  
حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} ٦٥٠، وقال تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ

٦٤٥ الفرقان ٧٠، ٧١.

٦٤٦ الحديد ١٨.

٦٤٧ النازعات ٤٠، ٤١.

٦٤٨ يوسف ٣٣، ٣٤.

٦٤٩ السجدة ١٦، ١٧.

٦٥٠ يونس ١٠٨، ١٠٩.

عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} <sup>٦٥١</sup>، وقال تعالى: {وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا} <sup>٦٥٢</sup>. . الإحسان: قال تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} <sup>٦٥٣</sup>، وقال تعالى: {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} <sup>٦٥٤</sup>.

. ترك الحسد: يختلف البشر في النظر إلى انعم الله التي أسبغها على عباده، فبعضهم حسود يتمنى زوال نعمة الغير وبعضهم ودود قال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} <sup>٦٥٥</sup>. ومنهم من يرى في عطاء الله لعباده سعةً وفرصة لدعاء المجيب لأنه يعلم أنه عادل لا يفرق بين عباده إذا سلكوا نهجه كما حصل مع زكريا عليه الصلاة والسلام مصداقاً لقوله تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} <sup>٦٥٦</sup>، لما وجد زكريا عند مريم ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء يأتيها به جبريل قال لها: أنى لك هذا في غير حينه. قالت: هو رزق من عند الله يأتيني به الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب

<sup>٦٥١</sup> النحل ١٢٧، ١٢٨.

<sup>٦٥٢</sup> المزمل ١٠، ١٣.

<sup>٦٥٣</sup> الأعراف ٥٦، ٥٥.

<sup>٦٥٤</sup> القصص، ٧٧.

<sup>٦٥٥</sup> البقرة ١٠٩.

<sup>٦٥٦</sup> ال عمران ٣٧، ٣٩.



فرغب زكريا في الولد فقال: إن الذي أتى مريم بهذه الفاكهة في غير حينها لقادر على أن يصلح لي زوجتي ويهب لي منها ولداً فعند ذلك دعا ربه وذلك لثلاث ليال بقين من المحرم قام زكريا فاغتسل ثم ابتهل في الدعاء إلى الله تعالى. {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَتَى بِكُونِ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَيْتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} ٦٥٧

. الإخلاص في العبادة: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ} ٦٥٨، والإشارة بينة فدعاء أيوب وإجابة المجيب سبحانه ذكرى للعابدين لكي يتلمسوا طريق الإخلاص في العبادة كما أيوب لينالوا ما نال من إجابة الدعاء. قال تعالى: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ٦٥٩، وقال تعالى: {الَّذِينَ تَرَى أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} ٦٦٠.

وفي هذه الآية مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (مَوْجٌ كَالظُّلَلِ) أي أمواج متراكمة ومتراكبة فوق بعضها وكأنها جبال في كثافتها وعظمتها.

٦٥٧ آل عمران، ٣٨ . ٤١ .

٦٥٨ الأنبياء ٨٣، ٨٤ .

٦٥٩ غافر ٦٥ .

٦٦٠ لقمان ٣١، ٣٢ .

المسألة الثانية: قال في العنكبوت (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ) ثم قال: {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} <sup>٦٦١</sup>، وقال ههنا (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ) فنقول لما ذكر ههنا أمراً عظيماً وهو الموج الذي كالجبال بقي أثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم مقتصد أي في الكفر وهو الذي أنزجر بعض الانزجار، أو مقتصد في الإخلاص فبقي معه شيء منه ولم يبق على ما كان عليه من الإخلاص، وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معاينة مثل ذلك الأمر فذكر إشراكهم حيث لم يبق عنده أثر.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا) في مقابلة قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} <sup>٦٦٢</sup>، يعني يعترف بها الصبار الشكور، ويجحدها الختار الكفور والصبار في موازنة الختار لفظاً ومعنى والكفور في موازنة الشكور، أما لفظاً فظاهر، وأما معنى فلأن الختار هو الغدار الكثير الغدر أو الشديد الغدر، والغدر لا يكون إلا من قلة الصبر، لأن الصبور إن لم يكن يعهد مع أحد لا يعهد منه الأضرار، فإنه يصبر ويفوض الأمر إلى الله وأما الغدار فيعهد ولا يصبر على العهد فينقضه، وأما أن الكفور في مقابلة الشكور معنى فظاهر <sup>٦٦٣</sup>.

. الصفاء مع صدق الإيمان: قال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ} <sup>٦٦٤</sup>.

. الاستغفار طلباً للعفو: قال تعالى: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ الْأَعْرَافِ، وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} <sup>٦٦٥</sup>.

٦٦١ العنكبوت ٦٥.

٦٦٢ لقمان ٣١.

٦٦٣ تفسير الرازي، ج ١٢، ص ٢٩٠.

٦٦٤ الأنبياء ٨٧، ٨٨.

٦٦٥ هود ٢٣، ٢٥.

والمجيب قريب من عباده، والقرب ليس قرباً مكانياً لان الله سبحانه له المشرق والمغرب: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>٦٦٦</sup>، وإنما هو قرب المالك من ملكه أي قرب معرفه وعلم، يقول المجيب جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>٦٦٧</sup> اللهم أني أدعوك أن تفرج كل كربة عني، وأنا متوكل عليك، وما توفيقي إلا بك، لا إله إلا أنت سبحانك.

أن قوله : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي) يدل على أمور مهمة منها:

أولاً: أن العبد له أن يسأل

ثانياً: وقوله: فَإِنِّي قَرِيبٌ يدل على أن الرب قريب من العبد يسمع ويجيب السائلين بقوة المقربة منه.

ثالثها: أن الداعي ما دام يبقى خاطره مشغولاً بغير الله تعالى فإنه قد يكون بعيد، بخلاف الله الذي لا تشغله شاغله عن شاغله.

ومن رحمة المجيب العادل أنه أجاب البشر كلهم قبل دعائهم فمنحهم الحواس التي تعينهم: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾<sup>٦٦٨</sup>، ولو تصور بشر أن الخالق ميّز بين عباده في هذه المسألة !

ومن الاستجابات الحاصلة من لدن العزيز الحكيم ما يتعلق بالقوانين الكونية لاسيما حركة الأفلاك، فهو الذي يحركها بإرادته: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>٦٦٩</sup>، وهي استجابة لحاجات خلقه التي يعلمها قبل معرفتهم بها، ولذلك يُذكرهم سبحانه عليهم يشكرون: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ

<sup>٦٦٦</sup> البقرة ١١٥.

<sup>٦٦٧</sup> البقرة ١٨٦.

<sup>٦٦٨</sup> الملك ٢٣.

<sup>٦٦٩</sup> يس ٣٨ . ٤٠.

النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهَ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمَنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ٦٧٠ .

ومن عظيم إجاباته عز وجل على دعاء خلقه ما كان مستمراً إلى أن يشاء دائماً غير منقطعة بإذنه، كدعاء سيدنا إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} ٦٧١ .

وقصة هذه الدعوى المجابة من غير انقطاع أو انتهاء هي أن هاجر أم اسماعيل عليه الصلاة والسلام كانت أمة من القبط لسارة فوهبتها من إبراهيم عليه السلام فلما ولدت له اسماعيل غارت فلم تقاره على كونه معها فأخرجها وابنها إلى أرض مكة فوضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم وليس بها ماء ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى منطلقاً فتبعته هاجر فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ولم يلتفت إليها فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت، وانطلق عليه الصلاة والسلام حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت وكان إذ ذاك مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} ٦٧٢ ،

٦٧٠ القصص ٧١ . ٧٣ .

٦٧١ إبراهيم ٣٥ . ٣٧ .

٦٧٢ إبراهيم ٣٧ . ٤١ .

دعاء من مستخلف إلى من أستخلفه فكانت الإجابة دائمة بنية السائل الصادقة، وبإيمان هاجر التي قالت لإبراهيم عليه الصلاة والسلام: "الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا". نعم إنه السميع الذي سمع حوارهما، وإنه المجيب الذي أجاب على دعائهما وشفاء نيتيهما، ولأن هاجر واثقة بأن الله لا يضيعها وابنها اسماعيل عادت من وداع إبراهيم لترضع ابنها وتشرب مما في السقاء حتى إذا نفذ عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلطف فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر فهبطت حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزته ثم أتت المروءة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر ففعلت ذلك سبع مرات ولذلك سعى الناس بينهما سبعاً، فلما أشرفت على المروءة سمعت صوتاً فقالت: صه تريد نفسه ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت: قد اسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتغرف منه في سقائها وهو يفور فشربت وأرضعت ولدها وقال لها الملك: لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيت الله تعالى بينه هذا الغلام وأبوه وإن الله سبحانه لا يضيع أهله، ثم أن مرت بهما فرقة من جرهم فرأوا طائراً عائفاً فقالوا: لا طير إلا على الماء فبعثوا رسولهم فنظر فإذا بالماء فأتاهم فقصدوه وأم اسماعيل عنده، فقالوا: أشركنا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت، فلما أدرك اسماعيل عليه السلام زوجته امرأة منهم<sup>٦٧٣</sup>، فكانت الإجابة دائمة في آل إبراهيم.

ودوام استمرار الإجابة مما يجب التفكير فيه، وطرح التساؤلات حوله، فإلي متى تبقى؟ وكيف تنتهي؟.

أما الزمن فالإجابة دائمة ما غير العبد فكفر أو استغنى، هنا عليه أن يتوقع تغير حاله، قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا

<sup>٦٧٣</sup> الألويسي، ج ٩، ص ٣٩١.

بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ<sup>٦٧٤</sup> ، فالزمن متعلق بالإنسان فإذا شكر زاده الله وإذا كفر انتظر من الله ما لا يسره والله عليم خبير .

أما انتهاء الإجابة فهو من الأمور الخطيرة التي يجب على الإنسان تأملها، لأنه إذا أجاب المجيب أنسانا ثم كفر توالى عليه المصائب ونزل عليه البلاء، ومن أول هذه الأمور هو سلب ما أجيب وهو من أصعب ما يقع على الإنسان لتعوده عليه فإذا فقدته كانت المصيبة، فدعاء الإنسان لطلب الذرية وإجابة المجيب مما يكثر بين الناس والعام دوام هذه الإجابة نعمة من عنده فإذا فقد الوالد ولده كان في غم وهم وهو يعلم أن السلب إنما حدث بسببه هو قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}<sup>٦٧٥</sup> .

ومن الأمور التي تحدث للإجابة التبدل إلى حال يذهل منها المستجاب له وهو يعلم أنه لو شكر لزاده الله ولكنه كفر فبدل المجيب حاله: {وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا وَأَحْيَيْتَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَىٰ غُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا<sup>٦٧٦</sup> .

<sup>٦٧٤</sup> الرعد ١٠ ، ١١ .

<sup>٦٧٥</sup> الانفال ٥٣ .

<sup>٦٧٦</sup> الكهف ٣٢ ، ٤٣ .

وقد تتقلب الإجابة انقلاباً معاكساً لشدة كفر العبد بما أنعم الله عليه، كما حصل مع قارون: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئِنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئِنُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} ٦٧٧.

ويسأل سائل عن حالة بقاء الإجابة مع كفر المستجاب له! والجواب على عدة وجوه منها:

١- أن المجيب حلِيم ومن حلمه على البشر أنه يمهلهم ما شاء رحمة منه بهم: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَغَفِرْنَا لَنَا ذُنُوبَكُمْ إِنَّكَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ} ٦٧٨.

٢- أن يكون دوام الحال مع الكفر ليضلوا فيلقوا من حسابهم ما يلقون في يوم لا ينفع مال ولا بنون، {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا نُمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّ مَا نُمَلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} ٦٧٩، ولا غرابه في ذلك فالله القدير المجيب يعلم المشيئة في عباده: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ٦٨٠.

٦٧٧ القصص ٧٦ . ٨٢.

٦٧٨ التحريم ٨.

٦٧٩ ال عمران ، ١٧٨

٦٨٠ النحل ٩٣.

٣- أن يكون البقاء لغرض الاختبار، {قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} ٦٨١.

٤- أن يكون للاعتبار والدعاء وإخلاص النية والعمل لله، {لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنْ أَدْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلْيُنَبِّئِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ} ٦٨٢.

٥ . أن يكون للتفكير عبرة، فمن اعتبر كان من المستخفين والوارثين، ومن لم يتفكر ويعتبر فليس له من الخلافة في شيء ولن يكن من الوارثين، قال تعالى: {وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ٦٨٣، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ٦٨٤.

٦ . أن يكون للتذكر قيمة في النفس حتى تطمئن من كل شر وسوء ولهذا يقف الخليفة عند المثل ليعتبر قبل الضلال قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبَّتُ

٦٨١ النمل ٤٠.

٦٨٢ فصلت ٤٩ . ٥١.

٦٨٣ الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦.

٦٨٤ يونس، ٢٣ ، ٢٤.



اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَقْوَالِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارُ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُبْنُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ} ٦٨٥.

٧ . مخافة الله قال تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِيهَا جَنَاتٌ وَعُيُونٌ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتْقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} ٦٨٦.

٨ . مد يد العون للمحتاجين تنمي المحبة بين المستخفين في الأرض وتمكنهم من بلوغ الجنة قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} ٦٨٧.

٩ . رضا الله من رضا النفس والعباد قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ٦٨٨، وقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} ٦٨٩.

٦٨٥ إبراهيم ٢٤ . ٣١ .

٦٨٦ الدخان ٤٠ . ٥٧ .

٦٨٧ البقرة ١٧٧ .

٦٨٨ النحل ٩٧ .

١٠ . رضا الله من رضا الوالدين قال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} ٦٩٠ .

١١ . التصدق مفتاح للخير يطهر النفس ويدخل الخليفة الجنة قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ٦٩١ ، وقال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ٦٩٢ .

وعليه من يستجيب بما سبق ذكره يجيب الله دعائه ويرحمه بواسع رحمته في الدارين، وبعد أن تفنى الخلائق يبقى المجيب لأنه الملك الحي الذي لا يموت، وتتضح الإجابة على السؤال: {لمن الملك اليوم} ٦٩٣؟ فتكون كما قال تعالى: {الله الواحد القهار} ٦٩٤ .

وحظ الخليفة من الاسم المجيب أن يجيب ربه فيما أمره ونهاه ويتلقى عباده بلطف الجواب وإسعاف السؤال، يؤمن بالله واحداً واحداً ولا يشرك به شيئاً، يؤمن بما أمر إقداماً على ما يجب أن يؤدي وابتعاداً واجتناباً لما ينبغي الابتعاد عنه واجتنابه، يطيع والديه في غير معصية الله تعالى، يعمل المعروف في أهله ولا يعمل في غيرهم، يعدل بين الناس إذا حكم بينهم، يأمر

٦٨٩ فصلت، ٤٦ .

٦٩٠ الإسراء ٢٣ . ٢٧ .

٦٩١ التوبة ٦٠ .

٦٩٢ التوبة ١٠٥ .

٦٩٣ غافر ١٦ .

٦٩٤ غافر ١٦ .

بالمعروف وينهى عن المنكر، ويستغفر الله في خطأ يرتكبه كلما أدرك انه خطأ، ويتقي الله ربه في أبنائه وزوجه وجيرانه قريى وبعدى، يغيث المستغاث به، يتصدق ولا ينهر السائل، فللسائل حق وللمجيب حق وكليهما في حاجة على الأقل للكلمة الطيبة، يمد يد العون والمساعدة لمن يلتجئ إليه محتاجا وفق المستطاع، لا يكره الناس أشياءهم.

والخليفة يعلم علم اليقين إن المجيب قريب سميع يجيب دعوة الداعي إذا دعاه بنية أو بقول أو بحركة وفعل، فهو يعلم أنه يعلم ما تكنه الصدور وما تعلنه، ويعلم إن المجيب يجيب بطلب وبدون طلب، ولذا فعليه أن يتحسس حاجات الناس الذين لهم حق عليه قبل أن يتقدموا له أو لغيره بطلب أو سؤال.

وعند الحاجة يدعو الخليفة ربه المجيب عز وجل، ولذلك فإن المجيب لا يغفل عن سائله وهنا يكون الاستغراب ممن يدعوا غير المجيب المطلق جل جلاله، قال تعالى: {قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} <sup>٦٩٥</sup>، فهؤلاء ومن هم على غرارهم لا يملكون القدرة على الإجابة: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ} <sup>٦٩٦</sup>.

اللهم يا المجيب إنك تعلم ما في أنفسنا ولا تغيب عنك غائبة وتعلم ما نُسِرُّ وما نَعْلِنُ إِنَّكَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فاجعل رحمتك لنا في الدارين هي الإجابة.

اللهم يا المجيب إنك تملك القوة والقدرة والملك والأمر والموت والحياة وتملك كل شيء فأجب سؤالنا بالرزق الحلال والعلم النافع والصحة الطيبة والزوجة النقية والأبناء الصالحين.

اللهم إنا نسالك يا فارح الهم ويا كاشف الغم يا المجيب لدعوة المضطرين يا رحمن الدنيا يا رحيم الآخرة ارحمنا برحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك يا ارحم الراحمين.

اللهم آت أنفسنا تقواها وزكها يا خير من زكاها أنت وليها ومولاها يا رب العالمين، اللهم إنا نسالك ألا تجعلنا بدعائك اشقياء وكن بنا رؤؤفا رحيمًا يا مجيب الدعاء يا الله.

<sup>٦٩٥</sup> المائدة ٧٦.

<sup>٦٩٦</sup> الاحقاف ٥.

اللهم يا المجيب اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا سبحانه جل جلالك أنت  
المجيب عليك توكلنا وأنت رب العرش العظيم.

## الواسع

الحمد لله الذي وسع الأكوان علمه، فجعل منا خلفاءه بفضلِه المنان، وعم فضلِه الإنس والجان، وغطت رحمته العالمين، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للكافة بالرسالة الخاتمة منذرا ومبشرا ومحرضا وعادلا بالقسط والكيل والميزان، ومجاهدا في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل برسالته التي وسعت العالمين رحمة وسلاماً، وله الحمد في كل حين وله الحمد على ما خلق وأعطى ويعطي من الكمال والتمام.

الواسع، الذي وَسِعَ رِزْقَهُ جَمِيعَ خَلْقِهِ وَوَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ وَغِنَاهُ كُلَّ فَقْرٍ، والواسع "الكثير العطاء الذي يَسَعُ لما يُسأل" ٦٩٧.

اسم الواسع هو الذي وسع علمه الظاهر والباطن، ووسع فضله الكون سماواته وأراضيه السبع دون عناء أو ضعف أو كلل، ووسع فضله العابد الزاهد، كما وسع الكافر الفاجر، فأطعم بسعته الظالم الكافر كما أطعم منها العالم العارف بفضلِه؛ لا لشيء لأن الدنيا بسماؤها وأرضها لا تساوي عنده جناح بعوضة ولو كانت كذلك ما سقي منها كافرا شربة ماء.

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} ٦٩٨، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّهُ لِيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ" ٦٩٩. وَقَالَ اقْرءُوا قوله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا

٦٩٧ لسان العرب، ج ٨، ص ٣٩٢

٦٩٨ البقرة ٢٦.

٦٩٩ صحيح البخاري، ج ١٤، ص ٣٥٥.

حَوْلًا قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ٧٠٠، وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِيكُمْ وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ فَسَلُونِي أَرْزُقْكُمْ وَكُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفِرْنِي غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أَبَالِي وَلَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ وَحَيِّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَلَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ وَحَيِّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَشَقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَلَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ وَحَيِّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ مِنْكُمْ مَا سَأَلَ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِالْبَحْرِ فَعَمَسَ فِيهِ إِبْرَةً ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَيْهِ ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَا جِدُّ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ عَطَائِي كَلَامٌ وَعَدَابِي كَلَامٌ إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" ٧٠١.

وفي هذا الأمر يقول الرازي: "الله تعالى واسع الرزق، واسع الفضل، واسع الرحمة، واسع القدرة، واسع العلم، فلو ذكر تعالى أنه واسع في كذا لاختص ذلك بذلك المذكور، ولكنه لما ذكر الواسع وما أضافه إلى شيء معين دلّ على أنه واسع في جميع الكمالات، وتحقيقه في العقل أن الموجود إما واجب لذاته، وإما ممكن لذاته، والواجب لذاته واحد وهو الله سبحانه وتعالى، وما سواه ممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الله الواجب لذاته، وإذا كان كذلك كان كل ما سواه من الموجودات فإنما يوجد بإيجاده وتكوينه، فلزم من هذا كونه واسع العلم والقدرة والحكمة، والرحمة، والفضل والجود، والكرم" ٧٠٢.

٧٠٠ الكهف ١٠٣-١١٠.

٧٠١ سنن الترمذي، ج ٩، ص ٣٥.

٧٠٢ تفسير الرازي، ج ٥، ص ٤٠٥.

الواسع: من وسع ملكه كل شيء ولا يسعه شيء، وهو المحيط لكل شيء ولا يحاط بشيء، وهو الذي يعلى كل شيء ولا يعلو عليه شيء، وهو الخالق الذي لا يُخلق، وهو الرحمن الرحيم. والواسع هو الذي تمتد قدرته وقوته فيما ندرك وما لا ندرك وفقا للآتي:

١ . تمتد في العدم: ولأنه تعالى هو الأول والآخر فلا أول سابق عليه ولا آخر لاحق به، ولأنه الخالق لكل ما خلق وما يخلق لذا فلا خلق أول قبل أن يخلق الأشياء التي منها كان الشيء مع أمره كن مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ٧٠٣، وقال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} ٧٠٤

٢ . تمتد في الحياة: قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} ٧٠٥، وقال تعالى: {وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} ٧٠٦، وقال تعالى: {الَّذِينَ

٧٠٣ يس ٨٢، ٨٣.

٧٠٤ البقرة، ١١٧، ١١٨.

٧٠٥ القصص ٧٧.

٧٠٦ الأعراف ١٥٦، ١٥٩.

يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ  
كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} ٧٠٧ .

٣ . تمتد في الموت: قال تعالى: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ  
تَنْظُرُونَ} ٧٠٨ ، وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ  
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} ٧٠٩ .

٤ . تمتد في البعث: قال تعالى: {أَمْ مَنْ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
أَنَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ  
إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} ٧١٠ ، وقال تعالى: {كَأَلَا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ  
بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ  
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ  
تَلْفَحُ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} ٧١١ .

٥ . تمتد فيما نعلم وما لا نعلم: قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ  
خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي  
أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ٧١٢ ، وقال تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ  
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا يَأْأَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} ٧١٣ ، وقال تعالى: {وَعَسَى أَنْ  
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ٧١٤ .

٧٠٧ غافر ٧ .

٧٠٨ آل عمران ١٤١ . ١٤٣ .

٧٠٩ آل عمران ١٨٥ .

٧١٠ النمل ٦٤ ، ٦٥ .

٧١١ المؤمن ١٠٠ . ١٠٤ .

٧١٢ البقرة ٣٠ .

٧١٣ البقرة ١٥١ . ١٥٣ .

٧١٤ البقرة ٢١٦ .



والخليفة الواسع بالإضافة هو الذي يدرك الحقيقة ويُقدِّم على فعلها ويعمل بها دون انحياز لمظلمة، ويقول الحق ولا يتعصب لرأي في دائرة الشك، وهو الذي يقوم بالمكرمة، فيحكم بين الناس إذا حكم بينهم بالحق العدل، وهو الذي يقدم المكرمة دون طلب منه؛ لأن الخليفة يستمد سعته من الواسع المطلق الذي مهما طلبت منه فإنه لا يردك خائبًا ولا خاسرًا، وهو مهما أعطاك فلا ينقص من عطائه شيئًا، وهذه السعة جاءت من كونه جل جلاله مالك الملك، فهو يعطي كيف يشاء ومتى شاء، فيعطي هذا مالا وآخر بنينا وآخر ملكا، وغيرهم من كل ما ذكر يعطي، ومن غيره كذلك يعطي، قال تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} <sup>٧١٥</sup> ، وقال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} <sup>٧١٦</sup>.

وعليه فالواسع: هو من لا يضيق بشيء وهو من لا تسعه الأشياء ولو جمعت، يفيض بالعطاء وبما يهب لمن يصطفي ولمن هم في حاجة ولا تلم به حاجة ولا ضائقة ويشبع كل حاجة ويفرج كل ضائقة، وهو الذي وسع كل شيء علما مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} <sup>٧١٧</sup>. في هذه الآية الكريمة إظهار لسعة الله لكل شيء دون غيره فالعلم مهما تقدم لن يبلغ علم الواسع العليم، فهو يعلم ما في الأرحام وما تكنه الصدور وما تبديه، وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم، وعلم الله علم وحدانية أي أن الاختصاص بالعلم المطلق له وحده لا شريك له، ووسع كل شيء علما في حالتي جواز بين اثنين:

<sup>٧١٥</sup> الشورى ٤٩، ٥٠.

<sup>٧١٦</sup> آل عمران ٢٦، ٢٧.

<sup>٧١٧</sup> طه ٩٨.

الأول: وسع كل شيء علما، إنه خلق كل شيء وجعل كل شيء على علم من علمه ولهذا ما من شيء إلا يسبح باسمه مصداقا لقوله تعالى: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ عَلْوًا كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} <sup>٧١٨</sup>، وبما أن كل شيء يسبح باسمه، إذن المسبح باسم الله تعالى مدركا له أي أنه يعلمه هو كما هو دون شك ولا ظن ولا تبديل ولا تعدد ولا مشاركة سبحانه واحد أحد. ولهذا قال: (وسع كل شيء علما)، وقال تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} <sup>٧١٩</sup>. وعليه كل هذه العلوم والمعلومات هي سعة من الله تعالى لكل ما خلق والحمد له واحد أحد لا شريك له.

الثاني: إن علم الله وسع كل شيء أي أحاط بكل شيء وهذا الأمر لا يتعارض مع الأمر الأول الذي فيه يتم إدراك المخلوق للخالق ويعلم منه أي بقوة عظيمة، فوسع كل شيء علما، تعني مما تعني أنه أحاط بكل شيء علما قال تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} <sup>٧٢٠</sup>. وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} <sup>٧٢١</sup>.

فالله واسع لعلمه بالأشياء جميعها وفي آن واحد دونما عناء أو تعب، فهو الذي إذا شاء جعل الواسع ضيقا كما هو حال الكافرين، قال تعالى: {قَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

<sup>٧١٨</sup> الإسراء ٤٣ ، ٤٤ .

<sup>٧١٩</sup> التغابن ١ .٤ .

<sup>٧٢٠</sup> الأنعام ٥٩ .

<sup>٧٢١</sup> الأنعام ٧٣ .

وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} ٧٢٢، وإذا شاء جعل الضيق واسعا كما في قصة نوح عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} ٧٢٣، فقوله تعالى: (فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) فيه أمر من الله جل جلاله لخليفته بأن يحمل من كل زوجين اثنين، دون النظر إلى تقاربها وعداوتها فالله جل جلاله هو الذي تكفل بكل شيء داخل السفينة وخارجها، فليس لسيدنا نوح أن يفكر في أن يؤلف بين الأعداء، فهو سبحانه جل في علاه القادر على أن يجعل الضيق واسعا، فاستطاع أن يؤلف بينها حتى نزلت سالمة بحوله وقدرته، وإلا كيف كان الذئب والخروف والثعلب والدجاجة والضبع والحمار والثعبان والإنسان وهكذا كان الجميع سالمين متآلفين بالرغم من التنوع الطبيعي في خلق الله تعالى، ولذا فإن كل شيء بحكمة ولحكمة، فمن حكمه الظاهرة في هذه القصة إنه يريد أن يحافظ على كل نوع من هذه الكائنات، وربما يتساءل البعض: أليس هو القادر الخالق الذي يستطيع أن يخلق غيرها ومن جديد؟! فالإجابة إن لكل شيء سببا وأن من وراء كل شيء يفعله حكمة، لهذا علينا أن نسلم له في كل الأمور، لأنه هو الذي يعلم بكل ما يجري وما يدور حولنا في أرضه وسمائه، ولذلك على خليفته أن لا يشغل باله في الأسئلة عن الأمور التعبدية فيقول: لماذا جاءت الصلاة كذا ركعة، أو الطواف في الحج كذا شوط، بل يقوم بما يصلح به نفسه ويصلح به عباد الله، ليفوزوا بالجنة التي وعد الله جل جلاله بها المتقين عرضها السماء والأرض، قال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ

٧٢٢ الأنعام ١٢٥.

٧٢٣ المؤمن ٢٣ . ٢٧.

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ<sup>٧٢٤</sup> ، فهذه الآيات الكريمة من يقرأها يرى فيها من مظاهر سعته سيعاً ومنها:

١ . سعة ملكه: إنه المالك المطلق للحياة والموت والبعث والجماد والنبات والبر والبحر والماء واليابس والسموات والأرض فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، قال تعالى: { وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَه قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ<sup>٧٢٥</sup> ، وقال تعالى: (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)، أي كلها تحت ملكه وسلطانه الذي لا يرام ولا تستوعبه الأفهام، فهو ما وعد بشيء إلا وهو قادر على فعله {إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ<sup>٧٢٦</sup> ، فكل ما حوت السموات والأرض إلا وكانت كما قال جل في علاه: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ<sup>٧٢٧</sup> ، وقال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ<sup>٧٢٨</sup> .

<sup>٧٢٤</sup> الحديد ٢١ . ٢٤ .

<sup>٧٢٥</sup> البقرة ١١٥ . ١١٧ .

<sup>٧٢٦</sup> البروج ١٠٧ ، ١٠٨ .

<sup>٧٢٧</sup> البقرة ٢٥٥ .

<sup>٧٢٨</sup> الزمر ٦٧ .

٢ . سعة علمه: قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} ٧٢٩ فهذه الآية تدل دلالة واضحة على علمه وحفظه، فالكتاب فيه رمز وإشارة إلى الحفظ، والعلم بكل كبيرة وصغيرة، فيوم القيامة يفاجأ الكافر بهذه الدقة المتناهية التي لم تكن له في حسابان، والمؤمن يدخل الجنة بعلمه المسبق إنها الحق من الحكيم الخبير قال تعالى: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا إِنَّهُمْ يَبْتَنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ إِلَّا حِينَ يَسْتَغْشَوْنَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} ٧٣٠ ، وقال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} ٧٣١ ، علم الله تعالى يجمع المعرفة التامة والكاملة بعلوم التالية:

أ . علم الحياة.

ب . علم الممات.

٧٢٩ الحديد ٢٢ .

٧٣٠ هود ١١ . ١ .

٧٣١ الأنعام ٧٣ .

- ج . علم البعث.
- د . علم الظاهر.
- هـ . علم الباطن.
- و . علم الوجود.
- ع . علم المكان.
- غ . علم الزمان.
- ص . علم الحركة.
- ض . علم السكون.
- ك . علم الغيب.
- ل . علم اليقين.

ولذلك وسع علمه كل شيء، والخليفة هو الذي يستمد العلم من علمه والحكمة من حكمته حتى تتسع دائرة معارفه ويتقي الله ربه ولا يشرك به أحدا.

قال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }<sup>٧٣٢</sup>، وقال تعالى: {وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ حِجْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا }<sup>٧٣٣</sup>، وقال تعالى: {وَوَضِعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ }<sup>٧٣٤</sup>، وقال تعالى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ }<sup>٧٣٥</sup>، فكذاك الخلفاء هم الذين

<sup>٧٣٢</sup> الطلاق ١٢.

<sup>٧٣٣</sup> الكهف ٤٨، ٤٩.

<sup>٧٣٤</sup> الأنبياء ٤٧.

<sup>٧٣٥</sup> لقمان ١٦.

يمنحهم الله نعمة العقل والفهم والتفهّم والاستيعاب ليسعوا هذا الكون جزئياً؛ فغيرهم قد لا تكون لهم القدرة على التحمل والصبر الذي وضعه الله جل جلاله في قلوب خلفائه فصاروا يحملون صفة الواسع بالإضافة إليه، بعدما غرس فيهم العلم والدراية، فهل للخليفة أن يطالع ويقرأ ويدرس؛ حتى تتسع مداركه ويفهم ما حوله، فالعلم نور لا يزيد صاحبه إلا معرفة وتقوى.

٣ . سعة قدرته: فقوله تعالى: (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) يدل دلالة واضحة على قدرته وسطوته فهو يفعل ما يريد متى يريد، وإلا من الذي يجعل الصعب يسيراً وسهلاً إذا لم يكن قادراً على فعل ما يريد وبكل سهولة ويسر، قال تعالى: {وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ٧٣٦، وهنا في هذه الآية الكريمة التقت السعة وبكل وضوح وجلاء مع القدرة، فهذا التحدي الواضح لكل من يريد أن يختفي أو يظن أنه قادر على ذلك فليعلم أن هناك ربا واسعا قديرا يأتي به متى يشاء وكيف يشاء. وهذه القدرة وسعة الملك منحها الواسع العظيم لخلفائه من قبل ولكن بالإضافة لا على سبيل الإطلاق؛ لأن ذلك لا يتأتى إلا لله وحده العزيز القاهر فوق عباده، وذلك عندما أعطى الله سيدنا سليمان الملك الواسع والثراء في الأرض، وكان ذلك بناء على طلبه، قال تعالى: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} ٧٣٧ وقال تعالى في صفة الملك الذي منحه له: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ} ٧٣٨.

قال تعالى: { أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا} ٧٣٩ . وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

٧٣٦ البقرة ١٤٨.

٧٣٧ ص، ٣٥.

٧٣٨ ص، ٣٦، ٤٠.

٧٣٩ الإسراء، ٩٩، ١٠٠.

وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَاشَأُ يُدْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ<sup>٧٤٠</sup>، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِمَّا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ<sup>٧٤١</sup> .

٤ . سعة ميزانه: فقله تعالى: (الْكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)، هنا يأمر الله جل جلاله خلفاءه بالتوازن في حياتهم فالله هو الذي وضع هذه الأمور ونبه خليفته لذلك؛ لأنه مالك الميزان الحقيقي لكل كبيرة وصغيرة، فهو الواسع الذي وسع كل الأشياء وبعناية تامة ودقيقة بل غاية في الدقة واللفظ. قال تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ<sup>٧٤٢</sup>، فالخليفة يكون مترنا معتدلا في أمور حياته الدنيوية فلا يبطر ولا يتكبر ولا يتجبر، بل يسير كما أمره رب العزة، لأن الله لا يحب المختال الفخور بنفسه ونسبه وماله وليعلم أن كل ذلك إلى زوال.

ولأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فبالنية الطيبة تزداد الأعمال الحسنة وبالنية غير الحسنة تنقص الأعمال، ولذا فالميزان الذي يستوفى على أيدي المستخلفين فيها يؤدي بصاحبه إلى العيشة الراضية، أما أولئك الذين ينقصون الميزان فأمهم هاوية وعليه قد تساءل جل جلاله عما هي الهاوية؟. ويجيب: بأنها، نار حامية. فالميزان هو مقياس الأعمال مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ

<sup>٧٤٠</sup> إبراهيم ١٩، ٢٠.

<sup>٧٤١</sup> فاطر ١٥، ١٨.

<sup>٧٤٢</sup> الأنبياء ٤٧.



بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ<sup>٧٤٣</sup>، وقال تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>٧٤٤</sup>.

ميزان الخليفة لا يوضع إلا للحق، ولا يزن إلا بعدل، وهو الذي لا يقلل من شأن العباد، يوفى مخافة الله وإحقاقا للحق، ويوضع لأجل أن لا يسود ظلما ولا تؤكل أموال الناس بالباطل بينهم ويعم الفساد في الأرض، ولهذا فالخليفة مصلح والمصلح هو الذي يسع ميزان عدله كل من يزن إليه. والوزن مراعاة لما يجب والعمل به وتجنب عما يجب تجنبه والعمل به.

٥ . سعة يومه: اليوم يسع الحركة والسكون ويسع القول والعمل والفعل والسلوك دون أن يكتظ بشيء على حساب آخر، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ذَلِكَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ<sup>٧٤٥</sup> قال تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعِ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا<sup>٧٤٦</sup>.

اليوم في حسابات الخليفة جزء من الزمن العام المتصل لا المنفصل، ولذلك فاليوم حساب وللحركة والسكون فيه حساب، ولكن أية حركة وأي سكون؟. بطبيعة الحال تقع الحركة في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، مما يجعل الحسنات واقعة في دائرة المستخلفين وغير الحسنات إن وقعت جنبا إلى جنب مع ما يخالف الحسنات سلوكا أو عملا وفعلا تصبح بالنسبة للمؤمنين في نصف الدائرة غير المتوقع، أي أنه من غير المتوقع أن يقدم خليفة على عمل الحرام، فإن أقدم ادخل نفسه في تلك الدائرة التي لا تحمد عاقبتها، وذلك لفقدانها رضا الله ورسوله والمؤمنين المستخلفين فيها بحمد الله وفضله، ومع أن اليوم واحد إلا أن حساباته

<sup>٧٤٣</sup> الرحمن ٩ . ٧ .

<sup>٧٤٤</sup> الإسراء ٣٥ .

<sup>٧٤٥</sup> السجدة ٤ . ٦ .

<sup>٧٤٦</sup> المعارج ١ . ٥ .

ليست واحدة، وإلا هل يستوي من يعمل صالحا مع من يعمل طالحا؟. ولذا فهناك من يخسر يوما كاملا وهناك من يفوز به مضاعفا بأعمال الخير وأفعاله، وفي مقابل ذلك هناك من يخسر حياته بجريمة لا تغفر وبهذا فقد في ذلك اليوم كل أيامه. إذن هناك أيام تمتد متصلة حتى الجنة وهناك أيام تمتد متصلة حتى النار، ولهذا تتسع الأيام بالأعمال الحسنة وتضيق بالأعمال السيئة التي تكون نتائجها غير محمودة.

٦ . سعة كرمه وعطائه: فقله تعالى: (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) وذلك على غير ما جاء في وصفه للذين وصفهم الله جل جلاله بالبخل، فالله هو الغني الحميد، ولذلك من مسلمات صفات الغني أن يكون واسعا وإلا كيف يكون غنيا؟ إذا فهما صفتان متلازمتان لكل من وُصِفَ بأي صفة منهما، وهكذا اقترنت صفة الواسع بالعليم في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} <sup>٧٤٧</sup>؛ ولأنه وسع كل شيء علما وإدراكا فهو قادر على أن يضاعف الحسنات كيفما يشاء ودون جهد أو عناء لأنه ذلك عليه سهلا يسيرا، فهذه الآية الكريمة تبين صفة الخليفة الذي وعده الله بالجنة بأن لا يكون بخيلا فلا بد وأن يكون متصفا بالجود والكرم إضافة إلى ربه الذي جعله خليفة في أرضه، قال تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} <sup>٧٤٨</sup> . ومن كرمه على بني آدم:

<sup>٧٤٧</sup> البقرة ٢٦١ .

<sup>٧٤٨</sup> الحديد ١١ . ٧ .

أ . حمله في البر والبحر، فقد هيا له سبل التنقل في البر والبحر، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} ٧٤٩ .

ب . خلقه في أحسن تقويم: قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} ٧٥٠ .

وقال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} ٧٥١ قال تعالى: {تَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} ٧٥٢ .

وقال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} ٧٥٣

ج . تذلل الأرض والحيوان له: قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} ٧٥٤ قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} ٧٥٥ . وعلى الخليفة أن يقابل ذلك الكرم بما أمره تعالى تجاه هذه النعم قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} ٧٥٦ .

٧٤٩ الإسرائيليات .

٧٥٠ المؤمنون ١٢ ، ١٤ .

٧٥١ السجدة ٧ . ٩ .

٧٥٢ الصافات ١٢٥ .

٧٥٣ التين ٤ . ٦ .

٧٥٤ يس ٧١ . ٧٣ .

٧٥٥ الملك ١٥ .

٧٥٦ القصص ٧٧ .

٧ . سعة مغفرته: قال تعالى: {والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم}، مع أن الخالق خلق الإنسان في أحسن تقويم، إلا أن البعض لم يستثمر هذه الميزة في ما هو أحسن وأفضل وأجود، وذلك بأسباب خلقه على التمام وليس على الكمال، ولأن الكمال لله وحده فالإنسان بطبيعته قد يغفل أو يقصر أو يظل السبيل لذا كان واسع الفضل ذو مغفرة واسعة بها تسوى الأمور ويحدث الصواب والتصويب حتى تعم الرحمة والمغفرة، وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ٧٥٧ .

وقال جل جلاله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} ٧٥٨ .

٨- سعة فضله: الواسع جل جلاله يضاعف الحسنات أضعاف كثيرة، وتحسب الحسنة بمجرد التفكير فيها، والسيئة لا يعاقب عليها إلا بعد فعلها ولا تكتب إلا سيئة واحدة، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ٧٥٩ ، وقال تعالى: {إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} ٧٦٠ ، وأما الكافر المعاند الذي يفسد في الأرض ويعمل على ملئها جورا بعكس ما يود له أن يكون عليه ودا وإصلاحا وعدلا، فإن الله جل جلاله يضاعف له العذاب؛ وفي مقابل ذلك يجازي المحسنين في الأرض بأن لهم المغفرة والتوبة والجنة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا

٧٥٧ الزمر ٥٣ .

٧٥٨ الصف ١٠ . ١٣ .

٧٥٩ البقرة ٢٦١ . ٢٦٣ .

٧٦٠ الحديد ١٨ .

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} ٧٦١، ولكن من تاب وأمن وعمل صالحا فإن رحمته وكرمه وحلمه يستوعبه ويدخله الجنة بغير حساب ذلك لسعة فضله. قال تعالى: {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} ٧٦٢، وقوله تعالى: (والله واسع عليم) واسع بذاته، وعلیم بملكه وأمره وفقا لقاعدة ما يجب وما لا يجب في دائرة المتوقع وغير المتوقع.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} ٧٦٣. بطبيعة الحال كل خليفة في الأرض يؤمن بأن فضل الله واسع ولهذا قال تعالى: { وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} ٧٦٤، وقال تعالى: { رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كظلماتٍ في بحرٍ لججٍ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعضٍ إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نورٍ} ٧٦٥.

٧٦١ الفرقان ٦٨ . ٧٠.

٧٦٢ آل عمران ٧٣ ، ٧٤.

٧٦٣ المائدة ٥٤ ، ٥٥.

٧٦٤ البقرة ١١٢.

٧٦٥ النور ٣٧ . ٤٠.

وقوله تعالى: {إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم} <sup>٧٦٦</sup>، الفقراء هم الذين في حاجة لما يشبع حاجاتهم المتطورة والمتغيرة عبر الزمن، ولأن الإشباع يحدث برزق قد لا يحسب له حساب، كما هو حال الأرض الجزر التي يعمها السحاب فيهطل مطرا ينبت عشا وزرعا فيؤتى أكلها كل حين حتى يتحقق الإشباع رحمة من واسع عليم فله الفضل والفضل منه رحمة والحمد له في كل حين.

٩- سعة أمنه: جعل المؤمنين آمنين في الدنيا والآخرة، أما في الحياة الدنيا فقال تعالى: {قُلِّعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ} <sup>٧٦٧</sup>، فيكونون آمنين ماداموا في عبادة ربهم جل جلاله، من الجوع بما وفر لهم من أسباب العيش الرغد، وآمنين من الخوف بما وفر لهم من أسباب القوة والهيبة الإلهية؛ لأنهم عملوا بما يستوجب أن يكونوا به خلفاء على أرضه، هذا في الحياة الدنيا، وهذا ما كان يدعو به سيدنا إبراهيم الخليل، قال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} <sup>٧٦٨</sup>، طلب إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الأمن عندما رأى أن ربه قادر على ذلك، وهو محتاج إليه، وذلك بسبب انتشار الكفر وغياب الأمر الإلهي، وقيام الدستور البشري بما يحمله من تناقضات وفتن وخراب، فكان بطبيعة الحال نتاجه الهرج والمرج الذي أعقب فوضى وغوغائية؛ مما جعل سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يطلب الأمن الذي فقده خوفا على ضياع ما بناه لسنوات من دين وعمارة المسجد، وهذا ليس غريب؛ أنه من سلوك الخليفة وطبعه الذي غرسه الله جل جلاله فيه بأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة؛ ليرى البلاد آمنة مطمئنة، قال تعالى: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ

<sup>٧٦٦</sup> النور ٣٢.

<sup>٧٦٧</sup> قریش، ٣، ٤.

<sup>٧٦٨</sup> البقرة، ١٢٥، ١٢٦.



الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ} <sup>٧٧٢</sup>. وقد يتساءل البعض على سعة الإمهال لا الإهمال فيقول:

. هل كان ذلك عبثاً؟.

. بالطبع لا.

. هل كان ذلك ضعفاً؟.

. بالطبع لا.

. هل كان ذلك عجزاً؟.

. بالطبع لا.

. هل كان ذلك جهلاً؟.

. بالطبع لا.

. هل كان ذلك تقصيراً منه؟.

. بالطبع لا.

وهل كان؟، وهل كان إلى ما لا نهاية بالطبع لا.

ولذا فإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. وإلا هل هناك من يستطيع أن يعد نعم الله عليه في عقله الممتلئ بملكات التفكير والتذكر وهي تتكون من مركبات عصبية دقيقة وانبعاث حياة واسعة تمتد مع كل آفاق وتمتد مع الظاهر والباطن أشياء ترى وأخرى أكثر لا ترى، فإن تعدوه لا تعد، وانظر إلى العينين هل هناك من يعد ما تراه من جميل وجمال واللسان وما يقوله من حق وهو يستمد العبارات من خلايا الدماغ التي لا تعد والعلاقات القوية المنتظمة بين العقل واللسان والعينين وما تمتد إليه في علاقات مع الفؤاد والضمير الذي يشغل حيزاً من التفكير ولا يشغل حيزاً من المادة إنه المكون الذي لا يعد وهكذا في أنفسهم أفلا يبصرون قال تعالى: {

<sup>٧٧٢</sup> المطففين ٧ . ٣٤ .



أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ} ٧٧٣، وقال تعالى: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِلَّا إِيَّاهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ إِلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ} ٧٧٤.

سبحانه إنه الواسع الذي بسعته كان ممهلاً ولم يكن مهملاً، وهو الغفور الودود الذي بعدله في الخلق أوجب الثواب والعقاب، ولكن بعد إمهاله لعله يتوب لربه ويتبع نهج الخلفاء في أرضه، قال تعالى: { وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} ٧٧٥، وقال تعالى: {وَلَيْنِ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} ٧٧٦.

١١- سعة استيعابه للمؤمن والكافر: لأنه يستوعب المؤمن فيرفعه أعلى درجات الجنة، ويستوعب الكافر فيمهله حتى الغرغرة، ولو لم يكن واسعاً ما كان حليماً على المذنب، وكل ذلك بمغفرته، قال تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ

٧٧٣ السجدة ٢٧.

٧٧٤ فصلت، ٥٣، ٥٤.

٧٧٥ البقرة ١٢٦.

٧٧٦ هود ٨.

فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} <sup>٧٧٧</sup>، فسعته جعلته يستوعب المؤمن فيدخله الجنة بغير حساب. وسعته جعلته يستوعب الكافر فيمهله ويجعل له رزقا وهو يعلم أنه العاصي في البر والبحر وفي الجهر والخفاء، ويطعمه من ثمرات الأرض ويسقيه من أنهارها ماء ثجاجا، تحت الشمس الوهاج والقمر المنير، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَابًا لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وَفَاقًا إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} <sup>٧٧٨</sup>، وقال تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَهُمْ إِلَّا نَارٌ وَلِبِئْسَ الْمَصِيرُ} <sup>٧٧٩</sup>، وكذلك لا ننس سعة العذاب الذي أعده للظالمين الكافرين والذي يجب على الخلفاء أن يحذروه ويحذروا منه مستخفيهم فيفوزوا بهم ويدخلوا الجنة الواسعة التي أعدها للطائعين، قال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} <sup>٧٨٠</sup>، وقال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} <sup>٧٨١</sup>، وهكذا يكون الخليفة واسعا وإن كان ذلك نسبيا، وذلك:

أ . أن يكون واسع البال مطمئن النفس فلا يضيق بما يعمل المفسدون وأن يعمل واثقا بأن الحياة الدنيا متاع الغرور فلا يغتر. قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ

<sup>٧٧٧</sup> الرعد ٦ . ١٣ .

<sup>٧٧٨</sup> النبأ ١٣ . ٣٠ .

<sup>٧٧٩</sup> النور ٥٧ .

<sup>٧٨٠</sup> الرعد ٣٥ .

<sup>٧٨١</sup> الحديد ٢١ . ٢٣ .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ لَتُبْلَوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {٧٨٢} .

ب . أن يكون واسعاً في كتم أسرار غيره ولا يعطيها للآخرين، فيستوعب الأسرار ولا يذيعها حتى لا يضر بها الآخرين ويؤذيهم.

ج . أن يرى الأشياء بنظرة ثابتة ولا يغفل، حتى لا تذهب عنه الحقائق والدقائق.

وكل ذلك يزيد عن كون الخليفة سعته نسبية؛ لأن الواسع المطلق جل جلاله لا يضيق بشيء وأن ضاقت به نفوس الناس. قال تعالى: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} {٧٨٣} .

١٢ . سعة مراقبته: فهو الذي يراقب الأشياء من حيث الزيادة والنقص، ومن حيث النمو والانعدام، والانخفاض والرفع المادي للأشياء والمعنوي للنفوس. قال تعالى: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} {٧٨٤} ، أي كل ما على الأرض آخذ به حيث يشاء وكيف يشاء. وقال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} {٧٨٥} .

١٣ . سعة ثوابه وعقابه: إنه الواسع الذي يجعل في العمل البسيط الأجر العظيم والثواب الجزيل ودون منة أو رجاء. وقال تعالى: {أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ

٧٨٢ آل عمران ١٨٥ ، ١٨٦ .

٧٨٣ النحل ١٧ . ١٩ .

٧٨٤ هود ، ٥٦ .

٧٨٥ هود ، ٦ ، ٧ .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>٧٨٦</sup>.  
 إذن بقوته يسع السماوات والأرضين وما بين السماوات والأرضين، ويجعل النفوس المستخلفة في الأرض تسع أوامره ونواهيه وتتعاظم سعة بما تقدم عليه من أفعال وأعمال فلاح، وتكسب من وراء ذلك الجزاء الوفير والمغفرة الواسعة والرحمة الواسعة والجنة الواسعة سبحانه إنه الواسع العليم جل جلاله الذي جعل في الأرض خليفة يسع الأرض برسالاته الخاتمة حتى تمتلئ إيماناً ومخافة من ضيق أو قصور في غير مرضاة الله.

١٤ . سعة كرسيه: وسع كرسيه السماوات والأرض مع الإحاطة الكاملة بحفظهما، ومع أن كرسيه وسع السماوات والأرض إلا أن وسعه الذاتي جل جلاله أعظم، فالكرسي منه ولم يكن سابق عليه فلو لم يكن عز وجل ما كان الكرسي، ولذا فخالق الكرسي دائماً أعظم من الكرسي الذي وسعت عظمته السماوات والأرض مصداقاً لقوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ<sup>٧٨٧</sup> .

١٥ . سعة بنائه: سبحانه من احكم كل شيء سعة وعلماً وعدلاً، خلق كل شيء وجعل الميزان القسط لتنظيم أمور الحركة والسكون وجعل الكواكب والنجوم كل في فلك يسبحون لا تتصادم ولا تتعارض ولا تسقط واحدة على حساب أخرى كل شيء محكم بأمره قال تعالى: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ<sup>٧٨٨</sup> ، وقال تعالى: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ<sup>٧٨٩</sup> ، وقال تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ

<sup>٧٨٦</sup> هود ٢٠، ٢٣.

<sup>٧٨٧</sup> البقرة، ٢٥٥.

<sup>٧٨٨</sup> الحجر ١٤، ١٥ .

<sup>٧٨٩</sup> ق، ٦.

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ<sup>٧٩٠</sup> ، وقوله تعالى: (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) من السعة أي: أننا قد خلقنا ولا زلنا نخلق الأكثر فلا استغراب فكل شيء بيده ممكن، والسعة يمكن أن تكون مادية ويمكن أن تكون نفسية ويمكن أن تكون إدراكية، ولذلك فإن قوله: (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) تدل على استمرارية القدرة وعدم انقطاعها والخلق وعدم انقطاعه فكل شيء بأمره كان ويكون. اتساع كبير للأرض والسموات السبع واتساع في الامتداد العظيم الذي يربط بين السموات والأرضين السبع، وزيادة سعة في الخلق وما يكسبون، كل جزء من الثانية الملايين والمليارات تخلق في أوساط الخلائق سعة في خلقه دون أن يكون مخلوق على حساب آخر.

١٦ . سعة قدرته: بطبيعة الحال لا تستمد السعة إلا من قدرة، ولا قدرة إلا من قادر، والسعة بسطة تسمح بالامتداد حتى نهاية الممتد المالك لقدرة الامتداد من القادر المطلق، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ<sup>٧٩١</sup>} ، وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا<sup>٧٩٢</sup>} ، وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّبَ الْمُوتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>٧٩٣</sup>} . إذن سعة قدرته تحتوي على كل قدرة، وهي القدرة التي تغلب ولا تُغلب، وهي مصدر لكل قدرة، وهي المستمدة من القوة والمدفوعة بها في كل حركة.

١٧ . سعة إدراكه: الموسع هو العليم بالأمر وهو القادر على كل أمر وهو العزيز الحكيم، إنه الخالق المدرك لكل ما خلق، وهو الذي بإدراكه يعلم الزمان وحاله والمكان وحاله والحركة وحالها والسكون وحاله، وهو العليم الخبير بكل ماضي وكل حاضر وكل مستقبل وكل غيب.

<sup>٧٩٠</sup> الذاريات ٤٧ . ٤٩ .

<sup>٧٩١</sup> الذاريات ٣٨ . ٤٠ .

<sup>٧٩٢</sup> الإسراء ٩٩ ، ١٠٠ .

<sup>٧٩٣</sup> الأحقاف ٣٣ .

والخليفة دائما في حالة إعجاز أمام خالقه جل جلاله، فالخالق بدون مقارنة حيث الأمر لا يستوجب ذلك إيمانا تاما، وذلك بأسباب علمية حيث لا مقارنة إلا بشييه، ولأن الله واحد أحد لا شريك له، فهو الذي لا يقارن بشيء والحمد له رب العالمين، ومع ذلك أعرض على القراء الكرام ما يعلمه الله بالمطلق ولا يعلمه الإنسان بالمطلق:

أ . الماضي بالمطلق لا يعلمه إلا هو عز وجل، وإلا هل هناك من يعلم بكل ما حدث غير الذي أحدثه وجودا. قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} <sup>٧٩٤</sup>، وقال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} <sup>٧٩٥</sup>.

ب الحاضر بالمطلق لا يعلمه إلا هو: قال تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ} <sup>٧٩٦</sup>؛ ولأنه يعلم الأشياء ويتصرف وفقا لحاجتها. قال تعالى: {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

<sup>٧٩٤</sup> البقرة ٣٠ . ٣٧.

<sup>٧٩٥</sup> البقرة ٢١٦.

<sup>٧٩٦</sup> الأنعام ١٠٣، ١٠٤.

وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} <sup>٧٩٧</sup>. الحاضر هو زمن الوجود والعمل فمن يعمل مثقال ذرة في الزمن الآن يراه خيرا في الزمن المستقبل، ولهذا فإن الله لا يضيع أجر العاملين المصلحين في الأرض ولذلك سيجزي المحسنين. قال تعالى: { وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا } <sup>٧٩٨</sup>. أي من يعمل سوء في الزمن الحاضر أو يظلم نفسه ثم يستغفر في الزمن الحاضر بالنسبة للوجود على قيد الحياة ستعمه رحمة الله في المستقبل بالمغفرة والرحمة. وهكذا من يكسب إثما أو خطيئة في الوقت الحاضر دون أن يستغفر سيجد العذاب الشديد في انتظاره في المستقبل اللهم أجعلنا من المؤمنين الطائعين ولا تجعلنا من مرتكبي الخطايا والسيئات والآثام وارحمنا إنك الرحمن الرحيم.

ج . المستقبل بالمطلق لا يعلمه إلا هو: قال تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} <sup>٧٩٩</sup> ، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} <sup>٨٠٠</sup>. علم المستقبل في دائرة النسبية هو بالتمام في دائرة الممكن بالنسبة للخليفة، فنحن جميعا نعلم بأن غدا السبت بما أن اليوم الجمعة، ونعلم أن الصلاة بعد شهادة أن لا إله إلا الله فريضة على كل مسلم وكذلك الزكاة والصوم والجهاد والحج، ونعلم كل ذلك وفقا للمستطاع والحمد لله إن الدين الحق يسر وليس فيه شيء من العسر وهذه سعة من الله العزيز الحكيم.

<sup>٧٩٧</sup> الرعد ١٠، ١١.

<sup>٧٩٨</sup> النساء ١٠، ١١.

<sup>٧٩٩</sup> البقرة ١٥١.

<sup>٨٠٠</sup> لقمان ٣٤.

ومع أن المستقبل بالمطلق لا يعلمه إلا هو إلا أن الخليفة يعلم ببعض المستقبل ويعمل من أجله وهو يدرك بأن ما يعمل من أجله معرض للمفاجئة من علم الغيب، فالإنسان يولد ويتعلم ويسعى لإيجاد فرصة عمل تناسبه، ويسعى لبناء أو شراء مسكنا ويتزوج وهو يأمل أن تكون له أسرة سعيدة مباركة أي أن الخليفة يخطط دائما من أجل المستقبل ولهذا يصوم ويصلى ويحج ويزكي ويتصدق من أجل مستقبل مأمول وهو الفوز بالجنة والحمد لله رب العالمين اللهم أجعلنا من أهل الجنة إنك السميع المجيب.

د . الغيب لا يعلمه غيره: الغيب هو الذي بيننا وبينه حجاب وهو الميدان الواسع لتنفيذ الأمر كن، ولهذا فكل المدركات العقلية تعجز قاصرة عن بلوغه وإن اجتهدت العقول بموضوعية تمكنت من أن تبلغ علم المستقبل الذي تسعى إلى بلوغه بخطط واستراتيجيات توضع وترسم، ولذا فدائما يرد إليه علم الساعة التي نعلم يقينا إن علمها أمر غيب. قال تعالى: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ} <sup>٨٠١</sup>، وقال تعالى: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } <sup>٨٠٢</sup>. الغيب أمر بالمطلق لا يعلمه إلا هو جل جلاله والحمد لله رب العالمين.

١٨ . سعة هيمنته: قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} <sup>٨٠٣</sup>، وقال تعالى: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي

<sup>٨٠١</sup> فصلت ٤٧ .

<sup>٨٠٢</sup> الأنعام ٥٩ .

<sup>٨٠٣</sup> الحشر ٢٢ . ٢٤ .



الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} <sup>٨٠٤</sup>، وقال تعالى: {وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} <sup>٨٠٥</sup>  
وقال تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} <sup>٨٠٦</sup>.

١٩ . سعة جبروته: قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ  
وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ  
فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} <sup>٨٠٧</sup>، و قال تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي  
الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ  
فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} <sup>٨٠٨</sup>، وقال تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} <sup>٨٠٩</sup>.

٢٠ . سعة حفظه: الواسع هو الذي يحوط بالأشياء مكانا وزمانا وحفظا واستيعابا وحركة  
وسكونا، وهو الذي يحفظ كل ما خلق دون أن يغفل عنه في شيء يذكر، وهو القادر على  
إبقاء ما يشاء كيف يشاء دون ضرر وبكل سيطرة، ولذا كل مخلوق محفوظ بواسع رحمته  
وملكه. قال تعالى: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ  
رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ  
وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ  
بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} <sup>٨١٠</sup>. إن أخذ الله بناصية كل دابة يرجع إلى أسباب  
سيطرته دون تفريط، وأخذ ناصية كل دابة ضارة لأجل حفظ النوع وخاصة المستخلفين فيها،  
وأخذ ربي دائما على الصراط المستقيم دون ظلم أو تحيز وذلك لأن من صفاته العدل القسط  
والميزان العدل والصراط المستقيم ولهذا فإن ربي على كل شيء حفيظ والحمد لله رب  
العالمين. ومن صور حفظه:

<sup>٨٠٤</sup> الأنعام ٣.

<sup>٨٠٥</sup> البروج ٢٠.

<sup>٨٠٦</sup> فصلت ١٢.

<sup>٨٠٧</sup> الرعد ١٣، ١٢.

<sup>٨٠٨</sup> الأنعام ٦.

<sup>٨٠٩</sup> البروج ١٢.

<sup>٨١٠</sup> هود ٥٦، ٥٨.

أ . حفظه أنبيائه، قل تعالى مخاطبا نبيه الكريم: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }<sup>٨١١</sup>، وقال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }<sup>٨١٢</sup>.

ب . حفظه للوح والكتاب: قال تعالى: { وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ }<sup>٨١٣</sup>، وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }<sup>٨١٤</sup>.

ج . حفظه سمائه من الشياطين: قال تعالى: { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى

<sup>٨١١</sup> المائدة ٦٧.

<sup>٨١٢</sup> الأعراف ٥٩ . ٦٧.

<sup>٨١٣</sup> البروج ٢٠ . ٢٢.

<sup>٨١٤</sup> فصلت ٤١ . ٤٦.

وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ<sup>٨١٥</sup>، وقال تعالى: {وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}<sup>٨١٦</sup>.  
 وقال تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَبِّدْنَاهَا لِلنَّاطِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ}<sup>٨١٧</sup>.

د . حفظه للبشر: قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ}<sup>٨١٨</sup>، وقال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}<sup>٨١٩</sup>، وقال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}<sup>٨٢٠</sup>،

هـ . حفظه للأعمال: قال تعالى: {أَبَدًا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ}<sup>٨٢١</sup>، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}<sup>٨٢٢</sup> وقال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}<sup>٨٢٣</sup>.

<sup>٨١٥</sup> الصافات ٥ . ١٠ .

<sup>٨١٦</sup> فصلت ١٢ .

<sup>٨١٧</sup> الحجر ١٦، ١٧ .

<sup>٨١٨</sup> الانفطار ١٠ . ١٩ .

<sup>٨١٩</sup> الفلق ١ . ٥ .

<sup>٨٢٠</sup> الناس ١ . ٦ .

<sup>٨٢١</sup> ق، ٣، ٤ .

<sup>٨٢٢</sup> النساء ٣٨ . ٤٠ .

<sup>٨٢٣</sup> الزلزلة، ٧، ٨ .

و . حفظه لكل شيء: قال تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} <sup>٨٢٤</sup>، وقال تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} <sup>٨٢٥</sup>.

٢١ . سعة عرشه: قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَبْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} <sup>٨٢٦</sup>، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} <sup>٨٢٧</sup>.

٢٢ . سعة سمائه: قال تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} <sup>٨٢٨</sup>، وقال تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ

<sup>٨٢٤</sup> سبأ، ٢١ .

<sup>٨٢٥</sup> هود، ٥٧ .

<sup>٨٢٦</sup> هود ٦ ، ٧ .

<sup>٨٢٧</sup> البروج ١١ . ٢٢ .

<sup>٨٢٨</sup> الحجر ١٦ ، ٢٢ .

الْخُرُوجِ} <sup>٨٢٩</sup>، وقال تعالى: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} <sup>٨٣٠</sup>.

٢٣ . سعة رزقه: الرزاق خلق كل شيء بحسبان ونشر رزقه لكل شيء حسب الحاجة فمن خلقه رزقه مفتوح على مصراعيه بين أبواب السماء على الأرض سحب ومطر وحيوانات وعشب الكل يأكل ويسبح بحمده، وهناك من يحرث ويزرع ويحصد ثم يأكل وهو على غرار من يخترع ويطور ويصنع ويجنى ويكسب، ومع ذلك فإن للعناية الربانية آية يعيش عليها المولود والضعيف حتى يمتلك القوة. قال تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَإِلَيْهَا رَوَّاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} <sup>٨٣١</sup>. قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنْ لِلَّهِ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ} <sup>٨٣٢</sup>.

والخليفة هو الحامد للموسع عز وجل على نعمه التي لا تحصى، إنه المدرك للشيء وما يكمن من ورائه ولذا فهو من الطائعين الذاكرين الشاكرين على ما أعطاه الموسع وعلى ما ميزه به دون غيره وهو الذي يعمل من أجل مستقبلا أفضل وأجود وأحسن ومن شكره لنعم الموسع جل جلاله الطاعة في إظهار الآتي:

أ . عدم الإسراف: قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} <sup>٨٣٣</sup>.

<sup>٨٢٩</sup> ق، ٧، ١١.

<sup>٨٣٠</sup> المؤمنون، ٨٤، ٨٩.

<sup>٨٣١</sup> الحجر، ١٩، ٢٠.

<sup>٨٣٢</sup> الذاريات، ٥٦، ٥٩.

<sup>٨٣٣</sup> الأعراف، ٣١، ٣٢.

ب . عدم الاقتراب من المحرمات والفواحش: قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} <sup>٨٣٤</sup>.

ج . عدم الإشراك: قال تعالى: {وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يِقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} <sup>٨٣٥</sup>.

د . عدم الاقتراب من مال اليتيم: قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} <sup>٨٣٦</sup>.

٢٤ . سعة ميراثه: قال تعالى: {وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} <sup>٨٣٧</sup>، وقال تعالى: {وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} <sup>٨٣٨</sup>.

٢٥ . سعة أبعديته: ولأن الله تعالى هو الأول والآخر إذن لا باقٍ من بعده أبداً، ولذا رزقه باقٍ، وحكمته باقية وعلمه باقٍ وقوته باقية والخلق فانون ولهذا تفنى الخلائق ويبقى الملك لله وحده. قال تعالى: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} <sup>٨٣٩</sup>، وقال تعالى: {وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ وَلَا تُعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ

<sup>٨٣٤</sup> الأعراف، ٣٣.

<sup>٨٣٥</sup> الأعراف، ٣٣ . ٣٥.

<sup>٨٣٦</sup> الإسراء، ٣٤.

<sup>٨٣٧</sup> الحجر، ٢٣ . ٢٥.

<sup>٨٣٨</sup> الحجر، ٢٣ . ٢٥.

<sup>٨٣٩</sup> الحديد، ٢ . ٣٠.

أَمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} <sup>٨٤٠</sup>.  
 وقال تعالى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} <sup>٨٤١</sup> وقال تعالى: {وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} <sup>٨٤٢</sup>.

٢٦ . سعة جنته: الجنة أمل كل خليفة وهي ثمار عمل المؤمن في الحياة الدنيا، فمن زرع خيرا حصد خيرا وفاز بالجنة، ومن زرع شرا حصد شرا وخسر الجنة وهو حطب في نار جهنم، قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهَ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} <sup>٨٤٣</sup>، وقال تعالى: {سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ

<sup>٨٤٠</sup> التوبة، ٨٤ . ٨٦ .

<sup>٨٤١</sup> طه ، ١٣١ .

<sup>٨٤٢</sup> القصص ٦٠ . ٦٨ .

<sup>٨٤٣</sup> آل عمران ١٣٣ . ١٣٦ .

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} <sup>٨٤٤</sup>، وقال تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} <sup>٨٤٥</sup>.

الجنة بيت الفردوس والنعيم فمن دخلها عاش في النعيم، ومن خسرها عاش في جهنم، اللهم اجعلنا من الفائزين لا من الخاسرين لقد وعدتنا ووعدك الحق، فالحمد لله رب العالمين إنا بك آمنا وبما أنزلت وأرسلت وأمرت، وعليك توكلنا، وأولينا أمرنا إليك إنك سميع مجيب.

٢٨ . سعة كبريائه: الكبرياء لله وحده، ومن بعده تستمد الكبرياء بإكبار العمل الصالح حتى ينال القائمون به تقديرا من الآخرين فتعود الكبرياء على من قام بالعمل الصالح، والكبرياء غير التكبر، الكبرياء اجتناب الأعمال الرخيصة الفاقدة للقيم والفضائل التي تنال تقدير الواسع العليم وتقدير الناس المحققين للحق والزاهقين للباطل. أما التكبر تعالي بغير حق وبدون وجه حق وفيه تقليل من شأن الذين خلقهم الله خلائف في أحسن تقويم. قال تعالى: {قُلِّلِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} <sup>٨٤٦</sup>. وقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُونَ

<sup>٨٤٤</sup> الحديد ٢١ .

<sup>٨٤٥</sup> السجدة ١٣ .

<sup>٨٤٦</sup> الجاثية ٣٦، ٣٧ .



قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلِفَتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا  
بِمُؤْمِنِينَ<sup>٨٤٧</sup>.

٢٩ . سعة عظمته: الواسع عظيم بسعته التي استوعبت كل ما خلق وكل ما يخلق، وعظيم  
بمغفرته التي بها يتم التكفير عن الأخطاء والعيوب والذنوب، إنه مالك كل شيء وبيده أمر  
كل شيء ومع ذلك بعض من خلقه لا يطيعون أمره ويعصونه، وفوق كل ذلك يغفر ويرحم  
ويجازي بالخيرات، ومع أنه يغفر ويرحم إلا أن بعض القلوب لا تلين فيؤجل كل شيء ولا  
يتعجله لتكون الفرصة سانحة أمامهم، ألا يكون هذا الأمر لعظيم يجل؟! . إنه العظيم الذي  
تسبح باسمه وصفاته كل الخلائق التي نحن المستخلفين في الأرض لا نفقه تسبيحها، ألا  
يكون عظيما من خلق الخلائق التي لم نفقه تسبيحها وهي تدركه يقينا وتسبح له بالحمد  
والثناء؟!، ألا يكون عظيما من خلق كل شيء وجعل لكل ما خلق رزقا دون أن يكون لأحد  
نصيب على حساب آخر؟. ألا يكون من خلق الخليفة واصطفا منه الأنبياء والرسل لأجل  
الهداية عظيما يجل؟! . ألا يكون من ليس له صاحبة ولا ولداً ولا مثيلاً ولا شريكاً في الملك  
عظيم يجل؟! . ألا يكون من يرزق دون أن ينتظر مقابلاً عظيم يجل?! .

ولأنه عظيم فنعمه لا تحصى وجلالته لا تعد ومن عظام سعته:

أ . عظمة كرسية: قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي  
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا  
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ  
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ<sup>٨٤٨</sup>.

ب . عظمة الفوز بجنته: قال تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ

<sup>٨٤٧</sup> يونس ٧١ . ٧٨ .

<sup>٨٤٨</sup> البقرة ٢٥٥ .

مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>٨٤٩</sup>، وقال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ<sup>٨٥٠</sup>.

ج . عظمة رحمته: قال تعالى: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ<sup>٨٥١</sup>، وقال تعالى: {لَكِنَّ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ<sup>٨٥٢</sup>.

د . عظمة اسمه: قال تعالى: {لِحُنَّ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ<sup>٨٥٣</sup>. وقال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ<sup>٨٥٤</sup>.

هـ . عظمة فضله: قال تعالى: {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ<sup>٨٥٥</sup>، و قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ<sup>٨٥٦</sup>.

<sup>٨٤٩</sup> المائدة ١١٩، ١٢٠.

<sup>٨٥٠</sup> التوبة ٧١، ٧٢.

<sup>٨٥١</sup> البقرة ١٠٥.

<sup>٨٥٢</sup> التوبة ٨٨، ٨٩.

<sup>٨٥٣</sup> الواقعة ٧٣، ٧٦.

<sup>٨٥٤</sup> الواقعة ٩٥، ٩٦.

<sup>٨٥٥</sup> آل عمران ٧٣، ٧٤.

<sup>٨٥٦</sup> الأنفال ٢٩.

و . عظمة قرآنه: قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ وَقَدْ أْتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ} <sup>٨٥٧</sup>.

ع . عظمة نبئه: قال تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} <sup>٨٥٨</sup>

غ . عظمة خزيه: قال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ} <sup>٨٥٩</sup>.

ف . عظمة عرشه: قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} <sup>٨٦٠</sup>، وقال تعالى: {أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} <sup>٨٦١</sup>.

٢٨- سعة أرضه: الأرض هي المكان الذي يستوعب الخلائف والكائنات الأخرى المصاحبة للعيش عليها، وسعة الأرض بعلاقتها مع سعة السماء فلو لم تكن الأرض والسموات معا ما كان البخار وتراكم السحاب وسقوط الأمطار الممتدة مع حركة الرياح اللواقح، قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} <sup>٨٦٢</sup>، وقال تعالى: {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} <sup>٨٦٣</sup>.

٣٠ - سعة قصده: الله الواسع هو الخالق المطلق الذي بيده الملك والأمر وهو على كل شيء قدير، ولأنه هو الأول والآخر فهو المحيط بكل شيء وهو الحفيظ عليه ولأنه كذلك فهو

<sup>٨٥٧</sup> الحجر ٨٦، ٨٧.

<sup>٨٥٨</sup> النبأ ٥، ١.

<sup>٨٥٩</sup> التوبة ٦٣.

<sup>٨٦٠</sup> التوبة ١٢٨، ١٢٩.

<sup>٨٦١</sup> النمل ٢٥، ٢٦.

<sup>٨٦٢</sup> الزمر ١٠.

<sup>٨٦٣</sup> النساء ٩٧.

في كل حركة وزمان وسكون وامتداد واتجاه. قال تعالى: {أَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} <sup>٨٦٤</sup>، وقال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} <sup>٨٦٥</sup>. وقال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} <sup>٨٦٦</sup>.

٣١ - سعة عطاياه: قال تعالى: {وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} <sup>٨٦٧</sup>. قال ابن الأنباري: الواسع: وهو الكثير العطايا الذي يسع لما يُسأل <sup>٨٦٨</sup>. قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} <sup>٨٦٩</sup>. ولذلك فمن موجبات العطاء:

<sup>٨٦٤</sup> البقرة ١١٥.

<sup>٨٦٥</sup> النساء ١٠. ١٣.

<sup>٨٦٦</sup> النحل ٩. ١٤.

<sup>٨٦٧</sup> يونس ١٠٧. ١٠٩.

<sup>٨٦٨</sup> تهذيب اللغة، ج ١، ص ٣٣٩، ٣٤٠.

<sup>٨٦٩</sup> يونس ١١.

أ - الدعاء: الدعاء صلة بين المحتاج ومالك الملك، والاستجابة توسع وفضل من المالك على المحتاج، ولهذا فالدعاء استعانة تتطلب استجابة، وعندما تكون الاستعانة بمن يملك تكون الإجابة لمن هو في حاجة، ولذا الخليفة لا يقصد إلا مالك مطلق لتكون الإجابة معطية من معطيات المؤمنين المستخلفين فيها بهدف الإصلاح والفلاح. قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَتَى تُؤَفَّكُونَ} <sup>٨٧٠</sup>.

ب - الشكر: الشكر اعتراف وثناء على من كان له الفضل الواسع على من هو في حاجة له، ولهذا تكون الزيادة الموسعة بالعبادة تقديرا لشكرهم له جل جلاله. قال تعالى: {وَإِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} <sup>٨٧١</sup>.

٣٢- سعة بحاره: مع أن كل شيء نسبي إلا أن الواسع لا يخلق إلا واسعا في حجمه أو حركته وامتداده أو ذكائه وتفكيره أو ثباته وصموده أو عزته ومغفرته أو صلواته وزكاته وصدقته وملكه ولهذا فالواسع المطلق هو من يسع كل واسع وإن اجتمعت الوسائع. قال تعالى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} <sup>٨٧٢</sup>، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} <sup>٨٧٣</sup>. ولأن كل شيء في دائرة الممكن نسبيا فإن سعة البحر الممتدة بين اليابسة وبينها وبين المحيطات التي تخوضها ذات الأعلام طولا وعرضا فهي لا

<sup>٨٧٠</sup> غافر ٦٠ . ٦٢ .

<sup>٨٧١</sup> إبراهيم ٧ ، ٨ .

<sup>٨٧٢</sup> النور ٤٠ .

<sup>٨٧٣</sup> إبراهيم ٣٢ ، ٣٣ .

تكون السعة المطلقة بل هي سعة نسبية من سعة الرحمن الرحيم. قال تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} <sup>٨٧٤</sup>.

٣٣- سعة كلماته: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} <sup>٨٧٥</sup>. وقال تعالى: {وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} <sup>٨٧٦</sup>.

٣٤- سعة يسره: الموسع هو الميسر لا المعسر وهو الرحمن الرحيم. قال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} <sup>٨٧٧</sup>، وشروط تيسيره لخليفته:  
أ - أن يكون الخليفة مؤمنا صالحا: قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} <sup>٨٧٨</sup>.

ب . أن يكون الخليفة سيره على نهج قوله تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ} <sup>٨٧٩</sup>.  
ج . أن يكون الخليفة متقيا ربه: قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} <sup>٨٨٠</sup>.  
د . عدم التكلف بما لا تطيق النفس: قال تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} <sup>٨٨١</sup>.

<sup>٨٧٤</sup> الكهف ١٠٩ .

<sup>٨٧٥</sup> الكهف ١٠٧ . ١١٠ .

<sup>٨٧٦</sup> لقمان ٢٥ . ٢٨ .

<sup>٨٧٧</sup> الشرح ٥ ، ٦٤ .

<sup>٨٧٨</sup> الكهف ٨٨ .

<sup>٨٧٩</sup> الشرح ٧ ، ٨٤ .

<sup>٨٨٠</sup> الطلاق ٤ .

٣٥- سعة نصره: قال تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِنُورٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} <sup>٨٨٢</sup>. ومن دواعي نصرته تعالى لخليفته:

أ - تقوى الله: قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ} <sup>٨٨٣</sup>.

ب . الصبر عند اللقاء: قال تعالى: {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} <sup>٨٨٤</sup>.

ج . الاستغاثة بالله: قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا

<sup>٨٨١</sup> الطلاق ٧.

<sup>٨٨٢</sup> الحج ٤٠، ٤٦.

<sup>٨٨٣</sup> آل عمران ١٢٣، ١٢٤.

<sup>٨٨٤</sup> آل عمران ١٢٥، ١٢٦.

مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ  
ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ} <sup>٨٨٥</sup>.

د . الثبات عند اللقاء: قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا حَفَا فَلَ تُولُّوهُمْ  
الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ  
وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} <sup>٨٨٦</sup>. قال تعالى: {إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا  
لَفَشَيْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيْتُمْ فِي  
أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَاللَّهُ تَرْجَعُ الْأُمُورُ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَانْتَبُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} <sup>٨٨٧</sup>.

٣٦ . سعة وجهه: قال تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ  
أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ  
رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} <sup>٨٨٨</sup>، وقال تعالى: {وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ  
أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ  
شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} <sup>٨٨٩</sup>، وقال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ  
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ  
مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ  
وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ  
يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ  
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ

<sup>٨٨٥</sup> الأنفال ٩ . ١٦ .

<sup>٨٨٦</sup> الأنفال ١٥ ، ١٦ .

<sup>٨٨٧</sup> الأنفال ٤٣ . ٤٥ .

<sup>٨٨٨</sup> البقرة ١١ ، ١٢ .

<sup>٨٨٩</sup> القصص ٨٧ ، ٨٨ .



ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ  
مُزْتَفًّا { ٨٩٠ .

٣٧ . سعة مضاعفته: الواسع يضاعف للخيرات للخيرين بالزيادة وهذه رحمة منه على خلفائه  
في الأرض الذين يصلحون ولا يفسدون. قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ  
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا  
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى  
شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} <sup>٨٩١</sup>، وقال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي  
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ  
قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} <sup>٨٩٢</sup> . وفي مقابل مضاعفته للخيرات يضاعف  
العذاب يوم القيامة للكفرة والمشركين وفاعلي السيئات والمفسدين في الأرض وسافكي الدماء  
فيها بغير حق قال تعالى: {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ  
كَافِرُونَ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ  
لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ  
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ} <sup>٨٩٣</sup>، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا  
يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ  
يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا

<sup>٨٩٠</sup> الكهف ٢٨ . ٣١ .

<sup>٨٩١</sup> البقرة ٢٦١ . ٢٦٤ .

<sup>٨٩٢</sup> الحديد ١٧ ، ١٨ .

<sup>٨٩٣</sup> هود ١٩ . ٢٢ .

صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا<sup>٨٩٤</sup>.

٣٨ . سعة زمانه ومكانه: الزمان هو الملاحظ الذي لا يمكن مشاهدته، والذي لا يقاس بغيره أو من خارجه، فالزمان لا يقاس إلا بالزمن، والدهر كزمن، لا يقاس إلا بالأعوام والسنين، والأعوام لا تقاس إلا بالشهور كمواقيت طبيعية، والشهور لا تقاس إلا بالأيام، وهكذا عرفنا الساعات كزمن لقياس اليوم كزمن. إذن الزمان هو المتدرج من الكل إلى الجزء الذي هو الآخر يتجزأ.

وقد يتساءل البعض: ما علاقة الزمان بالحركة؟ وأيها الأسبق على الآخر؟. تكون الإجابة: لا حركة بلا زمان، ولا زمان بلا حركة، ولهذا لا يمكن أن يكون أحدهما سابق على الآخر فلو كان الزمان سابق على الحركة، لكانت الحركة عبارة عن حدث من أحداث الزمان، وهكذا لو كانت الحركة سابقة على الزمان لكان الزمان عبارة عن حدث حركي أو مولود الحركة الأول، وكل منهما مترتب وجوده مع الآخر، وليس مترتباً عليه. ولهذا لو توقفت الحركة يتوقف الزمان، وإذا توقف الزمان توقفت الحركة، فلا حركة إلا بزمان، ولا زمان إلا بحركة. إذن الزمان والحركة هما الشيطان المكملان لبعضهما البعض في الوجود المترتب عليهما.

وبما أن الزمان والحركة شيطان، إذاً هما الموجودان في الآن الواحد، ولهذا لا يمكن أن يكون الآن بأحدهما، ولا يمكن أن يكون الماضي، ولا يمكن أن يكون المستقبل. فالزمان والحركة هما الشيطان اللذان كانا لحظة الانفجار العظيم، وهما السابقان في الخلق الذي يتكون من الزوجين، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>٨٩٥</sup>. فالزمان والحركة شيطان اثنان كغيرهما من الأشياء الأخرى التي تم خلقها من عند الله عز وجل. ويقول تعالى: ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ

<sup>٨٩٤</sup> الفرقان ٦٩ . ٧١ .

<sup>٨٩٥</sup> الذاريات ، ٤٩ .

لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ<sup>٨٩٦</sup>.

الليل كزمن أو ميقات يتوحد مع حركة الأرض الذي يسبح (يتحرك) وكأنه في حالة طفئ، وهو في حركة منتظمة ومتناهية مكان وزمان.

ونتيجة انتظام حركة المتحرك مع زمانه فلا يمكن له (المتحرك) أن يدرك أحدهما الآخر (الليل والنهار والشمس والقمر). ومع أن الزمان والحركة يلاحظان ولا يشاهدان، إلا أن المواقيت تشاهد، فالليل والنهار والفجر والصبح والمغرب مواقيت كلها تشاهد. ولهذا لا متحرك إلا في مواقيت أو بمواقيت. إذن لا متحرك إلا والزمان معه، ولا وجود لمواقيت إلا والحركة معها (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون).

الآن:

يقول ابن سينا الآن هو "دائماً وصل بين قبل وبعد، وهو قبل ما بعده، وبعد ما قبله"<sup>٨٩٧</sup>. فالآن كالعلامة على الزمان ويشار به إلى الوقت الحاضر الذي يربط الزمنيين الماضي والمستقبل اللذين هما الآخران علامتان على الزمان، والزمان متصل غير منفصل، أما الوقت الذي هو المتكون من الماضي والحاضر والمستقبل فمتجزئ بأحداثه. وعندما نقول الزمان في تشبيهه كالحبل على البكرة، فالذي تم سحبه منه أصبح في الوقت الماضي، وما هو على البكرة هو في وقت الآن، وما لم يسحب بعد يقع في الوقت المستقبل، ولهذا تجزأ الوقت ولم يتجزأ الحبل (الزمان) فالحبل متصل لأنه حبل واحد ، أما الوقت فلم يكن واحدا .

الآن، إذن هو، الظاهر في الحاضر، والكامن في الماضي، والمنتاهي في المستقبل.

الآن البداية:

<sup>٨٩٦</sup> يس ، ٣٧ . ٤٠ .

<sup>٨٩٧</sup> إبراهيم العاتي ، الزمان في الفكر الإسلامي . بيروت ، الطبعة الأولى ، دار ال تخب العربي ، ١٩٩٣م

، ص ١٨٣ .

هو الذي لم يكن كما قال عنه ابن سينا "الآن دائما وصل بين قبل وبعد"<sup>٨٩٨</sup>. بل الآن البداية هو بداية التوأم (الزمان والحركة) فلا زمان إلا من بعده ولا حركة إلا من بعده، ولا حياة إلا من بعده. وذلك لعدم وجود ماضٍ سابق على وجوده، ولهذا الآن البداية هو دائما بداية لما بعده .

الآن الوسطي:

هو الذي ينطبق عليه ما قاله ابن سينا بأنه "دائما وصل بين قبل وبعد، وهو قبل ما بعده، وبعد ما قبله"، ولكن ليس بالضرورة أن يكون هو الوسط الحسابي بحيث تتعادل أطرافه، فإذا اعتبرنا الآن في هذا اليوم نقطة وصل بين الماضي من البداية، والمستقبل إلى النهاية، فهل نحن متأكدون بأن ما قضيناه من الزمان يساوي ما تبقى منه؟.

الآن النهاية:

هو دائما بعد ما قبله، وليس وصل بين قبل وبعد، فإذا كان للحجرة باب، فالآن هو المفتاح الذي قفلت به الحجرة. ولهذا الآن النهاية، هو دائما نهاية لما قبله.

الآن والماضي:

هو المستوعب للتجارب التي وقعت أو التي حدثت بموجبها وسالبا وهو الذي يكتمل بعد حدوث الفعل أو الانتهاء من التجربة، ويتصل مع كل حاضر بالنقطة الآن. والماضي هو الوقت الذي سجلت فيه الأحداث والأفعال والتجارب في الزمان والحركة وهو القابل للاستدعاء كأحداث وغير قابل للاستدعاء كزمان وحركة، والسبب هو أن الأفعال الماضية إلى جانب كونها تُسجل في الزمان والحركة فهي أيضا تسجل في العقول المدركة التي عندما تحاور بالأسلوب العلمي تتمكن من أن تستدعي ما سُجل لديها من مخزون ماضي. أما الزمان الماضي والحركة الماضية فلا يمكن استدعاءهما مع الأحداث الماضية إلا كمواقيت ودلائل لتسجيل الأحداث والمواقف والمواضيع والظواهر، ولذلك لا يمكن استدعاءهما مجردين مع أنهما يتكرران وفقا للدورة الفلكية المنتظمة. ولذلك نلاحظ تكرار الزمان والحركة، ونلاحظ

<sup>٨٩٨</sup> المرجع السابق ، ١٨٣ .

اختلاف المحتوى، بمعنى إن اليوم يتكرر كل أربعة وعشرين ساعة، ولكن مضمون اليوم ومحتواه قد لا يتكرر، فعلى سبيل المثال : قد نجد اليوم درجة الحرارة أكثر أو أقل من حرارة يوم أمس، أو أنها أكثر أو أقل من حرارة اليوم المماثل لهذا اليوم من العام الماضي، مع أن هذا اليوم يماثل يوم العام الماضي من حيث الزمان والحركة ، ولهذا يختلف المضمون والمحتوي لكل وقت سواء من حيث الكم أو الكيف ، ولكن بالنسبة للحركة الذاتية والزمان الذاتي لا يختلفان بين هذا اليوم ويوم العام الماضي، فيوم ٢٣ يوليو من هذا العام لا يختلف عن يوم ٢٣ يوليو من العام الماضي باعتباره أطول أيام السنة نهارة، ولكن من حيث المضمون والمحتوى فقد لا يكون بينهما تماثل، وهكذا يكون يوم الفاتح من سبتمبر من هذا العام لا يختلف عن يوم الفاتح من سبتمبر من العام القادم من حيث الزمان والحركة. إذن الماضي كأعمال لها مضمون ومحتوى يمكن استدعائها في الوقت الآن، والآن هي لحظة بداية ولحظة نهاية، ولهذا تقع الآن في الزمان كما يقع الزمان في الحركة، فلا حركة بدون الآن، ولا الآن بدون زمان، فالماضي لا يبدأ إلا به ولا ينتهي بغيره (بغير الآن) ، وهكذا الحاضر هو الآخر بدايته الآن ونهايته الآن، وكل مستقبل لا يكون إلا به، فهو أمر البداية وأمر النهاية، فسبحان ربي إذا أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾<sup>٨٩٩</sup> فالأعمال التي وقعت في الماضي ستكون في المستقبل كما هي أمام مرتكبيها، ولهذا استدعاء الماضي ممكن، ولكن إعادة الزمان والحركة بالنسبة للمخلوقات غير ممكن.

الآن والمستقبل:

المستقبل هو الوقت المنتظر الذي يحتوي على الآمال وهو غير قابل للتذكر ولكنه قابل للتفكر، والتفكر لا يهتم باستدعاء المعلومات الجاهزة، بل هو المتطلع إلى ما هو متوقع، نتيجة استنتاجاته واستقراءه لمضمون الماضي الذي تكمن فيه المعلومات والتجارب وتتراكم فيه الخبرة، ولذلك يستمد المستقبل تطوره وتجديده من الماضي الذي يرتبط به في الآن، ولذلك

تتداخل المعلومات كما يتداخل الزمان مع الحركة، مما يجعل الحياة نسيج الأفعال في الزمان والحركة، فلا زمان بلا حركة ولا حركة بلا زمان ولا حياة بدونهما.

المستقبل لا يحصى، وذلك لعدم تسجيله بعد في سجلات التاريخ، مع أنه مسجل كوقت في الزمان والحركة، ولهذا سيأتي بالقوة الفاعلة من خلال قوة الزمان والحركة الفلكية، فيما أن اليوم قد حضر والحركة مستمرة إلى النهاية مع الزمان، فبالضرورة سيأتي غدا لا محالة، وغدا قد يكون نهاية لما سبق وقد يكون استمرارا له، وهذه بالنسبة لنا غير معلومة مع أنها متوقعة.

المستقبل هو الذي سيأتي بعد كتابة هذه الكلمة في حالة مواصليتي الكتابة، وهو الفكرة التي ستأتي بعد ما أفكر فيه، وهو الزمن الذي فيه طموحاتنا وما نتوقع، والذي من أجله نتنفس ونشرب، ونأكل، ونفكر، ونتعلم، ونعمل، ونتصدق ونصلي، ونحب ونتزوج، وندخر وفق حاجاتنا، ونؤمن على أرواحنا وممتلكاتنا، ونخاف، وهو نهاية البداية وثبات الحركة، وعليه كل حركة من أجل المستقبل.

تتحرك الأرض والكواكب والنجوم بالأمس، فكان اليوم، وتستمر في حركتها من أجل أن يأتي غدا، وهكذا تكون الحركة إلى النهاية، وعندما تأتي النهاية يكون الثبات، وإذا كانت الحركة تتضمن وجود طاقة، فإن المستقبل يتضمن زمان ومجال توليدها، وهكذا تستمر الحركة والمستقبل، فلا حركة إلا لمستقبل، ولا مستقبل بدون حركة، ومنهما يحدث التغيير، سلبا أو إيجابا .

يتكون كل من المستقبل والحركة، من زمان، وفعل (محتوى ومضمون)، وعليه لا يمكن أن يتحقق المستقبل بدون زمان وفعل، ولا يمكن أن تكون الحركة بدون زمان وفعل، وعندما تصل الحركة إلى لحظة النهاية، يكون العدم، وينتهي المستقبل بالنسبة لها مادامت في حالة عدم، وعليه يستمر المستقبل كلما كانت هناك حركة، وتستمر الحركة كلما كان هناك مستقبل .

لو لم يكن هناك مستقبل ما كان هناك أمل، ولا أمان، وما فكرنا فيما ينبغي أن نفكر فيه وهو ما يشغلنا. وبناء على ذلك ينبغي أن تكون مناهجنا مستقبلية، لكي نعرف من نحن، وما يجب علينا القيام به؟ ونعرف من أجل ماذا نفكر؟، ومن أجل ماذا نتعلم؟، ومن أجل ماذا نخطط

وُنْتِج؟ ومن أجل ماذا نهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية؟ ومن أجل ماذا ندرس، ونحلل، ونعالج؟ ولماذا طرحت هذه الأسئلة؟ وهل ينبغي أن يتجاوز تفكيرنا الزمان، أم يقتصر عليه؟ إذا كانت الإجابة بتجاوزه فإننا نفكر، وإذا كانت بالاقصرار عليه فإننا نتذكر ومنتظر، نتذكر الماضي، ومنتظر حتى يأتي الغد في لحظة الآن المستقبلية، أي نعطل قدراتنا ومواهبنا ولا نفكر لأن الغد لم يأتي بعد. كل هذه وتلك الأمثال تجعلنا نفكر كما قال الله تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾<sup>٩٠٠</sup>، ويقول تعالى ﴿فأقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾<sup>٩٠١</sup>.

والمستقبل يكمن في الزمان والحركة كما تكمن الشجرة في البذرة، مما يجعل الشجرة تكمن في الزمان المستقبل في البذرة الآن مع أن هذه البذرة كانت في الماضي من الشجرة، وعندما تصبح البذرة شجرة مثمرة تكون البذرة في الماضي، وتكون الشجرة في الآن، وتكون الثمار في المستقبل. وهكذا في التقاء المحبة الآن بين الحيوان المذكر مع البويضة يكمن المستقبل الذي تكمن فيه هو الآخر معاني الأمومة والأبوة والأخوة بين البشر عندما تأتي الآن المستقبلية في وقت النضج العقلي والعاطفي والوجداني للبشر من مرحلة الطفولة المبكرة إلى مرحلة الشيخوخة المتأخرة.

إن ما وقع في الآن الماضي سيكون بالضرورة حاضرا في الآن المستقبل، ولهذا لا يمكن أن يكون الماضي ولا المستقبل إلا في الآن، فالمؤمن الذي يعمل صالحا في دنياه يعمل في حقيقة الأمر من أجل المستقبل، ومستقبله سواء كان خيرا أو لا، هو ما كان له حاضر في الماضي. إذن الماضي كأحداث وأفعال سيكون حاضرا في المستقبل (الحاضر المستمر) ويُسأل صاحبه عليه فيعاقب أو يجاز به، فيقول الله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من

---

<sup>٩٠٠</sup> الحشر ، ٢١ .

<sup>٩٠١</sup> الأعراف ، ١٧٦ .

خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد<sup>٩٠٢</sup>.

تؤكد هذه الآية على أن كل عمل ماضي هو من أجل المستقبل، وهكذا عمل الحاضر الذي هو الآخر سيقع في الزمان الماضي فهو لم يكن من أجل الماضي، بل أنه من أجل المستقبل، ولذلك يكون الماضي كالخزينة المملوءة التي لم تفتح بعد الفتحة النهائية، بل أنها في الحياة الدنيا لا تفتح إلا بمقدار استدعاء المعلومات التي يمكن أن تفيد في صنع تاريخ قريب، ولهذا ينبغي أن نعمل في حاضرتنا خيراً لكي يكون لنا مستقبل خيراً. وكل الأعمال التي تقع في الآن، تسمى في الماضي وتصبح على خير المستقبل، وحتى أن نسيها أصحابها فلا يضيع منها شيئاً بالنسبة للسجل الزمان والحركة، ليوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد<sup>٩٠٣</sup>. تؤكد هذه الآية على أن كل شيء وجد يمكن إحصاؤه، ولكن قصور القدرات البشرية عن ذلك عجزت عن إحصائه مع أنه محصيا من قبل الخالق عز وجل، ولهذا كل عمل قد حدث سيكون حاضراً في المستقبل لتتم المسألة ويتحقق له الجزاء.

الوقت منتظم في الزمان كانتظام حبات المسبحة في خيطها، وبالتالي يمكن التعرف على الأوقات وحصرها وعدّها ولكنه من غير الممكن عد الزمان، فعندما تعد واحدة من حبات المسبحة المتكونة من المائة حبة تصبح هذه الأولى في الماضي، وتكون الحبة الثانية الواقعة بين أصابعك في الآن، وتكون ٩٨ حبة واقعة في المستقبل، ولكن إذا قررت أن تكرر التسبيح أو عد حبات المسبحة أكثر من مرة واحدة، تكون الحبة التي وقعت في الزمان الماضي هي الأخرى واقعة في المستقبل، وذلك لأنها هي الأخرى سيتم عدّها أو التسبيح بها مرة ثانية، وفي هذه الحالة لن يكون عدد الحبات المتبقية للتسبيح كما سبق وأن ذكرنا هي ٩٨ حبة، بل يكون مجموع الحبات المتبقية ٩٩ حبة، وعلى هذا النحو يكون عدد الحبات في جميع الدورات

<sup>٩٠٢</sup> آل عمران ، ٣٠ .

<sup>٩٠٣</sup> المجادلة ، ٦ .



هو ٩٩ حبة عندما تكون الاستمرارية في التسبيح على أن تكون في كل دورة تسبيحية حبة واحدة في الآن بين الأصابع ، ولا يكون العد التناقصي إلى الصفر إلا في الدورة التسبيحية الأخيرة . وعليه كل الماضي هو واقع في المستقبل المعلوم بما أنه سيكون حاضرا مصداقا لقوله تعالى: {يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد}٩٠٤ . إذن كل ما قمنا به من أعمال سيكون حاضرا في المستقبل ونكون نحن مساءلون عنه، ولهذا لن ينتهي الماضي بعد ، لأن نهايته هي في الآن المستقبلية وليست في الآن الماضية التي كنا نعتقد بأنها النهاية. ويكون قولنا أن الزمان كالخيوط والأوقات منظومة عليه كحبات المسبحة هو المثال القريب لتوضيح أحداث الماضي التي وقعت في الآن الحاضرة وأصبحت في الماضي وفق دورة الحركة والزمان فلكياً، وستكون جميعها في طبيعة الآن المستقبلية، ولذلك كل الأعمال التي وقعت في الماضي ستكون في المستقبل قبل المساءلة والمراجعة، وتكون بالضرورة في المستقبل عند بدأ المراجعة وكل حاضرا منها سيكون هو الآخر في الماضي بعد إتمام عملية المراجعة أو المساءلة . فعند دراسة الحالات الفردية من الناحية السلوكية والاجتماعية والصحية تتطلب بالضرورة مراجعة سجل الماضي الذي يتعلق بالحالة والذي يتضمن الأحداث والأفعال والظروف التي أثرت في السلوك أو أثرت على الحالة الصحية، أي دراسة الماضي لمعرفة الأسباب والعلل التي تحتويها الحالة مما يجعل هذه الحالة بالنسبة للباحث أو الأخصائي قبل بدء الدراسة هي في المستقبل، وأثناء التشخيص والتحليل تكون في الحاضر، وبعد العلاج تصبح الحالة في الماضي .

ومع أن الزمان لم يكن له شكل ولا صورة كما هو حال الأجسام الأخرى المتحركة، إلا أنه هو الآخر في حالة حركة، فيقول الله سبحانه وتعالى: {وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبصرةً لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء

---

٩٠٤ آل عمران ، ٣٠ .

فصلناه تفصيلاً<sup>٩٠</sup>. لو لم يكن هناك ليل ونهار ما كانت الأيام ولا كانت الشهور ولا السنين والدهور ولا كانت هناك حركة، أي لم يكن لدينا ما نعد من الزمان ونحن على سطح الأرض، أما رواد الفضاء عندما يخرجون عن قوانين حركة الأرض فقد تناسبهم مقاييس فيزيائية أخرى لا تعتمد على حركة الأرض، ولذلك لم يقل الله عز وجل لتعلموا عدد الزمان بل قال: (لتعلموا عدد السنين)، ولهذا قلنا الزمان والحركة لا يعدان، بل الذي يُعد هو المتحرك الأرض والقمر والشمس وبقية الكواكب كل في فلكها، وهذه جميعها قابلة للمشاهدة والملاحظة، وهكذا حال الليل والنهار والفجر والمغرب كمواقيت تشاهد وتلاحظ وبالتالي فهي تعد. والفارق بين الأجسام والمواقيت هو إن الأجسام قابلة للمس المادي، أما المواقيت الزمنية كالليل والنهار والفجر فلا يمكن لمسها مادياً، ولهذا من الممكن الاحتفاظ بشيء ما من الأجسام المادية كالأهلة والساعات الذرية في قوارير المعامل والمختبرات، ولا يمكن الاحتفاظ بشيء ما من المواقيت الزمنية في قوارير المعامل والمختبرات. وعليه لو لم يكن الزمان في حالة حركة ما كان الليل والنهار، وما كان الفجر والمغرب، وما عرفنا عدد السنين والحساب، وما عرفنا الوقت الذي تستغرقه الكواكب والنجوم والأجسام في حركتها الذاتية في مجال فلكها الذي تسبح فيه أو تمتد إليه.

والحركة والزمان شيئان لا يمكن مشاهدتهما مع أنهما يلاحظان بسهولة ويسر، فالذي يشاهد هو المتحرك وليست الحركة، الكواكب تلمس وتشاهد وتلاحظ حركتها، أما الليل والنهار والفجر والمغرب مع أنها تشاهد وتلاحظ إلا أنها لا تلمس، ومع ذلك كل ما يشاهد يعد حتى ولو لم يلمس كالليل والنهار، وذلك لأن لكل منهما بداية ونهاية يمكن رصدها وتحديدها وتسجيلها .

الحركة والزمان كما سبق وأن وضحنا لا يمكن مشاهدتهما ولا لمسهما ولا ذوقهما ولا شمهما مع أنهما يلاحظان، ولذلك يمكننا التمييز بين الحركة والمتحرك، وبين الحركة والامتداد. فالامتداد هو مجال حركة الجسم أو الشكل، فالمثلث هو امتداد بين نقاط زواياه الثلاثة، ولو لم

يحدث بينها امتداد ما كان للمثلث صورة أو شكل متصل، وهكذا مجال تكوين الشكل الدائري أو الرباعي أو أي شكل من الأشكال المشاهدة، فالامتداد يكون في تكوين الشكل و في تحديد اتجاه حركة الشكل، كاتجاه حركة الأرض في دوراتها حول نفسها، ودوراتها حول الشمس، فهي لا تمتد إلا في مجالها الفلكي، ولهذا الامتداد هو الذي يرسم شكل الدائرة، أما الحركة فهي الطاقة التي بها يمتد المتحرك سواء كان المتحرك قلما لرسم مستقيم أو منحنيًا أو أي شكل، أو حركة كوكب، أو حركة كائن من الكائنات .

الزمان والحركة متاهيان حيث إنهما محصوران بين قوة الأول والآخ الذي خلقهما وجعل لهما امتداد، ولذلك فهما المخلوقان في الآن والمكان الواحد، مما يجعل لهما أجلا واحدا (نهاية واحدة) ولو لم نؤمن بأن الزمان منتهى فكيف نؤمن إذن باليوم الآخر؟ فالיום الآخر هو الذي لا يكون فيه الليل والنهار والفجر والمغرب المعروفة في حساباتنا والتي بها تعد أيامنا وشهورنا وأعوامنا ودهورنا، والتي جميعها ستنتهي ليكون اليوم الآخر، واليوم الآخر هو الذي لم يكن مثل يومنا هذا الذي نعرفه، ولأنه الآخر فهو المختلف بالضرورة عما عرفناه في يومنا الأول. وبما أن للزمان بداية وللحركة بداية إذن مما لا شك فيه ستكون لهما نهاية .

حركة الزمان تماثل حركة الأجسام الفلكية في قوتها وانتظام سرعتها ولهذا تنتظم حركة المواقيت وتتزامن مع حركة الكواكب، فلا يأتي الليل مرتين في اليوم الواحد ولا تتأخر حركة الأرض عن ميقاتها ومكانها ليتأخر الشروق عن النهار ويتضاعف زمن الليل، بل الكل في فلك يسبحون وفق سرعة ثابتة ومدارات ثابتة . فالיום هو اليوم في كل دورة للأرض حول نفسها وعلى الشمس، وذاك اليوم من العام الماضي لا يختلف عن هذا اليوم الذي يماثله من عامنا هذا، الاختلاف بينهما في المحتوى الذي تتضمنه الأيام فمحتوى هذا اليوم قد لا يماثل محتوى العام الماضي من حيث درجة حرارته أو برودته أو من حيث الأحداث التي وقعت فيه، وعليه زمن اليوم لا يختلف وفق كل دورة سنوية ، والمحتوى اليومي مختلف بين الحين والآخر، فالיום الذي ولد فيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اليوم الذي توفى فيه، ولذلك قلنا اليوم واحد والمحتوى مختلف.

الزمان دائرة متصلة يتواجد فيها الماضي جنباً إلى جنب مع الحاضر والمستقبل، ولو عدنا إلى الماضي البعيد إلى أن نصل إلى النقطة الآن فلا نجد ماضي على الإطلاق، بل نجد الاثنين معاً الآن والمستقبل، ولم نجد الماضي، وذلك لعدم تـكونه بعد، وبعد أن قُضيت الآن أصبحت ماضي لوحدها، وكل ما عداها مستقبل، ولهذا كان المستقبل هو الأكثر والأوفر الذي لا يقارن بأي وقت آخر، لا بالماضي الذي لم تدخله وتصبح في تعداده إلا الآن الواحدة، ولا بالحاضر الذي لا يمتلك إلا اللحظة الآنية. وعليه بداية الحياة مستقبل ونهايتها مستقبل، فالمستقبل الأول هو المتكون من الحياة الدنيا، والمستقبل الآخر هو المتكون من نهايتها مما يجعل نهاية الحياة الدنيا بداية للحياة الآخرة، والتي يكون فيها كل الماضي كمحتوى هو المستقبل الحسابي لمن وجد في اليوم الأول (الحياة الدنيا)، ولهذا لا يتم الاتفاق مع أرسطو ومؤيديه بأن كل ما هو ماضي قد فسد، فالزمان الماضي لم يفسد بل أنه في السجل المحفوظ الذي فيه حسابنا ثقيلة وخفيفة<sup>٩٠٦</sup>.

وعليه أتساءل:

هل الزمان والحركة كيفان لا يشاهدان، أم أنهما كمان يشاهدان، أم أنهما آخر؟. إذا كان الزمان جسماً، فبالضرورة يكون كما، وإذا لم يكن بجسم فهو كيف، ولذلك الكم يشاهد ويلاحظ إلى جانب تداخل الحواس الأخرى في إثباته، أما كيف المجرّد فيلاحظ ولا يشاهد، وهكذا حال الحركة فهي تلاحظ ولا تشاهد على الإطلاق، ولذلك فهي كيف، حالها حال الزمان. وإلا هل هناك من يشاهد الحركة؟ في اعتقادنا لا يوجد من يشاهدها، ولكن قد يدعي البعض بأنه يشاهد الحركة، في هذه الحالة أتساءل: هل هناك من يستطيع رسم صورة للحركة أو صورة للزمان أو حتى تصويرهما فوتوغرافياً؟ إذا لم يكن هناك من يستطيع إثبات ذلك فلا حجة لأحد علينا ولنا في ذلك حجة.

<sup>٩٠٦</sup> أرسطوطاليس ، الطبيعة . " ترجمة إسحاق بن حنين " القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الجزء

الأول ، ص ٤٠٨ .

الحركة والزمان يلاحظان ولا يشاهدان، فالذي يشاهد هو المتحرك وليست الحركة، والمتحرك دائما جسم يشاهد ويلاحظ ، فالقمر كمتحرك تشاهد وتلاحظ وتلمس ولذلك يمكن تصويرها أو رسمها، أما حركتها فلا تشاهد ولذلك لا ترسم ولا تصور، وهكذا حركة البشر والكائنات والسيارات والطائرات وغيرها من الأجسام المتحركة هي الأخرى لا تُرسم ولا تصور. وبناء على ذلك، لا يُعد الزمان ولا تُعد الحركة، وإلا هل هناك من يستطيع عد شيء لا يراه (غير قابل للمشاهدة)؟ فالليل والنهار والفجر والمغرب، واليوم والشهر والعام هذه مواقيت يمكن عدّها، والمواقيت ليست الزمان. يقول الله تعالى: {وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرةً لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا} <sup>٩٠٧</sup> فالليل والنهار آيتان (علامتان) في الزمان تُمكنان البشر من معرفة عدد السنين ومعرفة الحساب الذي ييسر عملية التأريخ للأحداث والمواقف والمواضيع وكل شيء يمكن عدّه من خلال معرفة تعاقب الليل والنهار وحركة الكواكب والنجوم فلكيا، ولذلك ينبغي أن نميز بين المواقيت التي هي علامات دالة على زمان وحركة، وبين الزمان المتصل الذي لا يفصله ولوج الليل في النهار وولوج النهار في الليل . فالمواقيت تشاهد (الليل والنهار والفجر والمغرب)، وهي نتاج الحركة الطبيعية للأرض حول نفسها وحول الشمس مع توازن حركة الكواكب الأخرى التي تسبح في فلكها، ولذلك يعرف اليوم ، بالليل والنهار ويعرف الشهر ، بحركة القمر من هلال إلى هلال، وتعرف السنة من حركة الأرض حول الشمس . ومع أن اليوم، والشهر، والسنة، والدهر مواقيت إلا أن لكل منها زمن يختلف عن الآخر، ومثلما تختلف المواقيت في زمانها كذلك تختلف الكواكب والأجسام في حركتها وأحجامها. وعليه لو كان الليل والنهار هما الزمان لكانا هما مقياسا الحركة، ولو لم يكن هناك حركة وزمان ما كان هناك شيء متحرك، ولهذا كل متحرك هو في حالة زمان، وكل حركة وزمان هما في حالة اتصال لا انفصال منذ البداية إلى النهاية.

الزمان والحركة تراكميان: أي أنهما في حالة تزايد إلى النهاية، فالزمان في حالة إضافة، والحركة كذلك، ولم يكونا في حالة تناقص، ولهذا قلنا الزمان في حالة زائد لا في حالة ناقص، ويرمز إلى ذلك بالآتي (ن + لا -) .

والحركة هي الأخرى في حالة زائد لا ناقص ويرمز إلى ذلك بالآتي: (ح + لا) .  
ولهذا الزمان لا ناقص (ن لا -) .  
والحركة لا ناقص (ح لا -) .

والذي ينقص و يزيد هو المتحرك سواء في وزنه أو طوله وعرضه أو مساحته وحجمه وسرعته، أو عدده وكمه، ويرمز إلى ذلك بالآتي:  
(م + أو -) .

\* متحرك - متحرك = كم من المتحرك .

فإذا كانت كتلة المتحرك الأول ٨٠ كيلو اجرام ، وكتلة المتحرك الثاني ٥٠ كيلو اجرام فيكون الفرق بينهما = ٣٠ كيلو اجرام.

\* متحرك + متحرك = كم من المتحرك .

فإذا كان عدد المتحرك الأول ١٢٢ متحركا ، وعدد المتحرك الثاني ٣٢٣ متحركا، فيكون مجموع المتحركات = ٤٥٥ متحركا.

والوقت هو الآخر يكون في حالة زيادة ونقصان سواء في طوله أو قصره أو عدده وكمه ، ويرمز إلى ذلك بالآتي :

(و + أو -) .

وقت + وقت = كم من الوقت .

٣٠ ليلة + ٧ ليالي = ٣٧ ليلة .

وقت - وقت = كم من الوقت .

٧ ليالي - ٧ ليالي = ٠ من الوقت ، والوقت ٠ هو وقت البداية أو وقت النهاية أو الاستمرارية .

سرعة الحركة والزمان:

سرعة الحركة = سرعة الزمان (س ح = س ن) .

فعندما تكون س ح = ٠، تكون من المسلمات س ن = ٠ . وعليه لا يمكن أن تكون الحركة أسرع من الزمان ولا الزمان أسرع من الحركة ولهذا لا نسبية في الحركة المطلقة بل النسبية في الحركة الجزئية والمتجزئة.

وكذلك سرعة المتحرك = سرعة الوقت.

فلو كان المتحرك هو الأرض، والوقت هو الليل، فتكون سرعة الأرض = سرعة الليل، وإذا كانت سرعة الليل = ١٢ الساعة عندما يتعادل مع طول النهار، تكون من المسلمات سرعة الأرض وهي تتحرك حول نفسها = سرعة الليل أي أنها = ١٢ الساعة. والليل والنهار هما الزوجان المكونان لليوم، وأمس وغدا، وهذه جميعها مواليد التوأم (الحركة والزمان)، أما إذا تكلمنا بشكل خاص عن القطب الشمالي الذي يختلف فيه توازن الليل مع النهار كما هو في المناطق الغير قطبية فهذا يعود إلى اختلاف مجال الحركة وسرعة المتحرك مما يجعل عدم توازن بين زمن الليل والنهار على الساكنين في المنطقة القطبية. وعليه فالأمس واليوم والغد لم تكن هي الزمان، بل هي مواقيت تقع في الزمان، فبما أن اليوم هو المتكون من الليل والنهار، فإن لليل زمانا يستغرقه من الزمان العام وهو الممتد من الآن الغروب، إلى الآن الشروق، وإلا هل هناك من يعتقد بان الليل والنهار ليس لهما زمان؟ وبما أن لهما زمان، إذن فهما ليس بزمان . وبما أنهما هكذا فما هما؟ هما ولدا التوأم (الحركة والزمان) ولهذا تكون الأيام هي الأخرى مواليد التوأم وليست من مكوناته أو مسبباته وعلل وجوده .

وعندما تكون سرعة الحركة = ٠ فمن المسلمات تكون سرعة المتحرك هي الأخرى = ٠، وقوته المتحركة = ٠، وبما أن سرعة المتحرك = ٠ إذن سرعة الزمان بالنسبة لحركة المتحرك = ٠ . ولذلك يكون كل شيء بالنسبة للحركة العامة هو في حالة توقف ، وعندما يحدث التوقف العام فلا تكون الحياة . أما بالنسبة للمتحرك الجزئي إذا توقف عن الحركة

المتولدة أو المدفوعة بقوة فلا يمكن أن تكون الحركة العامة = ٠ . وذلك لأنها سابقة ومستمرة على المتحرك الجزئي.

فإذا كانت الحركة العامة عند بدء المتحرك الجزئي في الانطلاق من مكانه = ١٠٠٠٠٠٠٠ يوم من الزمان، وسرعة المتحرك الجزئي = سرعة دوران الأرض حول نفسها، وإذا توقف المتحرك الجزئي بعد قضائه ٤٨ ساعة من الزمان، هذا يعني إن التراكم الزمني عندما يتوقف المتحرك الجزئي = ١٠٠٠٠٠٠٢ يوم من الزمان . ولذلك عندما كانت حركة المتحرك الجزئي = ٠ كانت الحركة العامة = ١٠٠٠٠٠٠٠ يوم من الزمن، وبعد دوران المتحرك الجزئي ٤٨ ساعة بعدها أصبحت حركته = ٠، وزمان حركته هو الآخر = ٠، وذلك نتيجة لتوقفه، ويكون زمانه في هذه الحالة هو زمان وجوده (فترة بدايته ونهايته) وهي الفترة التي تحتوي ما قبل صفر بداية الحركة وصفر نهاية الحركة. فإذا كان زمان وجود المتحرك السابق سابقا على زمان حركته المدفوعة بمائة ١٠٠ يوم، وهي فترة ما قبل الزمن الصفري (زمن بداية الحركة)، وأستمر مائة ١٠٠ يوم بعد زمن نهاية الحركة (بعد صفر النهاية) ، ثم انتهى من الوجود (أعدم)، فتكون فترة وجوده = ٢٠٢ يوم، وهي مجموع ١٠٠ يوم ما قبل صفر البداية + ٢ يومين (٤٨ ساعة) فترة الحركة المحصورة بين صفر البداية وصفر النهاية + ١٠٠ يوم فترة ما بعد صفر النهاية الحركية.

وعليه لم يكن هناك زمان طويل وزمان قصير، ولا زمان سريع وآخر بطيء، بل السريع والبطيء هو المتحرك ، فإذا كان المتحرك سريعا كانت الحركة في حالة تساوي مع الزمان بالنسبة للمتحرك، وكلما كان المتحرك بطيئا كذلك يكون حال الحركة والزمان في حالة تساويا بالنسبة للمتحرك. ولا يمكن أن يختل توازن الزمان مع الحركة، ولهذا الزمان والحركة لا يختلفان، بل الذي يختلف بين الحين والآخر هو السرعة (سرعة المتحرك الجزئي)، ولهذا الزمان لا يُختصر أو يُطوى، وكذلك الحركة لا تطوى ولا تُختصر، فالذي يُطوى ويُختصر هو المسافة بالنسبة للمتحرك الجزئي سواء كان سيارة أو طائرة أو مقذوف صاروخي أو غيرها من المتحركات الجزئية والمتجزئة، وكل منها يقارن بالآخر من حيث السرعة ولا يقارن به من



حيث النوع، فالنوع يقارن بنفس النوع ، الغزال مع الغزال والزرافة مع الزرافة والذئب مع الذئب ولا يقارن الذئب مع الكلب ولا الغزال مع الزرافة. ولهذا ينبغي مراعاة عناصر المقارنة وهي الخصائص والصفات والنوع والجنس، فإذا كان الهدف من المقارنة هو معرفة عناصر الالتقاء والتقارب فهذا يختلف عن الهدف من معرفة عناصر الافتراق والاختلاف، فالأولي لكثرة معطيات التوحد، والثانية لكثرة معطيات التفرق. فالقمر كمتحرك فلكي يقارن بالشمس كمتحرك فلكي، فكلا منهما يشاهد ويلاحظ ويحس به ويُلمس، وبالإمكان أخذ عينات منهما للمعامل والمختبرات. والليل يقارن بالنهار لأنهما من جنس واحد هو اليوم. إنهما يشاهدان ويلاحظان مع أنهما يختلفان عن القمر والشمس من حيث إنهما لا يلمسان، ولذلك لا تؤخذ منهما عينة للمعامل والمختبرات. وعليه إذن للشمس والقمر حركة زمنية على الأرض وهي حركة الليل والنهار. ولليل والنهار حركة مكانية على الأرض وهي حركة الشمس والقمر. ولهذا ليس كل مشاهد ومحسوس ملموس كما هو حال الليل والنهار اللذان يشاهدان ولا يلمسان ولا تؤخذ منهما عينة لهذا الغرض اللمسي.

دائرة التوأم: ( الزمان الحركة ).

المستقيم عبارة عن مجموعة نقاط متصلة بداية ونهاية ، وتعد كل نقطة بداية لما بعدها ونهاية لما قبلها ، وهكذا يستمر المستقيم في اتجاهه إلى أن تتصل آخر نقاطه بأولها فيكون المستقيم دائرة ، ولكن لا يمكن أن تقفل هذه الدائر ولا أي دائرة إذا لم تكن هناك حركة. وعندما تُقفل الدائرة بآخر نقطة تكون هذه النقطة في منظومة تكوين الدائرة، وتصبح بعد ذلك بداية لما بعدها ونهاية لما قبلها. وعندما يكون وقتها الآن تكون الآن في حالة حركة، وتصبح كل النقاط السابقة لوقتها هي في الماضي، وبعد قفل دائرة الزمان بآخر نقطة فلا يكون لغيرها من النقاط مستقبل في تكوين هذه الدائرة التي قفلت بها، ولذلك عندما تقفل دائرة الزمان والحركة فلا يكون في هذه الدائرة مستقبل، ولهذا فمن أراد المستقبل فليعمل عليه قبل قفل دائرة التوأم التي لم يعد فيها مكانا للمستقبل بعد النهاية، وأصبح اليوم الآخر. واليوم الآخر هو يوم الوقت

المعلوم {قال فإنك من المنظرين إلى يوم المعلوم} <sup>٩٠٨</sup>، ويوم الوقت المعلوم هو الذي نعلمه، ونعلم إننا لا نعلم يوم حدوثه، ولأن اليوم هو الوقت وليس الزمان فقال الله تعالى: (يوم الوقت المعلوم) ولم يقل اليوم المعلوم. إذن اليوم هو الوقت، والليل والنهار والشروق والغروب هي أوقات، والوقت يرتبط بالمواقيت وهي العلامات الدالة على الحركة والزمان ليسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس} <sup>٩٠٩</sup> بمعنى إن الأهلة علامات دالة على وجود الحركة والزمان. ومن خلال حركة الأهلة وفق المنظومة الفلكية نتعرف على اليوم وغدا وأمس كمواقيت زمنية تلاحظ ولا تشاهد يحس بها ذهنيا ولا تلمس ماديا، وبما أنها لا تشاهد فكيف إذن تعد. تعد لأن مكوناتها تشاهد وتلاحظ، فمكونات اليوم هي الليل والنهار والشروق والغروب، وهذه جميعها تشاهد وتلاحظ، ولذلك تعد الأيام بمواقيتها الحركية (الأهلة) ومواقيتها الزمنية (الليل والنهار). ولذلك تكون (الآن، وقبل، وبعد) مؤشرات لمواقيت حركية وزمنية. أما (أسرع، وأبطأ، ومتساوي) فهي مؤشرات لمتحرك.

وعليه أتساءل:

هل الزمان يُعد؟. الزمان لا يُعد، وذلك لأنه لم يقع تحت سيطرة حواسنا، فهو لا يُلمس ولا يُشم ولا يُذاق ولا يُشاهد ولا يُسمع، ولكنه يُدرك ويُعقل مُجرداً، وبما أن الزمان لا يُعد، فما هو الذي يُعد ونعتقد بأنه الزمان؟ الذي يُعد، ويُعد به هو اليوم، والشهر، والعام والدهر، وهذه مواقيت لها بداية ونهاية معلومة ترتبط بحركة الفلك المكونة لليل والنهار والشروق والغروب والأهلة. ولهذا نعرف كم عدد الأيام والشهور والسنين، وبها تُحسب أعمارنا (كم قضينا من العمر) وتُؤرخ أعمالنا وتُسجل. ولكن هل اليوم الذي به تُؤرخ أعمالنا هو اليوم المساوي لأي يوم في حركة الكواكب والنجوم؟ من المسلمات لا. فاليوم الذي نعيشه على الأرض لم يكن هو اليوم على الكوكب عطارد، فعدد أيام السنة على الأرض ٣٦٥ يوم تقريبا، في حين عدد أيام السنة على الكوكب عطارد تساوي ٨٨ يوما تقريبا، وهذا يعني أن اليوم على الكوكب عطارد

<sup>٩٠٨</sup> الحجر، ٣٨.

<sup>٩٠٩</sup> البقرة، ١٨٩.

أطول بكثير من اليوم على الأرض . والسنة على الكوكب الزهراء تساوي ٢٢٤.٧ يوماً تقريباً، وهذا يعني أن اليوم على الزهراء أطول من اليوم على الأرض وأقصر من اليوم على عطارد . واليوم الذي يعد به الله تعالى يساوي ألف يوم مما نُعد على الأرض وذلك لأنها أيام شدائد، وأيام الشدائد بالضرورة تكون مستطالة بالنسبة لمن خفت موازينه وهو في الهاوية، وكذلك قد يكون المعني بأن خيرات ربك التي لا تُحصى سيكون اليوم فيها كألف سنة مما نُعد على الأرض وذلك جزاء لمن ثقلت موازينه وهي العيشة الراضية، وطبيعياً قد تختلف الحركة وذلك من حيث مجال امتدادها، أو من حيث سرعتها، ولهذا بالضرورة تختلف الأيام في الدنيا عن الأيام في الآخرة، ولا ينبغي أن ننسى إن الأيام التي يعد بها الله هي أيام الحركة الكلية للكون، وليس أيام الحركة الجزئية للأرض حول نفسها ، {وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تَعُدُونَ} <sup>٩١٠</sup> .

الزمان والحركة هما توأم الوجود الحي: وهذا الوجود بشكله المطلق مادي ولا مادي، ولهذا لا يكون المادي لو لم تكن هناك حركة وزمان مصاحبان له، ولا غير المادي يكون لو لم تكن هناك حركة وزمان مصاحبان له، وفي هذه الحالة لا يكون أحدهما سابق على الآخر {ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون} <sup>٩١١</sup> فلا الحركة سابقة على الزمان ولا الزمان سابق على الحركة، والكل في فلك يسبحون .

ومن خلال دراستنا للزمان والحركة نلاحظ ما يخالف القول بنسبيتهما، فالزمان مطلق بسبب عدم تحكمنا فيه وسيطرتنا عليه، وهكذا تكون الحركة هي الأخرى مطلقة. ولتوضيح ذلك اعرض المثال الآتي على مطلقة الزمان ونسبية السرعة: إذا انطلقا متسابقان من النقطة • صفر في وقتٍ واحد وليكن • الصفر الافتراضي، ووصل الأول نقطة • صفر النهاية بعد أن قطع مسافة ١٠٠ متر، في زمن ١٠ ثوانٍ، ووصل المتسابق الثاني نقطة • صفر النهاية بعد

<sup>٩١٠</sup> الحج ، ٤٧ .

<sup>٩١١</sup> الداريات ، ٤٩ .

أن قطع نفس المسافة السابقة في زمنٍ ٢٠ ثانية ، فماذا يعني هذا الاختلاف مع أن زمن البداية واحد والمسافة المستهدف قطعها واحدة؟.

هذا يعني أن في الزمن الواحد قد تختلف السرعة بين المتحركات مما يؤدي إلى اختلاف المسافة المقطوعة في الزمن الواحد، فعندما قطع المتسابق الأول المسافة في ١٠ ث، قطع الثاني نصف المسافة تقريبا في نفس الزمن الذي وصل فيه المتسابق الأول إلى نقطة النهاية (١٠ ث)، وعندما سُلمت راية النصر للمتسابق الأول (الفائز) في الزمن ١٥ ث بعد الزمن الصفري (زمن البداية) لا زال المتسابق الثاني يجري في المضمار لعدم وصوله نقطة النهاية. وعليه فالزمن لم يتباطأ مع سرعة الثاني ولم يسرع مع سرعة الأول، فالزمن هو الزمن تراكمي متصل و لم يختلف، واختلفت السرعة بين المتسابقين، وذلك باختلاف قوة الامتداد لكل منهما مما جعل متوسط سرعة الأول تساوي ١٠ متر في الثانية ، ومتوسط سرعة الثاني تساوي ٥ متر في الثانية، ولهذا قلنا الزمان مطلق وثابت ، والسرعة نسبية ومتغيرة .

والفرق أيضا يكون بين الحركة والامتداد، فالحركة مطلقة لأنها خارج سيطرتنا وتحكم أدواتنا، والامتداد نسبي حيث أنه متوافق مع قوة الجسم الممتدة، فحركة الكون متصلة طبيعيا ومنظمة، وحركة الأرض حول نفسها حركة مطلقة، وهي جزء من الحركة العامة، وهي المقدرة باليوم المتكون من الليل والنهار، وحركتها حول الشمس هي الأخرى حركة جزئية مطلقة (خارج قدرة تحكمننا) وهي المقدرة بالسنة المتكونة من فواصل الأهلة الشهرية. ولهذا يتصل الزمان بالحركة كاتصال التوأم بحبل المشيمة في رحم الأم ، مما يجعل بينهما ثبات واتصال، فثبات الزمان بثبات الحركة، وثبات الحركة بثبات الزمان، ولهذا كل منهما مطلق. أما الامتداد فنسبي، فامتداد الأرض حول نفسها نسبيا بالنسبة لامتدادها حول الشمس، ولذلك يكون زمن امتدادها (دورانها) حول نفسها وامتدادها حول الشمس = ١ - ٣٥٦ يوم تقريبا، وقد يختلف طول اليوم عن أمس وعن غدا، وذلك نتيجة اختلاف مجال الامتداد مما يجعله (الامتداد) هو الآخر مختلفا باختلاف مجاله، ولهذا لا يختلف طول اليوم نتيجة اختلاف

الحركة، فالحركة ثابتة ومطلقة، بل الذي يختلف هو مجال الامتداد. وعليه تكون الحركة ثابتة والامتداد متغير .

وقد يتساءل البعض: بما أننا لا نشاهد الحركة فما هو الذي نشاهده عندما يكون الجسم في حالة حركة ذاتية أو مدفوعة وهو منطلق من النقطة أ إلى النقطة ب؟. الذي نشاهده في هذه الحالة هو أولاً: المتحرك، وثانياً الامتداد، فالمتحرك هو الجسم، والامتداد هو اندفاع الجسم بين صفر البداية وصفر النهاية، فامتداد الرجل وفق خطاها تُشاهد، وامتداد الفراشة من زهرة إلى زهرة تُشاهد، وامتداد الكرة من الهدف إلى الهدف يُشاهد، وهكذا امتداد المستقيم وكل ممتد بقوة دفع ذاتية أو معتمدة على قوة. وعليه الامتداد مادي وكل مادي يُشاهد .  
مجال الامتداد:

لا امتداد ولا حركة إلا في حدود الممكن، ولذلك يكون الممكن هو مجال الامتداد، ومجال الحركة والزمان، ولأنه ممكن فهو متوقع الحدوث وبعد حدوثه قد يكون مساوياً لما هو متوقع وقد يكون أكثر أو أقل، وعليه فالممكن ضروري الحدوث، ولكن نسبة حدوثه احتمالية مما جعلنا نفترض لها ثلاثة احتمالات وهي:

الاحتمال الأول: يكون الممكن مساوياً للمتوقع.

والاحتمال الثاني: يكون الممكن أقل من المتوقع .

الاحتمال الثالث: يكون الممكن أكثر من المتوقع .

وعليه لا يكون الامتداد إلا في مجال الممكن، ولا ممكن إلا في دائرة الزمان، فما نشاهده أو نلاحظه ونحس به أو نتذوقه أو نشمه أو نسمعه فهو الواقع في حدود الممكن، ولذلك يحدث الاختلاف في درجات تمييزنا لما يقع في مجال الممكن بالنسبة لمداركنا وقدراتنا وأحاسيسنا، فمناً من يميز بين الأشياء أكثر من بعضنا وهذا يعني إن البعض مناً قُدرة تمييزه أقل، والبعض الآخر يساوينا.

وعندما نتحدث عن الممكن فلا ينبغي الإغفال عن غير الممكن حيث لا وجود لغير الممكن بالنسبة لله تعالى {وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كُن فيكون}<sup>٩١٢</sup>. أما بالنسبة للبشر فهناك الممكن، وهناك غير الممكن، الممكن في نضج القدرة، وغير الممكن في قصورها، ولهذا قد يتوقع المفكر ما هو ممكن، ولكنه لا يستطيع تحقيقه نتيجة قصور إرادته وقدرته.

يقع الممكن في الزمان الحاضر والزمان المستقبل، ولا يقع في الزمان الماضي، وذلك لأن الممكن هو افتراض قابل للتحقق وليس افتراضاً محققاً، فالمحقق هو الكائن أو الكائنة، أما الممكن فهو الذي لم يكن بعد ولكنه سيتحقق في الآن أو في المستقبل، ولهذا يكون الفرق واضحاً بين المحقق ككائنة، وبين الممكن الذي سيتحقق. وعليه يمكننا الآن الحوار مع السؤال الذي طرَحَ منذ زمن بعيد في الفكر الفلسفي والسؤال هو: ما هو الأسبق في الوجود: الممكن أم الواقعي؟ وأجاب أرسطو على ذلك بأن الواقعي اسبق في الوجود من الممكن معلل ذلك بقوله: "إن الممكن يحتاج كي يوجد إلى واقعي يسبقه"<sup>٩١٣</sup> من هذه الناحية نعم لولا وجود مصدر للأمر ما كان للأمر وجود أول، ولكن من ناحية أخرى فالأمر السابق غير مطلق مما يجعلنا نقول: لا يمكن أن تتواجد الأشياء ما لم تكن ممكنة. فإله سابق الوجود على الممكن، وكل ما تحقق من بعده وما سيتحقق هو الممكن بالنسبة له، والبشر كمحقق من هذا الممكن عندما يسعون لتحقيق ما هو ممكن من ناحية عقلية، يكون الممكن في هذه الحالة سابق على المحقق ذهنياً أو إدراكياً. وهكذا يكون حال الممكن الإلهي الذي لم يحقق بعد للمشاهدة والإدراك العقلي، {وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كُن فيكون}<sup>٩١٤</sup> بمعنى عندما يصدر الله أمراً وهو الممكن لا بد وأن يتحقق في الوقت المحدد له، وفي هذه الحالة يكون الممكن سابق على المحقق. وعليه يكون الممكن قرار معطياته مثبتة للتحقق، والتحقق فعل تنفيذ الممكن وهو

<sup>٩١٢</sup> البقرة ، ١١٧ .

<sup>٩١٣</sup> عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة . بيروت ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية

للدراة والنشر ، ١٩٨٤م ، ص ٤٤٨ .

<sup>٩١٤</sup> البقرة ، ١١٧ .

الكائن أو الكائنة، والبشر لا يحققون إلا الممكن، أما الله يحقق الممكن والمستحيل فسبحان الله العظيم .

الامتداد الفكري:

هو محتوى لفظي عام في مضمونه حركة، ولهذا لا يمكن أن يكون هناك امتداد بدون حركة سواء كان هذا الامتداد جسمي أو فكري، والامتداد قد يكون طبيعي كما هو عند حالات النمو وقد يكون بالإرادة كما هو في حالات الاختيار، وقد يكون بالقوة عندما يكون في مقابله انكماش بالمغالبة، ويعتبر الامتداد مساحي سواء كان فكري أو مادي، وقد يكون ميسرا، وقد يكون بالقوة، وقد لا يكون .

الامتداد في الفراغ ميسرا مثله مثل الامتداد ألمجالي المسموح به لأنه لم يشكل أي عائق ولا يمتد خارج حدوده، وامتداد المغالبة بالقوة يؤدي إلى الاستزادة والفقدان بين الأطراف الممتدة، والامتداد المتساوي في الصلابة قد لا يكون. والامتداد خارج الحيز يكون على حساب حيز آخر، وعندما تتلامس الأفكار أو الأجسام الممتدة يحدث الاحتكاك بينها وقد ينجم عنه استيعاب أو صدام يكون له تراض أو مغالبة . وهكذا تمتد الأرقام المستقلة إلى النهاية بيّسر وهي متصلة ، وتستقل بالآحاد وتتصل بالجموع. امتداد الواحد إلى ما بعده من أعداد يساوي جموعا ، ولهذا لا جموع إلا بالامتداد، امتداد الواحد خارج حدوده يشغل حيزا من المترتب عليه والذي لا يمكن أن يكون إلا به (بالواحد)، ولذلك لا وجود لأي كميات إلا بامتداد الآحاد. فلو رسمنا مستقيم طوله ٥ سم ، فإن ذلك يعنى امتداد خمسة وحدات متصلة بالجموع تكّون هذا المستقيم كما في الشكل رقم (١).

أ — ب .

الشكل رقم ( ١ ) .

وبما أن الوحدات الخمس منفصلة فكيف تكّون مستقيما متصلا؟. تكونه بالامتداد، امتداد الواحد إلى خارج قيمه (مجال حدوده) بالإيجاب تجعله يتماس مع مجال القيم للعدد اثنين بالسلب، وهكذا تتصل بقية الأرقام الخمسة مسطرتا مما يجعلها ترسم الخط المستقيم الذي

أشرنا إليه. ولو لم تكن للأعداد نهايات بالسلب والإيجاب ما كانت هناك صلة بينها، ولهذا لا يمكن أن تتصل الأعداد بعضها ببعض لو كانت تمتد إلى ما لا نهاية. وعليه تُجمع الأعداد المستقلة، وتُطرح الأعداد المتصلة، والأعداد المتساوية في الكم قد لا تتساوى في المقادير، لقد عرفنا إن جمع  $2 + 2 = 4$ . ولكن هل الاثنين الأولى تساوى الاثنين الثانية في المقدار؟، ولتوضيح ذلك لو افترضنا إن الاثنين الأولى غزالان والاثنين الثانية أيضا غزالان، ولكن الاثنين الأولى عمرهما سنة واحدة، والاثنين الثانية عمرهما أربعة سنوات، فهل هم في حالة تساوى قيمي أو عمري؟ وحتى من الذهب قد لا تتساوى، فهل ٥٠ جرام من الذهب تساوى ٥٠ جرام من الذهب؟ مع أن من حيث الكم نعم إنهما متساويتان إلا أن من حيث القيمة ليس بالضرورة أن تكونا متساويتين، لأن الخمسين جرام الأولى عيارها ١٨ والثانية عيارها ٢٢. إذن الأعداد المتساوية في الكم ليس بالضرورة أن تتساوى في العمر أو النوع أو اللون أو المقدار. وهكذا لو تحصل أحد الطلبة في مادة الفيزياء على نسبة عالية ولتكن ٩٠% هل هذا يعنى إن كل من تحصل على هذه النسبة هو ممتاز في مادة الفيزياء؟ ليس بالضرورة أن يكون ممتازاً في المادة مع أنه ممتاز في هذا الاختبار، ولو أُعيد له الاختبار باختلاف الأسئلة قد لا يتحصل على هذه النسبة العالية، وتكون النتيجة السابقة في شك لفقدانها مصادق الثبات. وعليه ينبغي أن يهتم التحليل العلمي والتفسير العلمي بعناصر الاختلاف والاتفاق بين النتائج المتساوية في الحاصل الحسابي، وألا يقتصر على المجامع الإحصائية فقط، لأن اتصال الأعداد وتساوى حاصلاتها لا يعنى تساويها.

وعند دراسة المواضيع تتصل الأفكار وتترابط في نسجٍ منهجي يُنظم وحدة الموضوع، ويظهره في شكله اللائق ليحل محله بين البحوث الناجحة التي سبقته، وتتصل الأفكار والمواضيع من أجل اكتمالها، وتحلل علمياً عندما يتمكن الباحث من معرفة نقاط الاتصال والترابط التي تنقله من الكل، إلى الجزء، ثم إلى المتجزئ، أو منه، إلى الجزء، ثم إلى الكل عند محاولته التعرف على العلل والأسباب الكامنة والظاهرة. ولا يمكن أن يكتمل الموضوع بدون امتداد أفكاره، ولا يمكن أن يحلل بدون معرفة نقاط اتصاله. والباحث كمنقّصٍ للحقائق لا يسترسل في دراسته،



أو تشخيصه، أو علاجه للحالات ما لم تكن أفكاره متصلة، وإمامه بالموضوع متكاملًا. وهكذا تتكون الظواهر والمشاكل المستقلة من علل وأسباب متصلة، ومن الصعب أن تحلل، أو تفسر المواضيع قيد البحث ما لم يراع الباحثون ذلك الامتداد الذي يربطها فيما بينها . فعدم التعبير عن الكبت على سبيل المثال قد يؤدي إلى الانفجار السلوكي المتوقع وغير المتوقع ولا غرابة في ذلك، لأن الانفجار السلوكي مرتبط بكبته المفروض، ويحدث الانفجار برغبة الإنسان إلى التنفيس الوجداني الذي يحقق له الرضاء، حتى وأن ترتب عليه ثمن عقابي، وكذلك كبت الغرائز، قد يؤدي إلى عدم الانضباط النفسي، وعدم الانضباط النفسي، قد يؤدي إلى انحراف السلوك، إذن هناك امتداد بين الكبت، وعدم الانضباط، فكبت الغرائز، قد يؤدي إلى التمرد، والثورة على أدوات الكبت، بغرض التخلص من سيطرتها، ويحدث الصراع نتيجة تواجه امتدادين بالقوة تجعل أحدهما يمتد على حساب الآخر إذا انهزم أو ضعف، وعندما تتعادل الكفتان قد تكون بينهما مواجهة بتماس حدود اتصال القوة المتكافئة مما يجعل لامتدادهما نهاية.

لا امتداد إلا بحركة وكل كائن أو جماد هو في حالة حركة كلية، أو جزئية، أو متجزئة، فالأرض على سبيل المثال ككل تتكون من أجزاء تتجزأ إلى يابسة، وماء، ونار، وكلها تتجزأ، ولكل منها بداية ونهاية، وكلها في حركة مستمرة، وإذا تساءل أحد: بما أن الكل في حالة حركة، فهل للثبات وجود؟ نعم لكل حركة مستمرة ثبات في الاستمرار، ولكل مستمر نهاية يثبت عندها . وإذا تساءل آخر: لمن يكون الثبات؟ بالتأكيد للحركة. إذن لا ثبات إلا لحركة، وإذا شاهدنا أي شيء ثابت كما يعتقد المشاهد على سبيل المثال للأرض والجبال، فإن ذلك الثبات يعبر على وجود الحركة، "وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب"<sup>٩١٥</sup> ولذلك لا يوجد الثابت المطلق، بل الذي يوجد السكون، والسكون دليل على وجود حركة كامنة تظهر للمشاهدة عندما تتوفر اشتراطاتها.

الحركة والسكون متلازمين، ويستوعب كل منهما الآخر، ويحمله في أحشائه، وهكذا لكل متحرك حركة، ولكل ساكن سكون، ويترتب كل منهما على الآخر. يبدأ السكون حيث تنتهي الحركة أو تتوقف، وتبدأ الحركة حيث يبدأ السكون أو يتوقف، فلا حركة إلا لسكون ولا سكون إلا لحركة، ويكمن كلا منهما في الآخر كما تكمن البراكين في باطن الأرض، وكما تكمن الحقيقة في صدر حاملها، وكما تكمن الفراخ في البيض (كمون المتحرك في الساكن)، فالبركان لا يمكن أن ينفجر إلا بقوة الحركة الكامنة فيه، ولا يهدأ البركان ولا يتوقف إلا بقوة السكون فيه، وهكذا تكون الحقيقة كامنة في الصدور الواعية بحركتها، إلى أن يتم الإدلاء بها، وبقوة وجوبها، ولهذا يعتبر الكندي الحركة هي حالة من التبدل والتغير، ولكل حركة بداية، ونهاية<sup>٩١٦</sup>. ويتم الاتفاق معه في هذا القول العلمي، بأن للحركة بداية، ونهاية، وأنها في حالة تبدل كما تتبدل الأرقام في مجموعها وطرحها، وبقية حساباتها الرياضية، ولهذا لم يكن السكون عدما للحركة، ولم تكن الحركة عدما للسكون، بل كلا منهما معرضا للعدم، باعتبارهما وجود. وكما يكمن السكون في الحركة، وتكمن الحركة في السكون، كذلك تكمن الحركة في الحركة، ككمون حركة الدم في حركة القلب. ويكمن المتحرك في المتحرك، ككمون الجنين في بطن أمه، وكمون حركة الركاب في السيارة أو الطائرة، أو البالون أو السفينة، وعليه قد تكون الحركة ذاتية، وقد لا تكون (قد تكون مدفوعة، أو محمولة)، وكلها تحدث بفعل قوة .

والحركة الذاتية تنقسم إلى جزأين :

الجزء الأول:

حركة واعية بإرادة الاطمئنان، وتحقق أهداف شخصية، أو ذاتية، أو موضوعية، دون أن تؤثر سلبا على الآخرين، مثل إشباع الإنسان لحاجاته وهو راضى، ولا يمس حاجات الآخرين حتى ولو كان بإمكانه تناولها، وهذه الحركة تحقق الانسجام والتراضي، وتؤدي إلى الوحدة .

الجزء الثاني:

<sup>٩١٦</sup> حسام محي الدين الألوسي ، فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٨٥م

، ص ١٩٥ . ٢٠٥ .

حركة واعية بإرادة الخوف، وتحقق أهداف شخصية، أو ذاتية، أو موضوعية، وتؤثر سلبا على الآخرين، مثل إشباع الإنسان لحاجاته على حساب حاجات الآخرين، وهذه الحركة تؤدي إلى الصراع والشقاق، وتؤدي إلى الفرقة، وكل ذلك يحدث من أجل المستقبل، مما يجعل للحركة مستقبل، وللمستقبل حركة. وتعتبر الحركة عن وجود طاقة ظاهرة أو كامنة تجعل الجسم أو الشكل في حالة حركة ثابتة، أو متغيرة، من وقت إلى آخر<sup>٩١٧</sup>.

حالتها الحركة:

أولاً: الحركة الممتدة:

وهي التي تحدث عندما تمتد القوة في مجالها الذي تتمكن من وصوله كلما سنحت لها الفرصة في ذلك ، وقد تكون الحركة فكرية، وقد تكون مادية .

١ الحركة الفكرية:

هي التي تحدث عندما تمتد الأفكار من عقول وصدور حاملها، إلى عقول وصدور أخرى ، فتشغل حيزاً عندهم نتيجة امتدادها إليهم وهكذا تمتد الأخبار، والإشاعات ، وتنتشر بين الناس حسب قوة تأثيرها سلبا أو إيجابا وحسب قوة الفكرة أو الحجة التي تتضمنها ، والأفكار الموجبة عندما تمتد خارج المجال أو البعد الذي يمكنها التأثير فيه قد تحقق نتائج سالبة، فالمناداة بالوحدة العالمية إنسانيا موجبة ، ولكن عندما تتجاوز أهمية البعد القومي في البناء والتنظيم الاجتماعي تكون على حسابه ، وتكون نتيجة الجهد المبذول في التنشئة الاجتماعية تساوى صفر في حالتين:

الحالة الأولى: مهما بذل من جهد تجاه المجتمع من أجل تحقيق البعد العالمي على حساب البعد القومي لا يتحقق مما يجعل الصفر هو نتيجة الجهد المبذول.

والحالة الثانية: تركيز الجهد التربوي على تنمية أو تطوير الاتجاهات العالمية لدى الناشئين تُضعف وعيهم بأهمية البعد القومي ، وتكون النتيجة مستقبل المجتمع يساوى صفر، ويصبح

<sup>٩١٧</sup> هادي العلوي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي . بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة

الأولى ، ١٩٨٣م ، ص ٦٢ . ٧٥ .

سيره (مشيه) كالغراب الذي كان يعتقد بإمكانه أن يقلد الحمامة في مشيتها فنسى مشيته ومشيت الحمامة.

وقد يوجه المجتمع كذلك فكريا أو سياسيا تجاه تحقيق البعد القومي على حساب البعد المحلي، فتكون النتيجة هي الأخرى صفرية في حالتين:

الأولى: عدم تحقيق الوحدة القومية نتيجة انسلاخ المجتمع عن مكوناته الأساسية للأمة وهي الأسرة والعشيرة والقبيلة .

والثانية: عدم تحقيق الوحدة المحلية على المستوى الاجتماعي نتيجة إهمالها في التربية الاجتماعية .

وكذلك العمل على ترسيخ التكوين الاجتماعي المحلي على حساب البعد القومي تكون النتيجة صفرية في حالتين:

الأولى: تشتت المستوى المحلي لفقدانه مجال التمدد الطبيعي (التربية القومية).  
والثانية: فقدان الأمة أو فقدان الإحساس بها يجعل حياة الأفراد في خطر لفقدانهم المظلة الاجتماعية . "فالأمة تكوين اجتماعي علاقته (القومية) والقبيلة تكوين اجتماعي علاقته (القبيلة) والأسرة تكوين اجتماعي علاقته (الأسرة) وأمم العالم تكوين اجتماعي علاقته (الإنسانية). هذه بديهيات . ثم هناك تكون سياسي يكّون الدولة هو الذي يشكل خريطة العالم السياسية، ولكن لماذا تتغير خريطة العالم من عصر إلى آخر؟ السبب هو أن التكوين السياسي هذا قد يكون منطبقا على التكوين الاجتماعي وقد لا يكون كذلك. فعند انطباقه على الأمة الواحدة يدوم ولا يتغير، وإذا تغير نتيجة استعمار خارجي أو تدنى يعود للظهور مرة أخرى تحت شعار الكفاح القومي أو النهوض القومي ، والوحدة القومية"<sup>٩١٨</sup>.

٢ . الحركة المادية:

<sup>٩١٨</sup> معمر القذافي ، الكتاب الأخضر . طرابلس ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، مجلد ،

الطبعة الحادية عشر ، ١٩٨٦م ، ص ١٣٨ . ١٣٩ .

هي التي تمتد بقوتها الملموسة أو المحسوسة والقابلة للمشاهدة ، والملاحظة ويكون لها أثرا إيجابيا ، أو أثرا سالبا باختلاف المتأثرين بها، مثل امتداد السيل الجارف في الوادي الذي يقتلع بقوة امتداده كل مهتز منتهيا عندما يقع في طريقه، وهذه قد تكون سالبة أو موجبة ، حسب الموضوع، والمقيمين له، وباختلاف الزمان والمكان ، ومع أنه قد يحدث سلبيات أو أضرار، إلا أنه قد يحقق العمار، بارتوائه للأرض وإحيائه للأشجار أو للنباتات التي كادت أن تموت أو تختفي<sup>٩١٩</sup> وقد تكون الحركة نتيجة انفجار بركاني يحدث بعد تمدد القوة الكامنة في بطن الأرض عندما تضعف أمامه مقاومتها، فتفتتح له الطريق للخروج إلى النهاية، وحسب مجال قوته ودائرة تأثيره، وهكذا يتمدد الجنين في بطن أمه، وتتمدد النبتة من نواتها إلى النهاية، أو تتكمش إلى النهاية. وإذا سألك أحد : هل الحركة تشاهد أم تلاحظ؟ فبماذا تجيب؟. في اعتقادنا أن الحركة لا تشاهد، ولكنها تلاحظ . ولكي أجيب أتساءل: بما أن الحركة لا تشاهد، إذن ما هو الذي يُشاهده؟ ويُعتبر حركة؟ . أنه المتحرك. إذن الحركة تختلف عن المتحرك، لأن المتحرك قابل للمشاهدة والملاحظة معا، أما الحركة تلاحظ فقط، لأنها غير ملموسة، لافتقادها للمادة التي تتوحد فيها. إذن الحركة هي الكامنة في المتحرك، وهي التي تحدث كلما حدث لها تمدد بالقوة ، يجعلها في حالة ظهور بدلا من حالة الكمون، وهي العلاقة التي تحدث بين المتحرك والمحرك، فإذا اعتبرنا على سبيل المثال كرة القدم هي المتحركة، فمن يكون المحرك لها؟، هل هو الأعيب، أم قدم الأعيب؟ بالتأكيد لو لم يكن الأعيب محرك للقدم ما كان القدم محركا للكرة، إذن هناك محرك مباشر وهو القدم، ومحرك غير مباشر وهو العقل والجسم كوحدة واحدة، وتتداخل العلاقة بين المتحرك والمحرك، باتصال وانفصال، تتصل في الفكرة والدرجة، وتتفصل في الأداء والخصوصية . تتصل حركة الأعيب وتتداخل من الفكرة التي تمتد من العقل إلى البدن، والجسد، فتحركه وفق خطة

<sup>٩١٩</sup> هادي العلوي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي . بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة

الأولى ، ١٩٨٣م ، ص ٦٢ . ٧٥.

واحدة متناسقة ، بخصوصيات كل عضو من البدن، مما يجعل لليدين وللرأس والقدم حركات مختلفة، كل حسب وظيفتها، ودورها في أداء المهمة المناطة بها. وحسب هذه الأدوار يشاهد المتفرج حركة الأعياب متنسقة، ولكنه يشاهد بالتحديد حركة القدم في علاقة مباشرة ومنفصلة مع الكرة أثناء دفعها إلى الأمام ، أو الخلف، أو أحد الجانبين، فتمتد الكرة بقوة دفع المتحرك (القدم) إلى نقطة انتهاء القوة أو المسافة المقطوعة، ولهذا قوة الحركة هي التي تحدد مسافة الامتداد، وليس المتحرك هو الذي يحددها، مع أنه لولا المتحرك ما عرفنا الحركة ولا كانت تشغل حيز .

ثانيا الحركة المنكماشية :

هي الحركة التي تطوي حركة الامتداد ، أو هي العودة إلى الأصل ، كعودة الشجرة إلى النواة التي كانت تكمن فيها ، لأن كل شجرة منتهية باعتبارها شيء (وكل شيء منتهى)، ولكن هل ستنتهي الأشجار بعد موت كل ما نبت منها؟، بالتأكيد لا. في عالم الوجود الحي ستنتهي كل الأشجار الموجودة على قيد الحياة، وحسب أعمارها الممكنة لبقائها ، وستنمو أشجار أخرى منكمشة في نواها. ولهذا لا امتداد إلا من انكماش ، فالانكماش هو أساس كمون القوة الممتدة . قوة النهار لا يمكن أن تمتد إلا إذا انكمش الليل ، وقوة الليل هي الأخرى لا تمتد إلا إذا انكمش النهار، وقوة انبساط اليد لا يمكن أن تتم إلا إذا انتهت قوة انكماشها، ونتيجة الانكماش، والامتداد تسبح الكواكب في فلكها ، وهكذا امتد الكون لحظة الانفجار العظيم، وهي نقطة البداية، وسيعود الكون إلى الانكماش عند نقطة النهاية، مصداقا لقوله تعالى: {يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب }<sup>٩٢٠</sup>. أي يوم أن تنكمش السماء، يكون الله قد أعادها إلى حالتها التي كانت عليها. وكما أن الامتداد لا يقتصر على المادة المشاهدة ، أو الملاحظة، كذلك الانكماش لا يقتصر على ذلك، لأن كل ممتد لا بد وأن ينكمش سواء كان ماديا، أو فكريا، فالأفكار في أساسها منكمشة في العقول والصدور، ثم تمتد من خلال الاتصال، بالتبشير والترشيد، والتحريض، والتنظير، وبالجدل تترسخ، أو تصحح، وتكون في حالة شك

إلى أن تُثبت، أو تُنفى. وقد تمتد أفكار وتنتشر بقوة حجتها ، ثم تعود إلى الانكماش عندما تضعف حجتها. وكل من الانكماش والامتداد يتضمن قوة، ففي مرجحة القدم أثناء ضرب الكرة تنكمش بقوة في حركة إلى الخلف، لتمتد بقوة إلى الأمام لضرب الكرة ودفعها إلى الهدف، وإذا انكشتمت القدم بقوة إلى أعلى وإلى الأمام يتم دفع الكرة بقوة إلى الخلف ، وهكذا في حالة الجانبين، لأن القوة هي التي تظهر في حالتها الامتداد والانكماش، وهي التي لا تقاس إلا بعد الظهور من الكمون إلى الحركة.

في الفرحة والبهجة قوة تمتد إلى أن تملي الصدور بها ، وتنكمش الأحران أمامها ، وإذا انكشتمت الفرحة والبهجة امتدت الأحران والاضطرابات، ففي حالة العلاج ينبغي أن يهتم الباحث بامتداد حركة الإيجابيات، وطوى حركة السلبيات .

وبما أننا نتكلم عن الامتداد والاتصال الاجتماعي علميا، فما هو الامتداد الاجتماعي؟ هل هو المتكوّن من المفرد والمثنى والجمع والمكان والزمان؟ أم هو أكثر من ذلك؟. فلو كان المتكوّن من امتداد الأفراد المتزايدين عن المثنى كان المجتمع في هذه الحالة كمّا، وإذا كانت الجموع من كل شيء تكوّن كمّا، فهل المجتمع هو الآخر مجرد كمّا؟ وهل الكمّ المجتمعي يُبين صورةً للمجتمع، أم يبين صورة للبشر المتجمعين؟ في اعتقادنا لا تكتمل صورة المجتمع الذهنية إلا إذا تم اللقاء بين عناصره، وأن يكون بينهم تفاعل، وأن يكون لهم امتداد (امتداد ثقافي وحضاري). إذن المجتمع هو التفاعل وامتداد مجموع الأفراد والجماعات المتفاهمين على أهمية المكان والزمان لكل واحد منهم (انه مجتمع الأمة الواحدة) ، أما المجتمعات الأخرى عبارة عن حشود مؤقتة تلتقي على مصلحة وتتفرق على مصلحة . أذن امتداد الأفراد بأعداد هائلة بدون تفاعل الأهداف الخاصة والعامة عبارة عن حشود (كمية) لا تعطي معنى للمجتمع، فالمجتمع كمّا وكيفا ، كمّا من البشر، وكيفا من القيم . ولهذا المجتمع كمفهوم يُصوّر ذهنيا ولا يرسم ، لأنه لم يكن مثلثا ولا مربعا ولا أي شكلا من الأشكال الهندسية. وهكذا التطور كالمجتمع لا يُرسم مع أن دلالاته تُرسم بيانيا بالمنحنيات والمضلعات والأشكال

الهندسية الأخرى. ويتضح التطور بمقارنة أثر المتغيرات على الموضوع عبر الزمن سواء كان الموضوع قابلاً للملاحظة أو الملاحظة.

المكان:

هو حيز تشغله الأجسام ويمكن ملاحظته وقد يكون من الصعب مشاهدته، والمكان سابق على الجسم أو الشكل، كأسبقية قالب على المُقولب فيه، وبالمشاهدة قد يصعب على المشاهد الفصل بين المكان والجسم الذي يملأه، ولكن باستخدام وسيلة الملاحظة يمكن التمييز بينهما. إذن المكان هو الإطار العام الذي يحتوي الأشكال والأجسام، فلولا وجود مكانا للأرض ما كانت. ولكن ما هو مكان الأرض؟. هو الإطار الخارج عنها والذي يشكل محيطها الحسابي، ولذلك فالمحيط لا يمكن أن يكون جزءاً من المحاط، محيط الأرض لا يمكن أن يكون جزءاً منها، ولا هي تكون جزءاً منه. وفي اعتقادنا لا يمكن أن يكون للمحيط شكل ثابت أو قالب محدد، بل دائماً المحيط متباين، ولم يقتصر على الأشكال المستطيلة والمربعة والمثلثة أو الدائرية، بل يتعداها إلى كل شكل وكل جسم، فلطائر محيطه وللإنسان محيطه الذي يحدد معالمه، وهكذا لكل شكل محيط خاص به. ولهذا أتساءل: هل هذا الإطار أو المحيط يمكن مشاهدته؟ في اعتقادنا من الصعب مشاهدته، ولكن بالإمكان ملاحظته، فالمشاهدة لا يمكن أن تتم إلا للأشياء المحددة والمحصورة كالأجسام والأشكال الهندسية، أما الملاحظة فتتعدى ذلك إلى ملاحظة الظواهر، فالمكان ظاهرة، والزمان ظاهرة، والطلاق ظاهرة، والزواج ظاهرة، والحركة ظاهرة، وهذه الظواهر وغيرها لا يمكن أن تشاهد بالعينين ولا بوسائل تقنية حديثة، ولكن جميعها تلاحظ، وإلا هل هناك من يستطيع مشاهدة الحركة أو الزواج أو الزمان؟ إنه من غير الممكن.

الحركة لا تشاهد، ولكن الذي يشاهد هو المتحرك، فرفع القدم إلى الخلف ودفعه إلى الأمام لضرب كرة القدم تشاهد، ولكنها لم تكن هي الحركة، بل الذي يشاهد هو المتحرك (القدم)، ومن خلال مشاهدة القدم تلاحظ الحركة، حركة القدم وحركة الكرة. إذن الحركة هي ربط العلاقة بين المتحركات من الذهن إلى الهدف وهذه كلها لا تشاهد، ولكنها تلاحظ، ولذلك



يكون الفرق واضحا بين المتحرك والحركة، والفرق بينهما هو إن المتحرك لأبد وأن تكون له صورة أو شكل، ولهذا يشاهد، أما الحركة فلا يمكن أن يكون لها صورة أو شكل، ولهذا لا تشاهد. فالحركة قوة تندفع أو تُدفع، والقوة لا تشاهد ولكنها تلاحظ (تُدرك)، وهكذا الزواج لا يشاهد والزمان لا يشاهد، ولكن كل منهما يُدرك كالأبوة والعمومة والمحبة، وإلا هل هناك من يشاهد الزواج؟ بالتأكيد لا، الذي يشاهد هو الرجل والمرأة، والبشر المشاركين، والوسائل المستخدمة، والوثيقة التي وقع عليها من قبل الطرفين والشهود، وهذه لم تكن الزواج، فالزواج هو الذي يلاحظ من خلال اكتشاف العلاقة بين عناصره الكامنة والظاهرة والتي تجعل من الزوجين لباسا لبعضهما البعض نتيجة وجود ألفة ووجود قوة وحركة تجاذب .

كل الأشكال الهندسية لا يمكن أن تكون أشكالاً إلا ولها أماكن فالمكان هو القالب الذي تتشكل فيه الأجسام والأشكال الهندسية ، فالأرض كشكل هندسي تتكون في مكان ومن مادة، المكان بالنسبة لها هو الإطار الخارجي أو المحيط الخارجي الذي تُحملُ فيه، والأرض هي المادة الداخلية المحاطة بدائرة مكانية، ولهذا من الصعب على البسطاء في المعرفة والبحث العلمي أن يدركوا الفارق أو يفصلوا بين الأرض كمادة وبين محيطها الخارجي، أما الملاحظ العلمي يمكنه إدراك الفارق بينهما ويمكنه الفصل بينهما، حيث أنه يعرف إن المادة التي تتكون منها الأرض لم تكن المادة التي يتكون منها محيطها الخارجي . وعليه لا يتم الاتفاق مع رأي الفيلسوف ديكارت في قوله " الأجسام لا تختلف عن المكان الذي يحتويها " <sup>٩٢١</sup> .

فالمكان كما سبق وأن بينا شيئاً ، والجسم الذي يملأه شيئاً آخر ، فالأجسام عندما تشغل حيزاً تتحد مع المكان من حيث التماس المحيطي، فعلى سبيل المثال: كمية الماء في الخزان الذي طوله ٦ ستة أمتار ، وعرضه ٤ أربعة أمتار، وارتفاعه ٢ مترين، يكون حجمها يساوي  $6 \times 4 \times 2$  من الخزان الرباعي يكون حجم المكان هو المحيط بالماء وهو الجدران السداسية المكونة

<sup>٩٢١</sup> الموسوعة الفلسفية العربية . معهد الإنماء العربي ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، ص

للشكل الرباعي ، ولهذا يكون الماء هو الجسم، والمحيط ذو الستة أوجه هو المكان الذي ينفصل عنه الجسم المائي عندما يفرغ منه ، فيكون حيزا خاليا من الجسم المشاهد والملموس ، فهو حيز مكاني يمكن ملئه بأي جسم آخر يمكنه أن يحتويه بالشكل السابق. وللمكان الخارجي المشاهد مكان يحتويه هو الآخر فمكان الخزان المائي السابق هو أعلى سطح المسكن، قاعدته السطح ومكانه في الهواء وهو الحيز الذي يشغله منه ، والذي لا يمكن مشاهدة المكان إلا به (بالخزان كجسم) ، والذي يمكن ملاحظته بدونه. فعندما يزال الخزان من مكانه، فهل يمكن لأحد أن يشاهد المكان الذي كان فيه الخزان؟ .

إذن المكان يمكن ملئه بجسم ، سواء كان جسما صلبا أو غير صلب وأي جسم إذا لم ينتظم مع الحركة أو يتزن معها لابد وأن يصيبه الخلل، ولهذا كان للهندسة ضرورة في البناء والتصميم ، لأنها هي التي تجعل للمكين مكانة، ولذلك ينبغي أن تكون مكانة أي جسم متزنة على الأرض، أو في مجال حركتها الذاتية أو المدفوعة إليها، كاتزان مكانة الود في الصدور، فالمكانة حيز ، والحيز قد يكون مكين وقد لا يكون ، يكون مكين كحيز الجنين في بطن أمه الذي يجعل للجنين مكانة عاطفية عند أمه وهي تحمله وهن على وهن {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرارٍ مكين}<sup>٩٢٢</sup> ، وعندما يكون المكان غير مكين ، يكون غير مأسوف عليه إذا ما غُيرَ أو أزيل من الوجود .

### المكان المجرد:

المكان المجرد هو الحيز السابق على كل شكل مشاهد ، والذي يمكن مشاهدته بعد انشغاله بجسم، والفرق بين المكان والمكانة ، هو أن المكان يمكن أن يكون مشاهدا، ويمكن أن يكون مجردا، أما المكانة فهي دائما مجردة تلاحظ ولا تشاهد، كمكانة الحبيب في فؤاد حبيبه، ومكانة الأبوة والأمومة بين البشر، والعلاقة بينهما (بين المكان والمكانة) هو إن المكانة مع أنها مجردة إلا أنها تشغل حيزا مما يجعلها تنتقل من المجرد إلى المشاهد، فعندما تكون للمؤمن مكانة بين الناس فقد تدفعهم هذه المكانة إلى الدفع به إلى مكان بينهم، فمكانة محمد

<sup>٩٢٢</sup> المؤمنون ، ١٣ .

عليه الصلاة والسلام هي التي جعلت له مكانا بين المسلمين، وهكذا مكانة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى من بعده رضي الله عنهم، فمكانتهم هي التي حرّضت مجتمعهم بأن يجعل لهم أماكن الصدارة وتحمل المسؤولية من بينهم. {قل يا قومي اعملوا على مكانتكم إني عاملٌ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون}٩٢٣. بمعنى أعملوا على أن تكون لكم مكانة واعتبارا لكي تأخذوا حيزا لتتواجدوا فيه ، ولكن أية مكانة هذه؟ ، هل هي مكانة عليا أم مكانة دنيا؟ ولأن هذه الآية تشير إلى الكافرين والظالمين فهي تشير إلى المكانة الدنيا، أما المؤمنين فمكانتهم عليا ، ولذلك ينبغي أن يعملوا عليها لكي يكون لهم اعتبار. إذن المكان سواء كان مجردا أو غير مجرد يختلف عن المكانة. المكانة اعتبار ورضا نتيجة تقدير نفسي، والمكان مجرد هو الذي لا يشاهد ولكن يحس به ويلاحظ ، كمكان الخليفة والقائد والرئيس والملك في تحمل المسؤولية، ولهذا الخلافة والقيادة والرئاسة والملكية لا تُرسم ولا تشاهد ولكنها تلاحظ ولها قوانين ونظم . إذن المكانة هي المنزلة التي تشغل حيز ، فمكان المنزل من الحديقة قد يعطيه مكانة رائعة لدى المشاهدين والملاحظين ، بمعنى يشغل حيزا من مجال تفكيرهم ، ويجعل الانشراح في صدورهم، ويخرج الكلمات من أفواههم ، ولذلك قد لا يكون الفرق بين المكانة والمكان حيث أن جمع مكانة مكانات وعندما يتمكن الشيء من مكانه فهو مكين.

الفراغ المكاني:

الفراغ وجود قوة جذب، ومثير يحفز المتحرك على الحركة والإقدام وهو مكان الاستقرار للأجسام المشاهدة والملاحظة ، فلو لم يكن الفراغ سابق على الأجسام ، ما كانت . فالأرض افتراضا، لو أخرجت من مكانها الذي تشغله ألا يكون مكانها مصدر جذب لأجسام أخرى تشغله؟ أو لو كان مكان الأرض مشغولا بجسم آخر، فهل يمكن أن تكون الأرض؟ . فلو دخلت إلى الفصل الدراسي ووجدت جميع المقاعد مشغولة بالجلوس فهل يمكنك الجلوس على مقعد أم تكون واقفا إلى حين خروج أحد الطلبة من الفصل؟ ، وبعد خروج أحد الطلبة من

الفصل آلا تحس بأن المقعد بالنسبة لك مصدر جذب للجلوس عندما يتوفر لك الفضاء المكاني أو الفراغ المناسب؟ .

المكان هو حيز للامتداد والحركة المتناهية، وهو المجال المتكون من تفاعل الحركة مع السكون كتفاعل البلورات في الماء وتفاعل الأكسجين في الهواء، ولهذا طبيعيا يكون المكان سابق على المكين فيه، أو المتمكن منه. ولو لم يكن المكان قابل للانشغال أمام القوة المتحركة تجاهه، ما كانت الحركة. وتحدث الإزاحة للأجسام عندما تختلف القوة الضاغطة في اتجاهين مختلفين، حيث يحدث الامتداد في اتجاه الحركة الأضعف .

ونتيجة تداخل الأجسام مع الفراغات أو التصاقها في نسيج تداخل المشاهد مع الملاحظ يكون المجال الحركي أكبر للأجسام الأكثر صلابة والأكثر قوة. وإلا هل يُعتقد أن تكون الحركة لو لم تكن الفراغات في نسيج والتصاق مع الأجسام؟ فهل يمكن أن نمشي على أقدامنا لو خليت الدنيا من الفراغات غير المشاهدة؟ وهل يمكن أن تطير الطائرة لو كانت السماء عبارة عن أجسام متصلة؟ وهل يمكن أن تكون للمدفع فوهة لو لم يكن للفراغ وجود؟ .

وإلى جانب ذلك لا يمكن أن تكون الحركة الذاتية لو لم تكن هناك قوة حتى وإن توفر الفراغ المنسوج ، فما معني العاجز عن الحركة؟ معناه فاقد القوة الدافعة للحركة والامتداد. ولماذا البشر يمشون ويقفزون ويجرون؟ . لأنهم ذو قوة حركية في مجالات نسيج الأجسام مع الفراغات التي تسمح لهم بالحركة، وهي مثل المجالات التي تسمح للمقذوف من إصابة الهدف والطائرة من الطيران في الهواء . ولهذا تشاهد الطائرة متحركة في الجو ولا يشاهد ممرها أو طريقها الذي قد تتجمع فيه قطرات الماء مؤقتا وتتلاشى ، فالطريق الذي نُسج بالأجسام الدقيقة والفراغات المتداخلة هو أضعف من أن يكون عائقا (مانعا) في طريقها، ولهذا كلما زادت كثافة الأجسام وقلت الفراغات كلما قلت الحركة ، وكلما زادت الفراغات زادت الحركة .

وتتساوى الأجسام في الحركة عندما يكون الفراغ التام وتتعدم الجاذبية، فالسرعة والحركة والحجم تتأثر بالجاذبية ، والتي عندما تتعدم تتساوى الأجسام في حركتها ، ولهذا زيادة الوزن

هي عبارة عن زيادة قوة اجتذاب وبالتالي عندما تتعدم الجاذبية أو أن يكون الجسم في فراغ تام فإن حركة الأجسام تتساوى.

وقد يتساءل البعض: هل للفراغ مكان، أم أن الفراغ مكانا في حد ذاته؟. فإذا كان مكونا طبيعيا فلا بد وأن يكون له مكان، وإذا كان مكونا ميتافيزيقيا فهو المجرّد من المكان ، وبالتالي مجردا من المشاهدة. ولكن بما أننا نتكلم عن فراغ فهذا يعني إننا نتكلم عن موجود ، وبما أنه موجود بيننا ، إذن بالضرورة يشغل حيزا ، وبما أنه فراغ ، إذن هو المحصور بين أجسام قوية التماسك ، ولهذا من المسلمات أن يكون له محيط وله مساحة يشغلها . ومع أنه يشغل مساحة وهو فراغ ، إذن من المسلم به أيضا أن يكون معرضا لأن يملئ بغيره من الأجسام كلما توفرت لها شروط ملئه . وعليه يكون الفراغ مكانا له مكان ، وهو في حالة حركة. والفراغ مكان ضعيف أمام قوة الامتداد .

يقع الفراغ بين المشاهد والمجرد والمحسوس ، فيكون في حالة مشاهدة عندما يكون خاليا من جسم يشاهد ، و محصورا بين محيط يشاهد ، كفراغ خزان المياه من الماء . ويكون محسوسا عندما لا يحصره مشاهد كالفراغ في الهواء الذي يسمح بالحركة لكل متحرك قادرا على الحركة. ويكون مجردا عندما يكون خاليا من معطيات الحياة فيه وعندها تتساوى فيه سرعة الأجسام بغض النظر عن قوتها ، وهكذا عندما يكون مفهوما مجردا ليس إلا .

الفرق بين الفراغ والخلاء:

الفراغ التام هو المتخلص من الأجسام، ومن السوائل والغازات، وهو غير صالح للحياة الطبيعية لمعظم الكائنات. أما الخلاء هو مكان قد يكون صالحا للحياة الطبيعية عندما يكون على كوكب صالح للحياة، وقد لا يكون عندما يكون على كوكب غير صالح للحياة الطبيعية. والفراغ لا يشاهد، أما الخلاء فقد يشاهد أو يحس به . في الفراغ التام تتساوى سرعة الأجسام، أما في الخلاء فلا تتساوى. وتختلف الحركة هي الأخرى في الفراغ عنها في الخلاء، الحركة في الخلاء طبيعية، أما الحركة في الفراغ غير طبيعية، تطير الفراشة بين الحين والآخر في الخلاء، ولا يمكنها أن تطير في الفراغ التام، وذلك لعدم توفر اشتراطات الطيران بالنسبة لها،

وهي عدم توفر هواء للحياة ولتبسط الفراشة عليه جناحها لتتحرك ، إلى جانب ذلك عدم وجود مكان للحياة في الفراغ التام. ولهذا الفراغ غير التام ميسر للحركة، أما الفراغ التام فمعسر لها . وبناء على ذلك تكون الحركة في الأرض (في داخلها كجسم) أصعب من الحركة في الماء، وذلك لقلّة الفراغات بين مكوناتها عن الفراغات التي تتخلل الماء ، فشدة تماسك مكّونات الأرض أكثر من شدة تماسك مكونات الماء، وهكذا تكون الحركة في الماء أصعب من الحركة في الهواء، وذلك نتيجة وجود فراغات أكبر في الهواء من الفراغات الموجودة في الماء<sup>٩٢٤</sup> . وعليه تزداد سرعة المتحرك كلما زادت قوته ، وكلما كبرت مساحات الفراغات المتحرك فيها.

المكان بين المشاهد والملاحظ:

هناك مكان يلاحظ أولاً ويشاهد ثانياً، وهناك مكان يشاهد أولاً ويلاحظ ثانياً، فالمكان الملاحظ أولاً والمشاهد ثانياً، هو الذي لا يعتمد على غيره من المخلوقات في الوجود والحركة، كمكان الطائر في الهواء، ومكان الشجرة وخزانات المياه المرتفعة عن الأرض. والمكان الذي يشاهد أولاً ويلاحظ ثانياً ، هو الذي يشغل حيزاً قبل ملئه بجسم، كالبالونة والقوارير والخزانات ، ولهذا ، فلشجرة النخيل كغيرها من الأشجار مكان فوق الأرض وهي المسافة الخارجة عنها (عن الأرض) والذي لا يشاهد بدونها ، حيث أنها إذا سقطت ، سقطت المشاهدة عن المكان الذي كان يحتويها، وهذا المكان هو المكان الملاحظ أولاً . أمّا المكان المشاهد أولاً فهو الخزان الذي صُنِع في مكان ملاحظ . ولذلك تشاهد الأرض ولا يشاهد مكانها ، وتشاهد النخلة ولا يشاهد مكانها المشار إليه (مكانها من الجذر إلى الجذع إلى الأغصان والأوراق والثمار) فلو كان مكان النخلة سطح الأرض فقط ، ما كان للنخلة ظل عليها (على الأرض)، ولهذا مكان النخلة يختلف عن مكان النبع، فمكان النخلة من سطح الأرض حيث الجذر إلى أعلى من سطحها ، في حين مكان النبع من قاع الأرض إلى

<sup>٩٢٤</sup> أرسطوطاليس ، الطبيعة . " ترجمة إسحاق بن حنين " ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، الجزء

الأول ، الدار العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م ، ص ٣٧٢ .

سطحها . والأماكن التي تشاهد أولاً، هي كالمعدة لتجميع الطعام، والجهاز التنفسي لاستخلاص الأكسجين من الهواء الجوي، أو المسكن للساكين والفصل للدارسين وغير ذلك كثير.

لكل مكان أبعاد وأحجام يمكن قياسها عند الثبات ويمكن مشاهدتها وملاحظتها أثناء الحركة، سواء بالعين المجردة أو بوسائل الاختراع العلمي، مثل حركة المسير والقفز عند البشر وحركة الفراشة وحركة السيارة وحركة الطائرة وحركة المقذوف الصاروخي، وكل حركة متناهية وان اختلفت المسافات المقطوعة والسرعة . فمكان الأرض متناه بحجم الأرض وحركتها متناهية بنهاية فلكتها، وسرعتها تقاس بالزمن الذي تقطع فيه المسافة الفلكية، وما اختلف سرعة الكواكب في قطع المسافات المختلفة وهي تدور في فلكتها إلا دليلاً على اختلاف المقياس اليومي على كل كوكب من الكواكب والنجوم واختلاف المسافة الفلكية بين الكواكب والنجوم . فإذا كان اليوم هو نتيجة دوران الأرض حول نفسها، فإن العام هو نتيجة دوران الأرض حول الشمس مما جعل العام بالنسبة للأرض هو ٣٦٥ يوم تقريباً، والعام بالنسبة لكوكب الزهراء ٢٢٤.٧ يوم ، والعام بالنسبة لعطارد ٨٨ يوم تقريباً وهكذا بقيه الكواكب في حالة اختلاف نتيجة اختلاف السرعة والمجال الحركي لكل كوكب، وصدق الله العظيم في قوله تعالى: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾<sup>٩٢٥</sup>.

ومع أن الكواكب يمكن مشاهدتها وهي في حالة حركة إلا أنه من غير الممكن مشاهدة أماكنها وأماكن حركتها التي يمكن ملاحظتها . وبما أن لكل كوكب بداية ونهاية ولكل جسم بداية ونهاية ، فإنه من الممكن إذن قياس ومعرفة مساحة كل جسم أو حجمه ومحيطه أو أبعاده .

وأتساءل: هل الطائر وهو في حالة طيرانه يشغل حيزاً مكانياً؟ نعم. لو لم يكن هناك مكاناً للطيران ما طار طائر وارتفع. ولو لم يكن هناك نسيج من الفراغ والخلاء والامتلاء ما تيسرت الحركة، وما شغل الطائر أثناء طيرانه حيزاً مكانياً وهو في حالة حركة وامتداد. والطائر لا

يشغل إلا حيز جسمه فقط، ولهذا أثناء الحركة والطيران يشغل بما يساوي حجمه آلاف الأماكن كلما امتد من مكان لآخر. وهكذا الريشة المتطائرة في الهواء تشغل حيزا مكانيا. المكان قد يكون مشاهدا وملاحظا، وقد يكون ملاحظا فقط عندما يكون مجردا، فالأماكن المشاهدة وضّحت كثيرا ، أما الأماكن المجردة فقد تحتاج لتوضيح، فإذا تساءل أحد : هل خيالاتنا تشغل حيزا أم أنها لا تشغل حيزا؟ في اعتقادنا بكل وضوح تكون الإجابة بنعم، إنها تشغل حيزا من تفكيرنا ومن السعة الاستيعابية لمداركنا عندما تنطلق من المشاهد إلى المجرد، أو عندما تنتقل من المجرد إلى المشاهد. فعندما ننظرُ إلى القمر كمشاهد، فقد نتساءل: عما هو المبدع الذي خلقها؟ وعندما نعرف الإجابة بوضوح يتأكد لنا إن الذي خلقها الله الذي لا يشاهد. وعندما نفكر في قانون الجاذبية كمجرد، نعرف لماذا سقطت التفاحة كمشاهد من الشجرة إلى الأرض، مما يجعلنا ننتقل من المجرد إلى المشاهد.

وكما سبق وإن قلنا ليس كل مكان يشاهد، كذلك يمكن القول ليس كل شيء يشاهد، فالعين كمكان للنظر تشاهد والنظر كشيء لا يشاهد، وهكذا الأذن كمكان للسمع الذي لا يشاهد واللسان بالنسبة للذوق، والجلد بالنسبة للمس، والأنف بالنسبة للشم . ولهذا أماكن الإدراك تشاهد، والأشياء ذات العلاقة تلاحظ.

وهناك أماكن لا تشاهد وأجسام لا تشاهد مع أنها ذات علاقة واحدة لوظيفة واحدة ، كالعقل بالنسبة للإدراك والتمييز ، الذي هو مكان لا يشاهد، والإدراك الذي هو الآخر لا يشاهد ، ولكن يتم التعرف علي كل منهما بالملاحظة .

مكان الموضوع:

لا تتم الحركة الفكرية إلا بتوفر مكان مناسب لها ، وفراغ يسمح للمعلومات أن تتمكن منه لتحل محلها بين معلومات أخرى سواء كانت سابقة أو ستكون لاحقة، وإذا لم يتوفر الفراغ كمكان للمعلومة الجديدة لا يمكن لها أن تُفهم أو تُستوعب من قبل الذي نُقال له ، وبالتالي لا يتم استقبالها من المرسل ، وتمتد المعلومة من عقل إلى عقلٍ كلما هياً لها المستقبل المكان المناسب لاستقرارها ، وتبقى خارجه إلى أن يتهياً لاستقبالها ، ولا يتهياً لها إلا إذا كان غير



مشغول بغيرها، ولهذا يملُّ الطلبة من تلقي المعلومات كلما انشغلوا بغيرها سواء وهم في حالة تذكر أو هم في حالة تفكر ، ومتى تخلصوا من الانشغال كان الفراغ وتمكنوا من الفهم. و بما أننا حاولنا الإجابة على المكان وتحديد شكل عام ، فإنه من المفيد أن نحدد الموضوع وذلك من خلال تحديد مكانه وعناصره المتأثرة به سلبا أو إيجابا، والمتغيرات التي أثرت على ظهوره أو كموئه، والأسباب التي كانت وراءه ، والعلل التي كونت الأسباب . وبما أن الموضوع جزء من المعرفة وللمعرفة أماكن منها ما يشاهد على الأرض كالزخرفة والآثار والنقوش والصحف والمخطوطات ومنها ما يلاحظ بالعقل وبما تدركه الحواس الخمس. وكما إن المكان في حالة حركة كذلك المعلومات في حالة حركة، فهي تتحرك بين البشر وتُحرك من قبلهم من عقل لآخر ، ومن مجتمع لآخر وهي في حالة تبادل وتغير وتطور. فعند دراسة أي ظاهرة أو موضوع علميا لابد من تحديد مكانه وزمانه الذي تميز به، وتحديد المجتمع الذي تأثر به أو عانى من جرائه المتاعب والمشاكل، وذلك بدراسة من كانوا على علاقة مباشرة أو شبه مباشرة بظهوره. ولا يُفضل التمثيل العيني في دراسة الظواهر والمواضيع التي تهم المجتمع بأسره، لأن العينات لا يمكن أن تمثل المجتمع لا أحسن تمثيل ولا أسوأ تمثيل ، ولكنها تمثل نفسها فقط، ولا تفيد إلا لإعطاء مؤشرات Indicators عن المجتمع وظواهره ومشاكله .

وكذلك تحديد مكان الدراسة أو البحث يستوجب من الباحث أن يحدد أولا: موضوع البحث. وثانيا: تحديد مجتمع البحث أو الدراسة، فإذا كان موضوع البحث هو الانحراف، ونوعه السرقة بالإكراه وفقا للحالات الموثقة بسجلات الشرطة والنيابة ، وإذا قَصُرَ الباحث مجتمع بحثه على الحالات التي أصدرت ضدها أحكام ، فبعد أن يطلع الباحث على السجلات قد يلتجئ إلى تصنيفها وفقا لمكان الميلاد أو الجنسية أو الدين ، وإذا استبعد أو استثنى الأجنبي من الدراسة، ثم صنف المحليين إلى أماكن ميلادهم ، ثم حدد مدينة بعينها ، فيكون تحديد المدينة كمكان للبحث والدراسة مترتبا على تحديد الموضوع وتحديد مجتمع الدراسة. ولهذا

العلاقة ثابتة بين مجتمع الدراسة والمكان المدروس. وبناء على ذلك نلاحظ إن المكان يستوعب الأجسام كما يستوعب المواضيع.

والمكان دائما سابق على المتمكن فيه أو الممكن منه سواء كان جسما أو موضوعا، فالأرض سابقة على من سكن فيها، ومكانها سابق عليها، فهي مثل السفينة تزيح وزنها من الماء لتحل محله، فالبحار والمحيطات أولا، ومكان السفينة ثانيا، والسفينة ثالثا. هكذا كانت الأرض ثالثا، ومكانها ثانيا، والوجود أولا. فبعد أن كان الوجود، كانت الأرض التي أزاحت وزنها منه كما أزاحت السفينة وزنها من البحار والمحيطات وحلت محلها في حركة ذاتية تتفق تماما مع قانون الطفو ، فهكذا كانت الأرض، وهكذا تكون المواضيع.

ومع أن الأماكن تشغلها الأجسام كما يشغلها الفراغ إلا أن الأجسام دائما تشغلها المواضيع، وذلك لأن المواضيع دائما مجردة ليست لها شكل ولا صورة، فعلم الفضاء مجرد، والحرية مجردة، والديمقراطية كذلك ، وكل موضوع هو مجرد في أساسه، وما التطبيقات إلا وسائل لنقل الموضوع من المجرّد إلي المشاهد والملاحظ أو المحسوس، وبما أن الوسائل المستخدمة في ذلك هي بشر أو من صنع البشر، والبشر لهم مكان فينبغي أن يحدد البشر المستهدفين بالبحث والدراسة بحدود مكانهم الذي جمعهم.

وتتداخل الأماكن مع بعضها البعض وهي في حالة حركة كما تتداخل أجهزة الإنسان في بدنه، فكل إنسان مكانه سواء أثناء الحركة الذاتية أو الحركة المدفوعة أو أثناء السكون، وعندما يركب الناس السفينة يصبح الناس بأماكنهم في مكان وهي السفينة التي هي الأخرى في مكانها، ولهذا إذا كان الرحم هو مكان الجنين فتكون البطن هي مكان الرحم، ويكون البدن مكانها جميعا. وهكذا تتداخل المواضيع مع بعضها البعض في المكان الواحد من خلال تداخل العلاقات بين عناصره سواء كانوا مؤثرين أو متأثرين.

اللهم يا الواسع النعم يا مزيل النقم نسألك أن تُطهّر قلوبنا وأن تغفر ذنوبنا أن توسّع ديارنا بالخير والرزق الحلال، وأن تجعل غنانا في قلوبنا، اللهم بواسع رحمتك اجعلنا نعظمّ شكرك ونكثر ذكرك ونتبع أمرك ونجتنب ما نهيت عنه ونتقيك.

اللهم يا الواسع وسّع صدورنا بذكر أسماؤك الحسنى وبالإيمان بك واحد أحد لا شريك لك،  
اللهم يا الواسع وسع عقولنا بالتفكر والتذكر فيما أنزلت واجعلنا من الذين يستمعون القول  
فيتبعون أحسنه، اللهم يا الواسع وسع علينا برزقك الحلال وارزقنا طاعتك وطاعة رسوك  
والعمل بكتابك.

اللهم يا الواسع بخلقك الروح والنفس والبدن قد وسعت علينا كثيرا فلا تجعلنا في ضائقة،  
وخلقت لنا الرزق فلا تجعلنا فقراء إلا إليك، ووسعت برحمتك كل شيء فارحمنا.

## الحكيم

الحمد لله العليم الحكيم الذي أحاط بكل شيء علما، واستقر بكل شيء حكمة، أنه الحكيم الذي شاء كما شاء له الملك وهو على كل شيء قدير، أحكم بحكمته نظام الكون ونظام الوجود ونظام الحياة والممات ونظام البعث، الحمد له بحكمته جعل علم الساعة بيده ونحن له طائعون، الحمد والشكر له خلقنا في أحسن تقويم، وجعلنا المستخلفين في الأرض والوارثين في الجنة سبحانه جل جلاله.

الحكيم "الذي يضع الأشياء في مواضعها، فيضع الفضل في أهل الطاعة، ويضع العذاب في أهل الكفر والمعاصي، هذا فضله سبحانه وعدله"<sup>٩٢٦</sup>.

الحكيم: في أسماء الله تعالى الحَكِيمُ وهو بمعنى الحاكم وهو القاضي وهو الذي يُحْكِمُ الأشياءَ ويتقنها<sup>٩٢٧</sup>.

الحكيم اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته، وهو الذي تستمد الحكمة منه التي باستمدادها يصبح الإنسان خليفة، ولذلك فالخليفة الحكيم هو الخليفة المتدبر لأمره وأمر من له علاقة به، قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}<sup>٩٢٨</sup> وقال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

<sup>٩٢٦</sup> كتب العقيدة، ج ١٦، ص ٣١.

<sup>٩٢٧</sup> لسان العرب، ج ١٢، ص ١٤٠.

<sup>٩٢٨</sup> النساء ٨٢، ٨٣.

وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ} ٩٢٩. إنه من الحكمة أن يتدبر الإنسان أمره بحكمة، يفكر في وجوده ويتذكر ما مضى من حياته ويتساءل:

هل في الوجود ظلم؟ إذا كانت الإجابة بنعم. ألا ينبغي عليه أن يتساءل: لما لا يقضى على الظلم؟ وعليه أن يتذكر أن ما يقع من ظلم على العباد شر ومفسدة ومهلكة تؤلم الناس وتجعلهم في حاجة لمن يسندهم لإزالة الألم عنهم. ومن حقه أن يتساءل: لما لا يتوحد المظلومون ليزيحوا الظلم عنهم؟.

وعليه أن لا يغفل عن التفكير في الظلم وما يتركه من مأسٍ وأن يفكر بروية في تساؤله: ألا نتعرض يوما إلى هذا الظلم؟ وإذا تدبر هذا الأمر قد يطرح سؤالا: ألا يكون من الأفضل أن نشارك من وقع عليهم الظلم في مقاومته قبل أن يصبح حالنا وأولادنا من بعدنا كحالهم. وإذا بلغ النتيجة الموجبة ألا يكون قد وصل إلى التي بعدها وهي إنه من الوجوب الحق إحقاق الحق.

وعليه من الحكمة أن نعرف أن الله واحد، وأن الحق واحد، وأن الظلم واحد فلا نغفل وعلينا أن نتبين ونسأل حتى بلوغ المعرفة التي بها يحق الحق ويزهق الباطل. وفي هذا الشأن يقول الشاعر:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد<sup>٩٣٠</sup>

وبناء على ذلك كن حكيما فيما تقول وتذكر ما قلت حتى لا تضيع منك فرصة الاستغفار، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين قال تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

٩٢٩ محمد ٢٤ . ٢٩ .

٩٣٠ تفسير الرازي، ج ١، ص ٧ .

الْمَتِينُ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ  
الَّذِي يُوعَدُونَ} ٩٣١ .

وقال تعالى: {فَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ  
الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} ٩٣٢ .

بناء على ما جاء في الآيات المتقدمة من سورتي الذاريات والعاشية فإن الحكمة مؤسسة على  
تدبر والتدبر مؤسس على التذكر والتفكر، ولذا فإن أمر الحكمة يستوجب فطنة والفتنة تتطلب  
إيماناً لا مشاركة فيه، واتباع طاعة لا إكراه فيها.

الحكيم هو من يعلم بحال الشيء ويملك حق التصرف وفقاً لميزان العدل دون مظلمة أو ميل  
لأحد على حساب آخر، ولذا فالحكيم يتصرف وفقاً للزمان والمكان والظرف دون مخافة أحد  
في سبيل قول الحق أو فعل الحق.

الحكيم هو من يجازي المستغفرين بالتوبة والتائبين بالجنة، وهو الذي يمهل ولا يهمل كبيرة ولا  
صغيرة حتى ولو كانت أقل من حبة خردل قال تعالى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ  
خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا  
بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ  
الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ  
وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} ٩٣٣ .

والحكيم العليم هو الخبير بحالنا وأحوال غيرنا، له الحمد لقد ميزنا بحسن الخلق والتقويم  
وفضلنا على العالمين في استخلاف الأرض، وجعل لكل واحد منا خصوصية تميزه عن بقية  
بني جنسه وعلى هذه القاعدة جعل لكل نوع خصوصية وجعل داخل كل خصوصية  
خصوصية. ولذا فإننا نلاحظ أن أجسام العالم متساوية في ماهية الجسمية، ومختلفة في

٩٣١ الذاريات ٥٥ . ٦٠ .

٩٣٢ العاشية، ٢١ . ٢٦ .

٩٣٣ لقمان ١٦ . ١٩ .

الصفات، وهي الألوان والأمكنة والأحوال، ويستحيل أن يكون اختصاص كل جسم بصفته المعينة لأجل الجسمية أو لوازم الجسمية، وإلا لزم حصول الاستواء، فوجب أن يكون ذلك لتخصيص مخصص وتدبير مدبر، وذلك المخصص إن كان جسماً عاد الكلام فيه، وإن لم يكن جسماً فهو المطلوب، ثم ذلك الموجود إن لم يكن حياً عالمياً قادراً، بل كان تأثيره بالفيض والطبع عاد الإلزام في وجوب الاستواء، وإن كان حياً عالمياً قادراً فهو المطلوب، إذا عرفت هذا فقد ظهر أن كل واحد من ذرات السموات والأرض شاهد صادق، ومخبر ناطق، بوجود الإله القادر الحكيم العليم، وإن الله تعالى في كل جوهر فرد أنواع غير متناهية من الدلائل الدالة على القدرة والحكمة والرحمة، وذلك لأن كل جوهر فرد فإنه يمكن وقوعه في أحياز غير متناهية على البدل، ويمكن أيضاً اتصافه بصفات غير على البدل، وكل واحد من تلك الأحوال المقدره فإنه بتقدير الوقوع يدل على الافتقار إلى وجود الصانع الحكيم الرحيم، والعارفون المحققون لحظوا فيها مباحث عميقة، وأسراراً دقيقة،<sup>٩٣٤</sup> والله سبحانه وتعالى أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَهُوَ الْحَكِيمُ لَهُ الْحُكْمُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى " وَالْحُكْمُ وَالْحِكْمَةُ: الْعَدْلُ وَالْحِلْمُ. وَالْخَلِيفَةُ الْحَكِيمُ يَرُدُّ نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا. وَالْحَكِيمُ: الْمُتَيْقِظُ " <sup>٩٣٥</sup>.

الْحَكْمُ وَالْحَكِيمُ وَالْحَاكِمُ من صفاته ومعاني هذه الأسماء متقاربة والله أعلم بما أراد بها وعلينا الإيمان بأنها من أسمائه و الْحَكْمُ وَالْحَكِيمُ هما بمعنى الحاكم وهو القاضي، وقيل: الْحَكِيمُ ذُو الْحِكْمَةِ. وهي مصدر الحكمة، وبالتالي هي صفة من صفاته.

وَالْحِكْمَةُ: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يُحْسِنُ دَقَائِقَ الصَّنَاعَاتِ وَيَتَّقِنَهَا حَكِيمًا، قال تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} <sup>٩٣٦</sup>.

<sup>٩٣٤</sup> تفسير الرازي، ج ١، ص ٧.

<sup>٩٣٥</sup> المحيط في اللغة، ج ١، ص ١٧٥.

<sup>٩٣٦</sup> البقرة ٢٦٩.

وَالْحَكِيمُ الْعَالِمُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لِيَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَرَكَاهَ وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَارًا عَصِيًّا وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا<sup>٩٣٧</sup>. كانت حكمة يحي عليه الصلاة والسلام هي:

- ١ . أعطاه الكتاب الملىء بالحكم.
- ٢ . وهب له الحنان الذي فاض به على من له علاقة به.
- ٣ . من الحكمة أنه كان تقيا.
- ٤ . من الحكمة أنه كان بارا بوالديه.
- ٥ . كان طائعا لله ولوالديه في غير معصية.
- ٦ . لم يكن جبارا.
- ٧ . كان مؤمنا ولم يكن عصيا.
- ٨ . كان مرضيا عنه حتى نال سلام الله عليه ومباركته له في ثلاثة مباركات:
  - أ . مباركة وسلام عليه يوم ميلاده.
  - ب . مباركة وسلام عليه يوم موته.
  - ج . مباركة وسلام عليه يوم بعثه.



ومثل هذه المباركات تعددت المباركات في هذه السورة لمريم عليها الصلاة والسلام، وكذلك كانت المباركات تتعدد لجميع الأنبياء والرسل الذين اختتموا المهمة برسالة محمد عليه الصلاة والسلام الذي بعث للكافة.

وفي بعثة محمد عليه الصلاة والسلام للناس كافة حكم:

١ . التأكيد على إن الله واحد.

٢ . التأكيد على أن الدين من عند الواحد واحد.

٣ . التأكيد على إن الرسل كلهم واحد ولا فرق بينهم ولا يجب التفريق، مصداقا لقوله تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ٩٣٨ .

وقال تعالى: { قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ

إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ {٩٣٩} .

ولأن الحكمة تستمد من الحكيم، فهي تؤتى لمن يشاء من حكيم عليم قال تعالى: {وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَا بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ {٩٤٠} .

الحديث المحمول في الآيات الكريمة السابقة محمول في مضمون موجه للخليفة ليكون على صبر ولا يخاف، ويتقي الله ربه فيما يقول وفيما يعمل ويفعل، فما يقال من الحاسدين والمرتدين والضالين لا يؤتي ثماره في شيء وفي قصة سيدنا داوود عليه الصلاة والسلام مواعظ كثيرة فقد أعطاه الحكيم الحكم بأسباب صبره على ما يقولون ولذا يجب على الخليفة أن يصبر على ما يقولون فإن الله معه مادام على الحق اليقين. قال تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ {٩٤١} .

والحكمة: العدل، وهو ما يجب أن يكون عليه الخليفة بالشكر والحمد لأنعم الله، قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ {٩٤٢} . ما أجمل الحكمة أن تكون بأسباب الشكر، وما أجمل الشكر أن يقال لأهل الفضل، وما أجمل الفضل أن يكون في أهله.

وعليه الحكمة لا تستمد إلا من حكيم عليم، يعلم بالأمر وبحاله وبما يجب أن يكون عليه قبل أن يكون، ولذا فالحكيم مصدر لكل معاني الحكمة ودلائلها التي بها يتم الاتعاظ وأخذ ما يجب

٩٣٩ آل عمران ٨٤ . ٩١ .

٩٤٠ ص، ١٧ . ٢٠ .

٩٤١ النحل ١٢٧ ، ١٢٨ .

٩٤٢ لقمان ١٢ .

أخذه وترك ما ينبغي تركه في المكان والزمان المناسبين. إنه من يعلم الأمور وأحوالها ويخبر الكيفية التي يجب أن يتم التعامل بها ويهدي إليها.

الحكيم هو من وضع الموازين لما ينبغي أن يقال ويدرك ويؤخذ به ويفعل بكل تفهم، وبهذا تكون الحكمة تقنيا للكلمة والجملة كي لا تخرج عن السيطرة المنطقية التي بها تعقل الحقائق وتدرك وتتهياً للامتداد من عقل لعقل وهي تاركة الأثر الطيب الذي يولد المعلومة من المعلومة ويرشد للحق.

والحكمة التي تستمد من الحكيم هي تضمين لما يُفيد بما يفيد به، وذلك لأخذ العبر التي تسهم في صناعة تاريخ الخليفة بالمعلومة المركزة في المحتوى الذي يحمله التعبير المنطوق لأجل تفتين العقل من الغفلة وتثويره بما يضيء درب الخليفة في إصلاح الأرض وإعمارها بما ينبغي أن تعمر به.

وعندما تقال الحكمة قد يظهر الاستغراب لدى البعض وقد يحدث الاستفهام ويطرح التساؤل وكأنها تحمل المفاجأة لأول مرة وبهذا يتم اقتباس الحكمة من قائلها ويتهدى بها في صناعة المستقبل.

الحكمة تستوقف العقل لتمده بما يدرك الحقيقة دون تغليف وهي تظهر الدلالة في المعنى وتفتح الآفاق أمام امتداد الفكرة من عقل لعقل.

والحكيم المطلق جل جلاله جعل في كل آية من آياته الكريمة حكمة تحتوي الإعجاز فيها حتى تستوقف العقل وتلفتته لما كان غافلاً عنه في الوقت الذي لم يكن يعتقد أن الأمر كان كذلك، ومن كل حكمة من حكم الحكيم المطلق تؤخذ حكم تغذي العقل وتطمئن النفس وتحفز الخليفة على الإقدام تجاه ما يحقق له الأمل. إنها المرشد للحق والناهي عن الضلال والمفطن من الغفلة.

والحكيم بالإضافة هو من يستمد حكمته من الحكيم المطلق، ويبقيها حية بالمعلومة في المنازل بين الأسر وفي المدارس والجامعات بين التلاميذ والطلبة ويبقيها آية بين الجيران

أقارب وأبعد، وبين من تربطهم به علاقات دم وعرف ودين ومكان وزمان بين المشارق والمغرب وأثناء الحركة والسكون.

ولهذا فالأب الحكيم يكون طائعا لوالديه في غير معصية الله، ويكون راعيا لأبنائه وراشدا لهم حتى الهداية التي تمدهم بالتقوى وتعززهم بالطاعة لله تعالى، وتقوي لِحمتهم على إحقاق الحق وإزهاق الباطل. والمدرس الحكيم هو من يشد المتعلمين إلى الدرس الذي يقدمه لهم حتى يتمكنوا من الوقوف على الحقيقة التي يود توصيلها إليهم، والطالب الحكيم هو من لا يغفل أثناء الدرس، والمربي الحكيم هم من يوعظ بالحكمة، والمتربي الحكيم هو من يتعظ بها.

ومن حكم الحكيم المطلق ما هو معلوم وما هو مجهول، فالمعلوم منها هو المحمول في الآيات الكريمة في الكتاب الذي لا يدخله الباطل من خلفه ولا من بين يديه. والمجهول منها هو ما نستدل عليه استدلالا بالفعل لا بالكلمة، فنحن بنو آدم لا نعلم لماذا علم أبانا الأسماء كلها واستخلفه في الأرض ولم يعلمها للملائكة الكرام ويستخلفهم في الأرض؟. ألا يكون في ذلك حكمة لا يعلمها إلا هو جل جلاله؟.

ونحن ننقل من حكمة لحكمة نستدل على أن خلق الإنسان من تراب حكمة، وفي هذه الحكمة إثبات لقوة الأمر كن فكان أبونا آدم من التراب على أحسن التقويم حكمة، قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} <sup>٩٤٣</sup>، وقال تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا} <sup>٩٤٤</sup>.

أما الحكمة من خلق الإنسان في الأرحام تُبرهن على أن من خلق من تراب في خلقه حكمة الاستكثار للنوع الذي به يتم الاستخلاف في الأرض، وبه تترسخ عاطفة الأبوة والأمومة لتكون الطاعة فضيلة بين الناس لطاعة الله وحده لا شريك له وهو الخالق من التراب وطاعة الوالدين في غير معصية الله طاعة حق. قال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

<sup>٩٤٣</sup> آل عمران ٥٩.

<sup>٩٤٤</sup> الكهف ٣٧.

وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا<sup>٩٤٥</sup>، وقال تعالى:  
 وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ لِيِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ  
 إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي  
 الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ  
 تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ  
 اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ  
 إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ  
 الْحَمِيرِ<sup>٩٤٦</sup>.

وعليه فالحكمة تؤخذ بأحد أربع أو ببعضها أو بها:

١ . بالقول تعطى الحجة فتؤخذ. قال تعالى: {رُسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى  
 اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ  
 وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا<sup>٩٤٧</sup>، وقال تعالى: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا  
 الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى<sup>٩٤٨</sup>.

٢ . بالفعل تترسخ الحكمة فتدرك. قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ  
 خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ<sup>٩٤٩</sup>.

وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ  
 الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ<sup>٩٥٠</sup>.

<sup>٩٤٥</sup> الإسراء ٢٣، ٢٤.

<sup>٩٤٦</sup> لقمان ١٤، ١٩.

<sup>٩٤٧</sup> النساء ١٦٥، ١٦٦.

<sup>٩٤٨</sup> طه، ٤٩، ٥٠.

<sup>٩٤٩</sup> المؤمن ١، ٤.

<sup>٩٥٠</sup> الأنبياء ٧٣.

٣ . بالعمل تتجسد الحكمة فتُرى. قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَأَخْرُوجَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ٩٥١ .

وقال تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَيْسَتَيْنِ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} ٩٥٢ .

٤ . بالسلوك تمتد الحكمة فتكون القدوة. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أُولَٰؤُا حِينُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَاثْقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} ٩٥٣ .

وقال تعالى: {عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} ٩٥٤ .

بناء على ما تقدم فإن الحكيم لا يعاقب إلا عن حكمة، ولا يجازي إلا عن حكمة، ولا يغفر إلا عن حكمة، ولا يتوب على أحد إلا عن حكمة، ولهذا جاءت من وراء الزكاة حكمة ومن وراء الصلاة حكمة ومن وراء الصوم حكمة ومن وراء الحج حكمة ومن وراء الجهاد حكمة. ولذا فالتسيير والتخيير حكمة. اللهم إنك تؤتي الحكمة من تشاء فأت لنا الحكمة فإنك من تؤتيه الحكمة فقد آتيته خيرا كثيرا، {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} ٩٥٥ .

٩٥١ التوبة ١٠٥ ، ١٠٦ .

٩٥٢ الأنعام ٥٤ ، ٥٥ .

٩٥٣ الزخرف ٢٣ . ٢٥ .

٩٥٤ الجن ٢٦ . ٢٨ .

٩٥٥ البقرة ٢٦٩ .

الحكمة في نيل العلم الذي يمنع عن ارتكاب الباطل، فالحكمة هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها قال تعالى: {ولقد آتينا لقمان الحكمة} <sup>٩٥٦</sup>. فالمراد به حجة العقل على وفق أحكام الشريعة، وقيل: الحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل، فالحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام.

و قد تعني الحكمة الحِلْم: وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وبذلك يكون في مضمون الحكمة رحمة.

وتكون بمعنى (النبوة) والرسالة في قوله تعالى: {ويعلمه الكتاب والحكمة} <sup>٩٥٧</sup>. وقوله تعالى: {وآتاه الله الملك والحكمة} <sup>٩٥٨</sup>، وقوله تعالى: {وآتيناه الحكمة} <sup>٩٥٩</sup>. فمن هذه الآيات الكريمة عرف الخليفة أن الحكمة تُعلم فيعمل على تعليمها لبنيه ويبشر بها حتى الهداية، وهي أيضا تؤتى من حكيم خبير.

والحكمة أيضا تأتي بمعنى القرآن والتوراة والإنجيل، وذلك كما في قوله تعالى: {يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا} <sup>٩٦٠</sup>؛ لتضمن كل منها الحكمة المنطوق بها وهي أسرار الحقيقة الإلهية، فالمراد به تأويل القرآن وإصابة القول فيه. ولا يكون الوصول للحكمة إلا بأمور منها:

الأول: التفكير في عظمة الله تعالى، وجلاله، وجبروته، وملكوته، وآياته في سماواته وأرضه وهو أرفع أنواع التفكير وأجلها.

الثاني: التفكير بالقلب عند الأمر والنهي، فيمتثل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه، ويقف عما أشكل عليه وهو دأب الخلفاء في أرضه. ويجعل نصب عينيه قول الشاعر الحكيم:  
عجبت من ربي حكيم ... أن يحرم العاقل فضل النعيم <sup>٩٦١</sup>.

<sup>٩٥٦</sup> لقمان ٣١.

<sup>٩٥٧</sup> آل عمران ٤٨.

<sup>٩٥٨</sup> البقرة ٢٥١.

<sup>٩٥٩</sup> ص ٢٠.

<sup>٩٦٠</sup> البقرة ٢٦٩.

الثالث: التذكر الذي يربط الحاضر بالماضي حتى تستمد العبر من قصص الأولين وتجاربهم في الحياة.

والحكيم المطلق هو الله جل في علاه ولذلك لما نفت الملائكة العلم عن أنفسهم أثبتوه لله تعالى على أكمل أوصافه، قال تعالى: {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} <sup>٩٦٢</sup>، وأردفوه بالوصف بالحكمة لما تبين لهم ما تبين وأصل الحكمة المنع عن الاعوجاج.

فمعنى الحكيم ذو الحكمة، وقيل: المحكم لمبدعاته، وهو على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة فعل، والمشهور أنه إن أريد به العليم كان من صفات الذات أو الفاعل لِمَا لا اعتراض عليه كان من صفات الفعل. وقدم سبحانه الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة لمناسبة ما تقدم {فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} <sup>٩٦٣</sup> و {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا} في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} <sup>٩٦٤</sup>؛ إذن في اصطفاء آدم حكمة، وفي تعليمه الأسماء كلها حكمة، والأسماء كلها تعني: علمه الأسرار التي هي جزء من غيبه عز وجل، فبعد أن خصَّ آدم بها أصبحت بالنسبة لآدم لم تعد في علم الغيب، أما بالنسبة للملائكة فهي علم غيب إلى أن أعلم آدم بها، ولهذا فالقدرة على الإبداء حكمة والقدرة على الكتمان حكمة، وعلما بأنه يعلم ما كانوا يبديون وما كانوا يكتُمون حكمة، وعلما بأنه علام الغيوب التي لا نعلمها حكمة، وكذلك عدم علما بعلم الغيب حكمة.

<sup>٩٦١</sup> معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ج ١، ص ٥٢.

<sup>٩٦٢</sup> البقرة ٣٢.

<sup>٩٦٣</sup> البقرة ٣١.

<sup>٩٦٤</sup> البقرة ٣٠-٣٣.



ويأتي اسم الحكيم مقترنا مع أسمائه الأخرى من باب التناسب كما في قوله تعالى: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>٩٦٥</sup>، فإن قوله: (وإن تغفر لهم) إذا أمعن النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، فهو العزيز لأن العزيز في صفات الله هو الغالب من قولهم: عزه إذا غلبه، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً، لأن الحكيم من يضع الشيء في محله، والله تعالى كذلك إلا أنه قد يخفي وجه الحكمة في بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، فكان في الوصف بالحكيم احتراص حسن، أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته<sup>٩٦٦</sup>. ولأن الأفضال من الله تعالى نفع تدعو إليه الحكمة وهو تعالى يفضل لا محالة لأن الحكيم لا يخالف ما تدعو إليه الحكمة وهو كالإنعام في وجوب الشكر عليه، وأصله الزيادة في الإحسان والتفضل التخصيص بالنفع الذي يوليه القادر عليه وله أن لا يوليه، والله تعالى متفضل بكل نفع يعطيه إياه من ثواب وغيره، فإن قلت: الثواب واجب من جهة أنه جزاء على الطاعة فكيف يجوز أن لا يفعله؟.

فقوله: (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في هذه الآية الكريمة حكم منها:

إيمان عيسى عليه الصلاة والسلام برب العزة إيماننا مطلقاً جعله يظهر ما هو يبطن بأمر التسليم وهو اعتراف بأنه لم يتدخل وذلك لعدم إمكانية التدخل فيما يريد الله أن يكون أو يحدث، وفي هذا الاعتراف الإيماني تظهر حكمة التسليم بالمشيئة.

<sup>٩٦٥</sup> المائدة ١١٨ - ١٢٠.

<sup>٩٦٦</sup> الإيضاح في علوم البلاغة، ج ١، ص ١١٢.

الحكمة الأخرى أن لا يتم التدخل في علم الغيب فهذا الأمر يستوجب التسليم فكان عيسى عليه الصلاة والسلام مسلم بالمطلق وذلك اعترافا بعدم الاختصاص.

الحكمة الأخرى أيضا: اتقاء عيسى عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل، بإظهار مخافته واتقائه فيما يريد أن يفعل وذلك لأن أمر التقدير لله تعالى وليس لعيسى عليه الصلاة والسلام. جاءت في الآية السابقة كلمة (إن) وهذه احتمالية الدلالة في تقديرين:

التقدير الأول: إن عيسى عليه الصلاة والسلام يؤكد يقينا بأن الأمر لم يكن بيده، وتظهر يقينا عدم علمه بما يجب أن يكون.

التقدير الثاني: يظهر يقينا لا ظنا ولا شكا فيه بأن أمر العلم بيد الله وأمر القرار فيما يخص العذاب المقصود في الآية السابقة هو قرار الله، وفي هذا الاتقاء حكمة الإيمان.

والحكمة التي تستوجب من الخليفة الأخذ بها هي أن لا يصدر حكما مطلقا فيما لا يعلم، فإن أصدر حكما محتملا فيما لا يقين له فيه كان على يقين، وإن أصدر حكما يقينا فيما لا يعلم يقينا كان على غير اليقين.

وفي الفروق اللغوية هناك تفريق بين لفظة الحكيم والعالم: فمعنى الحكيم يأتي على ثلاثة أوجه:

أحدهما: بمعنى المحكم مثل البديع بمعنى المبدع والسميع بمعنى المسمع.

والثاني: بمعنى محكم وفي القرآن الكريم: {فيها يفرق كل أمر حكيم} <sup>٩٦٧</sup> أي محكم، وإذا وصف الله تعالى بالحكمة من هذا الوجه كان ذلك من صفات فعله.

والثالث: الحكيم بمعنى العالم بأحكام الأمور فالصفة به أخص من الصفة بعالم، وإذا وصف الله به على هذا الوجه فهو من صفات ذاته <sup>٩٦٨</sup>.

وعلى الإنسان أن يحمل هذه الصفة ولا يستطيع حملها إلا من كان أهلا للخلافة، ولما كانت الحكمة مشتملة على الخير والبركة فلا يعطي الله الحكمة إلا لخلفائه فعليه أن يبني أحكامه

<sup>٩٦٧</sup> الدخان ٤.

<sup>٩٦٨</sup> الفروق اللغوية، ج ١، ص ١٩٥.

وأفعاله على أصول العدل ذاهبا على أن الصانع حكيم تعالى جل في علاه لا يكون في أفعاله عبث جل جلاله بل يقدر وكل فعله حكمة وصواب مفعول لغرض صحيح، لأن الله جل جلاله ما خلق الإنسان إلا لغرض الطاعة في توحيده والإيمان بما أمر ونهى والإصلاح والفلاح والإحسان في الأرض، وحين ركب فيه الشهوة الحاملة على فعل ما يجب تركه والنفرة الحاملة على ترك ما يجب فعله وأودع عقله المضادة لحكيميها حتى تتازعته أيدي الدواعي والصوارف فوقفت به حيث الحيرة لا متقدم له عنه ولا متأخر تحمله الحيرة على ما لا يورثه إلا العناء إذا اتبع العقل وقع من النفس المشتبهة النافرة في عناء، وإذا اتبع النفس وقع من العقل الناهي الأمر في عناء لا مخلص هناك مما أوقعه في ورطة تلك الحيرة سفها ولا عبثا {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} <sup>٩٦٩</sup>؛ وإنما فعل ذلك لغرض الإحسان وهو التكليف ليتمكن من اكتساب ما لا يحسن فعله في حقه ابتداء من التعظيم العظيم مع الدوام في ضمن التمتع من أنواع المشتبهات بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال أحد من نعم لا يشوبها منغص ما، فيكتسبه إن شاء لا بالقسر، ولذلك وضع زمام الاختيار في يده ممكنا إياه من فعل الطاعة والمعصية مريدا منه أن يختار ما ينثر له تلك السعادة الأبدية مزيحا في ذلك جميع عله. وهو العالم بالذات الذي لا يخفى عليه خافية يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون قائلا خلق الله الخلق لعبدوه ولعلمهم يتقون، وعليه قول رب العزة علام الغيوب: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون} <sup>٩٧٠</sup>. إذا رأيت عاقلا قد أحسن إلى إنسان ثم آذاه ذلك أنه قد أحسن إليه ليؤذيه ومن ذلك قوله علت كلمته {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} <sup>٩٧١</sup>.

والله تعالى قادر بحكمته أن يغير سلوك الإنسان من سلوك مشين إلى طريق حسن قويم ولنأخذ من المجتمع العربي مثلا فقد كانت العرب قبل الإسلام في جاهليتها على إرث من

<sup>٩٦٩</sup> الإسراء ٤٣.

<sup>٩٧٠</sup> البقرة ٢١.

<sup>٩٧١</sup> القصص ٨. مفتاح العلوم، ج ١، ص ١٦٨.

إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت  
 أحوالاً، ونُسِخت دِينات، وأبطلت أمورٌ، ونُقِلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر  
 زيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرطت. فعَفَى الآخِرُ الأوَّلَ، وشَغِلَ القوم بعد  
 المُغاورات والتَّجارات وتَطَلَّب الأرياح والكُدْح للمعاش في رحلة الشتاء والصَّيف، وبعد الأگرام  
 بالصَّيْد والمُعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من  
 خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، وبالنَّفَقَة في دين الله عزَّ وجلَّ، وحفظ سنن رسول الله صلى الله  
 تعالى عَلَيْهِ وسلَّم، مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام. فصار الَّذِي نشأ عَلَيْهِ آبائهم  
 ونشأوا عَلَيْهِ كَأَن لَمْ يكن وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب المواريث وغيرها من  
 علم الشريعة وتأويل الوحي بما دُونَ وحُفِظ حَتَّى الآن. فصاروا - بعدما ذكرناه - إلى أن  
 يُسأل خليفة من خلفائه وإمامٌ من الأئمة وهو يخطب على منبره عن فريضة فَيُفْتِي وَيَحْسُبُ  
 وعلى سرعة وبداهة حاضرة. مثلما حدث مع عليٍّ رضي الله عنه حين سُئِلَ عن ابنتين  
 وأبوين وامرأة: "صار ثَمْنُهَا تُسَعاً" فسميت: المنبرية<sup>٩٧٢</sup>. وغيرها ممَّا هو أغمض وأدقُّ. فسبحان  
 من نقل أولئك في الزمن القريب بتوقيفه، عمَّا أفوه ونشأوا عَلَيْهِ وغدوا بِهِ، إلى مثل هَذَا الَّذِي  
 ذكرناه. وكلَّ ذَلِكَ دليل على حقِّ الإيمان وصحة نبوة نبيِّنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلَّم  
 وعمله بشروط الخلافة بصدق النية وجدية العمل. وأنَّ العرب إنَّما عرفت المؤمن من الأمان  
 والإيمان هو التصديق. ثمَّ زادت الشريعة شرائطَ وأوصافاً بِهَا سُمِّيَ المؤمن بالإطلاق مؤمناً  
 وفي هذه حكم تستوجب الوقوف عندها والأخذ بها. وكذلك الإسلام والمسلم، إنَّما عَرَفَتْ منه  
 إسلامَ الشيء ثمَّ جاء في الشَّرْع من أوصافه ما جاء وفي هذه حكم. وكذلك كَانَتْ لا تعرف  
 من الكُفْر إِلَّا الغِطَاء والسُّتْر. فأما المنافق فاسمٌ جاء بِهِ الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه،  
 وَكَانَ الأصل من نفاقاء اليزبوع. وَلَمْ يعرفوا في الفِسْق إِلَّا قولهم: "فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ" إذا خرجت  
 من قِشْرها، وجاء الشَّرْع بأن الفِسْق الأفحاش في الخروج عن طاعة الله جلَّ ثناؤه. ومما جاء  
 في الشَّرْع الصلاة وأصله في لغتهم: الدُّعاء. وَقَدْ كانوا عَرَفُوا الركوعَ والسجودَ، وإن لَمْ يكن

<sup>٩٧٢</sup> الصحابي في فقه اللغة، ج ١، ص ١٤.

عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِإِنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَعْرِفْهُ بِمِثْلِ مَا أَتَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ مِنَ الْأَعْدَادِ وَالْمَوَاقِيتِ وَالتَّحْرِيمِ لِلصَّلَاةِ، وَالتَّحْلِيلِ مِنْهَا. وَكَذَلِكَ الصِّيَامِ أَصْلَهُ عِنْدَهُمُ الْإِمْسَاكُ، ثُمَّ زَادَتْ الشَّرِيعَةُ النَّيَّةَ، وَحَظَرَتِ الْأَكْلَ وَالْمُبَاشَرَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الصَّوْمِ. وَكَذَلِكَ الْحَجُّ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِيهِ غَيْرُ الْقَصْدِ، وَسَبَّرَ الْجِرَاحَ. ثُمَّ زَادَتْ الشَّرِيعَةُ مَا زَادَتْهُ مِنْ شَرَائِطِ الْحَجِّ وَشَعَائِرِهِ. وَكَذَلِكَ الزُّكَاةَ، لَمْ تَكُنْ الْعَرَبُ تَعْرِفُهَا إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ النَّمَاءِ، وَزَادَ الشَّرْعُ مَا زَادَهُ فِيهَا. وَعَلَى هَذَا سَائِرُ مَا تَرَكْنَا ذِكْرَهُ مِنَ الْعُمْرَةِ وَالْجِهَادِ وَسَائِرِ أَبْوَابِ الْفِقْهِ<sup>٩٧٣</sup>.

وَلَمَّا كَانَ جَلُّ جَلَالِهِ قَادِرًا عَلَى تَغْيِيرِ سُلُوكِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّ قُدْرَتَهُ عَلَى تَوْجِيهِ سُلُوكِ الْجَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ مِنْ بَابِ أَوْلَى لِأَنَّهُ أَسْهَلُ وَأَخْفَ إِذِ الْعِنَادُ مِنْ طَبِيعَةِ الْبَشَرِ فَقَدْ جَعَلَهَا جَلُّ جَلَالِهِ تَسْبِيحًا بِحَمْدِهِ دُونَ مَا نَعْلَمُ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}<sup>٩٧٤</sup> الْحِكْمُ الَّتِي لَا نَعْلَمُهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِالرَّغْمِ مِنْ إِعْلَامِنَا بِأَنَّهَا تَسْبِيحٌ هِيَ حِكْمٌ تَفُوقُ تَقْدِيرَاتِنَا الْعَقْلِيَّةَ وَذَلِكَ بِأَسْبَابِ مَعْرِفَتِنَا التَّامَةَ بِأَنَّ الْجَمَادَ سَاكِنًا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ وَلَا يَسْرِقُ وَلَا يَكْذِبُ كَمَا يَسْرِقُ الْبَعْضُ مِنَ الَّذِينَ يَتَحَرَّكُونَ وَيَجُوعُونَ وَيَأْكُلُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ الَّذِينَ أَصْطَفَى اللَّهُ الرَّسُلَ مِنْهُمْ وَجَعَلَهُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، كُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَإِنَّ صَرِيرَ السَّقْفِ وَصَرِيرَ الْبَابِ مِنَ التَّسْبِيحِ، أَقُولُ إِنَّهُ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ نَسْلَمَ طَائِعِينَ لِلَّهِ فِيمَا قَالَ وَنَحْنُ وَاثِقُونَ بِأَنَّهَا تَسْبِيحٌ مَعَ أَنَّنَا لَا نَفْقَهُ وَلَا نَسْمَعُ وَلَا نَشَاهِدُ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّهَا لَا تَسْبِيحٌ وَلَكِنَّهُ يَعْنِي الْإِيمَانَ التَّامَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}<sup>٩٧٥</sup> وَقَالَ تَعَالَى: {أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ

<sup>٩٧٣</sup> الصَّاحِبِيُّ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ، ج ١، ص ١٥.

<sup>٩٧٤</sup> الْإِسْرَاءُ ٤٤.

<sup>٩٧٥</sup> النُّورُ ٥١. ٥٣.

مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا  
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ  
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا  
رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الْكَافِرِينَ<sup>٩٧٦</sup>.

(ولكن لا تفقهون تسبيحهم)، هذه حكمة من حكيم خبير بحالنا وما نحن عليه فجاء التقدير التام لما نحن عليه من عدم مقدرة على معرفة الكيفية التي بها تسبح الجبال والأنهار والبرق والرعد والطيور والنبات وكل شيء مخلوق هو يسبح بحمد ربه تعالى ونحن لا نفقه التسبيح، والتفقه هو بلوغ الأسرار التي عليها حالة المسبح بحمده من غير المستخلفين فيها. وقوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ)، أي ما من شيء إلا وفيه دليل أن الله عز وجل خالقه، وأن خالقه حكيمٌ مُبَرَّرٌ من الأسواء، ولكنكم لا تفقهون تسبيحه وذلك لعدم كمالكم وهذه حقيقة ندركها ونؤمن بها بأنه لا كمال إلا لله تعالى، وغيره منقوص حتى وإن خلق في أحسن تقويم وهذه حكمة والحمد لله رب العالمين. وعليه أتساءل:

هل يمكن لمخلوق أن يسبح بحمد خالقه لو لم يكن يدركه؟. وما أن التسبيح دليل اعتراف وطاعة ألا يكون المتعرف والطائع في غاية الإيمان؟. وإذا كان في غاية الإيمان ألا يكون للمؤمن أن يسبح ويجل ويعز من آمن به؟. وما أننا لا نفقه تسبيح غيرنا من المخلوقات ألا يكون هذا دليل إثبات أن غيرنا لا يفقه تسبيحنا؟.

وإذا كان الأمر كذلك إذن بطبيعة الحال نحن بدون أي استغراب لن نفقه تسبيح من لا يفقه تسبيحنا. ولنا من باب الحكمة أن نقول اعترافا وإثباتا علميا: إن الأرض تتحرك بسرعة معلومة ونحن لا يمكن لنا الإحساس بحركتها ولو لم يثبت العلم ذلك يقينا لكانت الحالة في

تشابه مع عدم معرفتنا بتسبيح ما لا نفقه تسبيحه. ولأنه جل جلاله خلقنا في أحسن تقويم فنحن المعنيون بالحكمة التي بها ندرك بمقارنة عقلية ما جاء إعجازا في القرآن الكريم، ولذا فنحن بأمهات عقولنا ندرك حقيقة أنها تسبح وندرك حقيقة أننا لا نفقه تسبيحها.

فالله تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }<sup>٩٧٧</sup>، فهو عالم ما تعينون أيها الناس، فتشاهدونه، وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه (وهو الحكيم)، في تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم، ثم من حال العدم والفناء إلى الوجود، ثم في مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب. قال تعالى: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }<sup>٩٧٨</sup>.

ولأنه تعالى لم يخلق أكرم من الإنسان على وجه الأرض وجعله خليفة ليس للفساد ويعاقب كل من يفسد فيها وأن هذا العقاب ليس عبثا وفي ذات الوقت ليس محتاجا إلى عقابنا أو ثوابنا إلا لأنه كرما بأن فضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا وقد خلق الخليفة في أحسن تقويم حتى إن الملائكة تساءلت: هل هناك من هو أكرم منها؟ وظنت أنها تعلم كل ما يدور حولها، وأنه مهما خلق فلن يخلق من هو أكرم أو أعلم منها، قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ }<sup>٩٧٩</sup>، وكانت الدهشة والتسليم الفوري بأن قالت: { لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم }<sup>٩٨٠</sup>، فرد الله تعالى عليهم: { يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون }.

<sup>٩٧٧</sup> الأنعام ٧٣.

<sup>٩٧٨</sup> البقرة ٢٨.

<sup>٩٧٩</sup> البقرة ٣٠.

<sup>٩٨٠</sup> البقرة ٣١.

(ألم أقل لكم إني أعلم غيبَ السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)، قال: أما ما أبدوا فقولهم: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)، وأمّا ما كتّموا فقول بعضهم لبعض: (نحن خير منه وأعلم). وفي قوله: (إني جاعل في الأرض خليفةً قالوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، من هذه الآية نعلم أن من لا يعلم بالشيء بالرغم من وجوده يظن أنه غير موجود أو أنه موجود وليس على الحالة التي تقال عنه وهذا أمر جهل بالحقيقة التي عليها حالة الشيء، وخير مثال ما كان يجعله الملائكة عن خلق الإنسان وتفضيل الحكيم له على كل ما خلق، وبعد أن علم الملائكة الصديقون سجدوا اعترافاً بالحقيقة بعد معرفتها وطاعة لله وأمره لهم بالسجود.

وبهذا ظهر لهم علوه المطلق بغلبته وقهره وعلمه وحكمته فهو الغالب عباده، قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتِكُمْ لِتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} <sup>٩٨١</sup>. أي الله الغالب عباده بما لا يستطيعوا بلوغه ومعرفته، وفي هذه المغالبة حكمة تظهر القدرة الكمالية لدى الخالق وتظهر القصور لدى المخلوق، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه وهو الحكيم في علوه على عباده، ومن لا يرى في ذلك حكمة فليظهر غير ذلك لتكون له حكمة، ولأن هذا الأمر خارج دائرة الممكن بالنسبة للمخلوق فإن أمر بلوغه غير ممكن، والله تعالى خبير بحالهم وبكل حال فكان القاهر فوقهم بحكمته وخبرته وعلمه وخلقته ووحدانيته جل جلاله، إنه مالك الملك والأمر بما فيه من قوة وهيمنة وعزة ورحمة ومغفرة وتوبة سبحانه لا إله إلا هو.

فقد خلق الإنسان وصوره في الرحم كيفما شاء دون تدخل من أحد في ربوبيته فهو الذي يدبر خلقه بعدله كيف يشاء دونما شريك أو نديد، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} <sup>٩٨٢</sup>، فهو يخلقكم كما يشاء في الأرحام من ذكر وأنثى،

<sup>٩٨١</sup> الأنعام ١٨، ١٩.

<sup>٩٨٢</sup> آل عمران ٦.



وحسن وقبيح، وشقي وسعيد (لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أي: هو الذي خلق، وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له، وله العزة التي لا ترام، والحكمة والأحكام. وهذه الآية فيها تصريح بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق، كما خلق الله سائر البشر؛ لأن الله تعالى صوره في الرحم وخلقاه، كما يشاء، فكيف يكون إليها كما زعمته النصارى وقد تقلب في الأحشاء، وتقل من حال إلى حال، كما قال تعالى: {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} <sup>٩٨٣</sup> في هذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره لنفسه أن يكون له في ربوبيته ندّ أو مثل، أو أن تجوز الألوهة لغيره، ولجميع من ادّعى مع الله معبودًا، أو أقرّ بربوبية غيره. ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته، وعيدًا منه لمن عبد غيره، أو أشرك في عبادته أحدًا سواه، فهو العزيز الذي لا ينصر من أراد الانتقام منه أحدًا، ولا ينجيه منه وألّ و لا ملجأ، وذلك لعزته التي يذلّ لها كل مخلوق، ويخضع لها كل موجود والحكيم في تدبيره وإعذاره إلى خلقه، ومتابعة حجه عليهم، ليهلك من هلك منهم عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

قال تعالى: {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} <sup>٩٨٤</sup>. الحكمة في هذه الآيات الكريمة أن يكون المثل السوء للذين لا يؤمنون بالآخرة وهذه حكمة بينة ظاهرة، وفي مقابل ذلك كان المثل الأعلى للحكيم الأعلى عز وجل، ولولا حمد الله وحكمته وفضله لكان العقاب واقعا في وقت وقوع الذنب أو الجريمة أو الكفر أو الضلال، ولكن لحكمة وفضل من الله أجل ذلك إلى أجل

<sup>٩٨٣</sup> الزمر ٦.

<sup>٩٨٤</sup> النحل ٦٠، ٦٤.

مسمى، أي معلوم وهو يوم الآخرة، ليعطي الفرصة لمن خلق في أحسن تقويم لعله يستغفر ويتوب لله وحده فيجده غفورا رحيفا وما ربك بظلام للعبيد قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ} ٩٨٥.

فإنه ذو العزة التي لا يمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين، ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته إياه، ولا يتعذر عليه شيء أرادته وشاءه؛ لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، الحكيم في تدبيره، فلا يدخل تدبيره خلل في تصريفهم فيما أراد من إحياء وإماتة، وبعث ونشر، وما شاء.

{الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} ٩٨٦، وهو العزيز الذي لا يمتنع مما أرادته من ضلال أو هداية من أراد ذلك به والحكيم في توفيقه للإيمان من وفقه له، وهدايته له من هداية إليه، وفي إضلاله من أضلّ عنه، وفي غير ذلك من تدبيره بحكمته، فالحمد لله على ما أولى من منحه، وأفاض من نعمه، فلولا هدايته ما وصل أحد إلى هدى أو رشاد، فلما أراد بحكمته أن يهدي خلفاءه إلى الصراط المستقيم أنزل عليهم القرآن الذي جاء فيه: {الْم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ

٩٨٥ فصلت ٤٥ . ٤٧ .

٩٨٦ إبراهيم ١ . ٥ .

يُوقِنُونَ} <sup>٩٨٧</sup>، أي هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله، رحم به من اتبعه، وعمل به من خلقه، وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن، فهذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه فالذين يقيمون الصلوة المفروضة بحدودها وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ من جعلها الله له المفروضة في أموالهم وَهُمْ يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون. {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} <sup>٩٨٨</sup> هؤلاء الخلفاء هم المهتدون بالطاعة والعمل الصالح في الأرض يقولون حقا ويفعلون الخيرات ويكثرون ذلك رحمة من الرحمن الرحيم. ولذلك فقد وعد الله تعالى خلفاءه وعد الصدق مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} <sup>٩٨٩</sup>، أي إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ فَوَحَّدُوهُ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ وَاتَّبَعُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَأَطَاعُوا اللَّهَ، فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمْ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا كَثِيرٌ مِنْ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَوَعَدَ الرَّحْمَنُ حَقًّا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قال تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} <sup>٩٩٠</sup>، فبحكمته تعالى أنه خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السبع بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، وكلمة بغير عمد تدل على أنه بالقطع لا توجد عمد ترفع السماء عن الأرض، وكلمة (ترونها) عندما تتصل تصبح الآية ذات ثلاثة دلائل في دائرة الممكن المتوقع:

المدلول الأول: أنها ذات أعمدة ولكنكم لا ترونها وهذا متوقع.

والمدلول الثاني: أنها بدون أعمدة ولو كانت ذات أعمدة لرأيتموها وهذا متوقع.

<sup>٩٨٧</sup> لقمان، ٤.١.

<sup>٩٨٨</sup> البقرة ٥.

<sup>٩٨٩</sup> لقمان ٩.

<sup>٩٩٠</sup> لقمان ١٠.

المدلول الثالث: إن المقصود من كل ذلك إدراك الحكمة في خلق السماوات والأرض وكيفية خلقها سواء كانت بأعمدة أو بدونها وفي دائرة المتوقع قد يكون هذا المقصود وهذه حكمة بذاتها لا يعلم سرها إلا هو عز وجل.

وكل ذلك يحتاج إلى تدبر ونظر والذي يكون نتاجه الحكمة التي يمنحها جل جلاله لمن يشاء من عباده وخلفائه وقد جاء في الكتاب العزيز كيف منح الله لقمان الحكمة بعدما كان نجارا وذلك عندما أخلص العبادة لله وحده فوصل إلى معرفة ما أراد الله له من المعارف التي تستدعي الحكمة والنظر ليكون خليفة في أرضه، فقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>٩٩١</sup> لننظر في هذه الآية لنرى كيف يوزع حكيمته على عباده، فقد كان لقمان رجلا صالحا، ولم يكن نبيا، قيل: كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا، غليظ الشفتين، مصفح القدمين، قاضيا على بني إسرائيل. وقيل كان لقمان الحكيم أسود من سودان مصر. وقيل: كان لقمان عبدا أسود حبشيا نجارا فأتاه رجل، وهو في مجلس أناس يحدثهم، فقال له: "أأنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا؟ قال: نعم، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني"<sup>٩٩٢</sup>. وبهذا وصل لقمان عليه السلام إلى ما وصل من الحكمة وهذا الذي يجب أن يكون عليه الخليفة في الأرض وإلا فهو في خسران مبین، وعلى الخليفة أن يحمد الله على هذه النعم التي لا تحصى لأنها من موجبات الرضى الإلهي والفوز بالخلافة في الدنيا والتي يكون نتاجها الجنة بإذنه فإن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾<sup>٩٩٣</sup>، فالشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السماوات السبع وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره، وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا

<sup>٩٩١</sup> لقمان ١٢.

<sup>٩٩٢</sup> تفسير الطبري، ج ٢٠، ص ١٣٥.

<sup>٩٩٣</sup> سبأ ١.

العاجلة؛ لأن منه النعم كلها على كل من في السماوات والأرض في الدنيا، ومنه يكون ذلك في الآخرة، لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره، خبير بهم وبما يصلحهم، وبما عملوا وما هم عاملون، محيط بجميع ذلك.

وعلى الخليفة الحكيم أن يكون متبصرا بما يدور حوله فيصلح ما استطاع من ذلك وليبسط حكمته على مستخلفيه بما يقدمه لهم من النصائح الريانية والتي لا بد وأن تنتج مجتمعا حكيما متبصرا عارفا بأمر الدنيا والدين، والحكيم أن يدرس التوقعات المستقبلية والتي يستطيع بها أن يتوقى الأعداء من الطبيعة والبشر؛ لأن الحكيم بالإضافة يتلقى حكمته من الحكيم المطلق الذي يعلم مسبقا ما كان وما سيكون وهذه من خصائص الحكيم لأنه لو لم يكن عليما ما كان حكيما ولذلك على الحكيم المستخلف في الأرض أن يعمل ويصلح وأن يكثر من الدعاء ليوفقه الحكيم المطلق في أعماله ودراساته الحالية والمستقبلية وأن يلهمه النظرة الصائبة لتحقيق ذلك وكل خير في مرضات الله تعالى.

وليعلّم الخليفة المستخلفين في الأرض موجبات الحمد وأن يعلمهم أن الخير بيده تعالى ولا أحد يمنعهم من ذلك إذا أراد لهم ذلك لأنه هو العزيز القادر وهو الحكيم في كل أمر؛ قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>٩٩٤</sup>. ولنكون خلفاء على حقيقة بينة وصدق في العقيدة والمنهج كما كان يفعل لقمان عليه السلام فإنه تعالى مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ خَيْرٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ حَبْسَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ لِهَذِهِ الرَّحْمَةِ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ فِي نِقْمَتِهِ مِمَّنْ أَنْتَقَمَ مِنْهُ مَنْ خَلَقَهُ بِحَبْسِ رَحْمَتِهِ عَنْهُ وَخَيْرَاتِهِ، الحكيم في تدبير خلقه وفتح له الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحًا، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة<sup>٩٩٥</sup>. وذلك عليه هين لأنه تعالى الواحد الأحد في سماواته وأرضه وبدير كل ذلك بحكم وعلم ومعرفة ودراية فقد قال

<sup>٩٩٤</sup> فاطر ٢.

<sup>٩٩٥</sup> تفسير الطبري، ج ٢٠، ص ٤٣٧.

تعالى: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} <sup>٩٩٦</sup>؛ لأنه يُعبد في السماء، ويُعبد في الأرض. وهو العليم بمصالحهم. ولذلك وجب على الخليفة القول للمتكبرين لعلمهم يرجعون عن ما هم فيه من الغواية والضلال: {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} <sup>٩٩٧</sup>. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى نِعْمِهِ وَأَيَادِيهِ عِنْدَ خَلْقِهِ، فَيَايَاهُ فَاحْمَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِينَ اسْتَخْلَفَكُمْ فِي أَرْضِهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ دُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلِهَةٍ وَوُثْنٍ، وَدُونَ مَا تَتَخَذُونَهُ مِنْ دُونِهِ رَبًّا، وَتَشْرِكُونَ بِهِ مَعَهُ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ يَقُولُ: مَالِكُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَمَالِكُ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَالِكُ جَمِيعِ مَا فِيهِنَّ مِنْ أَصْنَافِ الْخَلْقِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ لَخَلْقِهِ وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ وَلَهُ الْعِظَمَةُ وَالسُّلْطَانُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ كُلِّ مَا دُونَهُ، وَلَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ <sup>٩٩٨</sup>. فإِقْرَارُ مَنْ بَحْكَمْتَهُ وَعِلْمُهُ زِيَادَةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ وَالْجَبْرُوتِ يَجِبُ أَنْ نَسْبِّحَ لَهُ لِعِزَّتِهِ وَجَبْرُوتِهِ وَلَعْلُوهِ وَحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ الَّذِي سَبَّحَ لَهُ جَمِيعٌ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} <sup>٩٩٩</sup>. يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أَنْ كُلَّ مَا دُونَهُ مِنْ خَلْقِهِ يَسْبِّحُهُ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِقْرَارًا بِرَبُوبِيَّتِهِ، وَإِذْعَانًا لَطَاعَتِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}. وَقَوْلُهُ: (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أَيُّ جَلَّ جَلَالُهُ عَزِيزٌ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ، فَخَالَفَ أَمْرَهُ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ وَالْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ أَمْرَهُمْ، وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا أَحَبَّ. {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ

<sup>٩٩٦</sup> الزخرف ٨٤.

<sup>٩٩٧</sup> الجاثية ٣٦، ٣٧.

<sup>٩٩٨</sup> تفسير الطبري، ج ٢٢، ص ٨٨.

<sup>٩٩٩</sup> الحديد، ١، ٣.

الْحَكِيمِ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ  
وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} ١٠٠٠ . لأنه  
يتولاكم بنصره أيها المؤمنون وهو العليم بمصالحكم الحكيم في تدبيره إياكم، وصرفكم فيما  
هو أعلم به. وبذلك كان دعا خلفائه لمستخلفيهم لِيُعَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَنْ يَرْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي  
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ  
وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ  
حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِاهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ  
وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ١٠٠١ . (وَيُزَكِّيهِمْ) تعني يظهرهم على العالمين وبياركمهم ويطهرهم  
من الضلال والكفر والشرك، فيكونوا طائعين بالعمل والعبادة. وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ تعني  
شيئين:

الشيء الأول: يعلمهم ما جاء في القرآن الكريم: ليكون الدين بينهم معاملة حسنة، وتعليم  
الكتاب لأجل إظهار الآيات العظام التي جاء بها الرسول وحيا من الملك المتعال مبشرا ونذيرا  
وداعيا للخير ومحرضا عليه وسراجا منير.

الشيء الثاني: يعلمهم الحكمة: تعني يعلمهم أساليب المعاملة الرفيعة في الأخذ بالأوامر  
والنواهي التي جاءت في الكتاب الحكيم وإتباع الرسول الحكيم في أقواله وأعماله وهديه للتي  
هي أحسن مصداقا لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا  
بِمِثْلِ مَا عُوِّقْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ

١٠٠٠ التحريم ٣٠١.

١٠٠١ البقرة ١٢٩-٣٤.

عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}١٠٠٢، وقال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}١٠٠٣.

وهذه التزكية وهذا التعليم للكتاب والحكمة يأتي ليوضح لهم الحلال والحرام على يدي مستخفيه في أرضه كما في قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}، وقوله تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} يحتمل أن يكون من تمام الكلام ردًا عليهم، أي: قالوا ما قالوه من الاعتراض، مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا حكما، وهو الحكيم العليم السميع لما يدور من حوار ونقاش وجدال الذي لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو العالم بحقائق الأمور ومصالحها، وما ينفع عباده فيبيحه لهم، وما يضرهم فينهاهم عنه، وهو أرحم بهم من الوالدة برضيعها؛ ولهذا قال: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ}١٠٠٤ أي من بلغه نهي الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه، فله ما سلف من المعاملة، لقوله: {عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ}١٠٠٥ ولم يأمرهم برد الزيادات المأخوذة في حال الجاهلية، بل عفا عما سلف لحكمة يراها ويعلمها الحكيم جل جلاله.

وعليه فإن الحكمة تأتي على نوعين:

١- حكمة موهوبة من الله جل جلاله.

٢- حكمة تعليمية والتي تكون نتاج المحكات والتجارب، كمعرفة العدو من الصديق من الحيوان والإنسان، ومعرفة ما يجب والإقدام عليه ومعرفة ما لا يجب الإقدام عليه فيحجم عنه.

١٠٠٢ النحل ١٢٥ . ١٢٨ .

١٠٠٣ فصلت ٣٣ . ٣٦ .

١٠٠٤ البقرة ٢٧٥ .

١٠٠٥ المائدة ٩٥ .



وأساليب الحكماء على نوعين:

١- حكمة يعطى جوابها مباشرة.

٢- وحكمة غير مباشرة وخاصة في الردود فيوضح الحكيم الإجابة عن الأسئلة بما يعرف في علم البلاغة بأسلوب الحكيم فيعطي الحكمة من وجود الشيء أو علته وسببه، دون الحاجة إلى الدخول في تفاصيل عن الشيء ليعلم خلفاءه كيف يكون الرد، وكذلك إظهار الإعجاز القرآني بما يتناسب وعقول من أرسل إليهم وخاصة العرب وما تميزوا به من الفصاحة والبلاغة وليكون معجزاً لهم، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ}، فالأهلة جمع هلال، وسمي به القمر في ليلتين من أول الشهر، أو في ثلاث، والسؤال يحتمل:

١- أن يكون عن الغاية والحكمة.

٢- أو أن يكون عن السبب والعلة.

فعلى الأول: يكون الجواب بقوله تعالى: {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} مطابقاً مبيناً للحكمة الظاهرة اللاتقة بشأن التبليغ العام المذكرة لنعمة الله تعالى ومزيد رافته سبحانه وهي أن يكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم الدنيوية ويعلمون أوقات زروعهم ومتاجرهم ومعالم للعبادات الموقته يعرف بها أوقاتها كالصلاة والصيام والإفطار والزكاة والحج، فإن الوقت مراعى فيه أداءاً وقضاءً ولو كان الهلال مدوراً كالشمس أو ملازماً حالة واحدة لم يكدر يتيسر التوقيت به، ولم يذكر صلى الله عليه وسلم الحكمة الباطنة لذلك مثل كون اختلاف تشكيلاته سبباً عادياً أو جعلياً، لأنه مما لم يطلع عليه كل أحد.

وعلى الثاني: يكون من الأسلوب الحكيم، ويسمى القول بالموجب وهو تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله فيكون في هذا الجواب إشارة إلى أن الأولى على تقدير وقوع السؤال أن يسألوا عن الحكمة لا عن السبب لأنه لا يتعلق به صلاح معاشهم ومعادهم، والنبى إنما بعث لبيان ذلك للناس كافة فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فما ريك بظلام للعبيد.

ومن المعلوم أن الحكمة لا تقتضي أن يؤمر بالفعل من لا يقدر على الامتثال ومما يقتضي أن أفعال الله تعالى وأحكامه لا بدّ فيها من حكمة ومصلحة وهو مسلم لكن لا نسلم أنه لا بدّ أن تظهر هذه المصلحة لنا إذ الحكيم لا يلزمه اطلاع من دونه على وجه الحقيقة وحينئذٍ فما المانع من أن يقال هناك مصلحة لم نطلع عليها، ويجاب بأننا لم ندع سوى أن الله تعالى قد راعى الحكمة فيما أمر وخلق تفضلاً ورحمة لا وجوباً وهذا ثابت بقوله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} ١٠٠٦، الجبال التي لا نفقه تسبيحها لا نرى حركتها مع أنها في حالة حركة، ولهذا لا يعني أن ما لا نراه على كيفية نعرفها هو ليس على الكيفية التي قيلت لنا من عالم السر والعلل والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، ولكن الخليفة الذي يؤمن بالمطلق بالحكيم المطلق يسلم بذلك إيماناً تاماً لا شك فيه وهو بذلك سميع عليم بما جاء في الكتاب الحكيم وهو أمر مطاع من خالق عظيم.

وقوله سبحانه: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ وَقَالُوا أَنِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} ١٠٠٧. ولأن الله أحسن كل شيء خلقه، فإن من حسن الخالق أن يكون الرقي في كل ما خلق حتى وإن تفاوتت الفروق بين المخلوقات العظيمة، التي في جميع خلقها إعجاز وتخصيص من حكيم خبير.

والحكمة قد تظهر في حينها وقد لا تظهر ومن أمثله ذلك:

١٠٠٦ النمل ٨٦ . ٨٨ .

١٠٠٧ السجدة ٦ . ١١ .

١- قوله تعالى: {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}١٠٠٨. وزمام ذلك بيد الحكيم العليم فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والعزيز هو الغالب الذي لا يغالب فيما قضى به، وقيل: القادر على انتقامه من الكفار بأيدي المؤمنين وفي إجراء هذا الوصف هنا عليه تعالى إيدان بعلّة اختصاص النصر به سبحانه.

الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها ويفعل على ما تقتضيه الحكمة في سائر أفعاله ومن ذلك نصره للمؤمنين بواسطة إنزال الملائكة، وفي الآتيان بهذا الوصف رد على من أنكر ما نطقت به الظواهر فسبحانه من عليم حكيم وعزيز حلیم لا يعجزه الظهور بما شاء وكيف شاء، والحكيم الذي ستر نصره بصور الملائكة لحكمة وهو أَنْ يَقْطَعَ وَيَهْلِكَ طَرْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يَكْتَبَتْهُمْ وَيَخِزِيهِمْ وَيَذْلَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ، فيرجعوا غير ظافرين بما أملاوا١٠٠٩.

قال تعالى: {وَإِنْ تَعَفَّرَ لَهُمْ فَأِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}١٠١٠، أي فإن تغفر لهم فإنك مالك العزة وأنت لم تكن في حاجة لهم، ولذا فإن غفرانك لهم حكمة أنت تعلمها ظاهرة وباطنه ونحن لا نعلمها إلا ظاهرة سبحانك انك العزيز الحكيم الذي يتكبر عن النقيصة والولد والحاجة والصاحبة إنك القوي الذي لم يكن في حاجة لمساندة سبحانك فأنت المساند لكل خلقك على مغالبة الصعاب. فلو علموا بذلك أو عرفوا لعرفوا لا غالب إلا أنت ولا قاهر إلا أنت ولا سميع ومجيب إلا أنت ولا قادر على كل أمر إلا أنت.

٢- في قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنْ

١٠٠٨ آل عمران ١٢٦.

١٠٠٩ تفسير الألوسي، ج ٣، ص ٢١٠.

١٠١٠ المائدة ١١٨.

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا<sup>١١١</sup>. فربما يخطر للإنسان أن القسمة لو وقعت على غير هذا الوجه كانت أنفع وأصلح كما تعارفه أهل الجاهلية حيث كانوا يورثون الرجال الأقوياء ولا يورثون الصبيان والنسوان الضعفاء فأنكر الله تعالى عليهم ما عسى أن يخطر ببالهم من هذا القبيل، وأشار إلى قصور أذهانهم فكأنه قال: إن عقولكم لا تحيط بمصالحكم فلا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فاتركوا تقدير المواريث بالمقادير التي تستحسنونها بعقولكم ولا تعمدوا إلى تفضيل بعض وحرمانه، وكونوا مطيعين لأمر الله تعالى في هذه التقديرات التي قدرها سبحانه فإنه العالم بمغيبات الأمور وعواقبها، ووجه الحكمة فيما قدره ودبره وهو العليم الحكيم، والنفع على هذا أعم من الدنيوي والأخروي وانتفاع بعضهم ببعض في الدنيا يكون بالإنفاق عليه والتربية له والذب عنه مثلاً، وانتفاعهم في الآخرة يكون بالشفاعة.

ويوصيكم الله تستوجب الأخذ بما أوصى به عدلاً بين الأخوة والوارثين مما لهم نصيب فيه، وفي هذا الأمر إكرام لبني آدم من ذكر وأنثى لا فرق بينهم في الحقوق والواجبات وحمل المسؤوليات كلهم لآدم وادم من تراب.

فَهُوَ ذُو الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالْعَلِيمِ بِالْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَالْإِتْيَانِ بِالْأَفْعَالِ عَلَى مَا يَنْبَغِي، والمبالغ في الأحكام وإتقان التدبير وإحسان التقدير والخبير العالم بما دق من أحوال العباد وخفي من أمورهم. فالناس كما قال تعالى: لَوْ مَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَبِهُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ<sup>١١٢</sup>، أي على الفطرة التي فطر الله الناس عليها متوجهين إلى التوحيد متنورين بنور الهداية الأصلية فاختلفوا بمقتضيات النشأة واختلاف الأمزجة والأهواء والعادات والمخالطات (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) وهو قضاؤه سبحانه الأزلي بتقدير الآجال والأرزاق (الْفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) بإهلاك المبطل وإبقاء المحق،

<sup>١١١</sup> النساء ١١.

<sup>١١٢</sup> يونس ١٩، ٢٠.

فحكمة الله تعالى اقتضت أن يبلغ كل منهم وجهته التي ولى وجهه إليها بأعماله التي يزاولها هو وإظهار ما خفي في نفسه وسبحان الحكيم العليم.

٣- اللغة والتي تتكون من الاسم والفعل والحرف أنواع ثلاثة داخلية تحت جنس الكلمة، فعند البحث عن ماهية الكلام وحده وخواصه، فإننا نجد ألفاظاً أخرى شبيهة بالكلمة، وهي: الكلام، والقول، واللفظ، واللغة، والعبارة، لا شك أن هذه الكلمات إنما تحصل من الأصوات والحروف، فعند ذلك يجب البحث عن حقيقة الصوت، وعن أسباب وجوده ولا شك أن حدوث الصوت في الحيوان يختلف عن الإنسان وما الحكمة في كون الإنسان هو الناطق الوحيد وفق مخارج مخصوصة في الحلق واللسان والأسنان والشففتين، والتي لا تتم دلالتها إلا عند الوقوف على علم التشريح. ولاشك أن ذلك يساعده على أداء مهام رسالة الخلافة والأمانة التي حملها دون سائر المخلوقات فهذه اللغة لم يأت بها جل جلاله بمجرد كلام بل جاءت الحكمة في وضع الألفاظ للمعاني؛ لأن الإنسان خلق بحيث لا يستقل بتحصيل جميع مهماته لوحده فاحتاج إلى أن يعرف غيره ما في ضميره ليتمكنه التوصل به إلى الاستعانة بالغير، ولا بدّ لذلك التوضيح من طريق، والطرق كثيرة مثل الكتابة والإشارة والتصفيق باليد والحركة بسائر الأعضاء، إلا أن أسهلها وأحسنها هو تعريف بما في القلوب والضمانر بهذه الألفاظ، وأن هذه المعاني تحصل من غير كلفة ومعونة، بخلاف الكتابة والإشارة وغيرهما، فلهذا قضت العقول السليمة، بأن أحسن ما يعرف به ما في القلوب هو الألفاظ. ثم أودع في هذا النطق والكلام حكماً عالية وأسراراً باهرة عجزت عقول الأولين والآخرين عن الإحاطة بقطرة من بحرها وشعلة من شمسها، فسبحان الخالق المدبر بالحكمة الباهرة والقدرة غير المتناهية.

ومن حكمه أن جعلها الرابط بين أفراد العائلة الواحدة ومن ثم بين أفراد المجتمع والعالم بأسره كما قال تعالى: ﴿لِيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>١١٣</sup>. إنها لحكمة لو كنتم تعلمون، فلو تعلمون علم اليقين لتعارفتم على المحبة والمودة وتعاونتم بكل صدق على إحقاق الحق وإزهاق الباطل

ولتأخيتم في الله، وقد جعل الله ختام هذا التعارف التقوى والسير على نهج الحق وفق شروط الخلافة الإلهية. فقد كان من حكمته أن جعل كمال الإنسان في معرفة الحق لذاته، ويعرف الخير لأجل العمل به، مصداقا لقوله تعالى: { وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا }<sup>١١٤</sup>، وقال تعالى: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }<sup>١١٥</sup>. ولنا أن نفرق بين العلم والحكمة، فالعلم ينير العقول، والحكم تنير القلوب، فهي توقظ من الغفلة وبها يتم الاتعاظ، والعلم به يتم صناعة المستقبل بعد تخطيط وإعداد عدة.

ولذلك قال تعالى: { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }<sup>١١٦</sup>. تقويم الجسم فجعله يمشي سويا على اختلاف مع من يمشي مكب على وجهه، وجعله عاقلا ليكون عليما حكيما بعلم الله وحكمته، وجعل له قلب في جوفه وجعل له مودة، ولذا أمر بالطاعة فكان مجيبا. وقال تعالى: { الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ }<sup>١١٧</sup>. تدل هذه الآية الكريمة على الإتيان الذي عليه خلق الإنسان وسوي وعُدل، ثم إن المقدر الحكيم والمدبر الرحيم جعل هذا الأمر المطلوب على سبيل التجهز لحمل أسباب الخلافة، وبما تفضل به عليه دون سائر المخلوقات، قال تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا }<sup>١١٨</sup>. وهذا التكليف لم يكن إلا برضا الإنسان وموافقته على حمل أثقال الخلافة وما لها من شروط وواجبات ومهمات التي رفضت سائر المخلوقات والجمادات حملها كما

<sup>١١٤</sup> النساء ٣٩ . ٤٢ .

<sup>١١٥</sup> الزلزلة ٧ ، ٨ .

<sup>١١٦</sup> التين ٤ .

<sup>١١٧</sup> الانفطار ٧ .

<sup>١١٨</sup> الإسراء ٧٠ .

جاء في الكتاب العزيز: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }<sup>١٠١٩</sup>.

٤- ومن حكمته أن جعل عجز النفس لأنه السبيل إلى الوصول إلى قدرة الرب، ولأنه لا وسيلة إلى القرب من حضرة الله إلا بالعجز والانكسار، فمن عرف نفسه بالضعف والقصور عرف ربه بأنه هو القادر على كل مقدور، ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالفضل والعدل، ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالكمال والجلال. ثم إن الإقدام على الطاعات لا يتيسر إلا بعد الفرار من الشيطان وأعمال الفساد في الأرض، قال تعالى: { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }<sup>١٠٢٠</sup>. وذلك بالاستعاذة منه بالله، وجعل بفضلته وكرمه هذه الاستعاذة نوع من أنواع الطاعة، فإن كان الإقدام على الطاعة يوجب تقديم الاستعاذة عليها افتقرت الاستعاذة إلى تقديم استعاذة أخرى ولزم التسلسل، وإن كان الإقدام على الطاعة لا يحوج إلى تقديم الاستعاذة عليها لم يكن في الاستعاذة فائدة، فقد شاهدت عجزك واعترفت بقصورك فأنا أعينك على الطاعة وأعلمك كيفية الخوض فيها فقل: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم). وأن من أجل الأمور التي يلقي الشيطان وسوسته فيها قراءة القرآن، لأن من قرأ القرآن ونوى به عبادة الرحمن وتفكر في وعده ووعيده وآياته وبياناته ازدادت رغبته في الطاعات ورهبته عن المحرمات؛ فلهذا السبب صارت قراءة القرآن من أعظم الطاعات، فلا جرم كان سعى الشيطان في الصد عنه أبلغ، وكان احتياج العبد إلى من يصونه عن شر الشيطان أشد، فل هذه الحكمة اختصت قراءة القرآن بالاستعاذة. والشيطان عدو الإنسان كما قال تعالى: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا }<sup>١٠٢١</sup>. والرحمن مولى الإنسان وخالقه ومصالح مهماته ثم إن الإنسان عند شروعه في الطاعات والعبادات خاف العدو فاجتهد في أن يتحرى مرضاة مالكة ليخلصه من زحمة ذلك العدو، فلما وصل الحضرة وشاهد أنواع البهجة والكرامة نسي العدو

<sup>١٠١٩</sup> الأحزاب ٧٢.

<sup>١٠٢٠</sup> الذاريات ٥٠.

<sup>١٠٢١</sup> فاطر ٦.

وأقبل بالكلية على خدمة الرب المطلق، فالمقام الأول: هو الفرار وهو قوله: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وفي هذه حكمة تحض الخليفة من الوسوسة والحياد عن الطاعة أو المخالفة. والمقام الثاني: وهو الاستقرار في حضرة الملك الجبار فهو قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم). هذه القراءة وهذا التقرب ليس سهلاً بل يتطلب وضعاً خاصاً، قال تعالى: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} ١٠٢٢. منعا من التطفل والعبث بكلام الله العزيز، وكذلك القلب قد يحصل له تعلق بغير الله واللسان قد ينشغل بغير ذكر الله فيحصل فيه نوع من اللوث، فلا بدّ من استعمال الطهور، فلما قال: أَعُوذُ بِاللَّهِ حَصَلَ الطَّهُّورُ، فعند ذلك يستعد للصلاة الحقيقية وهي ذكر الله تعالى فقال: بِسْمِ اللَّهِ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ عِدْوَانًا أَحَدُهُمَا ظَاهِرٌ وَالْآخَرُ بَاطِنٌ، وَأَنْتَ مَأْمُورٌ بِمُحَارَبَتِهِمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْعَدُوِّ الظَّاهِرِ: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} ١٠٢٣. وقال في العدو الباطن: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} ١٠٢٤. فكانه تعالى قال: إذا حاربت عدوك الظاهر كان مددك الملك، كما قال تعالى: {يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} ١٠٢٥. وإذا حاربت عدوك الباطن كان مددك الملك كما قال تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} ١٠٢٦. وأيضاً فمحاربة العدو الباطن أولى من محاربة العدو الظاهر؛ لأن العدو الظاهر إن وجد فرصة ففي متاع الدنيا، والعدو الباطن إن وجد فرصة ففي الدين واليقين، وأيضاً فالعدو الظاهر إن غلبنا كنا ماجورين، والعدو الباطن إن غلبنا كنا مفتونين، وأيضاً فمن قتله العدو الظاهر كان شهيداً، ومن قتله العدو الباطن كان طريداً، فكان الاحتراز عن شر العدو الباطن أولى، وذلك لا يكون إلا بأن يقول الرجل بقلبه ولسانه (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم والحمد لله رب العالمين) .

١٠٢٢ الواقعة ٧٩.

١٠٢٣ التوبة ٢٩.

١٠٢٤ فاطر ٦.

١٠٢٥ آل عمران ١٢٥.

١٠٢٦ الحجر ٤٢.



ولأن القلب بيت الإيمان والاطمئنان فهو بهذا هو أشرف البقاع، فلا تجد دياراً طيبة ولا بساتين عامرة ولا رياضاً ناضرة إلا وقلب المؤمن أشرف منها، بل قلب المؤمن كالمرآة في الصفاء وهو في التشبيه أصفى، وذلك لأن قلب المؤمن لا يحجبه السموات السبع والكرسي والعرش كما قال تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} ١٠٢٧. بل القلب مع جميع هذه الحجب يطالع جلال الربوبية ويحيط علماً بالصفات الصمدية، وأنه تعالى حكى كيفية نزول العبد في بستان الجنة فقال: {فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} ١٠٢٨.

٥- خلق الله العالم مطابقاً لمصالح العباد موافقاً لمنافعهم فكان غاية في الإحكام والإتقان الظاهرين في العالم الأعلى والعالم الأسفل، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} ١٠٢٩.

ولما كان فاعل الفعل المحكم المتقن عالماً منزهاً عن الحيز والمكان، و الحول في المحل، فالعالم يدل على كونه في نهاية القدرة ويدل على كونه في نهاية العلم ويدل على كونه في نهاية الحكمة. فكل ما في العالم من محنة وبلية وألم ومشقة فهو وإن كان عذاباً وألماً في الظاهر إلا أنه حكمة ورحمة في الحقيقة، فالمقصود من التكاليف تطهير الأرواح عن العلائق الجسدانية وفي هذه حكمة كما قال تعالى: {إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَلَوُا تَتَّبِرًا} ١٠٣٠. والمقصود من خلق النار صرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذبها من دار الفرار إلى دار القرار، كما قال تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} ١٠٣١. وأقرب مثال لهذا الباب قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام، فإن موسى كان يبني الحكم على ظواهر الأمور

١٠٢٧ فاطر ١٠.

١٠٢٨ القمر ٥٥.

١٠٢٩ لقمان ٢٠.

١٠٣٠ الإسراء ٧.

١٠٣١ الذاريات ٥٠.

فاستتكر تخريق السفينة وقتل الغلام وعمارة الجدار المائل، وأما الخضر فإنه كان بيني أحكامه على الحقائق والأسرار فقال: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} ١٠٣٢. فظهر بهذه القصة أن الحكيم المحقق هو الذي يبني أمره على الحقائق لا على الظاهر، فإذا رأيت ما يكرهه طبعك وينفر عنه عقلك فاعلم أن تحته أسراراً خفية وحكماً بالغة، وأن حكمته ورحمته اقتضت ذلك، وعند ذلك يظهر لك أثر من أسرار قوله الحكيم الخبير. ومن الأمور ما نعرف وجه الحكمة فيها على الجملة بعقولنا: كالصلاة والزكاة والصوم؛ فإن الصلاة تواضع محض وتضرع للخالق، والزكاة سعي في دفع حاجة الفقير، والصوم سعي في كسر الشهوة. ومنها ما لا نعرف وجه الحكمة فيه: كأفعال الحج فإننا لا نعرف بعقولنا وجه الحكمة في رمي الجمرات والسعي بين الصفا والمروة، ثم أنه كما يحسن من الله تعالى أن يأمر عباده بالنوع الأول فكذا يحسن الأمر منه بالنوع الثاني، لأن الطاعة في النوع الأول لا تدل على كمال الانقياد لاحتمال أن الأمور إنما أتى به لما عرف بعقله من وجه المصلحة فيه، أما الطاعة في النوع الثاني فإنه يدل على كمال الانقياد ونهاية التسليم، لأنه لما لم يعرف فيه وجه مصلحة البتة لم يكن إتيانه به إلا لمحض الانقياد والتسليم، فإذا كان الأمر كذلك في الأفعال، فلم لا يجوز أيضاً أن يكون الأمر كذلك في الأقوال؟ وهو أن يأمرنا الله تعالى تارة أن نتكلم بما نقف على معناه، وتارة بما لا نقف على معناه، ويكون المقصود من ذلك ظهور الانقياد والتسليم من الأمور للأمر، بل فيه فائدة أخرى، وهي أن الإنسان إذا وقف على المعنى وأحاط به سقط وقعه عن القلب، وإذا لم يقف على المقصود مع قطعه بأن المتكلم بذلك أحكم الحاكمين فإنه يبقى قلبه متلفتاً إليه أبداً، ومتفكراً فيه أبداً، ولباب التكليف إشغال

السر بذكر الله تعالى والتفكر في كلامه، فلا يبعد أن يعلم الله تعالى أن في بقاء العبد ملتفت  
الذهن مشتغل الخاطر بذلك أبداً مصلحة عظيمة له، فيتعبده بذلك تحصيلاً لهذه المصلحة.

٦- عدم الخطأ في وضع موازين الأشياء من ذلك:

جعل لكل مخلوق مهنته فالمزارع مزارع والنجار نجار والبحار بحار؛ حتى تكون منظمة وفق  
ما يراها هو جل جلاله، وتبعا للنواميس التي وضعها لهذا الكون العجيب والذي جعله يخدم  
بعضه بعضا وفي دقة متناهية فتبارك الله أحسن الخالقين، وكل ذلك يصب في هدف واحد -  
وهو الذي نراه نحن - هو خدمة بني البشر، وخاصة خلفائه الذين لهم السعادة في الدنيا  
والآخرة بما ألهمهم الله جل جلاله من الحكمة وقدرة التمييز، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً  
يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا} ١٠٣٣.

٧- جعل لكل شيء موسما ووقتا خاصا ومكانا خاصا فإذا حاول الإنسان تغيير ذلك خسر  
فيه وقد لا يظهر له في حينه فيظن أنه نجح في ذلك، ومن ذلك:

١- غرس الأشجار في غير أماكنها سواء أكانت مثمرة أو غير مثمرة ومع ذلك فإن كل شيء  
مفيد ونافع لحكمة نعلمها من علم الله وحكم نحن لا نعلمها هو عز وجل يعلمها، إنه لا يخلق  
شيئا عبثا، ولا تبديل لنعم الله، ولهذا فقد ينقل الإنسان شجرة مثمرة من مكان إلى مكان فإن لم  
يناسبها ذلك المكان الذي نقلت إليه طبيعة ومناخا وتربة فلا تثمر فيه أو أنها تتبدل وتتغير  
فلا تظل كما شاء لها أن تكون عليه، وقد تموت.

فالفاكهة التي تثبت في المناطق الحارة لا تفيد بالدرجة الأولى إلا أهلها، وهكذا الباردة؛ لأن  
الله جل جلاله خلقها في ذلك المكان وعلى تلك الصفة إلا لتخدم الإنسان في ذلك المكان، فلا  
يجوز أن ننقلها إلى مكان غيره تعسفا إن لم تكن الحاجة وتعود بما ينفع ويفيد العباد، وذلك  
لأن كل شيء وضع لحكمة هو يعلمها، وهذه الحكمة التي جعلها في قلوب الذين استخلفوا  
ليميزوا الخبيث من الطيب فيعرفون ما يصلح بهم وبمستخلفيهم، فيأمرون به أو ينهون عنه.

٢- تغيير خلق الله ذلك بأن يحاول التغيير في الأشياء أو تحسينها كأن يلعب بمورثات الحيوانات أو النباتات الجينية كمحاولات الاستنساخ التي تجري اليوم في النبات والحيوان، وقد تطول البشر، فقد ظهرت عيوبها من أول يوم تغيرت فيه، فالفاكهة مثلا التي تم تعديلها تغيرت من حيث طعمها ورائحتها وفائدتها وبذلك لم يقبلها الناس لأنها لم تكن كما خلقها الله جل جلاله، بل عبث بها من عبث وبالتالي اختل ميزانها ونتج عنها غير المطلوب تحقيقه، ويرجع السبب في ذلك إلى قصور إدراك بني البشر إلا في حدود معينة التي جعلها الله خاصة لحكمائه، ومع ذلك علينا أن نقول سويا وقل ربي زدني علما حتى يكون الصواب فيما نفعل ونعمل ونبتكر أو نخترع ونصنع أو نستكشف بعلم من علمه إنه السميع العليم، ولهذا فنحن لا نحرم ما أحله الله ولا نحل ما حرمه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. ولا أود أن استدرج في الشرح فموضوع الاستنساخ موضوع علمي بالتأكيد سيتطور وتتحسن أحوال التجارب وتكون النتائج أفضل وأحسن ومع ذلك لا تبديل لخلق الله قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾<sup>١٠٣٤</sup>.

٣- تغيير أوقات النوم بأن يسهر الليل وينام النهار فإن في ذلك أكبر عبث بتركيبة الجسم البشري وله آثار ضارة قد لا تظهر في حينها فسهر الأطفال على سبيل المثال قد يجعل الطفل قاصر التفكير عندما يتقدم إلى عمر الشباب، وقد يورث له المرض والعلّة، ويؤخره عن الصلاة في وقتها؛ ويصبح كسولا غافلا عن مواقيت العبادة والعمل الصالح، ويكون في منعزل

<sup>١٠٣٤</sup> الروم ٢٧ . ٣٢ .

عن مخالطة الناس الذين لهم في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليات. وفي ذلك قال تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} ١٠٣٥.

وعليه كل شيء يُغَيَّرُ يتغير إلا خلق الله ثابت، لذلك أرسل الله الرسل وأيدهم بالحكمة ليكونوا له من الشاكرين فقد أتى الله لقمان الحكمة حين جعله شاكرًا في نفسه وحين جعله واعظًا لغيره، وهذا لأن علو مرتبة الإنسان لا يكون كاملاً في نفسه إلا وهو مكملًا لغيره فقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} ١٠٣٦، أن الله ذكر لقمان وشكر سعيه حيث أرشد ابنه ليعلم منه فضيلة النبي عليه الصلاة والسلام الذي فيه أرشاد الأبعاد والأقارب، ثم إنه في الوعظ والحكمة ذكر نتاج حكمته وما كان أساسا لها وما يصلح به أمر خلفائه في أرضه فأعطى زبدة ما توصل إليه وأهم عناصر هذه الوصية التي تكون سراجا ومنهاجا للخلفاء عامة في أرضه والتي تمثلت في الوصايا الآتية:

١- النهي عن الشرك: مصداقا لقوله تعالى: (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الشرك إثم والإثم ظلم، والظلم اعتداء في غير محله، وأكبر المظالم وأعظمها الشرك بالله وهذا الأمر في قاموس الخليفة وقيمه وفضائله منهي عنه، وكيف يصح الظلم والله تعالى يقول: {وَلَوْ قَدَّرْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ

١٠٣٥ النبا، ١٠، ١١.

١٠٣٦ لقمان ١٣، ١٩.

مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} ١٠٣٧ وعليه فالشرك أن تجعل المعبود غير الخالق، والقاعدة تقول: (لا عبادة لغير الخالق) ولأن الخالق واحدا فلا ينبغي أن تشرك معه أحدا، ولهذا فإن أمر الشرك أمر عجاب مخالف للقاعدة التي تهدي للتي هي أقوم. ولو كان فيها أكثر من إله لفسدت السماوات والأرضين وانعدمت المغفرة والرحمة قال تعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ} ١٠٣٨.

فالإشراك أن توضع المعبودية في غير الله تعالى ولا يجوز أن يكون غيره معبوداً أصلاً. قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ١٠٣٩، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} ١٠٤٠.

٢- الشكر لله تعالى: مصداقا لقوله تعالى: (أَنْ اشْكُرْ لِي) وشكر الله لا يتم إلا اعترافا وإيمانا به واحد احد لا شريك له فله الحمد والشكر على نعمائه وما خلق فينا من حسن خلق وما خلق لنا من نعم ظاهرة وباطنة إنه بنا رعوف رحيم. ولذا فمن الحكمة أن يشكر العبد ربه عز وجل. قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} ١٠٤١،

١٠٣٧ الإسراء ٧٠ . ٧٥.

١٠٣٨ الأنبياء ١٩ . ٢٤.

١٠٣٩ البقرة ٣٩ .

١٠٤٠ البقرة ١٦١ .

١٠٤١ إبراهيم ٧ .

وقال تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ }<sup>١٠٤٢</sup>.

٣ . طاعة الوالدين في غير معصية الله والشكر لهما: قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) جاء شكر الوالدين بعد شكر الله تعالى مباشرة، ف(أن أشكر لي) تعود على شكر العبد لله تعالى، ولوالديك يكون الشكر التالي تقديرا للوالدين اللذين يسهران الليل ويكدان اليوم من أجل توفير حياة طيبة للأبناء، فحمل الأم لجنينها لا يكون إلا وهنا على وهن، وفي هذا الأمر مكابدة ومعاناة اللهم أرضا وأرضيهما عنا. قال تعالى: { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا }<sup>١٠٤٣</sup> لذا فإن طاعة الوالدين في غير معصية الله واجبة وشكرهم على ما فعلوه وما يفعلون خير في ذاته فلا ينبغي أن يغفل الخليفة عن هذه الطاعة وهذا الشكر الحميد. وفي هذا الأمر قال تعالى {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }<sup>١٠٤٤</sup>. وحرصا على احترام الوالدين فهما والدين حتى ولو كانا من غير المستخلفين فيها فهم والدين لهما الشكر والتقدير ولا طاعة لهما في معصية الله، قال تعالى: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

<sup>١٠٤٢</sup> آل عمران ١٤٤، ١٤٥.

<sup>١٠٤٣</sup> الإسراء ٢٣، ٢٤.

<sup>١٠٤٤</sup> إبراهيم ٧.

٤ - إِتْبَاع سَبِيل الْخَلِيفَةِ: وهذه جاءت نَصًا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ)،  
تَعْنِي خِذْ قَدْوَتَكَ الَّذِي أَطَاعَنِي (طَاعَةَ اللَّهِ التَّامَةَ) فَإِنْ أَخَذْتَهَا تَهْتَدِي إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ  
المحمود، ثُمَّ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أَي بَعْدَ أَنْ تَتَّخِذُوا  
قَدْوَتَكُمْ الْحَسَنَةَ الَّتِي آمَنُوا بِهَا وَاهْتَدَوْا إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ، بَعْدَهَا سَيَكُونُ جِزَاؤُكُمْ عَلَى وَالضَّمِيرِ  
عَائِدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلِهَذَا فَمَنْ اتَّبَعَ السَّبِيلَ الَّذِي يَرْضَى اللَّهُ يُتَّبَعُ سَبِيلَهُ.

وَعَلَيْهِ فَالْخَلِيفَةُ يَخْلُفُهُ خَلِيفَةً، وَهَذَا هُوَ السَّبِيلُ الرِّشَادِيُّ الَّذِي يَرْضِيهِ الْحَكِيمُ الْمَطْلُوقُ جَلَّ جَلَالُهُ،  
وَبِهَذَا الْإِهْتِدَاءِ (أَخِذْ الْقَدْوَةَ الْحَسَنَةَ) سَيَكُونُ اللَّقَاءُ بِالْمُسْتَخْلَفِينَ بِإِتْبَاعِ الْقَدْوَةِ الْحَسَنَةِ، وَحِينَهَا  
يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا عَمِلُوا مِنْ سَيِّئَاتٍ وَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا غَفَرَ لَهُمْ، أَي يُنَبِّئُهُمْ بِأَسْبَابِ الْمَغْفَرَةِ وَالتَّوْبَةِ  
وَيُنَبِّئُهُمْ بِأَسْبَابِ وَجُوبِ إِتْبَاعِ الْقَدْوَةِ الْحَسَنَةِ الْهَادِيَةِ لِلْحَقِّ.

إِذَنْ (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ) إِتْبَاعُ طَاعَةٍ وَإِرَادَةٌ وَاخْتِيَارٌ وَهَذَا الْأَمْرُ يَسْتَرْشِدُ بِهِ بِسُلُوكِ  
الرِّسْلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الْقَدْوَةِ (الْمُسْتَخْلَفُونَ الْأَوَائِلُ) صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ إِتْبَاعُ الصَّالِحِينَ  
وَالْمُصْلِحِينَ الْأَفْضَلِ، وَالطَّائِعِينَ الْعِظَامِ وَهُمْ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَالْمَحْرُضِينَ عَلَى فِعْلِ  
الْخَيْرَاتِ وَالْإِكْتِثَارِ مِنَ الْحَسَنَاتِ الْمُؤْمَنِينَ فِي يَوْمِهِمْ وَفِي غَدِهِمْ مَعَ الْوَارِثِينَ.

٥ . إِدْرَاكُ عِلْمِ الْمُسْتَقْبَلِ وَالتَّوْبِيهِ إِلَيْهِ: قَالَ تَعَالَى: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ  
فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)، يَنْبَغُ  
لِقَمَانِ ابْنِهِ أَنْ لَا يَقْصُرَ نَظْرَهُ وَتَفْكِيرَهُ عَلَى رَوَاهِ فَقَطْ بَلْ يَعْلَمُ أَنَّ خَالِقَ الْكَوْنِ هُوَ مَدْبِرُهُ، وَلِهَذَا  
فَعَلَيْهِ أَنْ يَفْكَرَ حَتَّى يَتَعَطَّ، وَلَا يَسْتَعْرَبَ بِحُدُوثِ مَا لَمْ يَدْرِكْهُ، فَخَالِقَ الْكَوْنِ حَكِيمٌ عَلِيمٌ خَبِيرٌ،  
وَلِهَذَا لَمْ يَخْلُقْ كُلَّ شَيْءٍ وَوَقَّفَ، إِنَّهُ خَلَقَ وَلَا زَالَ يَخْلُقُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَحَتَّى حُدُودِ  
مَا تَمَّ خَلْقُهُ لَنْ يَكُونَ جَمِيعَهُ بَيْنَ أَيْدِي الْبَشَرِ فَهَذَا الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِيَدِ اللَّهِ الْعَلِيِّ، وَلَيْسَ بِأَيْدِي مَنْ  
لَمْ يَبْلُغُوا الْكَمَالَ. قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ  
أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} <sup>١٠٤٥</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: {أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ  
بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ



لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ{<sup>١٠٤٦</sup>.

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ  
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}{<sup>١٠٤٧</sup>. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ}{<sup>١٠٤٨</sup>.

٦ - إقامة الصلاة: تأكيداً على أهمية الطاعة لله تعالى أوصى لقمان ابنه بإقامة الصلاة،  
وإقامة الصلاة تعني: العمل بها والعمل على ترسيخها لدى الخلائف، وإقامة الصلاة تعني  
أيضاً المحافظة عليها طاعة لله قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}{<sup>١٠٤٩</sup>. يفهم من هذه الآية الكريمة إن الصلاة  
فعل خير وعبادة خيرة ولذا فإقامتها طاعة لأمر الله، وطاعة الله تنهي عن الفحشاء والمنكر،  
وذلك لأن إقامتها ذكر لله ومن يكون قضاء وقته في ذكر الله ليس لديه وقت للفحشاء  
والمنكر، ولهذا فإن ذكر الله أكبر والحمد لله.

قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}{<sup>١٠٥٠</sup>، وقال تعالى: {لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا  
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا}{<sup>١٠٥١</sup>.

<sup>١٠٤٦</sup> آل عمران ١٦٢ . ١٦٤ .

<sup>١٠٤٧</sup> الأحقاف ١٣ ، ١٤ .

<sup>١٠٤٨</sup> البقرة ٢٧٧ .

<sup>١٠٤٩</sup> العنكبوت ٤٥ .

<sup>١٠٥٠</sup> البقرة ١١٠ .

<sup>١٠٥١</sup> النساء ١٦٢ .

ارتبطت إقامة الصلاة بإيتاء الزكاة، والإيتاء لا يكون إلا ممن يملك ويعطي دون منة ولا ينتظر مقابل إلا في مرضات الله، ولا يؤتي الزكاة إلا خليفة يؤمن بالأمر المطلق من الحكيم المطلق ويعمل على إظهاره، ولذا فالإيتاء فعل إرادي دون أية إكراه أو إجبار، وهو إظهار حق لصاحب حق، قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} ١٠٥٢.

٧ - الأمر بالمعروف: قال لقمان يا بني وهو يوصيه بإقامة الصلاة: (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ) والأمر بالمعروف هو الأمر المحبب المألوف لدى الخليفة، والأمر المألوف هو الأمر الذي يحتكم الخليفة به ويحتكم إليه، وهو نتاج القيم العرفية المتفق عليها برضاء الناس عنها، ولهذا فالأمر المعروف ينال الرضاء والاتفاق ويحقق اللحمة والوحدة بين من يتعلق الأمر بهم وهو يتفق بالتمام مع كل ما يرضي الله، ولهذا من الحكمة أن يأمر الخليفة بالمعروف ولا يأمر بمعصية ولا مكروه وبدعة يختلقها وهي لا تفيد العباد ولا ترضي الله تعالى.

قال تعالى: { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ١٠٥٣. وقال تعالى: { قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } ١٠٥٤، وقال تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } ١٠٥٥.

وعليه من الحكمة أن يأمر بني آدم بالمعروف، وذلك فمن يأمر بغيره لا يطاع، ومن يأمر بما لا يطاع يأمر بمكروه، والمكروه رذيلة لا ينبغي أن تسود بين الناس. قال تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا

١٠٥٢ المائدة ٥٥، ٥٦.

١٠٥٣ آل عمران ١٠٤.

١٠٥٤ البقرة ٢٦٣.

١٠٥٥ النساء ١١٤، ١١٥.

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُورًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ{<sup>١٠٥٦</sup> .

٨ . النهي عن المنكر: المنكر هو ما لا يطيقه ولا يقبله الناس وينكروه لتعارضه من القيم والفضائل الحميدة التي ينبغي أن تسود بين المستخلفين فيها. ولذا فالني عن المنكر نهى عن ممارسة الفساد في الأرض التي قال فيها الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}{<sup>١٠٥٧</sup> ، وقال تعالى: {وَالَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}{<sup>١٠٥٨</sup> . إذن الإصلاح في الأرض المستخلفة بني آدم فيها هو العمل الصالح، والفساد وسفك الدماء فيها بغير حق هو المنكر المنهي عنه، فمن انتهى كان في طاعة الله الحكيم الخبير ومن عصى كان على المنكر الذي لا يرتضيه الخالق ولا المخلوق المستخلف في الأرض. وبطبيعة الحال من ينتهي فهو خيرا له قال تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}{<sup>١٠٥٩</sup> .

قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

١٠٥٦ البقرة ٢٣١ .

١٠٥٧ الأعراف ٢٤ . ٢٦ .

١٠٥٨ الأعراف ٨٥ .

١٠٥٩ الحشر ٧ .

طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ١٠٦٠. يستنبط من هذه الآيات الكريمة أن كثير من العمل المنكر الموقع للعداوة المنهي عنها هي أعمال شيطانية فمن يتقي ربه تعالى لا يدخلها وينهى عنها ما استطاع إليه سبيلا، ويسعى إلى إصلاح كل ما من شأنه أن يؤدي إلى فساد في الأرض أو عداوة بين المستخلفين فيها، ولهذا النهي عن المنكرات عمل صالح يستوجب الإقدام عليه ولا يستوجب أي تأخير عنه. ولذلك يقول الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} ١٠٦١ وقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} ١٠٦٢.

٩. الصبر على المصاب: قال تعالى: (وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) يقول الطبري في تفسيره: "وانه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله، إذا أنت أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ولا يصدنك عن ذلك ما نالك منهم" ١٠٦٣. إذن الصبر على المصيبة التي من أسبابها أنك أقمتم الصلاة وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، فإن هذا الصبر في مواجهة ما يلاقى في سبيل إحقاق الحق هو صبر على خير وليس صبر على شر، فاصبر وما صبرك إلا بالله قال تعالى: { ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنَّ صَبْرَكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} ١٠٦٤، وقال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ

١٠٦٠ المائدة ٩١ . ٩٣.

١٠٦١ فصلت، ٦٤.

١٠٦٢ الجاثية ١٥.

١٠٦٣ تفسير الطبري مجلد ٢٠، ص ١٤٢.

١٠٦٤ النحل ١٢٥ . ١٢٨.

فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ} <sup>١٠٦٥</sup>، وقال تعالى: { فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} <sup>١٠٦٦</sup>.

الصبر قبول بما يُفعل حتى ولو كان لهذا الصبر ثمن، ولذلك فإن الصبر على الحق حق على من كان صابرا، وواجب على من اهتدى إلى الاستخلاف في الأرض والوراثة في الجنة، وفي الصبر مسؤولية تجاه ما تم الإيمان به بأنه الحق المطلق، ولهذا فقبول دفع الثمن في محله يؤدي إلى الفوز بالنتيجة المترتبة عليه وهي النتيجة المنتظرة أو المرتقبة.

١٠. النهي عن تصعير الخد للناس: قال تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) التصعير التفتات، وتصعير الخد للناس يدل على عدم احترامهم، ولهذا فيه من التكبر الذي هو معيب ولا ينبغي أن يكون سلوكا في المعاملة بين الناس، إنه تقليل من شأن وتنقيص من مكانة بني آدم الذين خلقهم الله في أحسن تقويم، وأرادهم أن يكونوا كذلك بإصلاح الأرض وفلاحها ونهاهم عن الإفساد فيها، ولهذا فقد نهى الله عنه كما جاء على لسان لقمان وهو يعظ ابنه إلى ما يجب أن يكون عليه، وفي هذا الأمر تكون القدوة الحسنة بالتواضع للناس لا بالتكبر عليهم، ولأن في تصعير الخد التفتات وعدم مبالاة وإهمال لمن صُعِرَ الخد من أجله، ولأن الله كَرَّمَ بني آدم في البر والبحر، ولأن الله استخلف الإنسان في الأرض ويريد أن يعمل صالحا فيها حتى يرث الجنة، فإن هذه المكارم تستوجب التفتات وانتباه واهتمام لا تستوجب تقيل من شأن من كَرَّمه الله وحملهم في البر والبحر مصداقا لقوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ فَتِيلًا وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادَفْنَاكَ

<sup>١٠٦٥</sup> الأحقاف ٣٥.

<sup>١٠٦٦</sup> طه ١٣٠.

ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا<sup>١٠٦٧</sup>، وقال تعالى: {وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا<sup>١٠٦٨</sup>.

١١ . النهي عن المشي في الأرض مرحا: مصداقا لقوله تعالى: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) المشي في الأرض مرحا، سوء تقدير لما يجب عليه أن يكون المشي، وبالتالي سوء التقدير مخالفة تلفت الانتباه وقد تحسس الآخرين بالقلق أو تخيفهم ممن يمشي مرحا وكأنه المالك الوحيد للأرض، وهذه معيبة منهي عنها، وهي دليل عدم الاتزان الحركي وقد تكون بأسباب عدم الاتزان العقلي، ولهذا فهي تدل على أن أسباب غامضة وراء السلوك المتحرك بغير اتزان وتقدير، ولذا فالمخافة تتولد في نفوس المشاهدين للمارح في الأرض بغير تقدير موضوعي.

وفي تفسير ابن عبد السلام: "(مُخْتَالٍ) منان، أو متكبر، أو بطر. (فَخُورٍ) متناول على الناس بنفسه، أو مفتخر عليهم بما يصفه من مناقبه، أو الذي يعدد ما أعطى ولا يشكر الله تعالى فيما أعطاه"<sup>١٠٦٩</sup>.

إذن المشي المرح في الأرض فيه تكبر وتناول على الآخرين، فالله يحب المتواضعين ولا يحب المتكبرين الذين يمشون في الأرض مرحا دون أن يحترموا الناس الذين يمشون عليها هونا وفقا لما هو مأمور به.

<sup>١٠٦٧</sup> الإسراء ٧٠ . ٧٥ .

<sup>١٠٦٨</sup> الكهف ٢٨ ، ٢٩ .

<sup>١٠٦٩</sup> تفسير ابن عبد السلام، مجلد ٤، ص ٤٧٧ .

وعليه أوصى لقمان ابنه بالتواضع والاعتدال والاعتدال على الأرض التي استخلفه الله فيها بحكمته وخبرته. قال تعالى: { وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا }<sup>١٠٧٠</sup>.

الحكمة من عدم التكبر والتبخر إشارة إلى المكارم التي هي صفة الملائكة فإن عدم التكبر والتبخر صفتهم. ولذلك يخشى لقمان من أمرين أحدهما: التكبر على الغير، والثاني: التبخر في النفس بسبب كونه كاملاً في نفسه فقال: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) تكبراً (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) تبختراً (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) يعني من يكون به خيلاء وهو الذي يرى الناس عظمة نفسه وهو التكبر { فَخُورٌ } يعني من يكون مفتخراً بنفسه وهو الذي يرى عظمة نفسه في عينه، وفي الآية لطيفة وهو أن الله تعالى قدم الكمال على التكميل حيث قال (أَقِمِ الصَّلَاةَ) ثم قال: (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ) وفي النهي قدم ما يورثه التكميل على ما يورثه الكمال حيث قال: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ) ثم قال: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا).

١٢ . القصد في المشي: قال تعالى: (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) والقصد في المشي اتزان واعتدال به ينال الماشي تقدير المشاهد واحترامه، وهو توسط واعتدال في مرضات الله تعالى.

والقصد مفضل في الأمور كلها: قال تعالى: (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) أي كن وسطاً بين الطرفين المذمومين، وقال تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ }<sup>١٠٧١</sup>، وقال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا }<sup>١٠٧٢</sup>، وقال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }<sup>١٠٧٣</sup>.

<sup>١٠٧٠</sup> الإسراء ٣٧، ٣٨.

<sup>١٠٧١</sup> لقمان ٣٢.

<sup>١٠٧٢</sup> الإسراء ٢٩، ٣٠.

<sup>١٠٧٣</sup> فاطر ٣٢.

وعليه القصد في المشي يبقي السلامة ويبلغ الغايات، وعدم القصد فيه لا يطول بالمشوار، ولذا في القصد هداية واتزان، وفي المبالغة مظهرية لا تليق بالسلوك الإنساني، وهذا لا يعني زمن الأوقات المقطوعة لممارسة الرياضة، التي تقوي العضلات وتسهم في متانة البنية وسلامتها من الأمراض، ولأن لنفسك عليك حق فأعط نفسك حقها من ممارسة المناشط في أماكنها الخاصة بها، حتى تقدر من الآخرين، وأمشي متزنا معتدلا مقتصدا حتى لا تكون في دائرة النقد نشار.

١٣ . غض الصوت: قال تعالى: (وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) ويقصد بإغضاض الصوت: تلطيفه بما يليق أن يكون الحديث، وعدم رفعه بما يزعج المستمعين، ولذا فقوله تعالى: (وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) تعني أنقصه حتى يتلاءم مع ما يليق بالاستماع المفضل. ومع أن الحمير من حيوانات الزينة والركوب مصداقا لقوله تعالى: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} <sup>١٠٧٤</sup> إلا أن صوتها من أنكر الأصوات، ولأنها لا تعقل فهي لا تقدر المستمع من يكون، ولهذا فصوتها الذي به لا يقدر الآخرون صوت مزعج منكور.

وغض الصوت يعتبر من باب العمل بالمكارم، وقد يتساءل البعض: هل للأمر بالغض من الصوت مناسبة مع الأمر بالقصد في المشي؟ فنقول: نعم، سواء علمناها نحن أو لم نعلمها وفي كلام الله من الفوائد ما لا يحصره حد ولا يصيبه عد، ولا يعلمه أحد وقوله: (واقصد في مشيك واعضض من صوتك) إشارة إلى المكارم، ثم قال تعالى: (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي، لأن رفع الصوت يؤدي السامع وأما السرعة في المشي فلا تؤذيه وإن كانت تضيق بالنفس لدى بعض المشاهدين ولهذا كان النهي.

اللَّهُمَّ يَا حَكِيمَ أَجْعَلْنَا عَلَى الْحِكْمَةِ الَّتِي بِهَا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ، وَنَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ غَضَبِكَ، فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. اللَّهُمَّ يَا حَكِيمَ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا



دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ، وَافِينَ لَكَ بِالْمِيثَاقِ  
الَّذِي أَخَذْتَ عَلَيْنَا وَأَنْ نَكُونَ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، اللَّهُمَّ يَا الْحَكِيمَ أَهْدِنَا صِرَاطَكَ  
الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ  
اسْتَقَامُوا، وَعَلِمُوا أَنَّكَ أَنْتَ الْجَبَّارُ الَّذِي خَضَعْتَ لَجَبْرُوتِهِ الْجَبَّارَةَ، وَالْعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّتْ لِعَزَّتِهِ  
الْمُلُوكُ الْأَعَزَّةَ، وَخَشَعْتَ لِمَهَابَةِ سَطْوَتِهِ ذُؤُ الْمَهَابَةَ، اللَّهُمَّ يَا الْحَكِيمَ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ وَاغْفِرْ  
لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَنَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ الْمَصِيرُ، {يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} ١٠٧٥.

اللهم يا الحكيم حُبِّ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَالْحِكْمَةَ الَّتِي تَعْظُنَا إِلَى مَا يَجِبُ الْقِيَامُ بِهِ وَتَنْهَانَا عَمَّا  
يَجِبُ الْإِنْتِهَاءُ عَنْهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُسْتَخْلَفِينَ فِي الْأَرْضِ لِنُصَلِّحَ لَا لِنُفْسِدَ فِيهَا وَنُسْفِكَ  
الدَّمَاءَ، وَأَهْدِنَا فِي مَنْ هَدَيْتَ بِجَاهِ أَسْرَارِ الْبَيْتِ وَمَنْ فِيهِ صَلَّى وَصَلَّيْتُ.

اللهم إنك الحكيم فاجعلنا من الحكماء، واجعلنا من الوارثين، اللهم صل على سيدنا محمد وسلم  
صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب وتصلح بها الأمور، اللهم نسألك يا أحكم الحاكمين أن  
تهب لنا حكما وأن تلحقنا بالصالحين وأن تجعل لنا لسان صدق في الآخرين وأن ترزقنا جنة  
النعيم.

اللهم يا الحكيم، فبحكمة منك خلقتنا وهديتنا ورزقتنا فاجعلنا في أحسن تقويم حتى نقوم بحق  
عبادتك على الوجه الذي يرضيك عنا، ويا الحكيم نسألك بحكمتك ألا تجعلنا في أسفل  
سافلين، أو أن نضل بعد أن كنا من المهتدين، وأن تلهمنا الحكمة في كل قول وعمل، فمن  
يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.

اللهم أحمدك يا الحكيم على خلقك لنا في أحسن تقويم، وجعلك فينا الأنبياء والمرسلين عليهم  
الصلاة والسلام أجمعين مبشرين ومنذرين وداعين للخير فاجعل لنا الخير في كل حين،  
والحمد لله رب العالمين.

## الودود

الودود "هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم"<sup>١٠٧٦</sup>.

الودود "الذي يُوَدُّ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ فيحبهم ويقربهم ويرضى عنهم ويتقبَّلُ أعمالهم، وهذه محبة خاصة بالمؤمنين، أما المحبة العامة فالله هو الودود ذو إحسان كبير لمخلوقاته من جهة إنعامه عليهم وإكرامه للإنسان واستخلافه بينهم، حيث أسجد له ملائكته واستخلفه في أرضه على سبيل الابتلاء، واستأنه في ملكه انتظاراً لمزيد من الإكرام في دار الجزاء، وبعث إليهم الرسل وأنزل عليهم الوحي من السماء، كل ذلك بفضلهم وكرمه وعطائه ومدده"<sup>١٠٧٧</sup>.

الودود: هو الله المتصف بالود، ولأن الود من ذات الله فإن استمداده لا يكون إلا منه، ولهذا فالله الودود مصدر لكل ود.

الودود: هو غير منقطع الود، وهو الذي يود المودود بما لا يكون في حساباته، أو أنه في حساباته ولكنه في غير دائرة المتوقع الزماني أو المكاني، أو الاثنين معاً.

والودود: هو من يملك ما لا يملكه غيره، في الوقت الذي يكون الغير في حاجة مما يملك المتصف بالود، ولذا فالود لا يقابله إلا ود، والود لا ينتج إلا محبة بها تطوى المسافات بين الودود المطلق والودود بالإضافة، وهكذا يمتد الود من ودود إلى مودود من بعده مودود، ولهذا فالود يستخلف في من تهيأت نفسه لمبادلة ودٍّ بودٍ.

والله تعالى ودود بالآتي:

١ . ودود بمغفرته: قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ

<sup>١٠٧٦</sup> المقصد الأسنى، ج ١، ص ١٢٢.

<sup>١٠٧٧</sup> أسماء الله الحسنى، ج ٢٣، ص ١٠.

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهَ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} ١٠٧٨.

مع أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم إلا أنه لم يخلقه على الكمال، فهو يُخطئ ويصيب ولأنه كذلك فكان فضله عليه بالاستغفار ودا، ولأن فعل الفاحشة من الأفعال النواقص، فمن يرتكبها أو يظلم نفسه ويذكر الله فالله يغفر له فعلته لكل ذنب دون الشرك به، ولذا فالخليفة يذكر ربه دون إصرار على فاحشة فيغفر له ذنبه، ولذلك لا يغفر الذنوب إلا الودود عز وجل. وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ١٠٧٩، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} ١٠٨٠.

٢ . ودود برحمته: قال تعالى: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً} ١٠٨١.

الرحمة مكوّن قيمي من أفعال الخير، وتستمد من الرحمن، وهي لا تمنح إلا من أبواب الود، ولذا فللرحمة أبواب مفتحة لمن يود أن يدخل منها لمودة الرحمن خوفاً من عذابه، والخليفة

١٠٧٨ آل عمران ١٣٣ . ١٣٦ .

١٠٧٩ الزمر ٢٣ .

١٠٨٠ الصف ١٠ . ١٣ .

١٠٨١ الإسراء ٥٤ . ٥٨ .

بطبعة الإيمانى هو دائما فى حالة انتظار للفوز برحمة الودود، مما يجعله فاعلا للخير ومحرضا على فعله. وقال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ١٠٨٢، وقال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ} ١٠٨٣.

٣. ودود بعفوه: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا} ١٠٨٤، الله تعالى خلق الإنسان ويعلم بحاله وما فيه من غرائز فطرية، وما له من حقوق فى المعاشرة الزوجية، ولأن لكل طرفه فقد يتعرض الخليفة لظروف تحول بينه وبين التطهر فيسر له بواسع عفوهُ أن يتيمم إذا تعرض لمجىء الغائط أو لا مس النساء، ولذا فمن وده التيسير والعفو مما يجب أن يقوم به الخليفة لو لم يتم التعرض لمواقف وتحول الحوائل بين تأدية الفريضة فى وقتها. قال تعالى: {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا} ١٠٨٥.

والخليفة هو من يستمد صفة الود من الودود المطلق ليكون الود المعاملة بين الناس، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْوِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ

١٠٨٢ القصص، ٧١ . ٧٣.

١٠٨٣ الجاثية ٣٠.

١٠٨٤ النساء ٤٣.

١٠٨٥ النساء ٩٨ ، ٩٩.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}١٠٨٦، وقال تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ}١٠٨٧.

٤ . ودود بحفظه: قال تعالى: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}١٠٨٨.

الله جل جلاله ودود وهو بالود حفيظ، ولذا فالحفظ نتاج عناية ربانية، ولأن الودود جعل في الأرض خليفة، والخليفة هو من يستمد صفاته من صفات الله تعالى، ولكي يختص بصفة الحفظ، فليتقي الله ربه في كل قول وفعل، وفي كل سر وعلانية، وليكن حفيظاً للعهد إذا أبرم عهداً، وحفيظاً على الأرض بالفلاح فيها، وحفيظاً على أداء العمل إذا ما كُلف به في مرضاة الله حتى يكسب وده، ويجب عليه رعاية الكبير وحفظه ورعاية الصغير وحفظه، ورعاية المسكين واليتيم والسائل والمحتاج بود ورحمة، وأن يكون وحفيظاً على حمل الأمانة، وطاعة الوالدين، وحفيظاً على كل ما يحافظ على بقاء النوع الإنساني، وحفيظاً بكل ود على أداء الصلاة والزكاة وصوم رمضان والجهاد في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل وتجنب ما أمر الله بتجنبه والانتهاز عما نهى عنه وحفيظ على شكره وطاعته، فله الحمد على وده وحفظه. قال تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}١٠٨٩.

١٠٨٦ البقرة ١٧٨ ، ١٧٩.

١٠٨٧ الشورى ٤٠ ، ٤١.

١٠٨٨ هود ٥٦ ، ٥٧.

١٠٨٩ سبأ ٢٠ ، ٢١.

والخليفة بالإضافة قال: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا أَجْرَ الْأَخِرَةِ حَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} ١٠٩٠.

٥ . ودود بحسن خلقه: قال تعالى: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} ١٠٩١.

لقد خلق الخالق كل شيء بحسنه، وفضل الإنسان على ما خلق بحسن من ماء مهين، والمهين هو المتماسك باللين التام، ومع أننا نحس بلين الماء كلما حاولنا الإمساك به بين اليدين، إلا أنه إذا ما انحدر في الشلالات كان قوة بها تتولد الكهرباء وإذا ما داهمتنا كانت القوة التي لا نستطيع مقاومتها، ولذا فمن هذا الماء المبارك المهين نحن كنا ويكون الخلفاء من بعدنا والوارثون.

وعليه فمن لين الماء المهين كان الود فينا، ومن قوته إذا ما انحدر من أعالي الشلالات نثور ونغضب لكرامة ولدين الله إذا ما تعرض لاعتداء الظالمين، ومن قوته كان العقل قوة ينير الدرب ويصنع المستقبل وينقل الإيمان حتى يحقق العزة.

وقال تعالى: {مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يَقُضِ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَرَيْثُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} ١٠٩٢.

وقال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ} ١٠٩٣.

١٠٩٠ يوسف ٥٥ . ٥٧.

١٠٩١ السجدة، ٦ . ٩.

١٠٩٢ عبس ١٨ . ٣٢.

١٠٩٣ التين ٤ . ٨.

٦ . ودود بكرمه: قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ١٠٩٤ . وقال تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} ١٠٩٥ ، وقال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} ١٠٩٦ .

الكريم هو المعطي بدون منة، والمالك الذي لم يكن في حاجة لما يملك، سبحانه يملك الملك من أجل ما يملك جل جلاله. ولأن الكريم معطي بدون منة، فهو ودود بما يعطي ويرزق، والخليفة هو الذي يملك من الملك المطلق، ويرزق من هم في حاجة بالعطاء والعمل والتصدق والتزكي دون أن ينتظر مقابل ذلك إلا مرضاة الرازق عز وجل، وهو الذي يعلم أنه يعطي مما أعطاه الودود المطلق فلا يمن.

٧ . ودود برزقه: قال تعالى: {وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} ١٠٩٧ ، مالك الرزق هو مالك أمره، ومالك الرزق لم يكن في حاجة لرزق، ولهذا فهو الخالق لمن هم في حاجة لرزقه، وجعل الخليفة ليرزق من رزقه من هم في حاجة، والخليفة هو من يعلم أن ما يعطي من رزق هو في أساسه عطاء من معطي لا يمن ويعلم أن الرزاق رزقه لا ينضب سبحانه لا إله إلا هو. قال تعالى: {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} ١٠٩٨ .

١٠٩٤ الأنفال ٢ . ٤ .

١٠٩٥ ياسين ١١ .

١٠٩٦ الحديد ١١ .

١٠٩٧ الذاريات ٥٥ . ٥٨ .

١٠٩٨ النور ٣٧ ، ٣٨ .

٨ . ودود بإنزاله الماء الطهور المخرج للثمرات: قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا} ١٠٩٩، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ١١٠٠ وقال تعالى: {قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَاجِلِيَّةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ} ١١٠١.

سبحانه وتعالى خلقنا مما خلقنا من ماء مهين، وخلق لنا الماء نعمة بدونه لا تكتب لنا الحياة، وبدونه لا تنبت الأرض العشب، وبدونه لم تنتقل عبر البحار والمحيطات، وبه ولدنا الطاقة التي تنير المنازل وتحرك وسائلنا التي صنعناها بالقوة المستمدة من القوي الودود، ولهذا تسخّرت لنا الأنهار لتنتقل لنا ماء عذبا طهورا، والمحيطات تتبخر حتى يكون السحاب ركاما فيسقط المطر بوده رحمة ماء طهورا.

٩ . ودود باستخلافه: قال تعالى: {أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} ١١٠٢.

لقد ميز الله الإنسان باستخلافه في الأرض دون غيره مما خلق، وبهذا الاستخلاف نال المستخلف وده بحمل الأمانة التي كان بأمرها ظلوما جهولا، وليهديه سبيل الحق بعث من المستخلفين أنبياءً ورسلاً صلوات الله وسلامه عليهم جميعا، وجعلهم الوارثين وكان فضل الله

١٠٩٩ الفرقان ٤٨ . ٤٩ .

١١٠٠ الأنعام ٩٩ .

١١٠١ إبراهيم ٣١ ، ٣٢ .

١١٠٢ النمل ٦٢ .



عليهم كبيرا. وعليه فمن المستغرب أن البعض لا يذكر خالقه ليستغفر ذنبه، ولا يوحدده وهو الواحد الأحد.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} ١١٣.

ما يعلمه الله لا يعلمه الملائكة فلو كان الملائكة يعلمون ما كان لهم الاحتجاج على اختيار الله للخليفة، ولأنهم يسلمون بما يأمر الله عز وجل فكان الملائكة أول الساجدين طاعة لأمر الله بالمطلق. وكان الاختلاف مع إبليس المستكبر الذي عصى الأمر، وبرغم ذلك ظل الإنسان خليفة والحمد لله أننا من المستخلفين فيها، وندعو الله أن يجعلنا من المصلحين لا المفسدين ويجعلنا من الصالحين ومن الوارثين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} ١١٤.

١٠. ودود بعزته: قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} ١١٥.

١١٣ البقرة ٣٠ . ٣٤.

١١٤ الأعراف ٧٤.

١١٥ فاطر ١٠ ، ١١.

كم يشعر الإنسان بالاعتزاز عندما يقدم على أداء واجب ويحمد ويشكر عليه، وكم تملأه العزة بإيمانه عندما ينظر إلى المشركين وهم لم يبلغوا بعد ما يمكنهم من امتلاك العزة التي بلغ أعاليتها بتوحيده واحداً أحداً لا شريك له، ومع ذلك يأسف لهم وهو يأمل بلوغهم اليقين وبهذا سيكون داعية لذلك حتى تعم رحمته الأرض ومن عليها من العباد، ولأنه الودود فهو لا يقفل باب التوبة لمن يشاء أن يتوب إليه. قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>١١٠٦</sup>.

١١. ودود بإشفائه: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>١١٠٧</sup>، وقال تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُدْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>١١٠٨</sup>.

الإنسان مخلوق لا يملك لنفسه ملكاً إلا ما رحم، فعندما يمرض يلتجئ إلى الطبيب لعلاجه وعندما يعطش يسعى للحصول على الماء ليرتوي من ظمئه، وعندما يجوع يسعى للعمل الذي به يتحصل على ما يشبع جوعه، وإذا لم يتمكن من بلوغ ذلك فهو يعلم أنه سيتعرض للمرض وحتى الموت إن لم يرحمه الله بواسع وده فيمكنه من بلوغ ما عجز عن بلوغه قبل الاتكال عليه وقبل أن يثق إيماناً تاماً بأنه الشافي من كل مرض وداء ويعلم يقيناً إن الطبيب لا يستطيع الشفاء إذا لم يشفه الله اللهم اشفنا من كل مرض وداء واجعلنا من الطائعين بوجدك ورحمتك. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾<sup>١١٠٩</sup>. شفاء القرآن لمن آمن به كتاباً محفوظاً وإعجازاً خالداً وديناً ميسراً بود من الودود جل جلاله، فهو شفاء للنفس من كل غم وهم، بطمأنة وتقوى، والقرآن رحمة بآياته وحججه والحكم التي تجيب على كل سؤال، والعلم

<sup>١١٠٦</sup> ال افقون ٨.

<sup>١١٠٧</sup> الشعراء ٨٠.

<sup>١١٠٨</sup> التوبة ١٤ ، ١٥.

<sup>١١٠٩</sup> الإسراء، ٨٠ . ٨٢.

الذي يمتلئ به الكتاب المحفوظ، فيه حل لمشكل الإنسان في الهداية والعمل الصالح، وفي العدل والحكم والتعاون والتألف والمحبة والمودة والتأخي.

١٢ . ودود بإرثه: قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} <sup>١١١٠</sup>، من بعد الاستخلاف في الأرض يكون الاستخلاف في الجنة بالعمل الصالح في الحياة الدنيا، ولذا فالله يود المستخلفين بالميراث في الجنة، قال تعالى: {قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْنُورًا} <sup>١١١١</sup>.

١٣ . ودود بتأليفه ذات البين: قال تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلِتُكِنَ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} <sup>١١١٢</sup>.

الودود هو الذي يستمد الود منه ويسود بين العابدين له محبة ووفاء وصدق وتعاون وتآزر، ولهذا ينهى الودود الخليفة عن التفرق والفتنة والاختلاف عليه وهو الواحد القهار، كيف ولماذا يختلفون ويتفرقون بعد ما جاءتهم البيئات التي لم يكن من بعدها ما هو غامض أو خفي؟! قال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ

<sup>١١١٠</sup> المؤمن ١١ . ١ .

<sup>١١١١</sup> الفرقان ١٥ ، ١٦ .

<sup>١١١٢</sup> آل عمران ١٠٣ . ١٠٥ .

بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{<sup>١١٣</sup>.

١٤ . ودود بحبه: قال تعالى: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا}{<sup>١١٤</sup>.

الودود هو الذي يعطي ما يشاء مما يملك لمن يشاء دون أن ينقص من ملكه شيء، وهو الودود بعبثائه ورضاءه وهو الذي استخلف من استمد الود منه محبة بين الناس ليكون لذوي القربى واليتامى والمساكين والفقراء والسائلين حق معلوم يدركه الخليفة حقا بينا لا شك فيه فيقدم على إظهاره وإعطائه لمن هم في حاجة إليه وبهذا يكون الخليفة من الوارثين من بعد استخلاف في الأرض وطاعة. {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}{<sup>١١٥</sup>.

١٥ . ودود بلطفه: قال تعالى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}{<sup>١١٦</sup>، من له نصيب أينما يكون يأتي به الله مودة خالصة لمن هو في حاجة إليه، قال تعالى: {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ}{<sup>١١٧</sup>.

<sup>١١٣</sup> الأنفال ٦٢، ٦٣.

<sup>١١٤</sup> الإنسان ٨ . ١١.

<sup>١١٥</sup> البقرة ١٧٧.

<sup>١١٦</sup> لقمان ١٦.

<sup>١١٧</sup> الشورى ١٩، ٢٠.

لطف الله بالعباد أنه جعل الهداية فيهم والرسول منهم وإليهم فقد أسبق عليهم خلق الرزق قبل خلقهم ليجدوا ما يشربون ويأكلون ويشبع حاجاتهم، فلو لم يكن الرزق ما كانت الحياة وفقا لمعطيات الخلق التي نعرفها ونعلمها كما نعلم أنه بالمطلق إنه على كل شيء قدير، ولذا فلطف الودود بالعباد أنه ودهم بالحياة والرزق وودهم بالعقل لتكون الهداية إليهم ثم تصبح منهم جيلاً بعد جيل حتى تعم بلطفه الأرض المستخلفين فيها.

١٦ . ودود بعدله: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} <sup>١١١٨</sup>، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} <sup>١١١٩</sup>.

كل المستخلفين فيها يكرهون الظلم وذلك لأنه مقت عظيم، ولولا فضل الله ورحمته لكانت العبودية بين الناس إلى أبد الأبد، ولهذا حرم الله العبودية عدلا بين الناس ورحمة، والعدل في أساسه إحقاق حق وإزهاق باطل، ولأن الله هو الحق جعل العدل بين العباد طاعة، ولأنه ودود لم ينص على حكم العباد بل نص على الحكم بينهم بالعدل وهذا دليل على تعميم المساواة، فلا فرق بين المستخلفين فيها إلا بالعمل الصالح.

والخليفة هو من يتبع عدله فيما أمر ونهى قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ

<sup>١١١٨</sup> النحل ٩٠.

<sup>١١١٩</sup> النساء ٥٨.

جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ{<sup>١١٢٠</sup>

١٧ . ودود بنهيه: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}{<sup>١١٢١</sup>، وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}{<sup>١١٢٢</sup>.

الله الذي أمر بالطاعة هو الذي نهى عن طاعة، ولذا فالفرق كبير بين الطاعة التي أمر بها الله وبين الطاعة التي نهى عنها، فطاعة الحق بأمره والانتهاة عن الظلم من أمره، ولهذا لا طاعة لمن يدع من دونه، قال تعالى: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}{<sup>١١٢٣</sup>.

١٨ . ودود بإحقاؤه الحق: قال تعالى: {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}{<sup>١١٢٤</sup>.

إحقاق الحق بين المستخفين فيها عبادة وطاعة، ولذلك نهى الله عن تغليف الحق بالباطل ونهى عن كتم الشهادة وقولها حق، ولذا فالصلاة حق لا ينبغي الإغفال عنها وإيتاء الزكاة حق فلا ينبغي تأجيله أو تأخيره أو الامتناع عن إيتائه، قال تعالى: {قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ}{<sup>١١٢٥</sup>، وقال تعالى: {وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ

١١٢٠ البقرة ٢٨٢.

١١٢١ النحل ٩٠.

١١٢٢ الحشر، ٧.

١١٢٣ الأنعام ٥٦.

١١٢٤ البقرة ٤٢ . ٤٦.

١١٢٥ الأنعام ٥٧.

الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ<sup>١١٢٦</sup>، وقال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}<sup>١١٢٧</sup>.

١٩ . ودود بزَهقه الباطل: قال تعالى: {يَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}<sup>١١٢٨</sup>.

الباطل هو ما ليس بحق، وما ليس بحق في منهج الخليفة لا يُحق، ولذا فمن اتبع الهدى ليس له بد إلا أن يحق الحق ولو كره المجرمون والظالمون والمشركون، ولأنه الودود عز وجل كان وده للذين يقذفون بالحق على الباطل حتى يدمغه ويزهق، وعليه فمن يزهق باطلا ينال رضا الله ووده. قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}<sup>١١٢٩</sup>، وقال تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}<sup>١١٣٠</sup>.

٢٠ . ودود بهدية: قال تعالى: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}<sup>١١٣١</sup>.

الهداية إرشاد لصواب وحق، فالله الهادي لمن يشاء متى ما شاء وكيف شاء، ومن يستمد هدايته من الله يستمد منه الاستخلاف في الأرض، ومن ينل هداية الله ورضاه يكن من بعد الاستخلاف من الوارثين في الجنة، ولذا لا يمكن أن يتم الدخول إليها إلا بهداية من الهادي المطلق جل جلاله، ومن دخلها كان من الفائزين الأمنيين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال تعالى: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}<sup>١١٣٢</sup>،

<sup>١١٢٦</sup> الأنفال ٧، ٨.

<sup>١١٢٧</sup> الحج ٦٢.

<sup>١١٢٨</sup> الأنبياء ١٨.

<sup>١١٢٩</sup> الشورى ٢٤.

<sup>١١٣٠</sup> الإسراء ٨١.

<sup>١١٣١</sup> البقرة ٢١٣.

<sup>١١٣٢</sup> البقرة ٣٨، ٣٩.

وقال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} ١١٣٣ .

٢١ . ودود باصطفائه للرسول والأنبياء: قال تعالى: {وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ} ١١٣٤ ، وقال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ١١٣٥ .

في بداية الخلق كانت الأخلاق فطرية غرائزية وذلك لأن الخالق خلق قلة لا كثرة ثم بعد أن ساد التكاثر بإذنه وانتشرت البشرية في المعمورة ساد من بين ما ساد الفساد في الأرض، ولأن الله خلق الإنسان ويوده أن يكون خليفة له في الأرض وفي أحسن تقويم، مصلحا فيها لا مفسداً وسافك دماء، لم يكن راضيا عما يعمله المفسدون فاصطفى الأنبياء والرسول مبشرين ومنذرين ومحرضين على أفعال الخير، فأنزل عليهم الصحائف والكتب والرسالات السماوية من عنده عز وجل، فكانت النصيحة والحكمة والحجة بين أيدي الناس، فنهى عن المنكرات والمفسدات وحرّم ما يضر ويُهلك ولا يفيد ولا ينفع الناس ويفرق بينهم، وترك الهداية بالحسنى وبدون إكراه حيث لا إكراه في الدين خاصة بعد الرسالة المحمدية الخاتمة.

ولأنه ودود بعث الرسول مبشرين ومنذرين يعلمون الناس طريق الخير والفلاح والهداية، فيهدونهم إلى ما يجب أن يقال وأن يُعمل أمامهم حتى يروا كيف تقام الأعمال وتؤسس الحجج، وكيف تؤخذ الحقوق وتؤدى الواجبات وكيف تُحمّل المسؤوليات، وكيف تمارس العبادات، فكانت عبادة الواحد الأحد على أيديهم وتجنب المفسدات على أيديهم، واتباع الهداية

١١٣٣ البقرة ١٢٠ ، ١٢١ .

١١٣٤ الزخرف ٦ . ٨ .

١١٣٥ آل عمران ٣١ . ٣٤ .



وأداء الشعائر على أيديهم، فكان الخليفة المصطفى عليه الصلاة والسلام منذراً للكافة {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} ١١٣٦ .

قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ} ١١٣٧ ، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ١١٣٨ .

٢٢ . ودود بإنزاله الكتاب: قال تعالى: {الْمِ دَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ١١٣٩ .

الهداية قول وفعل لطاعة ودود مطلق، وحتى لا يكون أمر الهداية اجتهاداً بعث الله الرسل بالكتب فكان لكل قوم هادٍ إلى أن جاءت الهداية الخاتمة، والحكمة من الرسالة الخاتمة كتاب واحد من ربِّ واحد للناس كافة هو: لأجل إبعاد كل ما من شأنه أن يؤدي إلى نزاع وفرقة وفتنة وإفساد في الأرض، أو خصام واختلاف باسم الله أو باسم الرسل السابقين لمحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام، والله رؤوف ودود بالعباد، ومع ذلك فالكثيرون لم يهتدوا بعد إلى القول

١١٣٦ ص ، ٦٥ . ٧٠ .

١١٣٧ الحج ٧٥ . ٧٨ .

١١٣٨ النساء ٦٤ ، ٦٥ .

١١٣٩ البقرة ١ . ٥ .

الحق الخاتم. وهذه من أعباء حمل الأمانة التي حملها الإنسان وهو ظلوما جهولا، لذا فالخليفة هو من أدرك هذا العبء الذي قبل بحمله من اصطفاهم الله وميزهم بحمله، ولأنه يعلم فهو يبشر بكلام الله ويرشد به ويرشد إليه، ويُذَكِّرُ به، وينهى عما نهى الله عنه، ويحرض على ما يحرض عليه. وعليه فالحمد لله الذي بعث في الأميين رسولا قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَتَّكُمُ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ١١٤٠، وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ} ١١٤١، وقال تعالى: {وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ١١٤٢.

٢٣ . ودود برأفته: قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ} ١١٤٣.

في كلمة الرأفة ظهور لإحساس الخالق بالمخلوق، وحرصه وعنايته به، لذا جعل الرأفة فينا في أحاسيسنا ومشاعرنا حتى كنا على عاطفة بأكبادنا وآبائنا وأبنائنا وأحفادنا وبأنفسنا ومعتقداتنا وديننا الذي ارتضاه لنا وارتضينا، وبأوطاننا وبني عرقنا وإخوتنا في الإيمان، هذه رأفة في قلوبنا والخليفة هو من يغار برأفته على ما ذكر إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل، واحتراما وتقديرا لمن له الحق علينا ولمن لنا الحق عليه، فمن رأفة الله بنا إنه لا يود أن تشيع الفاحشة في

١١٤٠ الجمعة ٦.٢.

١١٤١ البقرة ٨٧، ٨٨.

١١٤٢ البقرة ٢٣١.

١١٤٣ البقرة ٢٠٧.

الدين وبين الذين خلقهم الله بوجه في أحسن تقويم ليعمروا الأرض ولا يفسدوا فيها. قال تعالى: {وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ} ١١٤٤، وقال تعالى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ} ١١٤٥.

٢٤. ودود بحلمه: قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} ١١٤٦.

الحلم لين واللين لا يكون إلا بوجه، ولذا فالودود حلیم في مخاطبة خلقه ورؤوف بهم لا يستعجل على حسابهم وعقابهم يمهل ولا يهمل يدرك الحق ويستوجهه فعلا، ولكن يعلم الضعف الذي يلم بالإنسان والغفلة التي يمر بها في كثير من الأحيان، فترك له الأمر والفرصة حتى يتاح له التبين والإدراك لتكون الفرصة له في التصحيح والتصويب، ولأنه رؤوف يغفر الذنوب السابقة للاستغفار بالنسبة للذين لم يعلموا من قبل علم اليقين، أي الذين لم يبشروا بما يجب أن ينهون عنه، أما أولئك الذين علموا وعصوا ثم استغفروا فإن الله غفور رحيم لكل شيء إلا الشرك فإنه أمر عظيم. وعليه فالحلم قانون المودة في التعامل بين الناس بالاحترام والتقدير والتفهم وإعطاء الفرصة لأجل التصحيح والتصويب والعودة إلى الدين والعرف الذي اعتاده الناس في إحقاق الحق وإزهاق الباطل وإعمار الأرض والفلاح فيها. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} ١١٤٧.

١١٤٤ النور ١٨ . ٢٠ .

١١٤٥ آل عمران ، ٣٠ .

١١٤٦ البقرة ٢٦١ . ٢٦٣ .

١١٤٧ المائدة ١٠١ . ١٠٣ .

٢٥ . ودود بعلمه: قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} <sup>١١٤٨</sup> ، وقال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} <sup>١١٤٩</sup> . وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} <sup>١١٥٠</sup> .

العلم نور به يتم إدراك الحق واتباعه، وبه تتسع دائرة المعارف وتضييق وتقفل دائرة الجهل، به يدرك اليقين، وبه تقفل أبواب الكفر والشرك، به يعم العدل بين المستخلفين في الأرض، وبه يتم التمكن من بلوغ الجنة، إنه ود من ودود خبير، فالعلم حق يجب أن يعم الناس ويكون بينهم معاملة تهذب السلوك وتصقل الألسن وتصاغ به المفردات والجمل والنصوص التي تحكم أعراف الناس وقوانينهم في الحياة، وبه يتم إدراك الحقيقة التي يسعى الباحثون إلى معرفتها. فالعلم بالنسبة للخليفة مكتسب من عليم خبير، والعلم بالنسبة للخليفة هو دائما في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، أما في دائرة الخالق فإن الودود جل جلاله علام الغيوب. إذن العلم المخرج من الظلمات إلى النور ود به تتحسن أحوال المستخلفين فيها، ولو لم يكن الودود عليما خبيرا ما كان لنا من علمه شيء وما كان لنا الخروج من الظلمات إلى النور ولذا فالعلم منه ود متكامل لمن علمه الله الأسماء واستخلفه فيها بوجه.

٢٦ . ودود بحكمته: قال تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} <sup>١١٥١</sup> ،

<sup>١١٤٨</sup> البقرة ٢٥٥ .

<sup>١١٤٩</sup> البقرة ٢٣٥ .

<sup>١١٥٠</sup> المائدة ١١٦ .

<sup>١١٥١</sup> البقرة ٢٦٩ .

الحكمة مضمون محمول في الكلمة والجملة والنص، وهي الصياغة التي تحمل في مضمونها المثل العليا للناس، وتحمل في مضمونها قصص بحالها، ولذلك فمن أوتي الحكمة أوتي خيرا كثيرا، الحكمة ذات دلالة لأخذ العبر والافتداء بما يجب وترك ما يجب تركه، إنها الاختصار المفيد النافع للقول، وبها يتم الاعتاض، وعليه فمن الحكمة أن يشكر الله على نعمه ووده وفضائله الحسان، ومن الحكمة أن لا يظلم أحد أحداً، ومن الحكمة أن يفوز الأبناء برضا الوالدين وطاعتها في غير معصية الله. قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} ١١٥٢

٢٧ . ودود بجنته: قال تعالى: {وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَيْدِيهِمْ فِيهَا وَبِطَافٌ عَلَيْهِمْ بِأَنِيَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} ١١٥٣ ،

١١٥٢ لقمان ١٢ . ١٩ .

١١٥٣ الإنسان ١٢ . ٢٢ .

دائماً جزاء الإحسان إحسان، فمن زرع خيراً حصد جزاءً وفيراً، ومن زرع شراً حصد عقاباً شديداً، ومن استخلف في الأرض بعمله الصالح فاز بالجنة ومن لم يكن من المستخلفين الطائعين سيكون في جهنم اللهم قنا عذاب النار واجعلنا من الوارثين في الجنة والفائزين فيها لا الخاسرين إنك سميع مجيب تجيب دعوة الداعي إذا دعاك، دعوتك بما دعاك به يونس عليه الصلاة والسلام بلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، دعوتك بعزتك لمحمد ونصرك له عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} ١١٥٤.

٢٨ . ودود ببعثه: قال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} ١١٥٥، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ١١٥٦.

حياة الخلائق لا تدوم ووده دائم، أي ما يسجل يحفظ في كتاب محفوظ ويبقى شاهداً حياً لا يموت إلى يوم يبعثون، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد، تفنى الخلائق ويبقى الملك لله الواحد القهار، ولذا فالوجود يمر بالمراحل الآتية:

أولاً: مرحلة خلق الشيء من لا شيء: سبحانه على كل شيء قدير. قال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ١١٥٧، وقال تعالى: {قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ١١٥٨، وقال تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ١١٥٩.

١١٥٤ النساء ١٢٤، ١٢٥.

١١٥٥ الأنعام ٣٦.

١١٥٦ المجادلة ٥، ٦.

١١٥٧ البقرة ١١٧.

١١٥٨ آل عمران ٤٧.

ثانيا: مرحلة خلق الشيء من الشيء: فالله خلق التراب وخلق منه بني الإنسان في أحسن تقويم. قال تعالى: {أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} ١١٦٠، وقال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ١١٦١.

ثالثا: مرحلة التكاثر: قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} ١١٦٢، وقال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} ١١٦٣، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} ١١٦٤.

رابعا: مرحلة الانتهاء: وهي المرحلة الساكنة التي ينتقل إليها المخلوق من الحياة إلى الموت فيظل من حيث الوجود ساكنا لا عمل يزيد ولا عمل ينقص، ولا حركة ولا تكاثر، مرحلة الموت مؤقتة مثل الحياة مؤقتة، ولأنهما يقعان في الزمان المؤقت فإن النهاية لهما دائمة بعد موت الموت فيبعثون فسبحان الذي يحيي الموتى، قال تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ١١٦٥، وقال تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ

١١٥٩ النحل ٤٠.

١١٦٠ آل عمران ٤٩.

١١٦١ آل عمران ٥٩.

١١٦٢ ياسين ٣٦ . ٤٠.

١١٦٣ النحل ٧٢.

١١٦٤ الأنعام ١٦٥.

١١٦٥ المجادلة ٦.

مَيِّتُونَ<sup>١١٦٦</sup>. وعليه فالموت بقاء في الوجود الساكن ولو لم يكن للموتى وجود ساكن ما بعثهم الله يوم بعثهم الذي لا يعلمه إلا هو جل جلاله، البعث مرحلة ولادة جديدة بأعمال سابقة، في حياة جديدة لا علاقة لها بالحياة الأولى إلا الأعمال المحفوظة للمساءلة والمجازاة التوابية أو العقابية.

المرحلة الخامسة: مرحلة البعث: إنها مرحلة الحياة الدائمة، الباقية سرمديا لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه قولاً صادقاً وعملاً صالحاً وتصديقاً تاماً وطاعة لا ضلال في ذلك الزمان الذي طويت سجلاته بالموت الذي جعل الموتى في مرحلة انتظار للبعث، والبعث هو الولادة الجديدة في الحياة الحيوان. قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ<sup>١١٦٧</sup>، وقال تعالى: {قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>١١٦٨</sup>، وقال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ<sup>١١٦٩</sup>.

وقال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ<sup>١١٧٠</sup>.

<sup>١١٦٦</sup> الزمر ٣٠.

<sup>١١٦٧</sup> الحج، ٦، ٧.

<sup>١١٦٨</sup> الشورى ٩.

<sup>١١٦٩</sup> البقرة ٢٨.

<sup>١١٧٠</sup> المؤمنون ١٦.١.



الودود اسم محببٌ إلى القلوب، مرتبطٌ بالحنان والرحمة والعطف، اسمٌ يوقع في نفس المؤمن راحةً وأملاً وطمأنينة، والخليفة يرى في حب الله تعالى له خيراً جزاءً لإيمانه بالخالق عز وجل، واسم الودود يفتح أمام المذنب فسحات أملٍ واسعة باتساع توبته، فلا ييأس من رحمة وحب الله تعالى، وهذا الود أيضاً هو بمثابة دلائل على جهل الكافر وجحده بمن يتودد إليه بالعتاء والمنح.

والودود اسم من أسماء الله الحسنى، وهو في اللغة من صيغ المبالغة، والود مصدر المودة، فعله وُدَّ الشيء وُدّاً ووداً ووداً، والود يرتبط بالأحاسيس والمشاعر وما تأمله القلوب في طاعة الله تعالى.

فالودود هو مصدر الود، أي أنه المصدر الذي يستمد الود منه، ولذا فالودود لا حيز لحسد يشغله، وبالله المنطق الود صلة أخلاقية بين الناس، وبينهم وبين خالقهم (مصدر الود المطلق).

ولارتباط هذا الاسم بالرحمة واللفظ فقد لزم ارتباطه بالتأكيد بالحب، هذا الحب الذي يقربك من الخالق عز وجل الذي يحبك ويتودد إليك هذا وهو الذي خلقك وأنت ملكه وهو القوي وأنت الذي تستمد قوتك منه، إنه الودود الذي وسع وده وحبه كل تائب وكل عابد وكل مخلوق في هذا الكون.

والود بين الخلائق بمعناه هو الظهور الواقعي لمشاعر المحبة الكامنة، أي أنه تجسيد لها، وبهذا يكون هناك فرق بين الحب والود رغم ارتباطهما مع بعض، فالحب ما استقر في القلب، لكن الود ما ظهر في الفعل، وهذا يتضح عندما يحب الإنسان شخصاً فإن مشاعر الميل نحو هذا الشخص هي الحب الذي يشد الآخر شداً، ويشد الاثنين في واحد، والود يتبع النية، ولذا فالأعمال بالنيات ولكل أمر ما نوى فهو يعلم ما تكنه الصدور {يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} <sup>١١٧١</sup>، وقال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا

أَوْ أَدَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ<sup>١١٧٢</sup>. فالود هو التعبير الظاهر عن مشاعر الحب تجاه من نحبهم فنحن بذلك نكون ودودين نتودد إليهم بما نظهره من أفعال كالابتسام لهم والبشاشة في وجههم أو كتقديم الهدايا لهم ومجاملاتهم في مناسباتهم السارة والحزينة، ولو لم يظهر هذه التعابير لهم فإننا نكون نحبهم بما نحمله لهم من مشاعر الحب في قلوبنا ولكننا لا نتودد لهم فنستخلص من هذين المعنيين أن كل ودود محب وليس كل محب ودود.

وقد ورد في القرآن الكريم اسم الودود في موضعين:

الأول: عندما أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن وُدِّه بنفسه وذلك في قوله تبارك وتعالى: {إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَلَّ لِمَا يُرِيدُ<sup>١١٧٣</sup>، فالله هو الخالق الأول والآخر كل شيء بيده فهو يبدي ويعيد، وهو في ذاته هو الغفور الودود ذو العرش المجيد، أي أن الله هو الودود الذي بوجهه يغفر ويبدي ويعيد وهو على كل شيء قدير سبحانه.

الثاني: ما جاء على لسان نبي الله شعيب - صلى الله عليه وسلم - واصفاً ربه بقوله: {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ<sup>١١٧٤</sup>، محبة شعيب عليه الصلاة والسلام لربه تعالى جعلته يظهر وده الذي استمدته من الودود المطلق

<sup>١١٧٢</sup> الحج ٤٦.

<sup>١١٧٣</sup> البروج ، ١٣ . ١٦ .

<sup>١١٧٤</sup> هود ، ٨٩ . ٩٥ .

ليعلنه أمام قومه وهو راغب لهم ود من الله تعالى إذا ما استغفروه وذلك لأن في الاستغفار إجلال له جل جلاله، ولأنه سميع مجيب فهو بوجه يعفو يغفر لهم، ولو لم يكن عز وجل ودودا ما كان غفورا وغفارا.

والودُّ مصدر المودَّة، والمودة مصدرها الودود، وهذا الود يكون في جميع مداخل الخير، وقال ابن الأثير: الودود في أسماء الله تعالى فَعُولٌ بمعنى مَفْعُولٍ من الودِّ المحبة يقال وددت الرجل إذا أحببته فالله تعالى مَوْدُودٌ أي مَحْبُوبٌ في قلوب أوليائه أو هو فَعُولٌ بمعنى فاعل أي يُحِبُّ عباده الصالحين بمعنى يَرْضَى عنهم<sup>١١٧٥</sup>.

فالودود المطلق هو الذي لا يضاهي ودّه ود، لأن حبه أعلى درجات الحب وأصفاه وأنقاه فلا يخالطه حقدٌ أو غلٌ أو دسٌّ على من أحب، ولا تحذوه مصلحة أو منفعة فيمن يحب، إن الله سبحانه وتعالى يحب بصفاء ونقاء فهو ود خالص لا يتغير، وبهذا يكون وده أرقى درجات الحب وأقواها وأسمى معانيه، وهذا الحب لا يكون دافعه الخوف والرهبة ممن أحب، ولا يمكن أن تتجلى هذه المعاني إلا في ودودٍ واحدٍ فقط هو الله عز وجل، الودود المطلق الذي يتقرب إلى عباده الصالحين وأوليائه ويتودد إليهم، وقربه يكون دائماً وأبداً، قال تعالى في كتابه العزيز: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} <sup>١١٧٦</sup>، أي إن الله تعالى قريب من عباده يستمع إليهم ويستجيب لدعائهم، فقد أكد على قربه تعالى من أوليائه وعباده الصالحين بالربط بينه وبين استجابة دعواتهم، وأيضاً في قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُؤْفِكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

<sup>١١٧٥</sup> لسان العرب، ج ٣، ص ٤٥٣.

<sup>١١٧٦</sup> البقرة، ١٨٦.

الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} ١١٧٧ . هذه الآيات الكريمة علامة دالة على كمال وده لعباده الصالحين والمصلحين في الأرض ولذا فالدعاء لا يُستجاب إلا من العبد القريب من الودود الكريم، وكذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ} ١١٧٨ ، وقوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسًا بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} ١١٧٩ .

والله سبحانه وتعالى ودودٌ في حبه لرسله وأنبيائه وعباده المصلحين الصالحين ، يحبهم محبة الخالق العظيم لخليفته في أرضه الذي أطاع أمره وصدقته، فيُظهر الله تعالى لهم حبه بقبول أعمالهم وإجابة دعواتهم وطمأنينة نفوسهم، كما أنه يمنحهم محبة وود خلقه فيهم، وحسن الاستماع إلى نجواهم كما في قوله تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} ١١٨٠ ، وقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} ١١٨١ ، وكذلك يمنحه أعلى المراتب شرفاً يوم القيامة كما في قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ} ١١٨٢ .

١١٧٧ غافر ، ٦٠ . ٦٦ .

١١٧٨ هود ، ٦١ .

١١٧٩ ق ، ١٦ .

١١٨٠ النساء ١٤ .

١١٨١ إبراهيم ، ٣٩ .

١١٨٢ البروج ، ١٤ .

وإذا حاولنا سرد دلائل من القرآن الكريم على مدى الود الذي ربط بين الخالق سبحانه وتعالى وبين رسله وأنبيائه لما حصرناها، بل أننا سنلحظ أروع الصور لاحتضان المولى لهؤلاء الخلفاء المرسلين، وأنبئ ملامح التودد والحب والعتاء وأولها كانت مع نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في قوله جل وعلا في كتابه الكريم: {وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} <sup>١١٨٣</sup> بطبيعة الحال الصبر لحكم الله طاعة تامة ومودة صادقة تبادلها مودة الصدق بالرعاية والعناية والحفظ، وبالتالي سبح يا محمد بفضل ربك ولا تخاف. فقد تعرض الرسول عليه الصلاة والسلام للأذى الشديد وكان المولى عز وجل يطمئن قلبه ويهدئ نفسه بالتأكيد عليه بأن المولى يرقاه ويحفظه من كل سوء، وأيضاً عند خروج الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة ويشده الود إليها نزل كلام الله تعالى عليه واعداً إياه بالعودة إليها في قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} <sup>١١٨٤</sup>، المعنى إن الله الذي أنزل عليك دين الهداية وهو القرآن فهو كما أنزل عليك هذا القرآن وأنت لا تشك في إنزاله عليك كذلك تيقن وتأكد بأنك ستعود بإذنه إلى مكة فاتحاً بالقوة والنصر حليفك وأنت محاط بالرعاية والعناية الربانية، وهنا أيضاً نستحضر موقف سيدنا موسى - صلى الله عليه وسلم - عندما اجتمع السحرة فقد خاف في نفسه من هول هذا الموقف لولا تهديئة قلبه عليه السلام من الخالق عز وجل وقد صور لنا القرآن الكريم هذا الموقف في قوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَآلِقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ

<sup>١١٨٣</sup> الطور ، ٤٨ ، ٤٩ .

<sup>١١٨٤</sup> القصص ، ٨٥ . ٨٨ .

سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى<sup>١١٨٥</sup>، وكذلك ما حدث مع سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما بعث الله تعالى له الملائكة فشك في أمرهم كما في قوله عز وجل: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُوطٍ<sup>١١٨٦</sup>، إن الله تعالى قد بدل خوف سيدنا إبراهيم سريعاً إلى طمأنينة فلا يمكن أن يرضى الخالق عز وجل ل خلفائه الصالحين بالخوف والشك، ولذا فيودهم بوده هيمنة وحفظاً.

والود الصادق الذي ينشأ بين الخالق عز وجل وخليفته في الأرض لابد أن يكون وداً متبادلاً، فعندما يحب الله تعالى عبده الصالح فهو بالتالي سوف يجعل حبه في قلب عبده الخليفة هو المحرك لسمعته وبصره وجوارحه وروحه، ولعقله ووجدانه وحسه، فيقدم هذا الخليفة حبه للمولى عز وجل على سواه من متاع الحياة الدنيا من أموال وأبناء بل سيكون حبه لخالقه ورسوله الحبيب - صلى الله عليه وسلم - فوق حبه لنفسه أيضاً وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ"<sup>١١٨٧</sup>، كذلك في الحديث الشريف: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ "أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعَدَدْتَ لَهَا قَالَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"<sup>١١٨٨</sup>.

وللمحبة صفتان:

<sup>١١٨٥</sup> طه ، ٦٥ ، ٦٩ .

<sup>١١٨٦</sup> هود ، ٦٩ ، ٧٠ .

<sup>١١٨٧</sup> صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٢٦ .

<sup>١١٨٨</sup> صحيح مسلم ، ج ١٣ ، ص ٩١ .

. محبة بدأ بها الله تعالى لعبده زارع حبه عز وجل في قلب هذا الخليفة الذي استحق بعلم الله تعالى محبة خالقه، وقد منح الخالق سبحانه وتعالى هذا الحب للعبد ابتداءً منه دون طلب أو سؤال، والمؤمن الصادق هو الذي يحافظ على هذا الود ويقويه.  
. ومحبة جعلت هذا الخليفة شاكرًا لربه سبحانه وتعالى على نعمة حبه ووده وجعله من خلفائه الأصفياء.

والود الذي يقربك من الله سبحانه وتعالى لا يأتي إلا بالتقرب إلى الخالق الذي هو في الأصل قريب من خلقه، ويكون هذا التقرب بعدة أمور منها:

. الإكثار من ذكر الودود، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} <sup>١١٨٩</sup>، وقد جاء في الحديث الشريف أن حب الله تعالى لا بد أن يكون ملازمًا لذكره والمداومة على شكره وحمده، عن أنس بن مالك قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "علامة حب الله حب ذكر الله ، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله" <sup>١١٩٠</sup>.

أيضاً التوكل عليه في كل أمورنا، لأن من شأنه كسب حب الله تعالى به ، فالمولى عز وجل قد أحب من عقد النية وتوكل عليه كما في قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ إِنَّ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} <sup>١١٩١</sup>، وليس هناك قدوة لنا مثل أنبيائنا الكرام ورسلنا وقد كانوا دائمي التوكل على الله سبحانه وتعالى كما جاء في القول الكريم: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى

<sup>١١٨٩</sup> الأحزاب، ٤١ . ٤٣.

<sup>١١٩٠</sup> شعب الإيمان للبيهقي ، ج ١ ، ص ٤٨٠ .

<sup>١١٩١</sup> آل عمران ، ١٥٩ ، ١٦٠ .

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ{ ١١٩٢ .

وكذلك في جعل النية في كل عملٍ نقوم به هو رضا الله تعالى والإخلاص في القول والفعل، ومهما كان العمل طالما هو في خير لا بد أن نعقد النية فيه خالصة لله تعالى، وهذا ما جاء به الحديث الشريف: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَدَّانُ فَقِيلَ لَهَا مَا لَكَ وَلِلدَّيْنِ فَقَالَتْ: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي آدَاءِ دَيْنِهِ إِلَّا كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزْرٌ وَجَلَّ عَوْنٌ فَأَنَا أَلْتَمِسُ ذَلِكَ الْعَوْنَ" ١١٩٣

وكذلك السير على خطى الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في قوله تعالى: لِيَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدِّثُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ{ ١١٩٤ .

والخليفة الذي استحق هذه الأمانة التي استخلفه الخالق بحق هو الذي يظهر وده لله تعالى في أعماله وفي تعامله مع من حوله من قريب أو بعيد، فنجدده واصلاً للرحم متودداً لهم، طائعا لوالديه حتى ينال رضاها في غير معصية الله، قال تعالى: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}{ ١١٩٥ ، ونجدده أيضاً متواضعاً مُوداً لمن يعملون معه حتى ولو كانوا أقل منه مرتبة، لا يبدأ الناس بالسوء ولا يمكر بهم ولا يسخر منهم مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ

١١٩٢ هود ، ٥٦ ، ٥٧ .

١١٩٣ مسند أحمد ، ج ٥٠ ، ص ١٩٤ .

١١٩٤ آل عمران ، ٣٠ . ٣٤ .

١١٩٥ النساء ، ٣٦ .



وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} <sup>١١٩٦</sup> ، فالخليفة هو من لا يجعل المحرك والدافع لإظهار وده مصلحته الشخصية، بل يملأ قلبه بالتسامح والغفران اللذين من شأنهما رد المذنب وردع العاصي، ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة، فعندما أصابه قومه في غزوة أحد لم يدع عليهم بل دعا لهم بالمغفرة، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ كَسَرُوا رُبَاعِيَّتَهُ، وَشَجُّوا وَجْهَهُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". ما أجمل ود الرسول الكريم على بني قومه وما أجمل ود الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه، إنه أروع مثل لود الخليفة المستمد من حب الودود المطلق.

فالود هو السبيل لتجميع قلوب الناس وعواطفهم ووحدتهم، والود الحقيقي يجعلك صادقاً في أعين الناس أي أن وده يتجلى في كثرة ود المسلمين من حوله فيحب للعاصي التوبة، وللمحسن حسن المنزلة فينتقرب بذلك لكل من حوله من أجل الحق وإحقاقه ومن أجل الباطل وإزهاقه، فيكون مرشداً لغيره من الناس سواء المسلم أو الكافر لطريق الحق، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} <sup>١١٩٧</sup> ، آيات كريمة حجة بين الناس بالحق، فمن يملأ قلبه بالإيمان لا يظلم أحداً، ومن يكفر ويشرك تملأه البغضاء، ولأن الإسلام مؤسس على المحبة البيضاء، فإن الخلفاء تملأهم المودة وحسن بذلك رفيقا، والعداء بين الناس لا يدوم بل الذي يدوم هو المودة، ولهذا فالودود لا يرى خيرا بين الناس إلا

<sup>١١٩٦</sup> الحجرات ١٠، ١١ .

<sup>١١٩٧</sup> الممتحنة ، ٦ . ٩ .

المودة، وهذا ما يحصل في عصرنا هذا فرغم انتشار الفساد، وظهور الفتن على الدين الإسلامي، إلا أننا نجد كثيراً ممن كانوا على ديانات أخرى قد اعتنقوا الإسلام على أيدي دعاة مسلمين لا يملكون إلا قوة الحق الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} <sup>١١٩٨</sup> فالخليفة هو المحب لله تعالى والمحب لرسوله ولا يفرق بين أحد منهم مصداقاً لقوله تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} <sup>١١٩٩</sup>.

وعليه فالخلفاء هم المحبون للخير والعاملون من أجله يصلحون ولا يفسدون يتبعون سنة الرسول الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه ولا يبدون تبديلاً {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} <sup>١٢٠٠</sup>.

الخليفة الودود هو الذي له في رسول الله أسوة حسنة، فقد كان نهجه عليه الصلاة والسلام اللين والود والصبر وهذا كان سبب التفاف الناس حول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وعدم النفور منه، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} <sup>١٢٠١</sup> كما جاء في قوله عز وجل في كتابه العزيز: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} <sup>١٢٠٢</sup>، فالقسوة لا يقابلها

<sup>١١٩٨</sup> فصلت ٤١، ٤٢.

<sup>١١٩٩</sup> البقرة ٢٨٤، ٢٨٥.

<sup>١٢٠٠</sup> الأحزاب ٢٣، ٢٤.

<sup>١٢٠١</sup> الأحزاب ٢١، ٢٢.

<sup>١٢٠٢</sup> آل عمران، ١٥٩.

إلا القسوة، ولا ينتج عنها إلا النفور والحقد والكرهية، بعكس اللين والود اللذان يطهران أشد القلوب قساوة، ويُدمعان العيون العاصية محبة بعد استغفار وتوبة، ويذيان جليد الحقد من القلوب، ولهذا فإننا نجد أن النهج الذي سلكه رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - كان اللين والود كيف لا وقد علمه ربه ورباه، ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾<sup>١٢٣</sup>، فكان عليه الصلاة والسلام محباً ودوداً لينا لا يرد الأذى بمثله، ولا يذكر مساوئ أحدهم أمام الخلق، بل أنه كان يبحث عن مواطن الحب في النفوس.

وعلى هذا النهج لابد أن يكون خليفة الله، محباً لله تعالى أولاً وأخيراً ومحباً لنفسه حباً يجعلها تأبى الفساد والمعاصي، حباً يجعلها طاهرة من الكره والحقد والحسد، فالذي يحب ذاته على أنها نعمة من الخالق عز وجل وقاها بهذا الحب من المهالك والمفاسد، فينأى عن الآثام والردائل، ولا يرضى لها سوى معالي الأمور وأفضل الأحوال، فهي نعمة من الله وعلى الخليفة أن يحافظ على هذه النعمة الغالية التي أودعها الله تعالى فيه.

و إذا نظرنا إلى العلاقة بين الخالق والمخلوق والود القائم بينهما لوصلنا إلى عظمة هذا الخالق جل وعلا، فبالرغم من ضآلتنا بالنسبة لخالقنا وهو خالق هذا الكون الشاسع، إلا أنه بقوته وعظمته يتودد إلى هذا المخلوق الصغير الذي كرمه تعالى وخصه على باقي المخلوقات وحمله أمانة لم يستطع غيره تحملها، وإذا نظرنا وجدنا أن الملائكة وهي مخلوقات الله تعالى لا تتوقف عن عبادة خالقها وشكره وتنفيذ أوامره، لكن الله سبحانه وتعالى أحب الإنسان وأعطاه ومنحه وجعله خليفته في الأرض وتودد إليه رغم قدرته تعالى على الاستغناء عن البشر إذا أراد، لكنه سبحانه وتعالى كريمٌ وعليمٌ بخلقه جميعاً وكان هذا رد الله تعالى على الملائكة حين أراد الله أن يجعل الإنسان خليفة له وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ  
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ {١٢٠٤} .

والخالق عز وجل يتقرب إلى عباده لا خوفا ولا طمعا ولا ضعفا، بل يتقرب إليهم ودا صافيا،  
مخافة عليهم لا مخافة منهم، وقوة إليهم وتقديرا لخلقهم في أحسن التقويم، واعتبارا لاستخلافهم  
في الأرض وتوريثهم في الجنة، فالعباد منهم الموحد المطيع ومنهم المشرك العاصي، ومنهم  
المحسن ومنهم المذنب، ومنهم العالم ومنهم الجاهل، ومنهم المصلح المفلح ومنهم المفسد  
وسافك الدماء، ومع ذلك فهو يتودد إلى الصالحين منهم بإجابة دعواتهم وقبول أعمالهم، أما  
عباده المذنبين فلهم أيضا نصيب من ود الخالق عز وجل تتجلى في رحمته لهم وعفوه عنهم  
وقبول توبتهم إذا ما استغفروا وتابوا، مصداقا لقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ  
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا  
تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
وَأَسْأَلُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ  
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ  
اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ} {١٢٠٥} ، يتودد للعلماء بهذا الكون وما فيه من أسرار يجعلهم  
يكتشفونها ويصلون إلى درجات عالية من الإيمان به وبعلمه وقدرته قال تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ  
فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا  
وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْوَانُهَا  
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ

١٢٠٤ البقرة ، ٣٠ .

١٢٠٥ الزمر ، ٥٦ . ٥٢ .

كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} ١٢٠٦ .

إذن الودود يتودد إلى عباده بنوعين من الود هما:

ود عام وهو: ود لكل الخلق بصفة عامة سواء كانوا مسلمين أو كفاراً أو مؤمنين يتودد إليهم باللين والعطف، فهو الودود لكافة خلقه بواسع كرمه وسابغ نعمته عليهم عز وجل، فكرمه وحبه يتسع لكل تائب عائد عن ذنبه، وكل تارك للفساد والكفر، لا يعجل العقاب بل يؤجله متيحاً للعاصي فرصاً للرجوع للحق.

ود خاص: خص به الأنبياء والرسل، وخص به أيضاً عباده الصالحين والشهداء والمخلصين القائمين على عبادته والباحثين عن رضاه وعن حبه، فكيف لا يخصصهم الكريم الودود الحنان بأكبر ود فيقربهم منه ويجعل مراتبهم أشرف وأسمى المراتب؟ وهذا ما أشار إليه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} ١٢٠٧، أي سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التي توجب الود ويكتسب بها الناس مودات القلوب، من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبرة أو غير ذلك، وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصاً منه لأوليائه بكرامة خاصة ١٢٠٨.

والله تعالى قوي في وده لخليفته في الأرض من أنبيائه وأوليائه الصالحين الذين يطيعونه ويخلصون له في العبادة ويحكمون في الأرض بما أمر الله تعالى به كما جاء في قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) ١٢٠٩، وهو أيضاً ودود في قوته لأنه لم يجعل قوته على المستضعفين والمساكين بل سخر قوته لشد عزم الإنسان ونصرته على الشر، كما وعد الله تعالى عباده المؤمنين: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ

١٢٠٦ فاطر ، ٣٠ . ٢٥ .

١٢٠٧ مريم ، ٩٦ .

١٢٠٨ الكشاف ، ج ٤ ، ص ١٢٤ .

١٢٠٩ المائدة ، ٤٨ .

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا  
أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} ١٢١٠

وهو ودود في كرمه، فلا يكرم لغرض أو طمع، وكريم في وده، إذ أن حبه ومودته تفيضان على البشر مهما قدموا للخالق عز وجل، وفي الحديث الشريف التالي توضيح لهذا المعنى: عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قاتل دون نفسه حتى يقتل فهو شهيد، ومن قاتل دون أهله حتى يقتل فهو شهيد، ومن قتل في حب الله فهو شهيد" ١٢١١.

وقد ودنا أيضاً الخالق بالنعمة الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، وأنعم على جميع خلقه بها، لكن المؤمن المطيع يعرف أن هذه النعم جميعها تستوجب أن نشكر الخالق عز وجل عليها وهي نعم لا تعد ولا تحصى كما في قوله تعالى: (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) ١٢١٢، وأن يتدبر معنى الود الكامن في معنى هذه النعم، أما العاصي فلا يتدبر معناها ولا يفقه كيفية شكر الخالق عليها، بل في كثير من الأحيان يجحد بها، وأولها نعمة القرآن الكريم الذي جعله الله سبحانه وتعالى هداية للبشر ورحمة، كما في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ١٢١٣، بالرغم من تحذير المولى عز وجل لهم، كما توضحه لنا الآية الكريمة: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ

١٢١٠ الشورى ، ٣٧ . ٣٩ .

١٢١١ مصنف عبد الرزاق ، ج ١٠ ، ص ١١٦ .

١٢١٢ إبراهيم ، ٣٤ .

١٢١٣ البقرة ، ٩٧ . ١٠١ .

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا<sup>١٢١٤</sup> ، لكنهم ابتعدوا عنه فابتعد عنهم.

وهناك صور كثيرة تتجلى فيها محبة الودود المطلق للبشر منها رحمته بعباده، فالرحمة تنتج عن الود، إن الله عز وجل يسمع شكوانا ويستجيب لدعائنا، ويرحم مرضانا، ويرفع البلاء عنا كلما دعوناه مخلصين، ووهب لنا مسببات الجنة لمن أراد، فرحمنا بذلك من عذاب الحريق، وقبل كل هذا أهدانا نعمة الإسلام، وجعل سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - شفيعاً لنا، وهذا تودد من الله سبحانه وتعالى إلى عباده أجمعين بالرحمة، وذلك بمكافأة المطيع بالثواب وقبول توبة المذنب الخاطيء الذي لجأ إليه، وبالرغم من أننا نعرف أنه جل وعلا قوي عزيز لا يحتاج للعباد في شيء ولكنه يرحمهم عند اللجوء إليه لحيه فيهم وتقربه منهم رحمة بهم، مع أنه يستطيع أن يعاقب أشد العقاب إذا أراد كما فعل مع الأقوام السابقة التي طغت وتجبرت ولم تصغ إلى كلام الله وظلمت، كما في قوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (فَأَخَذْنَا هُوْدَهُ فَنبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)<sup>١٢١٥</sup> ، فلولا تودده ورحمته لعجل بالعقاب لكل عاصٍ وخاطيء فلا يكون لهم مجال للتوبة والرحمة.

وهو أيضاً ودودٌ في لطفه فهو يُنزل علينا الصبر والسكينة عند حلول المصائب والكوارث ، كما في قوله تعالى: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)<sup>١٢١٦</sup> فينجي من يشاء منهم من الكوارث ، فبحبه لعباده تلتطف بهم مانحاً لهم نعمة الصبر والرضا بالقضاء. وهذا يكون من باب التودد إلى العباد.

<sup>١٢١٤</sup> النساء ، ١١٥ . ١١٦ .

<sup>١٢١٥</sup> الداريات ، ٤٠ . ٤٤ .

<sup>١٢١٦</sup> البقرة ، ١٥٦ .

هو أيضاً سبحانه وتعالى لطيفٌ في وده إذ انه لا يمنع رزقه عن العباد بذنوبهم في الدنيا بل أنه يتودد إليهم عامةً بالعطاء والرزق حسب علمه بعباده وتودد الله دائماً رحمة ومغفرة للعباد، فهو المتودد لهم بالشفاء أثناء المرض وبالوفرة أثناء الحاجة وبإحقاق الحق أثناء ظهور المظالم، وبالعلم بعد الجهل وبالحكمة والهداية بعد الضلال وباليقين بعد الشك، والخليفة يتودد إلي الودود بالاستغفار والطاعة والعبادة والتوبة، ولهذا قال تعالى: {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} ١١١٧، فقد تكون هذه النعم سبباً في خروج العاصي من عصيانه بتفكره في هذه النعم واعترافه بأنها من الله الواحد الرازق الودود فبذلك يكون قد حل به لطف الله تعالى فينجو من عذاب الحريق.

لذلك على الودود بالإضافة أن يكون شاكراً طائعاً محباً لله تعالى، ولعباده المؤمنين يتودد إليهم لما في قلبه من حب لله تعالى، يملأ قلبه التسامح والعمو وعلى علاقة طيبة بذي القربى وبجيرانه الأقارب والأباعد لأن القلب إذا عمُر بحب الله فاض بحب العباد ، فيكون بذلك متصفاً بصفات الله عز وجل من خلال عمله وطاعته للمولى، فأضفى عليه الخالق من صفاته العلى ما يجعله أهلاً لخلافته سبحانه وتعالى في الأرض، وهذه الخلافة لا يستحقها كل إنسان لمجرد كونه إنسان، حتى وإن كان مسلماً، فليس كل مسلم هو خليفة الله سبحانه وتعالى وإن كان هذا ما يجب، ولكن يستحقها من أطاع مُستخلفه فالتزم بالأوامر وابتعد عن النواهي وأكثر من الطاعات وتخلَّق بالصفات الحسان، فبهذا يكون أهلاً لخلافة الله تعالى في الأرض ليحكم بحكمه ويطبق شرعه ويعمر الأرض كما أراد الخالق عز وجل في قوله تعالى مخاطباً خليفته: ( يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ



الهُوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ  
الْحِسَابِ<sup>١٢١٨</sup>، وهذا الخطاب من الخالق عز وجل المستخلف إلى نبي الله داود عليه السلام  
وهو المستخلف في الأرض خلافة جبرية، حيث اصطفاه الله تعالى واختاره ليكون نبياً له  
وخليفة، فما بالك بالخليفة الاختياري أفلا يكون هذا الخطاب شاملاً لهم ؟.

بلى يكون هذا الخطاب شاملاً لهم، بل هو أكد في حقهم أكثر مما هو في حق الخليفة  
بالإجبار، فالأنبياء والرسل يكون الله قد اصطفاهم ونقاهم من المفسد والأخطاء كما في قوله  
تعالى في كتابه العزيز واصفاً أصفى خلفائه على الإطلاق سيدنا محمد - صلى الله عليه  
وسلم: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}<sup>١٢١٩</sup>.

فلا بد أن يكون تودد الخليفة لله لا ينازعه أي تودد آخر فتكون محبة المولى عز وجل هي  
الغالبة على فؤاده، لأن محبة الله تعالى هي روح الأعمال، فلا عمل للعبد يكون لغير وجه الله  
تعالى ورضاه هو عمل مقبول، فمن عقد النية خالصة لله عز وجل ينال رضاه ومودته وهذا  
ما أخبرنا به المولى عز وجل في كتابه العزيز: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ  
وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ}<sup>١٢٢٠</sup>.

ويكون التودد متبادلاً بين الخالق جل وعلا وخليفته، فالله تعالى يضع محبته في قلب خليفته  
الذي رضي عنه وهذه نعمة من الله عليه وهو لا يعطيها لمن لا يسعى خلفها، فالمؤمن الذي  
أحبه الله يجعل بالمقابل محبته في قلب هذا المؤمن، وبهذا يتبادل الخالق عز وجل المودة  
والحب بينه وبين خلفائه وعباده المخلصين، وهذا الود هو الذي هون على الأنبياء والمرسلين  
الأهوال والعذاب في تبليغ الناس دعوة الله لهم بالتوحيد، وهذا الحب هو الذي شد أزهرهم عند  
اشتداد الأزمات والمصائب وليس أصدق على ذلك من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه  
عند لجوئه للطائف وتعرضه للعذاب والضرب والكفر "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة

١٢١٨ ، ص ، ٢٦ .

١٢١٩ ، النجم ، ٣ ، ٤ .

١٢٢٠ ، الشورى ، ٢٠ .

حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، لمن تكلني ! إلى عبد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري! إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك" ١٢٢١ .

وبما أن الود أشد عمقاً وأعم من الحب، لأن الحب يبقى مستتراً داخل النفس، أما الود فهو التعامل بإظهار هذا الحب أي لا بد أن يظهر ويتوضح الود في التصرفات ولا يبقى كامناً داخل زوايا الذات لهذا فقد ظهر ود الله لنا جلياً وهناك حديث للرسول - صلى الله عليه وسلم - يوضح هذا الأمر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبُوهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ" ١٢٢٢ .

وود الله سبحانه وتعالى للعبد يبدأ بمجرد بث الروح فيه، فيهب له الحياة ويخرج إلى الدنيا بقدرة القادر عز وجل، وينبض قلبه مستبشراً بالحياة، ولا يتركه الله وحيداً بل يجد من يعتني به ويلبي له احتياجاته من مأكّل ومشرب وملبس وحنان ورعاية، ويتجلى هذا الود بتوضيح السبل للعيش الكريم والصحيح في مراحل النمو وهدايته لطاعة الواحد الأحد الذي لا شريك له في الأمر والملك، ولهذا من يتعلم طاعة الواحد الأحد لا يمكن أن يطيع من لا يطيعه بالمطلق، فلا أجمل من أن يعيش الإنسان حياته وهو متودداً إليه بشكره وحمده على نعمه التي أنعم بها عليه من عقل وسمع وبصر وحس وذوق وأكثر من ذلك مما لا يحصى مصداقاً لقوله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} ١٢٢٣ ، وأن يكون موقناً أن الله أقرب إليه من نفسه التي قد تأمره بالسوء أحياناً ومن أمه وأبيه اللذان ربياه وهو اللطيف به الرؤوف الرحيم والودود عز وجل يدعو عباده إلى التوجه إليه ومناجاته، والتودد إليه دائماً، فلا أحب إلى الله

١٢٢١ جامع الأحاديث، ج ٣٥، ص ٤٠٩ .

١٢٢٢ صحيح البخاري، ج ١٨، ص ٤٦٨ .

١٢٢٣ إبراهيم ٣٤ .

سبحانه وتعالى من شكوى عبده المتضرع إليه، فالمؤمن المخلص لله تعالى هو الذي يلجأ إليه دون سواه سواء أكان مسروراً فيشكر خالقه ويحمده، أو إذا مسه الضر فلا يتجه العبد المؤمن الصادق إلا لهذا الخالق الودود الكريم السميع للدعاء القريب للداعي، ولنا في رسلنا وأنبيائنا خير مثال وقدوة، فمع معاناتهم الشديدة لكنهم توكّلوا على الله تعالى وبتوا شكواهم إليه وهذا ما حدث مع سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام عندما اشتد عليه المرض والتعب، فقد حدثنا القرآن الكريم عن مناجاته في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>١٢٢٤</sup> وكذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>١٢٢٥</sup>، وأيضاً قول الله في كتابه العزيز: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾<sup>١٢٢٦</sup>، فلا أقرب من الخالق الخالق سبحانه وتعالى من خليفته المؤمن الذي يناجيه ويدعوه، ولا أحب من صوت المؤمن إلى الله عز وجل وهو يستغيث به ويحمده ويتوجه إليه.

فالخليفة على وثوق بأنه على ود من ودود مطلق، ولذا فهو على حالة من مبادلة ود بود، وهو على يقين بأن الله تعالى يبادل له هذا الود بأكثر، وأن ينعكس هذا الود في حياته كلها فيكون ودوداً مع جنسه ويأمل بكل ود أن تكون الهداية قاعدة للتفاهم والتفهم بين بني آدم، حتى يعم الود العلاقات بين الأب وأبنائه والزوج وزوجه، والمعلم وطلابه، والجار وجيرانه، والراعي ورعيته، والعاقل والمعدول بينهم، أهله وعائلته المقربون.

الودود تعالى قريب من عبده مادام عبده وخليفته يتودد إليه بالشكر والذكر والحمد على كل حال كما جاء في الحديث الشريف: عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رِيَّاحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

<sup>١٢٢٤</sup> الأنبياء ، ٨٣ .

<sup>١٢٢٥</sup> الأنبياء ، ٨٧ ، ٨٨ .

<sup>١٢٢٦</sup> الأنبياء ، ٨٩ ، ٩٠ .

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"<sup>١٢٢٧</sup>، فهل هناك من جزاء للتقرب إلى الله تعالى أروع من هذا الجزاء الكريم الودود الذي خص به خليفته على الأرض؟ إنه الودود الكريم في وده وحبه وحتى في لومه للذين لم تخشع قلوبهم بعد كما جاء في قوله تعالى في كتابه العزيز: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} <sup>١٢٢٨</sup>.

المتمعن في اسم الودود لا بد أن يخرج بعدة نتائج هامة:

أولها: مدى اتساع حب الله تعالى للخلق، حب لا يتبعه مصلحة ولا نوايا أخرى فهو الغني عن العباد إذا عصوا أو امتنعوا عن إطاعة أوامر الخالق كما في قوله تعالى في كتابه الكريم: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} <sup>١٢٢٩</sup>، وكذلك يؤكد الله تعالى غناه عن العالم إذا أراد ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} <sup>١٢٣٠</sup> أي أن الله تعالى يقول يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقير إلى ربحكم فأياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتنجح لديه حوائجكم {وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ} عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء؛ منكم ومن غيركم {الْحَمِيدُ} يعني: المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال <sup>١٢٣١</sup>، وبالرغم من ذلك فقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون الشاسع باتقان ودقة وجعل هذا التآلف والانسجام في مكونات هذا الوجود

<sup>١٢٢٧</sup> سنن الترمذي، ج ٦، ص ١٩٠.

<sup>١٢٢٨</sup> الحديد، ١٦.

<sup>١٢٢٩</sup> محمد، ٣٨.

<sup>١٢٣٠</sup> فاطر، ١٥-١٧.

<sup>١٢٣١</sup> الطبري، ج ٢٠، ص ٤٥٤.

على تباينها وتعددتها ترتبط بعلاقة تودد مع بعضها البعض لخدمة هذا الإنسان، وهذا من مظاهر تودد الله تعالى الجلية للإنسان.

وثانيها: يوضح لنا هذا الاسم مدى جهل الكفار وطغيانهم، فلو أنهم فقط نظروا إلى الكون الشاسع الممتد حولهم لتوصلوا إلى ربط الصلة بين مكونات هذا العالم وبين تودد الودود إليهم، لأن هذا الكون ما هو إلا تودد من الودود للإنسان فليظنوا إلى الشمس ويتدبروا أهمية خلقها لنا ويتساءلوا إذا لم يكن لها وقت للمغيب ما الذي سيحدث؟ أليس حباً بخلقه جعل لها مشرقاً معلوماً ومغيباً معلوماً {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} ١٢٣٢ وكذلك القمر كما في قوله عز وجل: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ} ١٢٣٣، وهذه الأنهار الجارية والينابيع التي تصب وكذلك الأمطار وغيرها من دلائل هذا الود العظيم للخالق العظيم، ألا يعتبر تودداً للخلق كل مسخرات هذا الكون.

أيضاً هذه الطيور المتباينة والأسماك والأنعام على اختلاف أشكالها وأنواعها هي لسد حاجات الإنسان سواء الحاجة المادية من مأكّل ومشرب أو الحاجة الروحية لما فيها من متعة للعين وابتهاج للنفس كما وضح الله لنا في كتابه العزيز: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ١٢٣٤.

وثالثها: ردع المسلم عن الزلات والذنوب بأن يتذكر ود الخالق سبحانه وتعالى له، فيكفي أن يتذكر المسلم عند نيته بارتكاب ذنب ما أن الله فضله على باقي مخلوقاته واستخلفه في أرضه، وأنه ستر عليه وأكرمه بكثير من النعم والعطايا، فهل يكون هذا هو رد الإنسان عليه؟

١٢٣٢ الفرقان ، ٤٧ .

١٢٣٣ يونس ، ٥ ، ٦ .

١٢٣٤ النحل ، ١١ .



بل أننا نجد أن الله سبحانه وتعالى أعلن عن حبه للتائبين عن ذنوبهم ، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} ١٢٣٨ . إذن ود الله الكريم الحنان يمثل واحة من الظلال يستريح فيها المذنب من عناء خوفه.

وحتى ود الله سبحانه وتعالى ودٌ كريم لأن الخالق لم يحدد أي زمن للتوبة، ولم يجعل لها سن معين لا تقبل من بعده، بل أنه ترك باب توبته مفتوحاً طوال العمر وفي أي مكان وهذا ما جاء في الحديث الشريف عن أبي قلابة، قال: "إن الله لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره، فقال: وعزتك لا أخرج من صدر عبدك حتى تخرج نفسه ، فقال : وعزتي لا أحجب توبتي من عبدي حتى تخرج نفسه - أو قال : روحه" ١٢٣٩ ، وكذلك قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} ١٢٤٠ .

خامسها: إن العبد إذا أدرك هذا الاسم بكل معانيه السامية سوف يتجه إلى الخالق عز وجل بكل جوارحه مؤدياً للطاعات ولأوامره حباً به لا خوفاً منه، فبذلك يكون قد دخل من أشمل وأوسع الأبواب لنيل رضى الله تعالى فيتجه إليه الخليفة محباً لا خائفاً، طوعاً لا كرهاً، راكضاً لا متمهلاً، بذلك سوف يستشعر مدى حب الله تعالى له وحرصه على دخول جنته، وسيعلم مدى رقي المعاملة التي يتعامل بها هذا الخالق العظيم الودود مع عبده الضعيف المحتاج لرضاه عز وجل، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ١٢٤١ . وعندها سوف يسارع هذا الإنسان في طاعته ورضاه كما سارع سيدنا موسى - صلى الله عليه وسلم - لطلب هذا الرضى في قوله تعالى في كتابه العزيز: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ} ١٢٤٢ .

١٢٣٨ البقرة ، ٢٢٢ .

١٢٣٩ جامع معمر بن راشد ، ج ٣ ، ص ٣٤٧ .

١٢٤٠ النساء ، ٤٨ .

١٢٤١ الحديد ، ٢٨ .

١٢٤٢ طه ، ٨٤ .

سادسها: أن هذا الاسم يخلق المودة بين الناس، سواء أكان بالزواج والمصاهرة والنسب أو بتقارب الناس بشتى الوسائل، كما في قوله عز وجل: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ١٢٤٣، فالودود سبحانه وتعالى لم يجعل الناس متنافرين بل قاربهم من بعض لنشوء المودة والحب بين الناس جميعاً، لذلك جعل الله تعالى الود على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - من معالي الأمور، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس» ١٢٤٤ .

سابعها: تأتي أهمية هذا الاسم أيضاً من كونه باباً واسعاً للشعور بالطمأنينة والأمان في صدر الخليفة، فعند نشوء مثل هذا الود المتبادل بين الخالق سبحانه وتعالى وبين عبده المخلص، ويصبح هذا الود مبعثاً للسكينة عند حلول الأزمات، كيف لا وهذا الود يجعل العبد المحب لله تعالى يستشعر قرب خالقه الودود في نفسه؟ قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} ١٢٤٥، فبيتعد بذلك شبح الخوف من الآخرين في نفوسنا، ونطرد كل أشكال الهلع والجبن، وقد جسد لنا رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - هذا الموقف عندما كان مع صديقه ورفيقه في هجرته أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في غار ثور، كما جاء في قول الله تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ١٢٤٦، فشدة قرب الرسول عليه الصلاة والسلام من ربه وحبه له هما اللذان منحاه هذه الثقة بمن أحب فاطمأن قلبه وطمأن رفيقه "طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو

١٢٤٣ الروم ، ٢١ .

١٢٤٤ مسند الشهاب القضاعي ، ج ١ ، ص ٣١٩ .

١٢٤٥ الرعد ، ٢٨ .

١٢٤٦ التوبة ، ٤٠ .



بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال: إن تصب اليوم ذهب دين الله ، فقال عليه الصلاة والسلام: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما"<sup>١٢٤٧</sup>.

فالتودد إلى الله عز وجل إذن يجلب لنا الإحساس بالأمان والسكينة، وهما شعوران يجعلنا نتدبر هذا المعنى لهذا الاسم الرفيع، وبالتالي فإن هذا الخليفة عندما يستشعر ذلك كله ويجد ما يحتاجه من الأمان والراحة في ود الله تعالى سيكون من المستحيل عليه أن يفرط في هذا الحب الرفيع، فيتكون لدى هذا المؤمن المطيع الخشية من عصيان المولى وإنذار بالخوف من الابتعاد عن هذه العلاقة الودية بينه وبين خالقه، كما في قوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) <sup>١٢٤٨</sup>، بذلك يتوكل العبد على خالقه الودود ولا يخشى غيره فيتخلص من خوفه من الناس، ولا يخشى إلا الواحد الأحد ، ويمتلئ قلبه بالثقة والقوة المستمدة من حب الله تعالى والتوكل عليه كما في قوله تعالى: (قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) <sup>١٢٤٩</sup>.

فسبحان ربي الودود الظاهر بالمحبة على عباده جميعاً، يصلهم ويمدهم بالإحسان والعدل والغفران حتى يصلوا إلى جنات النعيم، فقد سبقت رحمته غضبه، ورافق علمه حلمه.

ثامنها: الرضا بقضاء الله وقدره هو من النتائج الأساسية التي يخرج بها الإنسان من التدبر في معنى هذا الاسم، فالودود بالإضافة إذا كان صادقاً في وده لله سبحانه فإنه يرضى بما قدره الله تعالى عليه، فهو يعلم تمام العلم أن الله عز وجل ودود يود خلقه ولا يظلم أحداً من خلقه فسيكون على ثقة كاملة بأن ما يصيبه من عند الله تعالى، عندها سيصل إلى اقتناع تام بأن ما يحل به من هم وحزن سواء كان بذهاب المال أو فقد الأحباب أو غيرها من الهموم والأحزان هو خير من الخالق عز وجل .

<sup>١٢٤٧</sup> الكشاف ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

<sup>١٢٤٨</sup> الأنعام ، ١٥ .

<sup>١٢٤٩</sup> الرعد ، ٣٠ .

والرضا بقضاء الله تعالى وقدره من علامات حب الله تعالى وشكره، كما جاء في الحديث الشريف: عن الربيع بن أنس، عن بعض أصحابه قال: "علامة حب الله كثرة ذكره، وعلامة الدين الإخلاص لله، وعلامة العلم خشية الله، وعلامة الشكر الرضا بقضاء الله والتسليم لقدره" ١٢٥٠

تاسعها: إن الود سبب لإنجاح المهمات التي أنيطت بنا سواء كانت من الخالق عز وجل كالعبادات وعمارة الأرض أو كانت من المهمات الدنيوية التي تحملناها بحكم مسئولياتنا في هذه الحياة، فبالود نستطيع أن نقوم بعباداتنا على أكمل وجه، وأن نمر الأرض بالحب والود. عاشرها: المتمعن في اسم الودود يتضح له جلياً دعوة الله تعالى لنا بالتآلف والوحدة، فالود الذي يربط الخالق بعبده يقوى من نفس هذا العبد وعندما يقوى يستطيع المواجهة والتحدي، وهذا نفسه ينطبق على الأمة الإسلامية، فدعوة الخالق عز وجل لنا بالتودد لبعض والمحبة من شأنها أن توحد هذه الأمة، فالناس بالود يتحدون وبالعداوة يتفترقون، وهذا المعنى نجده في حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى" ١٢٥١، فإذا تخيلنا الأمة الإسلامية في توادها وحبها لبعض مثل الجسد الواحد الذي يرتبط مع بعضه البعض، لوصلنا إلى درجة من الوحدة ما تكفي لنهوضنا، لأن الجسد الواحد يكمل كل عضو فيه الآخر لكي يستمر هذا الجسد في الحياة وكأنها علاقة ود تقوم بينهم، وهذا ما يجب أن يكون عليه المؤمنون لا ينقطع الود والحب بينهم بل يزيد بارتباطهم بالودود الكريم .

على الإنسان أن ينمي هذا الود السامي بمعناه بينه وبين خالقه، ولا يكون ذلك إلا بحرص هذا العبد على نيل رضا مولاه عز وجل وذلك بأمر عديدة منها: الإكثار من ذكر الخالق سبحانه وتعالى، وأن يكون قلبه عامراً يفيض بحب الله تعالى، وإتباع سيرة رسولنا الكريم - صلى الله

١٢٥٠ تعظيم قدر الصلاة للمروزي، ج ٢، ص ٢٩٨ .

١٢٥١ صحيح مسلم، ج ٢، ص ٤٦٨ .

عليه وسلم - كما جاء في كتابه الحكيم : {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ١٢٥٢ ، فحبنا لله تعالى لا يكتمل إذا كان دون حب رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، وكذلك بكثرة النوافل والسنن المحببة، وأن نحب المسلمين خاصة والخلق عامة، فلا نوذي أحداً ولا نبدأ بالسوء، وأن نكون على إيمان بأن الله تعالى يودنا في كل أمر فدفع الضرر عنا هو ود منه إلينا، وكل طعام وشراب هو ود منه لنا، وكذلك كل نوم هادئ مريح هو تقرب من الخالق لنا، ومن أروع صور هذا الود السامي أن نتذكر أن كل ليلة ينزل من السماء دعوة حب من الله عز وجل لكل منذب للتوبة والغفران، واستجابة لكل طالب حاجة فيلبيها له، لهذا فإن حبنا للخالق عز وجل هو نقطة في بحر حب الله سبحانه وتعالى لنا، هذا الود البحر الزاخر بالخيرات والعطايا والسخاء.

ومن الأهمية بيان الود الموصوف به المولى عز وجل، لأن هناك أنواعاً من المحبة والود ينتج عنه الضعف والتذلل، وهذا طبعاً يستحيل في حق الله سبحانه وتعالى، لأن الحب الموصوف به عز وجل غير قائم على الضعف ولا الخنوع، إنما هو حب قائم على الإحسان لنا والرحمة بنا والكرم معنا والقوة والعزة، وهذا هو الحب الذي يختص به عباده المخلصون المستحقون لهذا الود، وهذا ما نراه جلياً في قوله تعالى عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ١٢٥٣ ، فالله تعالى محبته للمؤمنين تعني حفظه وستره وعزته ونصره لهم، وقوله تعالى في كتابه الكريم: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} ١٢٥٤ .

١٢٥٢ آل عمران ، ٣١ .

١٢٥٣ المائدة ، ٥٤ .

١٢٥٤ إبراهيم ، ١٩ ، ٢٠ .

من المستغرب أن يكون بعض البشر لا يستشعرون هذا الود من الودود المطلق، ورغم كل هذه الدلائل وغيرها يصرون على عدم الشكر ورد الود، وأي إحسان قد يقدمه شخص للإنسان يضاهي إحسان الخالق عز وجل الذي خلق الإنسان من لا شيء كما في قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا} ١٢٥٥، وبعد أن خلقه أهدى له أمه وأبيه وأهداه نعمة العقل وأحسن إليه بالعديد من النعم الأخرى طيلة حياته فهل يكون جزاء الإحسان إلا الإحسان كما في قوله عز وجل في كتابه العزيز: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ١٢٥٦.

فلا أقل من أن يتودد الإنسان إلى خالقه عن طريق إقامة الصلاة والصوم والحج كما أحبنا الودود أن نكون في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ١٢٥٧. وغض البصر كما أمرنا الله في قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} ١٢٥٨، وكذلك الإنفاق لقوله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} ١٢٥٩، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قال تعالى، {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ١٢٦٠.

فالخالق الودود قد تودد إلينا بالكون كله، فلنتودد إليه نحن بالإيمان والطاعات والإحسان، ليمتلئ قوادنا وروحنا بحب الله، وحب من أحبهم، وحب ما يحبه من الأعمال، فلا يُعتبر ودوداً كل من أحب المعاصي وتودد إليه، أو تودد إلى من تجمع به تلك المعاصي، فذلك لا يمكن

١٢٥٥ الإنسان ، ١ .

١٢٥٦ الأنعام ، ١٦٢ .

١٢٥٧ لقمان ، ٤ ، ٥ .

١٢٥٨ النور ، ٣٠ .

١٢٥٩ البقرة ، ٢٦٧ .

١٢٦٠ آل عمران ، ١٠٤ .

أن يكون وداً، لأن الود يكون لكل ما هو خير و نفع، كمثل من يُخيل لهم أنهم يتحابون في مجالس شرب الخمر والفساد، أو من يبسطون أيديهم بالحب لأعداء الله تعالى، كما في قوله عز وجل: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ١٢٦١ أي أنه لا تجد يا محمد قوماً يصدّقون الله، ويقرّون باليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وشاقّهما وخالف أمر الله ونهيه لو لو كَانُوا آبَاءَهُمْ) ١٢٦٢، فكل ود لغير مرضاة الله هو خداع وخيال، لأن الخالق عز وجل وضح لنا الفرق بين الود الحقيقي المقبول من العبد والذي يقربه من خالقه وبين هذا الحب الموهوم بين العبد ومن ابتعد عنهم الله ونبذهم من رحمته، فالود الموصوف به خلفاء الله تعالى في الأرض له علامات منها:

أولاً: أن يكون وداً صادقاً خالياً من النفاق وليس كمثل المنافقين في مولاتهم الكفار كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوْلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلَفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ١٢٦٣، أو من يتودد لشخص ما بهدف تحقيق مصلحته، إنما هو ود عامر بكل معاني النقاء والصفاء.

ثانياً: أن يكون وداً دائماً جارياً مع دماء هذا الخليفة، لا ينقطع ولا يتوزع ولا يتجزأ، ويكون وداً ثابتاً لا ينقص مع حلول المحن والمصائب وأن يكون هذا الود بمثابة درع يقيهم خوف الأعداء كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ١٢٦٤.

وثالثاً: أن يكون هذا الود الصافي لاستحقاق الودود ود أكثر.

١٢٦١ المجادلة ، ٢٢ .

١٢٦٢ تفسير الطبري ، ج ٢٣ ، ص ٢٥٧ .

١٢٦٣ المجادلة ، ١٤ .

١٢٦٤ آل عمران ، ١٧٣ .

رابعاً: أن يصل الخليفة بهذا الود إلى مرحلة إيثار حب الله ومودته على كل ما عاداه، فيضحى بنفسه وماله وولده من أجل هذا الودود العظيم كما جاء في محكم آياته عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} ١٢٦٥ .

خامساً: الشعور الدائم بعدم وفاء الخالق عز وجل حقه من الود والحمد والشكر، فالمؤمن الحق هو الذي يصاحبه شعور بأنه مقصر في حق الله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ وَإِنْ كَانَ مِثْلَ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ثُمَّ تُصِيبُ شَيْئًا مِنْ حُرٍّ وَجْهِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ" ١٢٦٦ ، ويتكون هذا الشعور لدى المؤمن لعلمه وبيقينه بأن ود خالقه له لا يمكن أن يُرد بمثله لعدم المقدرة من العبد على ذلك.

والود من المولى عز وجل للخلق ليس وداً واحداً بل هو ود متفاوت، يختلف باختلاف سعي الخليفة لوده، ومرضاته، فالله تعالى بعلمه المطلق والمسبق بخلقه يفضل بعضاً على بعض، دون أن يكون في هذا الاختلاف والتباين ظلماً للعباد، فسبحانه العادل الكريم منزه عن الظلم، وهذا ما جاءت به الآيات الحكيمة: {انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} ١٢٦٧ ، وكذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ} ١٢٦٨ ، أي أنه "قال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتانا، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين" ١٢٦٩ .

فالتميز بين عباد الله هي نعمة من الخالق سبحانه وتعالى يهبها لمن يستحقها، بالود يفضل بعضنا ويخصه، وبالود يشكر خليفته هذا الفضل.

١٢٦٥ الحجرات ، ١٥ .

١٢٦٦ سنن ابن ماجه ، ج ١٢ ، ص ٢٣٧ .

١٢٦٧ الإسراء ، ٢١ .

١٢٦٨ النمل ، ١٥ .

١٢٦٩ الطبري ، ج ١٩ ، ص ٤٣٧ .

تبارك الخالق الودود ذو الجلال والإكرام، الذي وهب لنا نعمة التودد إليه وإلى خلقه، فكيف لنا أن نتصور أن الكون لا يرتبط بهذا الشعور الراقي، الحمد لله الودود الكريم الرحيم الذي لولا فضله علينا ما هदानا، وما يسر لنا سبل المحبة، وما بث فينا حباً إن وعينا جوهره نجونا من النار، وما منحنا أملاً بالمغفرة والتوبة والسماح كما كان هذا أمل الداعين المؤمنين في الآية الكريمة: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} ١٢٧، وما فرنا بجنات النعيم كما وعد الله عباده المؤمنين في كتابه الكريم: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} ١٢٧١.

اللهم يا الودود يا مصدر كل ودٍ نحن فقراء إلى ودك فلا تحرمنا ودك فيه نحيا وبه نموت وبه نبعث وبه ننجو من العذاب.

اللهم الق في نفوسنا وداً من ودك حتى نطمئن واجعل بيننا وبين قومنا وداً ورحمة، اللهم اجعلنا بودك نغنى ونفوز في الدارين وبودك نعمل ونصلي ونسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين، اللهم يا الودود حبيبنا في الطاعات ونفرنا من المعاصي اللهم اجعل بيننا وبين أولادنا وأزواجنا وداً من ودك لا ينقطع ما حيينا، اللهم اجعل بيننا وبين ذكرك وداً واجعلنا من الَّذِينَ يَذْكُرُونَكَ {قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

اللهم يا الودود يا ذا العرش المجيد يا المبدئ يا المعيد يا الفعّال لما تريد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا وأن تبدلها لنا بحسنات إنك جواد كريم رءوف رحيم.

١٢٧٠ البقرة ، ٢٨٦ .

١٢٧١ يونس ، ٩ .

اللهم يا الودود حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان اللهم يا الودود إننا نسألك حب العمل الذي به نبلغ إلى حبك، اللهم زد أعمالنا بحسنات ودك يا الله. اللهم يا الودود إننا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب توحيديك وحب الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحب بيتك المحرم فبلغنا يا الودود ما نوبينا. اللهم يا ودود ألف بين قلوبنا، وفرج كربنا وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات واجعل لنا نور نهتدي به، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا، وأبصارنا، وقلوبنا، وأزواجنا، وذريتنا، وتب علينا إنك أنت الودود.

## المجيد

في لسان العرب المحيط، إذا قارن شرف الذات حُسنَ الفعل سمي مجيداً<sup>١٢٧٢</sup>.  
المجيد: "الذي له المجد العظيم ، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه"<sup>١٢٧٣</sup>.

<sup>١٢٧٢</sup> لسان العرب ، ج ٣ ، ٣٩٥ .

<sup>١٢٧٣</sup> شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، ج ١، ص ٤٣ .



المجيد " هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه ونوله فكأن شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجدا" ١٢٧٤ .

والمجيد لماله من الشرف على كل موصوف بالشرف فإن شرف العالم بما هو منسوب إلى الله أنه خلقه وفعله فما هو شرفه بنفسه فالشريف على الحقيقة من شرفه بذاته، والشرف قيمة بين المستخلفين تستوجب الاحترام والتقدير .

وشرف ذات المجيد سبحانه تتجلى في وحدانيته مصداقا لقوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} ١٢٧٥ ، لا شرف أكبر من أن يكون لا مثيل له في شيء من الصفات والأفعال الحسان، ولا شرف أكبر من أن يكون غنيا في ذاته ولا شرف يقارن بشرفه وهو الأول والآخر سبحانه إنه العلي العظيم، الذي بيده الملك والأمر والنهي وهو على كل شيء قدير .

كما أنه تنزه بقدرته عن فعال البشر سبحانه وتعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا} ١٢٧٦ ، فهو تعالى الواجب الوجود لذاته الغني عما سواه المحتاج إليه ما عداه فهو الجواد المعطي لكل قابل ما يستحق فهو تعالى الحمد له دون غيره عز وجل، وهذا الذي عناه الزمخشري وقال في الكشف: لك أن تأخذ نفي هذه الصفات وهي ذرائع منع المعروف أما الولد فلأنه مبخلة، وأما الشريك فلأنه مانع من التصرف كيف يشاء، وأما الاحتياج إلى من يعتز به أو يذب عنه فإظهار رديفاً لإثبات أضادها على سبيل الكناية وهو وجه حسن؛ ولو حمل الكلام على ظاهره أيضاً لكان له وجه وذلك لأن قول القائل الحمد لله فيه ما ينبى أن الآلية تقتضي الحمد فإذا قلت الحمد لله المنزه عن النقائص مثلاً يكون قد قويت معنى الإلهية المفهومة من اللفظ فيكون وصفاً

١٢٧٤ المقصد الأسنى، ج ١، ص ١٢٣ .

١٢٧٥ الاخلاص ١ . ٤ .

١٢٧٦ الاسراء ١١١ .

لأثقالاً مؤيداً لاستحقاقه تعالى الحمد من غير نظر إلى مدخية الوصف في الحمد بالاستقلال<sup>١٢٧٧</sup>.

وأسماء الله الحسنى هي تعبير عن الذات الكريمة والشريفة: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}<sup>١٢٧٨</sup>، فمن ذا أشرف منه سبحانه وتعالى عما يصفون!.

ومن شرف ذاته أنه غني، وغناه سبحانه مما لا يشترك به أحد معه لأنه:

١- غني عن العالمين: لأنه خالق كل شيء، فهو لم يكن في حاجة لأي شيء، ولهذا الخالق غني والمخلوق فقير وفي حاجة لخالقه، والخالق بطبيعة الحال رزاق كريم، وغني عن العالمين وعليه من لا يكون غنياً يكون في حاجة لآخر يعينه ويساعده، وهذه من صفات المخلوق الذي هو دائماً في حاجة للغني المطلق الذي يهب ويعطي بدون منة، ولا ينتظر مقابل. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنْمَّا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}<sup>١٢٧٩</sup>.

ولأن الله غني عن العالمين ولم يكن في حاجة لسواه، ولا يوجد من بيده ملك غير ملك الله تعالى، فهو لا يصوم ولا يصلي ولا يدعو أحداً، سبحانه له الكمال والجلال، واسع الرحمة لم يلد ولم يولد ولم يكن له مثيل، ولذا فالذي يصلي يصلي لله تعالى، والذي يصوم ويتعبد لا يصوم ولا يتعبد إلا له عز وجل، ولأن الله مبدئ ومعيد فإن كل شيء بيده وتحت سيطرته

<sup>١٢٧٧</sup> تفسير الالوسي، ج ١١، ص ١٣٧

<sup>١٢٧٨</sup> الحشر ٢٢ . ٢٤

<sup>١٢٧٩</sup> فاطر ١٥ . ١٨.

وهيمنتها وحفظها، ولهذا فهو الغني عن العالمين. قال تعالى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} ١٢٨٠، وقال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} ١٢٨١.

٢- غني كريم: الله تعالى مجيد بملكه وغناه، ولذا لو لم يكن غنيا ما كان كريما، ولهذا فالكرم صفة ذاتية والغنى صفة ذاتية للمجيد المطلق جل جلاله. قال تعالى: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} ١٢٨٢، وقال تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ١٢٨٣، وقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ١٢٨٤.

الكريم يملك، ولذا فهو يورث فيما يملك، فيورث من يشاء فيما يملك أو يورثه منه كيف يشاء، متى ما شاء جل جلاله، والرزق الكريم لا يستمد إلا من رزاق كريم، وهذه من صفات الوارث

١٢٨٠ آل عمران ٩٧

١٢٨١ العنكبوت ٣ . ٦ .

١٢٨٢ النمل ٤٠

١٢٨٣ الأنفال ٣ ، ٤ .

١٢٨٤ سبأ ١ . ٤ .

المطلق عز وجل. أما الوارث بالإضافة فلا يورث إلا في دائرة النسبية، أي فيما ملكه من المالك المطلق، ومع ذلك فإن صفة التوريث تستمد من المالكين الذين استمدوا ملكهم من الوارث الأعظم، وهذا لا يعني أن الوارثين يملكون من غير ملك الله، استغفر الله هو المالك وغيره مُمَلَّك. قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ١٢٨٥، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ١٢٨٦.

٣- غني حلیم: الغنى من صفات الخالق، والحاجة من صفات المخلوق، ولذا لو كان الغني غير حلیم لكان غناه لا يفيد الآخرين، ولكن لأنه حلیم فكان حلمه صفة من الصفات الحسان التي بها ينظر بحال من هم في حاجة، وبحلمه يؤتي الحكمة لمن يشاء، ويهب الملك لمن يشاء، ويرزق من يشاء وهو العليم الحكيم بكل أمر، ومن يستمد صفاته منه يستمد من حلمه حلم يجعل حال لسانه الصدق وقوله المعروف ويجعل عمله في مرضاة الله فيتصدق ويتزكى ويفعل الأفعال الحسان. قال تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} ١٢٨٧.

والحلیم هو الذي يُقَدَّرُ الظروف ويعلم بحالها وفقا لقاعدة الظاهر والباطن، ثم يكون فعله فعل الخيرات الحسان، ولذا فبحلمه رعوف رحيم على عباده الوارثين الذين استخلفهم في الأرض ليكونوا مصلحين غير مفسدين ولا سافكي دماء فيها بغير حق. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

١٢٨٥ المائدة ١٧.

١٢٨٦ الزخرف ٨٤ . ٨٦.

١٢٨٧ البقرة ٢٦٣

أَمْوًا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ {١٢٨٨}.

ولأن الخليفة يستمد صفاته من صفات مستخلفه فكان إسماعيل عليه الصلاة والسلام غلاماً حليماً طائعاً لأمر أبيه فيما رأى فكان مصدقاً له وطائعاً لأمره وهذه من طاعة الله الذي أراه الحق فاستجاب له بالطاعة، لتكون الآية شاهداً بأسباب الرؤية التي تصوّر طاعة إسماعيل لأمر الذبح، وتصور التدخل الرباني باستبدال الكبش ليذبح بدلاً من ذبح إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: {فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ {١٢٨٩}.

٤- غني حميد: الغنى زيادة في ملك الخيرات المادية والمعنوية، والحمد صفة من صفات الرضا على الملك من النعم والملك من العطايا والفضائل التي أنعم بها الخالق على عباده، ولكن الحمد لا يكون إلا من مؤمن مهتد للحق وعامل به. وأكثر النعم فضائل هي نعمة العقل الذي يمكن الإنسان من الإيمان والتوحيد وعدم الشرك بالله تعالى، ولهذا فله الحمد على نعمه التي أسبغ بها علينا، قال تعالى: {وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا

١٢٨٨ المائدة، ١٠١، ١٠٢.

١٢٨٩ الصفات، ١٠١، ١٠٢.

لِلْعَالَمِينَ} ١٢٩٠ {ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا  
وَاسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} ١٢٩١ .

فالغني من البشر وإن حرص على حسن ذاته لم يستطع أن يلم بكل المحاسن فغناه ناقص،  
بينما المجيد جمع كمال الغنى فكان كريما حلما حميدا، وعلى الخليفة في الأرض وهو غني  
أن يعلم أن للغنى التام مكملات هي الترفع عن ما عند غيره فلا يرغب فيه، وأن يكون غنيا  
كريما بمعنى لا يبخل على طالب أو محتاج لأنه خليفة الله في الأرض، كما يكون غنيا حلما  
بمعنى أن لا يضيق صدره بكثرة السائلين ولا بكثرة ما سألوا، فإذا استطاع أجاب وإن لم  
يستطع فكلمة طيبة كما أمره المجيد: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ  
غَنِيٌّ حَلِيمٌ} ١٢٩٢ .

وعليه فالخليفة هو:

- \* يتعبد دون شرك مع الطاعة التامة لله تعالى.
- \* في قوله المعروف.
- \* يغفر لمن أذنب واستغفر أو اعتذر بحسن نية.
- \* يتصدق على من هم في حاجة للتصدق.
- \* يتزكى مما أعطاه الله.
- \* يمارس حقوقه في غير معصية الله.
- \* يؤدي واجباته تجاه والديه وأبنائه ومن لهم علاقة به وتجاه وطنه ودينه الذي ارتضاه في  
مرضاة الله تعالى.
- \* يتحمل مسؤولياته تجاه من يجب أن يهتم بهم ويلتفت إليهم بالرعاية والعناية والذود عنهم  
دون ارتكاب لمظالم.

١٢٩٠ آل عمران ١٠٣ . ١٠٨ .

١٢٩١ التغابن ٦

١٢٩٢ البقرة ٢٦٣

\* يعدل بين من يرتضوه حكما بينهم.

\* يعمل على إحقاق الحق في كل مكان وزمان.

\* يعمل على إزهاق الباطل في كل مكان وزمان.

ولأنه مجيد فهو فعّال لما يريد، ومن أكبر أفعاله التي لا تُحصى:

١- الخلق:

والخلق المطلق لا حدود له، ومنه:

أ . الخلق المادي: من سموات سبع ومن فيهنّ وأراضٍ سبع وما فيهنّ وعليهنّ، وهذا الخلق هو الخلق القابل للمشاهدة والوصف. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} <sup>١٢٩٣</sup>، وقال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} <sup>١٢٩٤</sup>.

ب . خلق النفس: التي منها تتعدد الأنفس بين ضالة ومهتدية ومطمئنة وأمارة بالسوء، والنفس هي التي تموت مصداقا لقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} <sup>١٢٩٥</sup>. والنفس قد تضل وقد تهوى والخليفة هو الذي ينهاها عن الهوى طاعة للمجيد ومخافة منه جل جلاله، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} <sup>١٢٩٦</sup>.

<sup>١٢٩٣</sup> البقرة ٢٩.

<sup>١٢٩٤</sup> البقرة ١٦٤.

<sup>١٢٩٥</sup> الزمر ٤٢.

<sup>١٢٩٦</sup> النازعات ٤٠، ٤١.

ولذا فالنفس مخلوق لا مادي مندمج مع الجسد الذي لا يدرك إلا به، ولا يصحو ويتحرك ويستكين إلا به، ولا يعلم ويفكر ويخاف ويظن ويشك ويهتدي إلا به. النفس تلحظ ولا يمكن أن تتم مشاهدتها.

ج . خلق الروح: الروح مخلوق، ومع أنه مخلوق إلا أنه لا يشاهد، ولذا فإن أمر الروح لم يكشف للخليفة إلا من زاوية التسليم بأن أمرها عند ربي، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ١٢٩٧، وقال تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} ١٢٩٨.

ولأن الروح مخلوق فلا بد وأن يكون في حالة حركة مصداقا لقوله تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} ١٢٩٩.

د . خلق الحياة: الحياة مخلوق عظيم، فلو لم تكن الحياة مخلوق ما كان لنا حديث عنها، وإلا هل هناك من ينتظر غير موجود أو يتحدث عنه؟. والحياة حياتان:

\* الحياة الأولى في الدنيا: قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} ١٣٠٠، وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ} ١٣٠١.

١٢٩٧ الإسراء ٨٥.

١٢٩٨ غافر ١٥، ١٦.

١٢٩٩ النبأ ٣٨، ٤٠.

١٣٠٠ البقرة ٨٦.

١٣٠١ البقرة ٢٠٤، ٢٠٧.



\* الحياة الثانية في الآخرة: قال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ١٣٠٢، وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ١٣٠٣، وقال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} ١٣٠٤.

هـ . خلق الموت: قال تعالى: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} ١٣٠٥. الموت مع أنه لا يشاهد إلا أنه يلحظ فلا استغراب في حدوثه ومعرفته وقبوله أمر واقع والإيمان به ضرورة من ضرورات الانتهاء. قال تعالى: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرِعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} ١٣٠٦، وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} ١٣٠٧.

و . خلق البعث: البعث ولادة جديدة بتاريخ قديم فيه تسوى الحسابات، فمن كان خليفة دخل الجنة، ومن لم يكن كذلك فلن يجد له مكاناً فيها وهي ذات عرض كعرض السماوات والأرض

١٣٠٢ البقرة ٣٢.

١٣٠٣ آل عمران ٨٥ . ٨٩.

١٣٠٤ هود ١٠٣.

١٣٠٥ آل عمران ١٤٣.

١٣٠٦ آل عمران ١٦٨ . ١٧١.

١٣٠٧ آل عمران ١٨١.

مصداقاً لقوله تعالى: {سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} ١٣٠٨ .

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} ١٣٠٩ ، وقال تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذرتَهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّفَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} ١٣١٠ .

وبناء على ما تقدم: فإن الله لو لم يكن مجيداً ما كان جواداً بكل ما خلق، وما كان مستخلفاً للإنسان الذي ميزه بأحسن التقويم، فالمجيد كريم بما ترك من أثر وبما أورث المخلوقين فيما ترك من أثر ظاهر وباطن، ولذا فمنه العزة وهو العزيز الحكيم. والخليفة هو من يكون مجيداً في قوله وفعله وسلوكه وعمله، وفي تعبدته وعلمه وطاعته. ومن عظيم فعل المجيد، فقد خلق كل شيء: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ١٣١١ ، ولم يكن خلقاً فحسب بل شفعه بالهداية، لأن الخلق دون هدى كان سيحدث اضطراباً بين العدد الهائل للخلائق، وهذا ليس من حسن الفعال فكان هداه سبحانه لكل مخلوق بأن جعل له دوراً محدداً في هذه الحياة، فالإنسان لتعمير الأرض: {هُوَ

١٣٠٨ الحديد ٢١ .

١٣٠٩ الحج ٥ .

١٣١٠ الروم ٥٥ . ٦٠ .

١٣١١ البقرة، ٢٩

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ<sup>١٣١٢</sup> ،  
 والسموات والأرض لإعانة الإنسان على عمارة الأرض قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي  
 الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْيَمِينَ<sup>١٣١٣</sup> ، والأنعام للمعاش. قال تعالى: {وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ  
 وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ<sup>١٣١٤</sup> ، ومن كل ما  
 خلق زوجين لأجل التكاثر: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ  
 وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ<sup>١٣١٥</sup> .

٢- من أفعال إحداث النقلة: وهي التي بها يجعل من الشيء شيئاً آخر دون أن يكون شبيهاً  
 له كخلقه آدم من التراب، فالأرض كشيء لا تلاحظ ولا تشاهد علاقة ظاهرة بينها وبين الإنسان  
 الذي خلق من أديمها. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ  
 مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ  
 الْحَمِيدُ<sup>١٣١٦</sup> . بالنقلة تلاحظ فارق كبير بين الأرض وهي في حالة جدباء وبين أن تكون  
 مخضرة.

قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ  
 سُنبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ  
 مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ<sup>١٣١٧</sup> .

١٣١٢ هود، ٦١

١٣١٣ ابراهيم، ٣٢

١٣١٤ الأنعام ١٤٢

١٣١٥ يس، ٣٦

١٣١٦ الحج ٦٤

١٣١٧ البقرة ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

والنقلة بلوغ مستوى قيمي أفضل في زمن قياسي قد يكون وفقا لما هو متوقع وقد يكون وفقا لغير المتوقع، ما يجعل غير المتوقعين في حالة استغراب وكأنهم لا يُصدّقون ما يحدث أو ما حصل بالفعل، ولذا فالنقلة تتحقق بعد تطّلع وإصرار وعزيمة عن وعي وإرادة مع تحد لكل الصعاب حتى مغالبتها وتحقيق الأمل. فالذين تتغير أحوالهم من مستوى قيمي منخفض إلى مستوى قيم أكثر رفعة ورقيا هم الذين يصنعون النقلة، وهؤلاء هم الخلفاء حقا.

وما أجمل وأغرب النقلة عندما تكتمل عملية التبخر حتى تتكاثف سحابا ثم تسقط مطرا رحمة من مجيد رحيم، وما أجمل وأروع أن تصبح الحبة الواحدة سنبله فيها مائة حبة، وما أجمل وأروع من نفقة غير متبوعة بمن ولا أذى أن تصبح عند الله أجرا، وما أفضل وأروع نقلة تحدث من قول معروف ومغفرة فيكونا خيرا من صدقة غير متبوعة بأذى والله غني حليم. قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} ١٣١٨.

وبالنقلة يحدث تغيير صورة الشيء بإيجاد الأثر فيه وبغير ذلك، ألا ترى أنك تقول جعل الطين خزفا وجعل الساكن متحركا، وتقول عمل الطين خزفا ولا تقول عمل الساكن متحركا؛ لأن الحركة ليست بأثر يؤثر به في الشيء، فالمجيد ومن حسن فعاله لم يترك ما خلق دون إيجاد الأثر فيه، فقد خلق الإنسان ثم جعل له الحواس التي هي بمثابة الدليل له في معاشه: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} ١٣١٩.

١٣١٨ البقرة ٢٦١ . ٢٦٣ .

١٣١٩ السجدة ٧ . ٩

وكذلك جعل الأرض ذلولا لكي يتمكن الإنسان من استعمارها: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} ١٣٢٠ ، ومن بديع جعله أن ذلل الأرض لراحة الإنسان فيسر له من عوامل الراحة الكثيرة، فجعل لنا الظل والبيوت سكنا قال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} ١٣٢١ ، وذلل لنا الإنعام، ولو أنه سبحانه خلق الإنعام ولم يذلها لنا لما أمكن الاستفادة من شيء منها على نحو الآن: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِيلِ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} ١٣٢٢ .

وكذلك جعل المجيد سبحانه ومن حسن فعاله للبشر المرعى فجعله على صور منها الأخضر الرطب، ومنها الجاف اليابس لكي يسهل حفظه لزمان يختفي فيه الأخضر الرطب من العشب: قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى} ١٣٢٣ . وهذا من رحمة المجيد على الناس إذ اتبع خلقه بالجعل فكان تيسراً منه سبحانه وإعانة على تعمير الأرض، وعلى الخليفة أن يعي ما في الجعل من عبرة وذلك بأن يسهل على الناس معاشهم ويمكن لهم سبل العيش الكريمة التي لا مشقة فيها كفعل المجيد بعباده.

٣- الاستخلاف: ما من عاقل يعي غنى الله عن البشر إلا وأيقن أنه سبحانه مجيد باستخلاف الإنسان على بعض ملكه: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

١٣٢٠ الملك ١٥

١٣٢١ النحل ٨٢، ٨١

١٣٢٢ المؤمن ١٨ . ٢٢ .

١٣٢٣ الأعلى ٤،

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} ١٣٢٤ .

هذا الإنسان الذي خلقه من تراب ثم نفخ فيه من روحه، والخالق يعلم قبل أن يخلقه أنه ضعيف، والخليفة يعلم أنه قوي بإيمانه وخلقته في أحسن تقويم، وفي مقابل ذلك يعلم أنه بدون ذلك من الضعفاء، قال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} ١٣٢٥ ، ضعف الإنسان في إتباعه للشهوات، فإن استمسك واستعصم بحبل الله كان قويا، ولهذا فإن خلقه من حيث الغرائز والمشاعر والعواطف فهو ضعيف ولكن من حيث العقيدة والإيمان فهو قوي، وكذلك من حيث خلقه في أحسن تقويم عقلا وصبغة وقدرة على التفكير والتذكر فهو قوي وذلك باتعاظه وحكمته وإرادته التي تزداد قوة إذا آمن واستعصم من كل ضعف من ورائه طمع.

وعليه فبطمعه لا يكون خليفة في خلقه وإيمانه، بل يكون هلوعا إلا المستخلفين الذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم يتصدقون ولفروجهم حافظون والذين هم يتزكون والذين هم

١٣٢٤ البقرة، ٣٠ . ٣٧ .

١٣٢٥ النساء ٢٧ . ٣١ .

يستغفرون ويتوبون لله. قال تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مَهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ} ١٣٢٦.

والإنسان الضعيف هو الذي يطغى، أما القوي فهو الذي لا يطغى، وذلك لأنه مؤمنا بأنه لا طغيان لمستخلف، فمن طغى ستكون له الجحيم هي المأوى، ولأنه يعلم أن الوارث هو الذي يخاف المجيد عز وجل، والخوف هنا قوة، ولم يعد ضعفا، وذلك لأن الذي لا يخاف لا يتقى ربه، ومن لم يتق الله جل جلاله ستكون له الجحيم مأوى، أما الذي يتقيه فهو القوي الذي ينهى النفس عن الهوى حتى الفوز بالجنة، وهنا تكون القوة.

قال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا كَانَتْهُمُ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} ١٣٢٧، وقال تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْمَعُ أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَىٰ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهَ لِنَسْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} ١٣٢٨.

١٣٢٦ المعارج ١٩ . ٣٩.

١٣٢٧ لنازعات ٣٦ . ٤٦.

١٣٢٨ العلق ٦ . ١٩.

ولأن الضعف يتعلق بالهوى وطمع النفس فكان الضعيف عجولاً، والاستعجال في معناه معاكس للثبات فهو يتداخل مع دائرة القلق وبهذا يكون الفارق بينه وبين الثبات الذي ينتمي إلى دائرة الطمأنينة. قال تعالى: {عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمۥ وَإِنْ عُثِرْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} ١٣٢٩.

ومع كل هذه الصفات إلا أن المجيد سبحانه شاء أن يجعله خليفة في الأرض، ولم يعجل عليه بل علمه وأمهله وهذا من حسن فعله سبحانه، فأى ملك مالك يقبل أن يعطي جزءاً من ملكه ولأى غرض لبشر يفعل فيها ما يشاء مخيراً؟ لاشك أن العدم أولى بالتصديق من الوجود في هذه الحالة، بينما المجيد سبحانه استخلف الإنسان على أرضه وترك له حرية التصرف مع عدم إهماله لأنه ينسى.

قال تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ مَنْ دَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} ١٣٣٠.

٤ . تكوين العلاقات: العلاقة ليست روح ولا نفس ولا بدن بل هي صلة ترابط في أساسها المحبة بين الخالق والمخلوق، ثم استمدت فكانت بين بني آدم مجسدة في علاقات منها:

١٣٢٩ الإسراء ٨ . ١١

١٣٣٠ الحديد ٧ . ١١



\* الزوجية: ولأن الله واحد أحد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوء أحد، وهو الخالق العليم، فلم يكن له شريك في الملك والأمر بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير، فعّال لما يريد سبحانه جل جلاله. ولأنه يَعِدُّ ولا يُعَدُّ إلا توحيداً، خلق الزوجين كثرة ليعُدُّوا ويُعَدُّوا، وهكذا كان أساس الخلق الزوجين مصداقاً لقوله تعالى: { وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّرِّيَّةَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ }<sup>١٣٣١</sup>، وقال تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }<sup>١٣٣٢</sup>، وقال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }<sup>١٣٣٣</sup>، وقال تعالى: { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ }<sup>١٣٣٤</sup>.

من الآيات الكريمة السابقة يتضح أن الزوجية هي أساس التكاثر والبقاء من أجل الاستخلاف والوراثة، ولهذا فإن جميع الخلق هم في أساس خلقهم زوجين، ولم يكن الخالق خالق فقط للجنس الذكوري ثم خلق الأنثى منه، وحتى الذين خلقهم من نفس واحدة هم في أساس خلقهم زوجين، وما النفس الواحدة إلا نفس الله المطلقة التي جاء منها قوله تعالى: { وَاصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي }<sup>١٣٣٥</sup>. أي أنه يخلق كل شيء خلقاً وفي هذا القول دليل على المباشرة الخلقية، قبل أن يكون التكاثر بأسباب الزوجين الذكر والأنثى. ولهذا لا البيضة قبل الدجاجة ولا الدجاجة قبل البيضة، ومن يقل ذلك عليه أن يتذكر قوله تعالى: { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ

<sup>١٣٣١</sup> النجم، ٤٥ . ٥٥ .

<sup>١٣٣٢</sup> هود ٤٠ ، ٤١ .

<sup>١٣٣٣</sup> الرعد ٣ .

<sup>١٣٣٤</sup> الداريات ٤٩ .

<sup>١٣٣٥</sup> طه ٤١ .

تَذَكَّرُونَ). أي لو كانت الدجاجة لوحدها، هل يمكن لها أن تبيض وتخرج الفراخ من بيضها؟ إنه المستحيل وفقا لقاعدة خلق الزوجين، فالبيضة بدون تذكير حيواني لا يمكن أن تخرج فرخا. ولذا فلم تكن البيضة سابقة على الدجاجة ولا الدجاجة تكون إلا في حالتين:

الحالة الأولى: خلقا مباشرا جنبا إلى جنب مع الديك، ثم ثانيا: تكون بعد ذلك بما تبيض مذكرا ليخرج الدجاج الكثرة استمرارا لقاعدة الزوجين.

ولننظر بعد الطوفان كانت الحياة تنتهي لو لم يركب في سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام الزوجين من كل ما خلق جل جلاله.

\* الأبوة والأمومة: الأبوة علاقة عاطفية بين الآباء والأبناء، تملؤها مشاعر المودة الخالصة، وبالنسبة للخليفة تعتبر طاعة الوالدين سبيل مؤدي إلى نيل مرضاة الله عز وجل، ولهذا قال تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا} <sup>١٣٣٦</sup>، وقال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} <sup>١٣٣٧</sup>، وقال تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} <sup>١٣٣٨</sup>.

إذاً الأبوة علاقة محببة من الله تعالى ولهذا وفقا للآيات السابقة فإن طاعتها موسى بها في غير معصية الله تعالى، ولهذا فالأبوة والأمومة علاقات تتكون لأجل بقاء النوع على المودة والمحبة الخالصة لله وللوالدين في كل ما يرضي الله جل جلاله. قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ

<sup>١٣٣٦</sup> الإسراء، ٢٤، ٢٥.

<sup>١٣٣٧</sup> سراء ٢٣، ٢٤.

<sup>١٣٣٨</sup> الأنعام ١٥١.

أُمُّهُ وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ١٣٣٩ .

\* الأخوة: الأخوة علاقة تستمد من علاقات الأبوة، لتستمر العلاقات بين بني آدم المستخلفين حتى يرثوا الأرض ومن بعدها الجنة، تتكون هذه العلاقة من اندماج مشاعر الأبوة والأمومة في معاملة حسنة وتربية رشيدة تؤدي إلى ما هو أحسن، ومن مشاعر الزوجين الذكر والأنثى يحدث التلاقي رغبة وشوقا ووداء، وهذا التلاقي المؤسس على هذه القيم المرغوبة والمفضلة يصبح سلوكا سائدا بين الأطفال بأفعال والديهما، وهكذا تنتقل المشاعر والأحاسيس المحترمة بين الأجيال عن طريق الأخوة ومعاملتهم وتربيتهم الحسنة. ومع ذلك فقد يكون الأبناء فتنة مثلما المال فتنة في الحياة الدنيا، قال تعالى: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} ١٣٤٠، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنََّّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} ١٣٤١، وقال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} ١٣٤٢ .

وعليه من لم يرع أولاده رعاية خيرية، فقد يكون الضلال والانحراف عما يرضي المجيد عز وجل ويرضي الوالدين والمستخلفين فيها بالحق. ولأن الأموال والأولاد فتنة، فلا ينبغي أن يصدق الأبناء فيما يقولون أو يدعون بالمطلق، بل ينبغي دائما تركهم في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع جنبا إلى جنب مع الرعاية والمتابعة والهداية، وإلا كيف ستكون الخلافة والوراثة من بعد أن لم تكن لهم طاعة للوالدين من طاعة الله تعالى؟.

١٣٣٩ لقمان ١٣ . ١٥ .

١٣٤٠ الأنفال ٢٨ .

١٣٤١ التغابن ١٤ ، ١٥ .

١٣٤٢ الكهف ٤٦ .

ولأن النفس توسوس وتظن في غير محله، فقد وسوست نفس قابيل على أخيه هابيل حتى قتله فكانت البادرة غير الحسنة التي ترتب الذنب الكبير عليها، قال تعالى: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ }<sup>١٣٤٣</sup>.

وهكذا سولت النفس لأخوة يوسف حتى رموه في غيابات الجب ليخلصوا منه على حساب مشاعر الأبوة تجاه يوسف قال تعالى: { لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُمِينًا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ افْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْه فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذُّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {١٣٤٤}.

\* العمومة والجيرة: علاقات قري تربط بين الأخوة وأبنائهم لتتسع دائرة معارفهم بعد أن كانت مقتصرة على دائرة الأبوة، والعم يعد في مرتبة الأب قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} {١٣٤٥}.

ولأن لذي القربى علاقة واجبة الاحترام والتقدير فجاء قوله المجيد دليل لصدق العلاقة ومن أجل الاستخلاف والوراثة فقال تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} {١٣٤٦}، وقال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} {١٣٤٧}.

القربى درجات من الأبوة والأمومة إلى الأخوة والعمومة والأخوال قال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} {١٣٤٨}.

١٣٤٤ يوسف ٧ . ٢٢ .

١٣٤٥ الأنعام ٧٤ ، ٧٥ .

١٣٤٦ مريم ٢ . ٦ .

١٣٤٧ النساء ٣٦ .

١٣٤٨ النور ، ٦١ .

علاقات مترتبة حسب الأولوية بين ذي القربى وبين الأصدقاء الذين يربطهم ود في مرضاة  
المجيد جل جلاله، وهذه ترتبت وفقا لما جاء في الآيات السابقة حسب الآتي:

. علاقات البيوت وتشمل عائق أفراد الأسرة الذين يعيشون تحت سقف واحد.

. علاقات أفراد الأسرة الذين لا يعيشون تحت سقف معيشة واحد، مثل بيت الأب بأسباب تعدد  
الزوجات أو بأسباب استقلالية الأبناء مع زوجاتهم أو أمهاتهم، أو بأسباب طلاق الأم  
واستقلاليتها أو بأسباب زواجها من بعد الطلاق.

. علاقات الأخوة الذين استقلوا عن الأسرة بعد عمل أو معيشة في غربة أو غيرها، أو بأسباب  
زواج واستقلالية. وهكذا تكون العلاقات مع الأخوات اللاتي تزوجن ويعشن في بيوت الزوجية  
الجديدة.

. علاقات العمومة من أعمام وعمات وأخوال وخالات، وهؤلاء هم ذوي القربى الذين لهم حق  
فيها وعليهم حق بها.

. علاقات الصداقة: التي تجعل التلاقي يتسع بين بني آدم في دائرة التواد والتحاب في غير  
معصية الله تعالى، فالصديق هو من صدقك القول والفعل، وهو من تؤمنه ويؤمنك، يخلص  
لك ولا يغدر ولا يخون مبادئ التأخي والصداقة. قال تعالى: {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ  
حَمِيمٍ} ١٣٤٩.

\* المواطنة: الوطن ملك لجميع مواطنيه، والمواطنة انتساب للوطن، يعتمد على الآتي:

أولاً: حقوق تمارس: الحقوق تؤخذ بإرادة أو تنتزع بالقوة، ولأنها تؤخذ فهذا يعني أن الحواس  
هي التي يتم بها التعرف على الحقوق، ويتم بها أيضا إشباعها ولذلك تؤخذ الحقوق عن طريق  
الحواس، فعندما تكون المشاهدة حقا فلا ينبغي لأحد أن يحرم آخر منها، وهكذا عندما يكون  
الاستماع والذوق واللمس والتفكير والتعليم والعمل حقوقا فلا ينبغي لأحد أن يحرم آخر منها،  
ولأنها حقوق ينبغي أن تمارس بإرادة. وهكذا فالحقوق تُسَلَّم فُتُسَلَّم عندما تكون في متناول  
الاثنتين أو الأكثر.

والنظام الديمقراطي هو النظام الذي لا تقع فيه الحقوق في خانة المطالب، فإذا كانت في خانة المطالب فإن ذلك يعني أن هناك قيوداً تحول بين الطالب والمطلب {بين المحتاج والحاجة ومشبعاتها}.

فالحقوق ينبغي ألا تكون مطالباً، ينبغي أن تكون إشباعاً تؤخذ بإرادة وفقاً للحاجة، فالسلطة حق والثروة حق لا ينبغي أن تُحتكر من أحد، ولا ينبغي أن تكوناً منةً من أحد. ولا يمكن أن تؤخذ الحقوق أو تمارس ما لم تتوفر اشتراطاتها الرئيسة وهي:

١ . الرغبة: القوة العقلية الموجهة لهدفٍ محدد أو موضوع بعينه، وإحساس نفسي تجاه الآخر وشعور بالميل إليه، وهذا ما يجعل روح التجاذب تُحرّض على المتابعة والاقتراب ممن تتوفر فيه اشتراطات الإشباع المرضي.

٢ . الإرادة: تُعد الإرادة نشاط عقلي على درجة عالية من الوعي يتمكن من خلالها الفرد من اتخاذ القرار بحرية ويتمكن من خلالها من الإقدام على الفعل وفي ذات الوقت يمتلك صاحب الإرادة المقدر على الفعل والسلوك.

٣ . الطلب: نظراً للإحساس بالحاجة والتعرف على بواعث إشباعاتها تصبح المطالبة بالمُشبع كحق لا يمكن التخلي عنه ولا يهدأ البال وتطمئن النفس إلا بأخذ ما يشبع ويحقق الرضا.

والحق في اللغة: هو "الثابت الذي لا يسوغ إنكاره"<sup>١٣٥٠</sup>، والحق كأحد أضلاع المثلث متساوي الأضلاع المتكون من {الحقوق والواجبات والمسؤوليات} يرتبط بعلاقات مع أي ضلع يشترك معه في الزاوية، ولذلك عندما يشترك مع الضلع {أ ج} في الزاوية {ب أ ج} تصبح هذه الزاوية مكوناً علائقياً بين ضلعي الحقوق والواجبات، وهذا الالتقاء بين الضلعين يجعل في الحق واجباً مصداقاً لقوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَفَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ

<sup>١٣٥٠</sup> الفروق اللغوية ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

خَزَنَتْهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ  
نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} ١٣٥١.

فحقت هنا بمعنى وجبت كلمة العذاب على الكافرين، وهذا يعني أن كلمة وجبت تعني في مضمونها كلمة حَقَّتْ. وكذلك في لسان العرب: "حقَّ يحقُّ حقاً تعني وجب يجب وجوباً". إنَّ ذلك يؤكد وضوح العلاقة بين الحقوق والواجبات من خلال الزاوية {ب أج} المحصورة بين ضلعيها وفي ذات الوقت يبين الخصوصية لكل منهما عندما يخضع كل ضلع للدراسة المتخصصة.

ثانياً: واجبات تؤدي: وبما أن الحقوق تؤخذ وتُستلم فإن الواجبات تؤدي في مقابل الاستلام والأخذ، وأداء الواجبات هو الذي يجعل الذات الفردية أو الجماعية والمجتمعية في حالة الإيجاب، أما اقتصار الفرد أو الجماعة والمجتمع على أخذ الحقوق فإن ذلك يجعل المستلم طرفاً سالباً، والذي يغيره إلى حالة الإيجاب هو أدائه الواجبات، ولهذا من الواجب أن تعمل وتفعل وتسلك في مقابل ما أخذت، وهذا لا يعني أن الحقوق والواجبات هما كفتا الميزان في مكوّن ممارسة الديمقراطية بل هناك شيء آخر من مكوناتها ألا وهو المسؤولية، التي تتضح في الزاوية {أ ج ب} عند تلاقي ضلع الواجبات {أ ب} مع ضلع المسؤوليات {ب ج} وهذا التلاقي العلائقي هو الذي جعل في أداء الواجب مسؤولية، ولذلك ورد في الموسوعة الفلسفية العربية بأنه "لا واجب إلا بالإضافة إلى التزام ومسؤولية". ولذا لا يمكن أن يؤدي الواجب بنجاح إلا وتحمل المسؤولية جزءاً من أدائه، وهكذا حال المسؤولية هي الأخرى لا تؤدي بنجاح إلا والواجب يصاحبها، وهذه نتيجة التداخل العلائقي الذي يعبر عنه بدقة في العلوم الهندسية مما جعل لزوايا المثلث قيم يستدل بها أو يستدل عليها. والعلائق في مجملها هي نتيجة وجود الأنا أو الذات والآخر اللذين عندما يلتقيان لا بد أن يحدث الحوار بينهما مما يؤدي إلى القبول والتقارب والتفاعل أو يؤدي إلى الرفض والابتعاد و الفرقة أو الانسحاب، وفي حالة القبول والتفاعل الذاتي تتكوّن العلاقات كما هو الحال بين أضلاع مثلث ممارسة



الديمقراطية المتساوي الأضلاع، وعندما تتكوّن العلاقات يترتب على ذلك بالضرورة أخذُ كما هو مبين في الحقوق، وعطاء كما هو الحال في الواجبات، وهذا يعني أن العلاقة بين المسؤوليات والحقوق والواجبات هي علاقة قرار وأخذ وعطاء، أي في اتخاذ القرار مسؤولية وفي الأخذ حقوق وفي العطاء واجبات، وعليه لا يمكن أن يتمّ الأخذ والعطاء عن وعي إلا والمسؤولية في ذلك سابقة عليهما، ولو أخذنا وليّ الأمر على سبيل المثال: نجد أنه مسؤول على أفراد أسرته وفي الوقت ذاته لهم عليه واجبات ينبغي أن يؤديها تجاههم، وما يعد واجبات على وليّ الأمر تجاه الأسرة هي ذاتها تعد حقوقاً بالنسبة لهم، وهكذا في حالة التبادل يظلّ لوليّ الأمر حقوق ينبغي أن يأخذها أو يطلبها وفي ذات الوقت تعد واجبات على أفراد الأسرة أدائها، ولذلك الحقوق والواجبات والمسؤوليات الذاتية يتم بعضها بعضاً كما تتم أضلاع المثلث المتساوي الأضلاع بعضها بعضاً.

ولكي تؤدي الواجبات بإرادة ينبغي أن تتوفر اشتراطاتها وهي:

١ . الاعتراف: يدل على تفهّم الموضوع والتعرّف من خلاله على ما يجب وما لا يجب، ثم التمسك بما يجب والامتناع عما لا يجب، ولذا فالاعتراف بالواجبات عن وعي يؤدي إلى التمسك بها عن إرادة.

٢ . القدرة: إن امتلاك المقدرة العقلية والمعرفية والاعتراف بوجوبية الأداء قد لا يفيد دائماً ما لم تتوفر إلى جانبها المقدرة البدنية والمقدرة المادية الداعمة للتنفيذ، ولذا فالقدرة طاقة كامنة تتحفز للظهور بعد تهيؤ.

٣ . الثقة: الثقة هي الأخرى مكن الإخلاص، فعندما تتوفر بين أطراف الحوار، يتم الاستئناس والاطمئنان الذي يسرع بعجلة التفاهم والتفاعل الاجتماعي المفيد، فالثقة تعني إزالة الشكوك من صدور ونفوس المتحاورين، فبالثقة تدوم العهود، وتستمر العلاقات وتوثق الروابط بين بني الإنسان.

الثقة حزام أمان للمتحاورين، فكلما توفرت كلما زاد التفاعل بينهم، وتوصلا إلى اتفاق لا تنفصم عراه من بعد. قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ١٣٥٢.

وعليه يقول فرنسيس فوكوياما: "أهم العبر التي نستخلصها من دراسة الحياة الاقتصادية، هي أن إصلاح حال أية أمة والحفاظ على قدراتها التنافسية في السوق الاقتصادية يبقيان مشروطين بتوفر سمة ثقافية وحيدة وراسخة ألا وهي الثقة ومدى توفرها وتأصلها في المجتمع" ١٣٥٣

٤ . الإقدام: يعد الإقدام مرحلة ما بعد التهيؤ حيث الإقبال على أداء السلوك المحقق للفعل، ولا يمكن أن يتم الفعل الإقبالي المؤدي للواجبات إلا برغبة وإرادة.

ثالثا: مسؤوليات يتم حملها: من خلال العرض السابق عرفنا التداخل المعرفي في العلاقة بين الحقوق والواجبات والمسؤوليات، المتعلقة بتحقيق شرف الذات المتوازنة، وعرفنا أن الحقوق تترتب عليها مطالب أو أخذ، وعرفنا أن الواجبات يترتب عليها أداء أو عطاء، وهذه تستوجب حماية أو حراسة تكون لها سندا يبعد عنها المخاطر، ومن مارسها وأداها وتحمل مسؤوليته تجاه ما يقوم به كان مجيدا في حياته، ولذا تصبح المسؤولية هي الضرورة التي تحقق الحماية أو الحراسة، فالحارس أو الجندي الذي يحرس الحاكم أو المصنع لو لم يكن مسؤولا لا يمكن أن يؤتمن جانبه، وهكذا حال الطبيب إن لم يكن مسؤولا، لا يمكن أن يؤدي واجبه بأمانة، فالواجب بلا مسؤولية لا يمكن أن يؤدي بأمانة، وهكذا حال الحقوق إذا لم تؤخذ بمسؤولية لا يمكن أن تؤخذ بأمانة، ومن يحرم من ذلك فلن يعيش في حياته مجيدا.

ولذا تكمن المسؤولية في تحمّل المخاطر أو الأتعاب المترتبة على أداء الفعل أو السلوك سواء كان حقا أو واجبا من أجل المجد والعيش الكريم، ولهذا فهي عبء وأمانة تستوجب التحمل،

١٣٥٢ البقرة ٢٥٦.

Social Virtues and Creetin of Prosperity ،Francis Fukuyama. Trust ١٩٩٥ P ٩. ١٣٥٣

Hamish،London

ولأنها كذلك فهي عملية عقلية تُبنى على معطيات أو مسلمات تستوجب التحليل وإجراء الحسابات الذهنية، وتستوجب التفسير والتمييز بين الخطأ والصواب وبين الحلال والحرام وبين القوة والإرادة، ثم أخذ القرار، وتحمل الأعباء المترتبة على ذلك. إن تحمل المسؤولية يتطلب مبررات موضوعية لممارستها بإرادة وهذه المبررات تحقق المجد لممارسيها وهي:

١ . الصلاحيات: لقد تم الحديث عن المسؤولية الذاتية من الناحية الفكرية، ومن الناحية العملية أو التنفيذية وإن ذلك يتطلب صلاحيات لكي يتمكن الفاعل من القيام بتنفيذ الفعل، ولذا فالصلاحيات هي مجال الامتداد المسموح به للمسؤول الذي عندما يفعل يكون مسؤولاً، وعليه من يريد أن يكون مسؤولاً يجب أن يكون واعياً قبل أن يفعل.

٢ . الاختصاصات: هي مجال الامتداد في دائرة المسموح به، فعندما يلتزم المسؤول بالحركة داخل مجال الامتداد تُعد ذاته متزنة ومعتدلة في الحركة الموجبة، وعندما تخرج عن ذلك تقع في دائرة المساءلة والمحاسبة والعقاب، حيث تعد مثل هذه الأفعال أفعال سالبة أو منحرفة. وعليه لكي تؤدي المسؤولية بإرادة في دائرة الإيجابية ينبغي أن تتماثل الصلاحيات مع الاختصاصات.

٣ . الوعي: ورد مفهوم الوعي في الموسوعة الفلسفة العربية بأنه وظيفة الجهاز العصبي للإنسان، وهو نشاط ذهني أو فكري للعقل، ويدل على إيجاد علاقة بين الذات والموضوع، وبالوعي يتمكن الإنسان من التبيين والمعرفة، كما أنه يتمكن من التمييز بين الأفعال الموجبة والأفعال السالبة والتمييز بين كل مفضل ومرغوب وبين ما هو غير ذلك ومرفوض، ولذا فإن الوعي ذو صلة مباشرة بالمدرجات العقلية التي تمكن الإنسان من التفهم والاستيعاب كما أنها تمكنه من التقويم الموضوعي الذي يجعل من الذات مركز الاعتدال والتوازن الانفعالي والسلوكي.

٤ . القدرة: القدرة الذاتية هي التي تُمكن الإنسان من التحمل لما يجب أن يتم تحمُّله باعتبارها طاقة تستوجب توفر الاستعداد للقيام بالمسؤولية في حدود المقدرة، والقدرة متنوعة المستويات فهي على المستوى النفسي والمستوى البدني والمستوى المادي والمعرفي.

\* التعاون: سمة ذات بعد إنساني، عندما تكون على البر والتقوى، مصداقا لأمر الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ١٣٥٤، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ١٣٥٥، وقال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ١٣٥٦.

وعليه فالتعاون جهود مشتركة نحو أهداف محددة بإرادة ورغبة متبادلة تصنع الأمجاد، وجهود متكاثفة على السراء أو الضراء نتائجها الناجحة تحقق استجابات مرضية للمتعاونين على الفعل المشترك. ولذا فهو العمل معا على إنجاز ما تم الاتفاق عليه من قبل المتعاونين، أفرادا أو جماعات أو مجتمعات. ومنه عائد نفعي ويزيد من فاعلية العمل المشترك ويقوي اللُّحمة بين العناصر المتعاونة على ما يحقق الفوائد المشتركة. ومهنة الخدمة الاجتماعية تَحْتُ العملاء على التعاون من أجل تجاوز الصعاب والتقدم إلى ما يُسهم في إشباع الحاجات البشرية المتطورة عبر الزمن.

التعاون أيضا قد يكون بين مؤسسات حكومية وأهلية في سبيل أداء عمل خيري لمن هم في حاجة إليه.

١٣٥٤ المائدة ٢.

١٣٥٥ الحجرات ١٠.

١٣٥٦ آل عمران، ١٠٣ . ١٠٥.

\* التفاعل: التفاعل اندماج مُرضي في منظومة القيم للأطراف المتداخلة في شبكة العلاقات الاجتماعية والإنسانية عن رغبة وإرادة، وهو تعبير عمّا يجول في الخواطر من مؤثرات نوقية تُسهم في تحقيق الرفعة لمن يحس بلامسةٍ لما كان يأمل أن يلامسه أو يشاركه فيما يرغب بفاعلية. في عملية التفاعل تتهياً الاستعدادات، وتنمو القدرات حتى يحدث الإقدام برغبة واشتياق على أداء الأفعال الواجبة الأداء. أفعال التفاعل إرادية تتم من خلال الالتقاء والمشاركة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتحقق التقدير المتبادل والاعتبار للشخصية المتفاعلة.

\* التكيف: التكيف موائمة نفسية بين الفرد أو الجماعة والبيئة التي هم فيها أو البيئة التي تحيطهم، بعد القبول الضمني بتقديم التنازلات، أو القبول بالتغيير بما يتناسب مع من هم في حاجة للتكيف. ولذا فالسجين الذي في بداية أمره سجين لا يمكنه التكيف مع السجن، ولكن بمرور الزمن يتكيف مع السجن كأمر واقع لا مفر منه، ومهما تحقق له من تكيف مع السجن والسجانين، لا يمكن أن يتوافق معهم ولا مع السجن، ما يجعل الفرق كبير بين التكيف الذي لا يتم إلا بتنازلات وبين التوافق الذي لا يتم إلا بإرادة، وبدون تقديم تنازلات. ولذلك فالتكيف تآلف وتقارب يتم به تعديل السلوك أو تغيير اتجاهه وفقاً لما هو كائن.

\* التوافق: التوافق انسجام إرادي، تتماثل به الأقوال والأفعال بملائمة على الموضوع بين الأنا والآخر، ويتضمن التوافق انسجاماً ومشاركة موضوعية تتطابق فيها وجهات النظر أو الأفكار، ما يجعل المشاركة بين الطرفين موجبة لتساوي كفتيهما بإرادة. وهذا لا يعني أن لا يكون التوافق سالبا، فمثلاً يتوافق الإصلاحيون كذلك يتوافق المفسدون، والفرق بينهما الموضوع والغايات التي من ورائه. ولذلك يكون التكيف للضرورة، ويكون التوافق للوجوب. والتوافق يؤدي إلى مغالبة الصعاب والتكيف يؤدي إلى التسليم إليها. ولذا فالتكيف في مضمونه السلبية إلا إذا كان مترتباً على عملية توافقية. وفي التوافق يكون للإنسان رأياً ومشاركة بدون ضغوط من أحد، أما التكيف في معظم الأحيان فلا.

وعليه فالعلاقة واضحة بين التكيف والتوافق من حيث الآتي:

التوافق لا يتم إلا بمنطق، والتكيف لا يتم إلا بلغة. هناك تكيف بين أهل الأديان، وهناك حالة تكيف بين أهل الشرق وأهل الغرب، ولكن وللأسف لا توافق بينهم، السبب اعتمادهم اللغة في الحوار وابتعادهم عن المنطق في ذلك، التوافق لا يتم إلا برغبة وتراض، أما التكيف للضرورة يتم بغيرهما.

ونظراً لأن التكيف لا يتم إلا مع الموضوع، فقد تكيف السجين مع السجن، وتكيف الأنا والآخر على معظم مواضيع الحوار، كما هو حال الحوار بين الفلسطينيين والإسرائيليين على موضوع السلام، ولكن برغم عملية التكيف التي حدثت فلم يتم التوافق بينهما حتى الآن، وقد يطول هذا الزمن إلى ما هو غير متوقع. التوافق نتيجه الاتفاق، والتكيف نتيجه القبول بالأمر الواقع. التوافق لا يتم إلا بإرادة، والتكيف في معظم الأحيان يتم بدونها.

التوافق نتيجة لوجود طرفين متفاعلين على الموضوع، والتكيف لا يشترط دائماً وجود طرفين، بل في كثير من الأمر يكتفي بوجود {طرف + موضوع - إرادة}، سجن وسجين، نحن وأساليب ممارسة الديمقراطية، نحن والسياسة أو الاقتصاد أو الثقافة. في الحرب العراقية مع جيوش التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية تم استسلام الجيش العراقي كرهاً، وتم القبول باشتراطات الطرف المنتصر على موضوع الاستسلام، بالزمن تكيف المُنهزم مع الهزيمة، واستخدمت اللغة في غير محلها، فحلت كلمة النصر بدل كلمة الهزيمة من قبل الطرف المستسلم {المهزوم} وأُفِتْ الأناشيد وتغنّت بالنصر، مع العلم أن الواقع ليس له علاقة بذلك. الواقع هناك طرف واحد فقط منتصر، في مقابل طرف منهزم. باللغة يتكيف المنهزم ويتغنى، وبالمنطق يتوافق المنتصر ويتغنى.

التوافق لا يمكن أن يتم إلا بوجود {طرفين + موضوع + تفاعل + إرادة}. التقييم المنطقي يضع التكيف على الكفة السالبة للمقياس القيمي، ويضع التوافق على كفته الموجبة. ولذا لا يمكن أن تتم عملية التكيف إلا بتنازلات عن الموضوع أو عن شيء منه مما يجعل المتكيف في حالة تلاؤم، أما التوافق فلا تنازل إلا بمنطق ولا أخذ إلا به وهذا يجعل المتوافق في حالة

انسجام. إذن الفرق كبير بين حالتي التلاؤم والانسجام، فالتلاؤم لا يتم إلا بتنازلات، والانسجام كقوة ترابط لا يتم إلا بالتراضي.

### \* الاستيعاب:

الاستيعاب قيمة احتوائية لا إقصائية، تعتمد تقبل الآخر والاعتراف بوجوده وبممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمل مسؤولياته.

الاستيعاب يُمكن الأطراف من الإلمام بالموضوع ومتغيراته السلبية والإيجابية المؤثرة فيه بشكل مباشر أو غير مباشر، ويُمكن من التشخيص الموضوعي، ولذا على الباحثة أن لا يغفلوا عن الآتي:

١ . استيعاب الإيجابيات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسطة، تمكنهم من التعرف عليها، وتحفّزهم على العمل بها.

٢ . استيعاب السلبيات، وتحديدتها، وإبراز عيوبها وأسبابها والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تتجم عنها.

وبناء عليه لم يكن التحليل الاستيعابي إيقائي بالتمام، ولم يكن غرضه تثبيت المعلومات كما هي {سالبها وموجبها} بل انه تحليل تثبيتي إيزالي، به تُثبت المعلومات الموجبة، وتُزال السالبة، ولهذا يتم استيعاب المعلومات السالبة كما يتم استيعاب المعلومة الموجبة، من أجل معرفة نقاط الاتفاق والاختلاف، حتى تتم عمليات التثبيت للموجب المُفضّل الذي يصنع المجد، والإزالة للسالب غير المفضل الذي لا يسهم في صناعة المجد.

الاستيعاب قيمة احتوائية، تقبل بالاختلافات وتعمل على احتوائها. من طبيعة الخلق لا يتساوون في القدرات والاستعدادات والمهارات ولا حتى في الرغبات والحاجات، ولا في درجة الفهم والمعرفة، ولذا فمن الضرورة سيكون الاختلاف الذي يستوجب التقدير، حتى تتم الفروق الفردية بين الناس بعضها البعض. ولهذا كل مفردة هي في حالة نقص، ولا تستكمل إلا بآخر يستوجب الاستيعاب. وإن لم يحدث الاستيعاب تصبح الفرقة بين الناس هي السائدة، ولأجل

ذلك فإن قيم ممارسة الديمقراطية وحدها التي تمكن من الاستيعاب. وبدونها لا يمكن أن يتحقق التفهم والتفاهم بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

الاستيعاب عملية تفاعلية بين الأنا والآخر تعتمد على القيم المحققة للمجد واعتبار الكرامة لبني الإنسان:

١ . الفهم: فهم الموضوع أو الحالة والإلمام التام بها، من حيث تاريخها، وما يؤثر فيها بالسلب والإيجاب، وفهم متغيراتها وعللها وأسبابها ومراميها والغايات التي من ورائها.

٢ . التفهم: تفهم الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والنفسية والذوقية والثقافية التي تلم بالفرد أو الجماعة، ومراعاة آثارها على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي.

٣ . الاعتراف: من حيث إن لكل فرد حقوق ومن حقه أن يطالب بها ويمارسها. وأن له واجبات يقدم على أدائها. وأن له مسؤوليات فلا يتأخر عن حملها، وتحمل ما يترتب عليها من أعباء.

٤ . التقدير: تحسيس بني آدم بأنه قيمة في ذاته، وأنه مُقدَّر في شخصه وفي قراراته، ومشاعره وخصوصيته، وفيما يرغب أو يقبل أو يرفض.

\* التسامح: قال تعالى: {فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْوٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} <sup>١٣٥٧</sup>، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} <sup>١٣٥٨</sup>.

<sup>١٣٥٧</sup> البقرة ١٧٨.

<sup>١٣٥٨</sup> الشورى ٣٧ . ٤٢.



\* الإصلاح: الصلح قيمة إنسانية بها تقوى العلاقات بين الناس، والإصلاح عمل لأجل إعادة الحق وازدياد العمار، ولذا فإصلاح في دائرة الممكن علائقي ومادي، كإصلاح الأرض، قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} ١٣٥٩، وقال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِمَّن بَعَدِهِمْ لِنُنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} ١٣٦٠. أي للنظر عملكم خيرا أم شرا، والعمل الخير هو الذي به تصلح الأرض ويتم فلاحها وإعمارها بما يفيد وينفع الناس، والعمل الشر هو الذي به يتم الإفساد في الأرض التي جعلها الله تعالى للوارثين المستخلفين الذين يصلحون ولا يفسكون الدماء فيها بغير حق. وهكذا يكون الصلح خيرا مصداقا لقوله تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} ١٣٦١.

ولأجل الإصلاح في الأرض والوراثة فيها قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ١٣٦٢، وقال تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ١٣٦٣، وقال تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} ١٣٦٤.

١٣٥٩ الأعراف ٥٦.

١٣٦٠ يونس ١٤.

١٣٦١ النساء ١٢٨.

١٣٦٢ المائدة ٣٨ . ٤٠.

١٣٦٣ الأنعام ٤٨.

١٣٦٤ محمد ٣ . ١.

\* العمل: ولأنه مجيد عظيم جعل العمل طاعة مصداقا لقوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} ١٣٦٥، والرؤية بيّنة قابلة للمشاهدة والملاحظة، أي أن العمل الصالح لا يُخفى، عن أعين الناس ولا عن المجيد الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ولأن العمل المشار إليه في فترة الرسول عليه الصلاة والسلام فهو المعنى بروية العمل المطلوب القيام به. وبالتالي فإن رؤية الرسول بأسباب الحضور، ورؤية الله لأنه سميع بصير بالمطلق، والمؤمنون لأن العمل الإيماني سيظل حيا حتى بعد الذين قاموا به، ولهذا فعمل الجهاد على سبيل المثال دائما عمل حي باقي مع الذين فعلوه حيا مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} ١٣٦٦، وقال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} ١٣٦٧.

قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ١٣٦٨، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} ١٣٦٩.

١٣٦٥ التوبة ١٠٥.

١٣٦٦ البقرة ١٥٤.

١٣٦٧ آل عمران ١٦٩ . ١٧١.

١٣٦٨ الكهف ١١٠.

١٣٦٩ الفرقان ٦٨ . ٧٦.

\* التذکر: من حسن فعال المجید جل وعلا، فالإنسان الذي استخلفه الله على الأرض يحتاج إلى من يعلمه المنهج القويم الذي من أجله خلق: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ١٣٧٠، فكانت الذكرى: {وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} ١٣٧١، وهي على أنماط مختلفة أولاها إرسال الرسل والأنبياء ليعلموا الناس سبل السلام والمنهج القويم والصراط المستقيم وهو من واجبات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} ١٣٧٢.

ومما ذكر به المجيد عباده الآيات ومنها آيات العذاب: {وَأَتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ} ١٣٧٣، ومنها آيات التدبير حيث يتبين للعاقل أن لهذا الكون رباً مجيداً يدبر أموره: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ١٣٧٤، ومنها آيات الاعتبار التي نراها لكي يعتبر أولى الأبواب فيعودوا إلى ربهم: {إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ١٣٧٥.

وهذا كله من علامات التذكير التي من المجيد سبحانه على عباده بها، وهي من حسن الفعال التي تورث المجد، وعلى الخليفة أن يذكر العباد وهو عارف بنسيانهم وسهوهم وأن يصبر عليهم لان ذلك من حسن الفعال التي تهب هذا الخليفة المجد في الدنيا والثواب في الآخرة.

---

١٣٧٠	الداريات ٥٦
١٣٧١	الداريات ٥٥
١٣٧٢	الأنعام ٤٨، ٤٩
١٣٧٣	الدخان ٣٣
١٣٧٤	الرعد ٢، ٣
١٣٧٥	العنكبوت ٣٤، ٣٥

قال تعالى: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدِ} ١٣٧٦، وقال تعالى: {فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّبِ الْمُنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ} ١٣٧٧، وقال تعالى: {فَذَكَرْ إِن نَفَعَتِ الذُّكْرَى سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} ١٣٧٨.

المجيد رزاق والرزق اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به فلا يجوز منازعته فيه لكونه حلالا له، ويجوز أن يكون ما يغتذيه الإنسان حلالا وحراما إذ ليس كل ما يغتذيه الإنسان رزقا له ألا ترى أنه يجوز أن يغتذي بالسرقة وليس السرقة رزقا للشارق، ولو كانت رزقا له لم يذم عليها وعلى النفقة منها، بل كان يحمد على ذلك والله تعالى مدح المؤمنين بإنفاقهم في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ١٣٧٩.

فالرزق من الله سواء أكان في الدنيا أو في الآخرة، ورزق الدنيا على قدر ما يشاء سبحانه وتعالى لأنه الخبير البصير يعلم أنه لو وسَّع الرزق لبعض العباد لفسدوا وأفسدوا: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} ١٣٨٠، فرزقه سبحانه وتعالى بقدر، ولو سأل سائل فقال: فكيف بالأغنياء الذين يسرفون ويفسدون أليس هذا من رزق الله؟.

والجواب على وجهين:

الأول: إذا سلمنا أنا ما يسرفون فيه من رزق الله فهو من باب الاختبار والاعتبار، والاختبار من أهم ما كتب الله علينا في هذه الدنيا ونبهنا إلى أهمية نتائجه لنعبر فاما النجاح كسيدنا

١٣٧٦ ق، ٤٥.

١٣٧٧ الطور ٢٩ . ٣١.

١٣٧٨ الأعلى ٩ . ١٥.

١٣٧٩ البقرة ٣ . ٥.

١٣٨٠ الشورى ٢٧

سليمان: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} ١٣٨١ .

وأما الفشل كقارون: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِسِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} ١٣٨٢ .

والثاني: أن يكون مصدر الإنفاق من حرام أفعالهم سهل الكسب فهو سهل الإنفاق وهو زيد يجب أن لا يهز إيمان العبد لرؤيته لأنه زائل لا محالة قال تعالى: {فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكْتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} ١٣٨٣ .

أما رزق الآخرة فهو مما لا نعلمه إلا بقدر ما أخبرنا به سبحانه في قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ١٣٨٤ .

والمجيد سبحانه عالم بخلقه يعلم فيهم الطمع في رحمته فترك بعض رزق الآخرة دون تحديد دقيق لمعالمه تشويقاً لهم: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

١٣٨١ النمل ٤٠

١٣٨٢ القصص ٧٦ . ٨١

١٣٨٣ الرعد ١٧

١٣٨٤ البقرة ٢٥

يَعْمَلُونَ<sup>١٣٨٥</sup>، والمعنى: لا تعلم النفوس - كلهنّ ولا نفس واحدة منهنّ لا ملك مقرب ولا نبيّ مرسل - أيّ نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه، لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم، ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها، ثم قال تعالى: {جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فحسم أطماع المتمنين.

ولأنه مجيد فهو المعطي والعطاء غير الرزق إذ الرزق عام والعطاء خاص، والرزق دائما يقع في دائرة الممكن المتوقع أما العطاء فيقع في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، وقد منّ المجيد على عباده أن جعل لكل منهم عطاءً مخصوصاً ولم يمنع أحداً من ذلك، فقال سبحانه: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا<sup>١٣٨٦</sup>، محظورا ممنوعاً عما يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وإن وجد فيه ما يقتضي الحظر كالكفر، وهذا في معنى التعليل لشمول الإمداد للفريقين، والتعرض لعنوان الربوبية للإشعار بمبدئيتها لكل من الإمداد وعدم الحظر<sup>١٣٨٧</sup>.

وكل عطاء منتهي إلا عطاء المجيد فهو دائم: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ<sup>١٣٨٨</sup>.

ودوام العطاء من حسن الفعال للمجيد سبحانه وعلى خليفة الله في الأرض أن يجعل عطاء الناس قريباً من عطاء المجيد فيكون العطاء للمحب وللمبغض على حدٍ سواء، وأن يكون مستمرا غير مخصوص بمناسبة أو بفعل وإنما يكون دائماً.

وحسن فعال المجيد أكثر من أن نقدر على إحصائها وإنما أوردنا بعضها منها كأمثلة وسبحانه وتعالى عما يصفون.

١٣٨٥ السجدة ١٧

١٣٨٦ الإسراء ١٨، ٢٠

١٣٨٧ تفسير الالوسي، ج ١٠، ص ٤١٤

١٣٨٨ هود ١٠٨

والمجيد هو كثير الكرم كل من طلب منه مقصوده وجده، وانه مغن كل من لاذ به، وإغناء المحتاج غاية الكرم ويدل عليه هو أن المجيد مقرون بالحميد في قولنا إنك حميد مجيد، فالحميد هو المشكور والشكر على الإنعام والمنعم كريم فالمجيد هو الكريم البالغ في الكرم<sup>١٣٨٩</sup>، وكرمه شامل للمطيع من عباده وللمذنب، يقول سبحانه للإنسان الذي خلقه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾<sup>١٣٩٠</sup>.

اعلم أنه سبحانه لما أخبر في الآية الأولى عن وقوع الحشر والنشر ذكر في هذه الآية ما يدل عقلاً على إمكانه أو على وقوعه، وذلك من وجهين:  
الأول: أن الإله الكريم الذي لا يجوز من كرمه أن يقطع موافق نعمه عن المذنبين، كيف يجوز في كرمه أن لا ينتقم للمظلوم من الظالم؟.

الثاني: أن القادر الذي خلق هذه البنية الإنسانية ثم سواها وعدلها، إما أن يقال: إنه خلقها لا لحكمة أو لحكمة، فإن خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثاً، وهو غير جائز على الحكيم المجيد، وإن خلقها لحكمة، فتلك الحكمة، إما أن تكون عائدة إلى الله تعالى أو إلى العبد، والأول باطل لأنه سبحانه متعال عن الاستكمال والانتفاع. فتعين الثاني، وهو أنه خلق الخلق لحكمة عائدة إلى العبد، وتلك الحكمة إما أن تظهر في الدنيا أو في دار سوى الدنيا. والأول باطل لأن الدنيا دار بلاء وامتحان، لا دار الانتفاع والجزاء، ولما بطل كل ذلك ثبت أنه لا بد بعد هذه الدار من دار أخرى، فثبت أن الاعتراف بوجود الإله الكريم الذي يقدر على الخلق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل أن يقطع بأنه سبحانه يبعث الأموات ويحشرهم، وذلك يمنعهم من الاعتراف بعدم الحشر والنشر، وهذا الاستدلال هو الذي ذكر بعينه في سورة التين حيث قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾<sup>١٣٩١</sup> وهذه المحاجة

<sup>١٣٨٩</sup> تفسير الرازي، ج ١٤، ص ٢٠٥

<sup>١٣٩٠</sup> الانفطار ٦

<sup>١٣٩١</sup> التين ٤ . ٨.

تصلح مع العرب الذين كانوا مقرين بالصانع وينكرون الإعادة، وتصلح أيضاً مع من ينفي الإبتداء والإعادة معاً، لأن الخلق المعدل يدل على الصانع وبواسطته يدل على صحة القول بالحشر والنشر، فإن قيل: بناء هذا الاستدلال على أنه تعالى حكيم، ولذلك قال في سورة التين بعد هذا الاستدلال: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ} ١٣٩٢.

والمجيد كريم يقدم كرمه للناس على العموم دون أن ينقص ذلك منه شيئاً لأنه الغني ويترك لهم الشكر أو الجحود: {وَإِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} ١٣٩٣، فإذا شكر العبد ربه على كرمه معه زاده المجيد كرماً من عنده فجعل له بركة في الدنيا وأجرًا في الآخرة، أما إذا جحد العبد وكفر فالمجيد الكريم لا يقطع العطاء بل يفتح باب التوبة، فإذا تاب وأصلح فإن الله غفور رحيم: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ١٣٩٤، وإذا أصر العبد على كفره فإن الله هو الغني: {إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} ١٣٩٥.

ولأنه مجيد فهو الرفيع العالي القريب، سبحانه عظيم ومطلق في أمجاده وعلوه وفي قربه ولذا فهو السميع العليم، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} ١٣٩٦ وهو غير محدود بمكان أو بمساحة تجلت صفاته أن تدركه الأبصار أو أن تحدد له قدراً مكانياً أو زمانياً، بل عالي الشأن، وإذا تأمل العاقل في شأن المجيد سبحانه وجده من العلو والرفعة بما يفرح المؤمن ويغيض الكافر، فهو الكريم الذي يعطي ولا يأخذ لغناه عن الحاجة تقدر سبحانه، وهو الذي يقبل التوبة عن المذنبين مهما كان الذنب إلا أن يُشرك به قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا

١٣٩٢ التين ٨

١٣٩٣ ابراهيم ٧

١٣٩٤ المائة ٣٩

١٣٩٥ الزمر ٧

١٣٩٦ البقرة ١٨٦



دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا<sup>١٣٩٧</sup> ، وتنادت حسرات المشركين ممن ندموا وتحسروا على إشراكهم بالله فجاءت رحمته وهو القوي لتبشرهم: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}<sup>١٣٩٨</sup> ، فهل بعد ذلك من علو شأن؟ لا الله إلا الله كيف يجحد المخلوق هذا الفضل للخالق جل جلاله؟.

وعلى الخليفة أن يعي أن المجيد الغفار لكل الذنوب إنما يعلمه أن يكون رحيما بالعباد وأن لا يستكبر الأخطاء فلا يغفر ويترك الرعية في هيام دائم .

ومن علو شأن المجيد أنه سبحانه يؤخر الحساب: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}<sup>١٣٩٩</sup> محبة بعباده لأنه قادر على محاسبة المذنب حال ارتكاب الذنب لكن ذلك ليس من صفاته تعالى فهو الكريم الغفور الذي يريد لعباده أن يستغفروا ليغفر لهم فيتجاوز عن سيئاتهم، ولحكمة أخرى تدل على علو شأنه سبحانه وتعالى، فلو تصورنا أن العقاب يكون حال وقوع الظلم أو الذنب لما يمكن أن تعمر الأرض وهو من أبرز مهام الإنسان التي كلفه الله بها، فكم من عالم ظلم ثم تاب ولو وقع عليه العذاب مباشرة لما كان يمكن تصور حال الأرض بذلك الأمر.

ولأنه مجيد فهو العظيم لأن أصل المجد العظم إلا أنه جرى على وجهين عظم الشخص وعظم الشأن فيقال: تمجدت الإبل تمجدا إذا عظمت أجسامها لجودة الكلاء وأمجد القوم إبلهم إذا رعوها كلا جيدا في أول الربيع، ويقال في علو الشأن مجد الرجل مجدا وأمجد إمجادا إذا عظم شأنه، وبهذا فإن تمجيد الله تعظيمه عز وجل<sup>١٤٠٠</sup>.

١٣٩٧ النساء ١١٦

١٣٩٨ الزمر ٥٣

١٣٩٩ النحل ٦١

١٤٠٠ الفروق اللغوية ، ج ١ ، ص ٤٨٢

وهو العظيم في ذاته جل جلاله وصفاته سبحانه فإنه تعالى شأنه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة<sup>١٤٠١</sup>، والمجيد عظيم في كل شيء ويكفي لذي اللب واحدة من آيات عظمته ليعرف أنه العظيم، فالروح من آيات عظمة المجيد، لأنها من عنده وحده قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}<sup>١٤٠٢</sup>، هو يهبها وهو يسلبها وليس لأحد غيره أن يهب أو أن يسلب هذه الروح: {لَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}<sup>١٤٠٣</sup>، أما من يقول: إن بإمكانه قتل إنسان فاسلب روحه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}<sup>١٤٠٤</sup> فهو باطل لأن القاتل أن يضرب الجسد فتغادره الروح إلى خالقها فهل بإمكانه أن يقتل ويسلب الروح فتكون عنده؟!.

والمجيد عظيم في كل شؤون الوجود ويكفي من آيات عظمته خلق الشيء ومن العدم ينزل المطر ماء عذبا للشاربين والحارثين والزارعين والراعين، وهو الذي يجعل العدم سبحانه يملك الأمر مالك الملك، ولو شاء لجعل ماء المطر مالحا لا ينتفع به حي ومن عظمته جعله ماء عذبا ينتفع به البشر والشجر والحيوان وجعله من أسباب الحياة مناً منه وفضلان وشمل به كل خلقه على حدٍ سواء فهل من مجيدٍ عظيم له مثل هذا الفعل إلا الله المجيد سبحانه وتعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْزَلْنَاهُ مِنْ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا

١٤٠١ تفسير الالوسي، ج ٢، ص ٣٣٢

١٤٠٢ الاسراء ٨٥

١٤٠٣ الواقعة ٨٣ . ٩٦

١٤٠٤ البقرة ٢٥٨

فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَنَّكُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} ١٤٠٥.

ولأنه المجيد فهو الفَعَالُ لما يريد: {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ} ١٤٠٦، الفَعَالُ لما يريد يحب من يشاء بلا علة ولا سبب ويمقت من يشاء بلا ضرر يلحقه ولا تعب يقرب من يشاء بلا عمل ويبعد من يشاء بلا زلل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء الله لهدى الناس جميعا.

إنه المسير للكون والحركة والسكون والزمان والمكان وهو الذي استوجب من العبد التعبد له لأجل الاستخلاف في الأرض والفوز بالجنة، فمن نعمه أن جعل لنا الصوم شهرا تاما من الرؤية إلى الرؤية، ليجازي به المستخلفين في الأرض وترك لهم الحرية في حدود الطاعة والدعوة الخاتمة لأحدى عشرة شهرا، مصداقا لقوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ١٤٠٧. فمن واجب الخليفة إذن تيسير الأمور على الرعية لا تعقيدها، وعليه أن يبحث عن السبل التي تسهل عليهم حياتهم.

ولهذا فالمجيد عز وجل يريد تحقيق العدل في الأرض: {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ} ١٤٠٨، وتحقيق العدل من واجب الخليفة بل من أهم واجباته ويجب أن يكون فعالا في تحقيق العدل كما علمه المجيد جل وعلا.

المجيد المطلق هو الذي بين كل شيء تبينا، مصداقا لقوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ١٤٠٩.

١٤٠٥ الواقعة ٦٨ . ٧٤

١٤٠٦ البروج ١٥، ١٤

١٤٠٧ البقرة ١٨٥

١٤٠٨ آل عمران ١٠٨

١٤٠٩ النساء ٢٦

ولأنه المجيد الرحيم فهو الذي يتوب على عباده المستخلفين فيها وهو الذي يتم نعمه عليهم حتى يرثوا الأرض والجنة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾<sup>١٤١٠</sup>، ويجب على الخليفة الوقوف متأملاً أمام هذه الآية العظيمة فيجعل الحدود التي تمنع شيوخ الشهوات المورثة للفساد.

سبحانه لأنه مجيد فهو يريد أن يخفف على عباده في الأرض لمعرفة بضعف الذين لا يؤمنون بعد لعلمهم يهتدون، فقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾<sup>١٤١١</sup>.

ولأنه مجيد عظيم أوجب الطهارة بين الناس في الحركة والسكون وفي التعب والعمل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>١٤١٢</sup>، وكذلك المجيد يريد الطهارة تتجاوز الماديات والمحسوسات إلى القيم والفضائل حتى تسود الأخلاق اللطيفة معاملة بين الناس في أقوالهم وأفعالهم وإعمالهم وسلوكياتهم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>١٤١٣</sup> قال أبو إسحق معناه طهراه من تعليق الأصنام عليه، وقال الأزهري في قوله تعالى أن طهرا بيتي يعني من المعاصي والأفعال المحرمة وقوله تعالى يَنْتَلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً من الأدناس والباطل<sup>١٤١٤</sup>.

١٤١٠ النساء ٢٧

١٤١١ النساء ٢٨

١٤١٢ المائدة ٦

١٤١٣ البقرة ١٢٥

١٤١٤ لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٥٠٤

ولهذا للطهارة سبل ذكرها المجيد سبحانه في قوله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} <sup>١٤١٥</sup>، فالتقوى والمعروف قولاً وفعلاً وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من السبل التي تحقق الطهارة الروحية. وتأكيده على الطهارة قال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} <sup>١٤١٦</sup>، وقال تعالى: { وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَبْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} <sup>١٤١٧</sup>.

ولأنه المجيد أرادنا أن نعمل العقل لما في ذلك من تحقيق للعدل وأن نتذكر لنتعظ وأن نفكر لنعرف ونتعلم، ونترك الهوى لما فيه من الإسراف والظلم المؤدي للوقوع بالذنب: {وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} <sup>١٤١٨</sup>.

ولأنه مجيد يريد لنا أن ننال ثواب الآخرة ليصدقنا وعده ويكرمنا بعفوه: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتَّخَذَ فِي الْأَرْضِ تَرْيُدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} <sup>١٤١٩</sup>. ولأنه مجيد فهو سيعذب المنافقين في الدنيا قبل الآخرة وذلك بما يمتلكون من أموال وأولاد، فكم من البشر ممن لا يهناً بدنياً خوفاً على أمواله، وممن تذوق مر العقوق من أبناء اعتقد أنه

<sup>١٤١٥</sup> الأحزاب ٣٣، ٣٢

<sup>١٤١٦</sup> الواقعة ٧٧ . ٨٠.

<sup>١٤١٧</sup> الأعراف ٨٢ . ٨٤.

<sup>١٤١٨</sup> المائدة ٧٩

<sup>١٤١٩</sup> الأنفال ٦٧

سيكونون عوناً له: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} ١٤٢٠.

ولأنه المجيد العظيم فهو يريد أن يهدينا السبيل فيذكرنا بثوابه وعقابه وللعاقل أن يختار فأما الخلود في النار وأما الخلود في الجنة: {يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ} ١٤٢١.

وعليه لا مفر إلا الاستغفار والتوبة إنه الغفور التواب الرحيم، اللهم اجعلنا من المستخلفين فيها ومن الوارثين ولا تجعلنا من المفسدين وسافكي الدماء فيها بغير حق، ولا تجعلنا تحت الغلبة لمن كان أو يكون، واقهر أعدائنا أعداء الدين الذين يريدون الضلال ونحن نريد الهداية.  
أمانى الضالين:

١- أن يكون جل همه الإنسان الدنيا حتى يفشل ويقع في المعاصي وينسى الآخرة: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} ١٤٢٢. ولكن المستخلفين هم الذين لا ينسون نصيبهم من الدنيا وفيها يحسنون حتى الفوز بالجنة.

٢- أن تقع العداوة والبغضاء بين البشر لأنها مما يريده الشيطان: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} ١٤٢٣، والمجيد سبحانه يريد عكس ذلك يريد أن تسود المحبة والألفة حتى مع أعدائنا

١٤٢٠ التوبة ٥٥

١٤٢١ هود ١٠٥ - ١٠٨

١٤٢٢ ال عمران ١٥٢

١٤٢٣ المائة ٩١

في سبيل تقربهم إلى الحق والهداية قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} ١٤٢٤.

٣- أن يحكموا الطاغوت، والطاغوت كل من طغى في العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين: {الْم تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} ١٤٢٥، فعلى المؤمن أن يحرص على أن لا يكون ممن يأخذوا بحكم الطاغوت مهما كانت الأسباب والدوافع. قال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ١٤٢٦، وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ١٤٢٧.

٤- يريدون الخيانة: {وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ١٤٢٨، وعليه فالخيانة مما لا يريده المجيد وعلى الخليفة أن لا يقبل بالخيانة كسلوك بين رعيته وإن كانت من مقرب لأنها سلوك مشين يورث غضب الله.

٥- الخداع وهو مما بني عليه أعداء المجيد عز وجل ليميلوا بالناس عن الطريق القويم: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} ١٤٢٩.

٦- يريدون الفجور وهذه دعواهم التي يحاولون بها استمالة شهوات الناس وتحريك حاجاتهم الفطرية بما لا يرضي المجيد جل جلاله: {بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} ١٤٣٠.

١٤٢٤ فصلت ٣٤

١٤٢٥ النساء ٦٠

١٤٢٦ البقرة ٢٥٧.

١٤٢٧ النحل ٣٦، ٣٧.

١٤٢٨ الأنفال ٧١

١٤٢٩ الأنفال ٦٢

١٤٣٠ القيامة ٥

٧- يريدون إشاعة الخوف والحرص على الحياة الدنيا: {وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} ١٤٣١.

٨- يريدون الضلال للناس وذلك بصرفهم عن نور الله وهو القرآن فيصفوه بشتى الأوصاف المنفرة ليصرفوا الناس عنه: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} ١٤٣٢.

٩- يريدون الكيد وهو من شرورهم التي ينالون بها من المؤمنين: {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ} ١٤٣٣.

١٠- يريدون تغيير ما أقره الله على الإنسان في القرآن الكريم فيبدلوا ويغيروا قال تعالى: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا} ١٤٣٤. لذا فالحرص على ترك هذه الأمور يوصلنا إلى ما يريده المجيد حيث الفلاح والنجاح. وبعد كل هذا يجب على الخليفة أن يعرف حقيقة المعرفة ما يريد المجيد وما لا يريد ويعمل بما يريد ويترك ما لا يريد فينال المجد في الدنيا والآخرة.

المجيد هو العزيز الذي بيده إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ولأنه مجيد فهو القوي القادر على الفعل وهو على كل شيء قدير، فكل من في السموات والأرض في قبضته يفعل بهم كيف يشاء، وهو الذي يحيي ويميت: {إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} ١٤٣٥، وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء قال تعالى: {قُلْ

١٤٣١ الأحزاب ١٣

١٤٣٢ التوبة ٣٢، ٣٣

١٤٣٣ الطور ٤٢

١٤٣٤ الفتح ١٥

١٤٣٥ التوبة ١١٦



اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ<sup>١٤٣٦</sup>. وقيل: تعز بالإخلاص وتذل بالرياء، وقيل: تعز الأحاب بالجنة والرؤية وتذل الأعداء بالنار والحجاب؛ وقيل: تعز بالقناعة والرضا وتذل بالحرص والطمع ومن القول الكثير اجتهادات من أجل معرفة الحقيقة، والحقيقة بالمطلق لا يعلمها إلا هو جل جلاله. سبحانه رحمته وسعت كل شيء وهو غني عن رحمة غيره: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}<sup>١٤٣٧</sup>.

فالمجيد عزيز بكونه هو المعز لغيره ولا معز له وهو المذل لغيره ولا مذل له وهو القادر على غيره ولا قادر عليه وهو المهيمن على كل شيء ولا شيء يهيمن عليه سبحانه لا إله إلا هو واحد أحد.

والمجيد عزيز فلا أحد يستطيع أن يضره أو ينفعه بل هو الذي يصيب بالضرر أو النفع من يشاء: {إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}<sup>١٤٣٨</sup>، وقال تعالى: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}<sup>١٤٣٩</sup>.

فالمجيد بيده أن يقضي على كل من في الأكوان من بشر وشجر وخالق أخرى وليس لأحد أن يقضي عليه سبحانه، فأكبر عتاة الدنيا كانوا في قبضته، فهذا فرعون يشعر بقدرة المجيد على أن يقضي عليه فينصاع إلى أمر الله لكن بعد فوات الأوان: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ

<sup>١٤٣٦</sup> آل عمران ٢٦، ٢٧

<sup>١٤٣٧</sup> غافر ٧

<sup>١٤٣٨</sup> آل عمران ١٧٧

<sup>١٤٣٩</sup> الفتح ١١

بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ  
بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لِعَافِلُونَ{<sup>١٤٤٠</sup>.

ومن عَزَّزَ المجيد أن الأرواح بيده يقبضها متى شاء ويرسلها متى شاء: {اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ  
حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ  
مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ{<sup>١٤٤١</sup>، بل ليس لأحد أن يرد ما قضى في شيء لا من  
حيث الفعل ولا من حيث زمنه ولا مكانه، فمن حيث الفعل ليس لمخلوق قدرة على رد الموت  
عن أحد: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ  
فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ{<sup>١٤٤٢</sup>.

ولأنه مجيد وفعال لما يريد، فالذين من دونه أمرهم بحساب رغما الزمن، قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَ  
أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ{<sup>١٤٤٣</sup>.

وكما أنه لا عائق زمني عن تنفيذ أفعاله المجيدة، فكذلك لا عائق مكاني قال تعالى: {أَيُّنَمَا  
تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ  
تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ  
حَدِيثًا{<sup>١٤٤٤</sup>.

ولأنه مجيد فهو كثير الخير والإحسان والعطاء الكريم، وخيره وإحسانه سبحانه وتعالى مما لا  
يحصى لأن الخير كله منه فمهما عددت وحرصت على إحصاء الخير والإحسان الذي  
يُحسب للمجيد تقصر عن ذلك لعدم استطاعتك الإمام بخيره وإحسانه وعطائه وجوده وكرمه،  
ومن صور خيره وإحسانه تحقيق رغبة العبد المطيع وإن اخترقت العادة كما في قصة سيدنا  
إبراهيم عليه الصلاة والسلام: {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

١٤٤٠ يونس ٩٠ . ٩٢

١٤٤١ الزمر ٤٢

١٤٤٢ الواقعة ٨٣ . ٨٧

١٤٤٣ النحل ٦١

١٤٤٤ النساء ٧٨

إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ<sup>١٤٤٥</sup>، فقد تعجبت زوجة سيدنا إبراهيم بحسب العرف والعادة لا بحسب القدرة فإن الرجل المسلم لو أخبره مخبر صادق بأن الله تعالى يقلب هذا الجبل ذهباً إبريزاً فلا شك أنه يتعجب نظراً إلى أحوال العادة لا لأجل أنه استنكر قدرة الله تعالى على ذلك، ولذا فإن رحمة الله متكاثرة وبركاته متوالية متعاقبة ومتصلة ومستمرة عبر الزمان والمكان، وهي النبوة والمعجزات القاهرة والتوفيق للخيرات العظيمة فإذا رأيت أن الله خرق العادات في تخصيصكم بهذه الكرامات العالية الرفيعة وفي إظهار خوارق العادات وإحداث البيئات والمعجزات، فكيف يليق به التعجب، والحميد هو المحمود وهو الذي تحمد أفعاله، والمجيد الماجد، وهو ذو الشرف والكرم والمكانة العالية، ومن محامد الأفعال إيصال العبد المطيع إلى مراده ومطلوبه، ومن أنواع الفضل والكرم أن لا يمنع الطالب عن مطلوبه، فإذا كان من المعلوم أنه تعالى قادر على الكل وأنه حميد مجيد.

ومن عظيم خيره وإحسانه أنه يقسم الأرزاق بين العباد فيصيب منها المطيع نصيباً ويصيب منها العاصي نصيباً فلا فرق بينهما لأنهم عباده وهو ربهم الذي خلقهم: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ}<sup>١٤٤٦</sup>، وإنما الطاعة والعصيان من شأن البشر وهي إما لهم أو عليهم: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}<sup>١٤٤٧</sup>، أما المجيد فخيره وإحسانه لكل من خلق، فالغيث النافع ينزل بخير وإحسان المجيد على الأرض ليسقي ارض المطيع من العباد والعاصي منهم إحساناً من المجيد: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}<sup>١٤٤٨</sup>، والعموم في واضح للدلالة على أن الغيث لكل البشر وجاء تأكيد هذا المعنى بقوله عز من قائل {الولي الحميد}، فالله هو ولي الكون ولا ولي غيره وخيره للجميع، فعلى الخليفة المساواة بين الرعية لاسيما في المعاش

١٤٤٥ هود ٧٣

١٤٤٦ الرعد ٢٦

١٤٤٧ الإسراء ٧

١٤٤٨ الشورى ٢٨

فلا يمنع لبغض ولا يمنح لحب، ولذا فعلى الخليفة أن يفهم أن المعاش للجميع وعلى قدر العمل، ولكل مخلوق رزقا.

ولأنه المجيد فله الحسن الكريم الذي به يضيف إحسانه على البشر فيجازيهم بالحسنة عشر أضعافها ولا يجزي بالسيئة إلا مثلها: لَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ<sup>١٤٤٩</sup>، لذا وجب على الخليفة أن يتخلق بالإحسان فيجعل للمحسنين جزاءً موفورا ولا يبالغ في معاقبة المسيء؛ لأن المجيد سبحانه لا يجزي بالسيئة إلا مثلها، كما يعلم خليفته أن لا يزيد في العقاب دون حده فيقول: {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى<sup>١٤٥٠</sup>، وقد كررها المجيد خمس مرات ليفهم الخليفة ما عليه من واجب الانتباه إلى مثل هذا الأمر الذي يورث الكثير مما لا يريده المجيد لعباده والخليفة منهم.

اللهم يا المجيد يا فعّال لما تريد بالشكل الذي تريد، افعل بنا ولنا الخير الذي تريد، واجعلنا يا المجيد نفعل ما تريد بالوجه الذي تريد، واقضي لنا الخير حيث كان في الأرض لنقيم عليها ما أردت من خلافة، وفي السماء وما يغيب فيها لنتوجه إليك فتفيض علينا من مجدك الشامخ وملكك الباذخ، اللهم بمجدك يا المجيد نسألك قلوبا أواهة مخبئة منيبة في سبيلك، ونسألك عزائم مغفرتك ومنجيات أمرك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار.

١٤٤٩ الأتعام ١٦٠

١٤٥٠ النجم ٣٨

## الباعث

الباعث: "هو الله تعالى يبعث الخلق كلهم ليوم لا شك فيه فهو يبعثهم من الممات ويبعثهم أيضا للحساب"<sup>١٤٥١</sup>.

الباعث: من أسماء الله تعالى الحسنی، يوحى بالقدرة والعظمة والإعادة، لم يرد هذا الاسم الكريم بلفظه في القرآن الكريم، إنما ورد بصيغ مختلفة وكلها مأخوذة من البعث، والْبَعَثُ في كلام العرب على وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْإِرْسَالُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى" معناه: أَرْسَلْنَا. وَالْبَعَثُ: إِثَارَةٌ بَارِكٌ أَوْ قَاعِدٌ. وَالْبَعَثُ أَيْضاً: الْإِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ لِلْمَوْتَى وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ" أَي أَحْيَيْنَاكُمْ. وَالْبَعَثُ: النَّشْرُ وَبَعَثَ الْمَوْتَى: نَشَرَهُمْ لِيَوْمِ الْبَعَثِ وَبَعَثَ اللَّهُ الْخَلْقَ يَبْعَثُهُمْ بَعَثًا: نَشَرَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَفَتَحَ الْعَيْنَ فِي الْبَعَثِ كُلَّهُ لُغَةً. وَمِنْ أَسْمَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ الْبَاعِثُ: هُوَ الَّذِي يَبْعَثُ الْخَلْقَ أَي يُحْيِيهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>١٤٥٢</sup>.

وفي سياق حديثنا عن اسم الباعث جل جلاله سترد لفظة ملازمة له وهي لفظة النشور، والنشر ليس مثل البعث، بل أن هنالك فرق بينهما، فالفرق بين البعث والنشور: أن بعث الخلق اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف ومنه قوله تعالى: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}<sup>١٤٥٣</sup> والنشور اسم لظهور المبعوثين وظهور أعمالهم للخلائق ومنه قولك نشرت اسمك ونشرت فضيلة فلان إلا أنه قيل أنشر الله الموتى بالألف ونشرت الفضيلة والثوب للفرق بين المعنيين<sup>١٤٥٤</sup>.

والباعث جل جلاله هو الذي يحيي الخلق يوم النشور ويبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور، والبعث هو النشأة الآخرة ومعرفة هذا الاسم موقوفة على معرفة حقيقة البعث وذلك من أغمض المعارف وأكثر الخلق منه على توهمات مجملة وتخيلات مبهمة وغايتهم فيه

<sup>١٤٥١</sup> تفسير أسماء الله الحسنی، ج ١، ص ٥٣.

<sup>١٤٥٢</sup> - تاج العروس، ج ١ ص ١٢١٤.

<sup>١٤٥٣</sup> - يس ٥٢.

<sup>١٤٥٤</sup> - الفروق اللغوية، ج ١، ص ١٠٣.

تخليهم أن الموت عدم والبعث إيجاد مبتدأ بعد عدم مثل الإيجاد الأول فظنهم أن الموت عدم غلط وظنهم أن الإيجاد الثاني مثل الإيجاد الأول غلط .

فأما ظنهم أن الموت عدم فهو باطل بل القبر إما حفرة من حفر النيران أو روضة من رياض الجنان، والميت إما من السعداء وأولئك ليسوا أمواتا، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>١٤٥٥</sup> وإما من الأشقياء وهم أيضا أحياء ولذلك ناداهم رسول الله في وقعة بدر وقال إني وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم لما قيل له كيف تتادي قوما قد جيفوا قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم لكنهم لا يقدر أن يجيبوا والمشاهدة الباطنة دلت أرباب البصائر على أن الإنسان خلق للأبد وأنه لا سبيل عليه للمعدم نعم تارة يقطع تصرفه عن الجسد فيقال مات وتارة يعاد إليه فيقال أحيى وبعث أي أحيى جسده .

وأما ظنهم أن البعث ليس إيجادا ثانيا وهو مثل الإيجاد الأول فغير صحيح بل البعث إنشاء آخر لا يناسب الإنشاء الأول أصلا ولإنسان نشأت كثيرة وليست هي نشأتين فقط ولذلك قال تعالى: ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>١٤٥٦</sup>، ولذلك قال بعد خلق المضغة والعلاقة وغير ذلك: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>١٤٥٧</sup> بل النطفة نشأت من التراب والعلاقة نشأت من النطفة والمضغة نشأت من العلاقة والروح من أمر ربي نشأة في المضغة قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>١٤٥٨</sup> ثم خلق الإدراكات الحسية بعد

١٤٥٥ - آل عمران ١٦٩ - ١٧١

١٤٥٦ - الواقعة ٦١

١٤٥٧ - المؤمنون ١٤

١٤٥٨ - الإسراء ٨٥

خلق أصل الروح نشأت أخرى ثم خلق التمييز الذي يظهر بعد سبع سنين نشأت أخرى ثم خلق العقل بعد خمس عشرة سنة وما يقاربها نشأت أخرى وكل نشأت طور، يقول تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾<sup>١٤٥٩</sup> ثم ظهور خاصية النبوة نشأة أخرى وهي نوع من البعث والله سبحانه وتعالى باعث الرسل كما أنه الباعث يوم النشور<sup>١٤٦٠</sup>.

ويوضع اسم الله الباعث في مجموعة دلالية واحدة تتكون من {الحكيم، الرشيد، الخالق، البارئ، البديع، المصور، الهادي، المبدئ، المعيد، المحي، المميت، الجبار، القهار، القيوم، الحفيظ، المؤمن، المهيمن} هذه الأسماء الحسنى تدخل في باب الخلق والتكوين العام، إلا أن أسماء الله تعالى الحسنى {المبدئ، المعيد، الباعث، المحي، المميت} تحيل إلى كمال قدرة الله تعالى في التصرف بالأشياء، بدءا وإعادة، وحياة وموتا وبعثا، وأن ناصية كل شيء في يده تعالى، فضلا عن ذلك أنها ترسم خضوع العبد المملوك، الذي لا حول له ولا قوة إلا بربه الذي منحه الوجود، وكتب عليه الموت، ووعدته بالبعث .

إن اسم الله تعالى الباعث يتشكل ضمن تجليات متعددة تحيل كلها إلى إثارة الساكن، وتغيير حاله فالله سبحانه وتعالى هو باعث الرسل بالأحكام والشرائع، وبعث الموتى إلى الحياة، وبعث النائمين إلى اليقظة.

إن بداية الخلق اتسمت بصور مختلفة تشكلت ضمن نطاق معرفي محدود تتجاوزه نظم محدودة قائمة على الملاحظة والمشاهدة، إذ أن الفكر يتشكل من الملاحظة والمشاهدة المتكررة التي تدخل ضمن المخزون المعرفي المكرر يوميا وهذا الأمر بطبيعة الحال لا يصل إلى إجابة عن كل التساؤلات التي تطرح عن كل ما هو موجود، فالموجود مرسوم بشكل واقعي أي يتفق مع الفكر البشري المتوافق معه ، إلا أن هناك صور متكررة لا يمكن الإجابة عنها وهي تحمل في طياتها أسئلة متعددة تثير في ناظرها أسئلة لا يستطيع الإجابة عنها بل وقف إزاءها موقف المتفرج الذي لا يعرف إلى أي شيء يحيل ما يجده أمامه .

١٤٥٩ - نوح ١٤

١٤٦٠ - المقصد الأسنى، ج ١، ص ١٢٣ - ١٢٤

يمكن العودة إلى الملاحظة والمشاهدة من خلال حدثٍ وقع مع بداية البشرية إذ أن فيه كل تجليات الخلق الأولى القائمة على الملاحظة والمشاهدة ، ولنقرأ قول الله تعالى: {وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} <sup>١٤٦١</sup> هذه القصة رسمت لنا التشكل المعرفي لبداية الخلق في أمرين مهمين، الأمر الأول هو القتل ، أما الأمر الثاني فهو دفن المقتول أو الميت . ففي موضع القتل تعددت الروايات إذ روي أنه جهل كيف يقتله فجاء إبليس بطائر أو حيوان غيره فجعل يَشْدَخُ رأسه بين حجرين ليفتدي به قابيل ففعل؛ قاله ابن جُرَيْج ومجاهد وغيرهما. وقال ابن عباس وابن مسعود: وجده نائماً فشدخ رأسه بحجر وكان ذلك في ثور جبل بمكة قاله ابن عباس. وقيل: عند عَقَبَةِ حِراء، حكاها محمد بن جرير الطَّبْرِي . وقال جعفر الصادق : بالبصرة في موضع المسجد الأعظم <sup>١٤٦٢</sup> . وهذه الرواية تكررت في كثير من تفاسير القرآن الكريم وإن اختلف المكان الذي حصل فيه القتل، إلا أن ما يهمنا منها هي القول إن الإنسان في بدايته يتصرف في كثير من أموره وفق مبدأ الملاحظة والمشاهدة، ومما يعزز مبدأ الملاحظة والمشاهدة هي نهاية القصة التي احتوت على نهاية مفتوحة تبحث لها عن نهاية، إذ يقول تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} <sup>١٤٦٣</sup> وهنا تم إنهاء النهاية المفتوحة التي بدأت من قوله تعالى {فبعث} فالبعث هنا مستعمل في الإلهام بالطيران

١٤٦١ - المائدة ٢٧ - ٣١

١٤٦٢ - تفسير القرطبي، ج ٦، ص ١٣٣

١٤٦٣ - المائدة ٣١



إلى ذلك المكان، أي فألهم الله غراباً ينزل بحيث يراه قابيل. وكأنّ اختيار الغراب لهذا العمل إمّا لأنّ الدفن حيلة في الغريبان من قبل، وإمّا لأنّ الله اختاره لذلك لمناسبة ما يعتري الناظر إلى سواد لونه من الانقباض بما للأسيف الخاسر من انقباض النفس. ولعلّ هذا هو الأصل في تشاؤم العرب بالغراب، فقالوا: غراب البين<sup>١٤٦٤</sup>. فتمت عملية الدفن ضمن الصورة التي حصلت أمام أنظار قابيل، وبهذا يكون التشكل المعرفي للإنسان قائم على الملاحظة والمشاهدة والتجربة.

والملاحظة والمشاهدة والتجربة لا يمكن من خلالها الوصول إلى خالق البشر ومعرفته ومعرفة أحكامه وشرائعه، فكان إرسال الرسل، الذي يرسم ملمحا فكريا يتصل بطبيعة الفكر البشري، هذا الفكر المبني على الملاحظة والمشاهدة والتجربة، وهذا الكلام لا ينطبق على عصر بعينه إنما ينطبق على كل العصور التي عاش فيها البشر ضمن أفكار وعقائد مختلفة، من ذلك ما كان عليه المسلمون قبل البعثة النبوية، إذ يقول تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾<sup>١٤٦٥</sup> ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>١٤٦٦</sup>.

فكل الرسل الذين أرسلهم الله تعالى هم من البشر، إنهم يحملون رسالة السماء فكانوا ضمن اصطفاء خاص، إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>١٤٦٧</sup>.

يخبر تعالى باختيار من اختاره من أوليائه وأصفيائه وأحبابه، فأخبر أنه اصطفى آدم، أي: اختاره على سائر المخلوقات، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له،

١٤٦٤ - تفسير التحرير والتنوير، ج ٤، ص ١٨١

١٤٦٥ - البقرة ١٥١، ١٥٢

١٤٦٦ - آل عمران ١٦٤

١٤٦٧ - آل عمران ٣٣، ٣٤

وأسكنه جنته، وأعطاه من العلم والحلم والفضل ما فاق به سائر المخلوقات، ولهذا فضل بنيه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>١٤٦٨</sup>

وإصطفى نوحا فجعله أول رسول إلى أهل الأرض حين عبدت الأوثان، ووقفه من الصبر والاحتمال والشكر والدعوة إلى الله في جميع الأوقات ما أوجب اصطفاؤه واجتباؤه، وأغرق الله أهل الأرض بدعائه عليهم، ونجاه ومن معه في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، وترك عليه ثناء يذكر في جميع الأحيان والأزمان.

وإصطفى آل إبراهيم وهو إبراهيم خليل الرحمن الذي اختصه الله بخلته، وبذل نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان، ودعا إلى ربه ليلا ونهارا وسرا وجهارا، وجعله الله أسوة يقتدي به من بعده، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، ويدخل في آل إبراهيم جميع الأنبياء الذين بعثوا من بعده لأنهم من ذريته، وقد خصهم بأنواع الفضائل ما كانوا به صفوة على العالمين، ومنهم سيد ولد آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى جمع فيه من الكمال ما تفرق في غيره، وفاق صلى الله عليه وسلم الأولين والآخريين، فكان سيد المرسلين المصطفى من ولد إبراهيم.

وإصطفى الله آل عمران وهو والد مريم بنت عمران، أو والد موسى بن عمران عليه السلام، فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل الصلاح والتوفيق بذرياتهم، فلهذا قال تعالى: ﴿ذرية بعضها من بعض﴾.

أي: حصل التناسب والتشابه بينهم في الخلق والأخلاق الجميلة، كما قال تعالى لما ذكر جملة من الأنبياء الداخلين في ضمن هذه البيوت الكبار ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>١٤٦٩</sup> {والله سميع عليم} يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه

١٤٦٨ - الإسراء ٧٠

١٤٦٩ - الأنعام ٧١

ومن لا يستحق ذلك فيخذه ويرديه، ودل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلا منه وكرما<sup>١٤٧٠</sup>.

والله تعالى باعث الرسل بالأحكام والشرائع، وهنا يتشكل أمر مهم بل في غاية الأهمية ألا وهو تحديد صورة معرفية للخلق يكون على أساسها حساب أخروي يتشكل ضمن مرجعيات عائدة إلى الأحكام والشرائع التي كانت مصاحبة إلى بعث الرسل ، مما يحيل إلى أن باعث الرسل هو باعث للرحمة التي تتحقق من خلال تطبيق أحكامه وشرائعه، يقول تعالى: {مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} <sup>١٤٧١</sup> وقوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} <sup>١٤٧٢</sup>.

وفي النص القرآني تشكلت صورة إرسال الرسل من خلال كلمة {بعثنا} التي تشكل منها صورة تتابعيه تحيل إلى تتابع الرسل دون انقطاع وصولا إلى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، إذ يقول تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلًّا مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} <sup>١٤٧٣</sup> كل أمة في وقت مسمى، وأجل محدود، لا تتقدم عنه ولا تتأخر، وأرسلنا إليهم رسلا متتابعة، لعلمهم يؤمنون وينيبون، فلم يزل الكفر والتكذيب دأب الأمم العصاة، والكفرة البغاة، كلما جاء أمة رسولها كذبوه، مع أن كل رسول يأتي من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، بل مجرد دعوة الرسل وشرعهم، يدل على حقيقة ما جاءوا به، {فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا} بالهلاك، فلم يبق منهم باقية، وتعطلت مساكنهم من

١٤٧٠ - السعدي، ج ١، ص ١٢٨

١٤٧١ - الإسراء ١٥

١٤٧٢ - التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

١٤٧٣ - المؤمنون ٤٤

بعدهم {وَجَعَلْنَاَهُمْ أَحَادِيثَ} يتحدث بهم من بعدهم، ويكونون عبرة للمتقين، ونكالا للمكذبين، وخزيا عليهم مقرونا بعذابهم<sup>١٤٧٤</sup>.

وجاء النص القرآني باقتران لفظة {بعثنا} بـ{ثم} من ذلك قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} <sup>١٤٧٥</sup>، وقد دلت {ثم} على المهلة: لأن موسى عليه السلام بعث بعد شعيب بزمن طويل، فإنه لما توجه إلى مدين حين خروجه من مصر، رجا الله أن يهديه فوجد شعيباً، وكان اتصاله به ومصاهرته تدريجاً له في سلم قبول الرسالة عن الله تعالى فالمهلة باعتبار مجموع الأمم المحكي عنها قبل ، فإن منها ما بينه وبين موسى قرون مثل قوم نوح، ومثل عاد وثمود، وقوم لوط، فالمهلة التي دلت عليها {ثم} متفاوتة المقدار، مع ما يقتضيه عطف الجملة بحرف {ثم} من التراخي الرتبي وهو ملازم لها إذا عطفت بها الجمل. فحرف {ثم} هنا مستعمل في معني المهلة الحقيقي والمجازي<sup>١٤٧٦</sup>.

وورد في السياق نفسه قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} <sup>١٤٧٧</sup>، والتشكيل المعرفي لقوله تعالى {ثُمَّ بَعَثْنَا} يدل على الاستمرار في إرسال الرسل كما يدل على عدم تحديد زمن معين بين رسول ورسول آخر، فكل نبي عاش مع قومه فترة زمنية قد تقصر وتطول، وأطول فترة زمنية وردت في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} <sup>١٤٧٨</sup> وكل فترة زمنية استغرقها أي رسول من رسل الله فهي تدخل في علم علام الغيوب الذي يقدر الأمور كما يشاء تبارك وتعالى ربنا.

<sup>١٤٧٤</sup> - تفسير السعدي، ج ١، ص ٥٥٢

<sup>١٤٧٥</sup> - الأعراف ١٠٣

<sup>١٤٧٦</sup> - التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٤٠٢

<sup>١٤٧٧</sup> = يونس ٧٤، ٧٥

<sup>١٤٧٨</sup> - العنكبوت ١٤

ولم يقتصر إرسال الرسل على امة دون أخرى، فكل الأمم تحقق لهم البعث، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾<sup>١٤٧٩</sup>، وباعت الرسل جل جلاله يخبر هنا في هذه الآية أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل وعدمها قسمين، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ فاتبعوا المرسلين علما وعملا ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ فاتبع سبيل الغي.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بأبدانكم وقلوبكم ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ فإنكم سترون من ذلك العجائب، فلا تجدون مكذبا إلا كان عاقبته الهلاك<sup>١٤٨٠</sup>.

إن إرسال الرسل يشكل جانبا مهما في رسم صورة متحققة في الحياة الدنيا، فالآثار التي تبقى للأمم السابقة تحيل حين النظر إليها إلى استدعاء للماضي بكل تفاصيله، وهذا الاستدعاء يشكل صورة محددة الأطراف تكشف لنا صورة الاستجابة التي حصلت للأقوام السابقين، فآثار المسخ والخسف والغرق تشير إلى صورة الصد والإعراض التي تحققت، إذ يقول تعالى: ﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِاثِمِينَ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>١٤٨١</sup> وهؤلاء الأقوام كان كثير

١٤٧٩ - النحل ٣٦

١٤٨٠ -- السعدي، ج ١، ص ٤٤٠

١٤٨١ - العنكبوت ٣٦ ٤٠

منهم في لذة من العيش، فضلا عن ذلك القوة والمنعة، ولهذا قال عنهم الله تعالى: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} ١٤٨٢.

ورد ذكر البعث مع بداية الخليقة، فبعد أن خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه الصلاة والسلام أمر الملائكة بالسجود له، يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} ١٤٨٣ هذه بداية التكبر والامتناع عن تنفيذ أمر الله تعالى، فلم يقف إبليس عند هذا الحد بل تجاوز آدم عليه الصلاة والسلام إلى ذريته ليكون لهم محرضا على ارتكاب المعاصي والفواحش واختيار كل الطرق المؤدية إلى معصية الله تبارك وتعالى، يقول تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ} ١٤٨٤

لما كَوّن الله فيه الصّغار والحقارة بعد عزّة المَلَكِيّة وشرفها انقلبت مرامي همّته إلى التعلّق بالسّفاسف {إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ إِبْلِيسَ فَمَعَزَى} فسأل النّظرة بطول الحياة إلى يوم البعث، إذ كان يعلم قبل ذلك أنّه من الحوادث الباقية لأنّه من أهل العالم الباقي، فلما أهبط إلى العالم الأرضي ظنّ أنّه صائر إلى العدم فلذلك سأل النّظرة إبقاء لما كان له من قبل، وإذ قد كان ذلك بتقدير

١٤٨٢ - الدخان ٢٥ - ٢٩

١٤٨٣ - البقرة ٣٠ - ٣٤

١٤٨٤ - الأعراف ١٢ - ١٥

الله تعالى وعلمه، وبدر من إبليس طلب النظرة، قال الله تعالى: {إنك من المنظرين} أي إنك من المخلوقات الباقية، وقد أفاد التأكيد بإن والإخبار بصيغة {من المنظرين} أن إنظاره أمر قد قضاه الله وقدره من قبل سؤاله، أي تحقق كونك من الفريق الذين أنظروا إلى يوم البعث، أي أن الله خلق خلقاً وقدر بقاءهم إلى يوم البعث، فكشف لإبليس أنه بعض من جملة المنظرين من قبل حدوث المعصية منه، وأن الله ليس بمغيّر ما قدره له، فجواب الله تعالى لإبليس إخبار عن أمر تحقق، وليس إجابة لطلبة إبليس، لأنه أهون على الله من أن يجيب له طلباً، وهذه هي النكتة في العدول عن أن يكون الجواب: أنظرتك أو أجبت لك مما يدل على تكرمت باستجابة طلبه، ولكنه أعلمه أن ما سأله أمر حاصل فسؤاله تحصيل حاصل<sup>١٤٨٥</sup>.

وبأتي البعث بمعنى الإرسال<sup>١٤٨٦</sup> والإرسال ورد في النص القرآني بدلالة الرحمة المتحققة من خلال إرسال الرياح، إذ يقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا}<sup>١٤٨٧</sup> وقوله تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ}<sup>١٤٨٨</sup> إن إرسال الرياح وإنزال المطر يتشكل ضمن محاور عدة ومن هذه المحاور محور التصرف بين السماء والأرض فقدرة الله تبارك وتعالى عظيمة، إذ ترسم لنا هذه الحركة العظيمة التي يكون بعدها الخير الواسع لكل الخلق مما يترك للخلق أجمعين أبعاداً مختلفة تتجاوز الجانب المادي إلى الجانب السيكلوجي فتثري الخلق بالإيمان العظيم والثقة المطلقة بالله تعالى مما يزيد تعلق العباد بالله تعالى. وهذا جانب عظيم من جوانب الرحمة التي من الله تعالى بها على عباده.

<sup>١٤٨٥</sup> - التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٢٤٤

<sup>١٤٨٦</sup> - تاج العروس، ج ١، ص ١٢١٤

<sup>١٤٨٧</sup> - الفرقان ٤٨، ٤٩

<sup>١٤٨٨</sup> - فاطر ٩



أما جانب العذاب والعقوبة الذي ورد بصيغة الإرسال ، من ذلك قوله تعالى: { وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ }<sup>١٤٨٩</sup> وقوله تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ }<sup>١٤٩٠</sup> وقوله تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ }<sup>١٤٩١</sup> وهنا الأمر تغير رأسا على عقب فدلالة الإرسال لم تكن رحمة بل هي عذاب واقع يهلك كل ما هو على الأرض بدلا من بث الحياة ، فالصورة المغايرة هنا جاءت بسبب الكفر والكذب المتحقق فلم ينفع إرسال الرسل ولا البراهين أو حتى المعجزات ، فكان لابد من نهاية وهذه النهاية تتناسب مع أفعالهم التي أصروا عليها واستكبروا بها ، يقول تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }<sup>١٤٩٢</sup> .

أما قوله تعالى: { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ }<sup>١٤٩٣</sup> فقد جاء تخويفا للمشركين والمقصود من النص القرآني هنا ليس الإعلام بقدره الله تعالى فإنها معلومة، ولكن المقصود التهديد بتذكيرهم بأنَّ القادر من شأنه أن يُخاف بأسه. والعذاب الذي من فوق مثل الصواعق والرياح، والذي من تحت الأرجل مثل الزلازل والخسف والظوفان.

فضلا عن ذلك أن الله تعالى قادر أن يخلطكم وهذا الخلط يؤدي إلى الفتنة وقتل البعض البعض الآخر. والله تعالى قادر على ذلك كله، فلا بد من الحذر من الإقامة على المعصية،

١٤٨٩ - الداريات ٤١ - ٤٢

١٤٩٠ - القمر ١٩ - ٢٠

١٤٩١ - القمر ٣١ - ٣٤

١٤٩٢ - الفرقان ٢١ - ٢٣

١٤٩٣ - الأنعام ٦٥



فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم ويمحقكم، ومع هذا فقد أخبر أنه قادر على ذلك. ولكن من رحمته، أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب، ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف.

عَنْ جَابِرٍ - رضي الله عنه - قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ} قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». قَالَ {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} قَالَ « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «هَذَا أَهْوَنُ». أَوْ «هَذَا أَيْسَرُ»<sup>١٤٩٤</sup>.

فدلالة الإرسال تشكل مع أمرين مهمين أمر الرحمة وأمر العذاب، مما يترك انطبعا معرفيا تفتح به شفرات النص ويحيلها إلى قراءات جديدة تثري الفكر وتستوقفه عند كل قراءة.

اسم الله تعالى {الباعث} يتشكل في سياقين مهمين، السياق الأول تشكل وفق معطيات الدنيا وما تحقق فيها، وهذا كان ضمن إرسال الرسل وقد أسلفنا القول فيه، أما السياق الثاني فيكون ما بعد الموت والذي يستند في الوقت نفسه على السياق الأول وهذا ما سوف نبينه إن شاء الله .

البعث من الألفاظ الدالة على ظهور الحياة ، فدلالته على ظهور الحياة أقوى من بقية الألفاظ وإيحائيته بهذا المعنى أكبر وأشمل ، ومن الألفاظ الدالة على ظهور الحياة هي الخروج والنزول والإنبات والفجر والفلق والاهتزاز والرُّبُوع .

والبعث لغة الإثارة ويقال بعثتُ النَّاقَةَ إِذَا أَثَرْتَهَا<sup>١٤٩٥</sup> .

والبعث ضربان:

- بشري، كبعث البعير، وبعث الإنسان في حاجة.

- وإلهي، وذلك ضربان:

<sup>١٤٩٤</sup> - صحيح البخاري، ج ١٥، ص ٢٠٨

<sup>١٤٩٥</sup> - معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٢٦٦

- أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع لا عن ليس {الليس: اللزوم}، وذلك يختص به  
الباري تعالى، ولم يقدر عليه أحد<sup>١٤٩٦</sup>.

والثاني: إحياء الموتى، وقد خص بذلك بعض أوليائه، كعيسى صلى الله عليه وسلم وأمثاله،  
ومنه قوله عز وجل: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ  
فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}<sup>١٤٩٧</sup> يعني: يوم الحشر، وقوله عز وجل: {فَبَعَثَ اللَّهُ  
غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا  
الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} أي: قيضه، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ  
أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ  
الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ}<sup>١٤٩٨</sup>، ونحو قوله تعالى: {ثُمَّ  
أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا  
لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}<sup>١٤٩٩</sup> وقوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا}<sup>١٥٠٠</sup>،  
وذلك إثارة بلا توجيه إلى مكان، يقول تعالى: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ  
كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}<sup>١٥٠١</sup> وقوله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ  
فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ  
الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}<sup>١٥٠٢</sup>، وقال عز وجل: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى  
عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ  
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى  
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ

١٤٩٦ - المصدر السابق.

١٤٩٧ - الروم ٥٦

١٤٩٨ - النحل ٣٦

١٤٩٩ - المؤمنون ٤٤

١٥٠٠ - الكهف ١٢

١٥٠١ - النحل ٨٤

١٥٠٢ - الأنعام ٦٥

أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>١٥٠٣</sup>، وعلى هذا قوله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}<sup>١٥٠٤</sup>، والنوم من جنس الموت فجعل التوفي فيهما، والبعث منهما سواء، وقوله عز وجل: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}<sup>١٥٠٥</sup>، أي: توجههم ومضيهم<sup>١٥٠٦</sup>.

وقد جاء البعث بدلالة الإحياء في هذه الحياة الدنيا خمس مرات في خمسة مواضع، قال تعالى: {وَإِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}<sup>١٥٠٧</sup> فالبعث هنا الإحياء بعد موت بني إسرائيل بالصاعقة التي أخذتهم عقوبة على تجرئهم على الله، فلا يطلق البعث في اللغة إلا على من مات فعلا. وهذا يقودنا إلى النظر في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}<sup>١٥٠٨</sup> فقد استعار القرآن الكريم النوم للموت لما بينهما من التشابه، يؤكد ذلك قوله بعدها: {ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ} والبعث لا يقال كما قلنا إلا لمن مات فاستعارة النوم واليقظة للموت والبعث، جاء لتمثيل صورة بعث الأموات يوم القيامة وتقريب عملية بعث الأموات يوم الدين التي يماري فيها الكافرون.

وصورة يقظة النائم من نومه تلقي بظلالها على البعث يوم القيامة فبينما هو في نومه مستغرقا لا يدري ما يجري حوله، إذا هو فجأة يرد إليه الإحساس والإدراك ويحس بكل ما حوله وكأن نومه كان حلما من أحلامه، وكذلك البعث فحين يبعث الخلق يظنون أنهم لم

١٥٠٣ - البقرة ٢٥٩

١٥٠٤ - الأنعام ٦٠

١٥٠٥ - التوبة ٤٦

١٥٠٦ - مفردات ألفاظ القرآن، ج ١، ص ١٠٠

١٥٠٧ - البقرة ٥٥، ٥٦

١٥٠٨ - الأنعام ٦٠

يكونوا في قبورهم إلا يوماً أو بعض يوم، إذ يقول تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا} ١٥٠٩ .

إنها صورة مماثلة لصورة النائم الذي يستيقظ من نومه، فلا يعلم كم لبث في نومه!! وهؤلاء المبعوثون على الرغم من كل السنين التي مرت عليهم يشعرون أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا عشرة أيام أو ربما يوماً واحدا!! لشدة ما هم فيه من الهول، مما جعل متاع الحياة الدنيا يتضاءل أمامهم ويغدو تافها لا يستحق التكالب الذي كانوا فيه من اجله .

وفي سياق آخر يصور فتية آمنوا بالله وهربوا من قومهم الكافرين إلى كهف بعيد عن المدينة، قال تعالى: {فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا} ١٥١٠ فكان نومهم كالموت لانقطاع آذانهم عن سماع أي شيء خارجي، لهذا قال تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ} تنبيهها على أن نومهم كان قريباً من الموت. أي ضربنا عليهم حجاباً يمنع السماع بمعنى أنماهم إنامة لا تنبههم فيها الأصوات ١٥١١ فكانوا كأصحاب القبور لا يدرون حين يوقظون كم لبثوا في رقادهم فقالوا بعد أن أيقظهم الله تعالى: {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} ١٥١٢ فأحساسهم حين بعثوا يشبه إحساس من بعث من موته يوم القيامة، إن قوة العرض والإحياء، هي السمة البارزة في مشاهد القصة جميعاً.

تعد قضية الحياة والموت من القضايا التي تثير تساؤلات عدة ، فهذا الكون الواسع وما فيه يخضع لهذه الثنائية، إذ يقول تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ

١٥٠٩ - طه ١٠٢ - ١٠٤

١٥١٠ - الكهف ١١ - ١٢

١٥١١ - تفسير البيضاوي، ج ٣، ص ٤٧٠

١٥١٢ - الكهف ١٩

العَزِيزُ الْعَفُورُ} ١٥١٣، والله تعالى بحكم إلهيته للكون كله وخلقه للحياة والموت، هو الذي بيده وهب الحياة وعدمها بالموت {وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} ١٥١٤ ولا أحد من خلق الله يملك قدرة الإحياء والإماتة، يقول تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا} ١٥١٥ فالله سبحانه وتعالى هو الذي يملك الحياة والموت {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ١٥١٦ الإحياء والإماتة صفتان عظيمتان من صفات الله التي متعلقها أحوال الكائنات في السماوات والأرض وخاصة أهل الإدراك منهم. وللتذكير بدليل إمكان البعث الذي جحده المشركون، وللتعريض بإبطال زعمهم بتأليه أصنامهم، ومن هذين الفعلين جاء وصفه تعالى بصفة «المحيي المميت» وجلّ ثناؤه هو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، من إحياء أو إماتة .

وأروع ما صوره القرآن الكريم لبعث الحياة في الأجساد الميتة قصة الرجل الذي تساءل عن سر الحياة والموت وهل يمكن أن تبعث الحياة في الموت؟! ولنستمع إلى القرآن يتحدث عن هذه القصة فيقول تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ١٥١٧

هذه القصة القرآنية تمثل صورة البعث بطريقة تصويرية تعتمد النظر، وتتسم بالحركة المتعاقبة الدالة على حركية بعث الحياة، فأمامنا قرية {خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} أي خاوية ساقطة على

١٥١٣ - الملك ٢

١٥١٤ - النجم ٤٤

١٥١٥ - الفرقان ٣

١٥١٦ - الحديد ٢

١٥١٧ - البقرة ٢٥٩

سقفها وذلك أشدّ الخراب لأنّ أول ما يسقط من البناء السُقْف ثم تسقط الجدران على تلك السُقْف<sup>١٥١٨</sup>. فهذا التعبير رمز لموت أهل القرية وتهدم دورها، وبقاء السكون والصمت ووحشة القبور فيها عندها يمر الرجل الصالح بهذه القرية الميتة، فيسأل ويتعجب استبعادا للحياة {أَتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} إن الموت أتى على كل شيء في القرية، جعل الرجل الصالح يظن أن لا بعث لهذه القرية أبدا!! وهنا تدخل الإرادة الإلهية، وكانت التجربة الحية التي وجدها الرجل في نفسه، وفي الأشياء التي معها الحمار والطعام والشراب . وهذه الصورة تمثل إحياء الإنسان، والحيوان، والطعام، والماء، إنها صورة مصغرة للقرية التي تساءل هل يمكن أن تعود الحياة لها؟ وقوله: {ثم بعثه} أي أحياه وهي حياة خاصة ردت بها روحه إلى جسده؛ لأنّ جسده لم يبيلَ كسائر الأنبياء ، وهذا بعث خارق للعادة وهو غير بعث الحشر .

وقوله : {البعث يوماً أو بعض يوم} اعتقد ذلك بعلم أودعه الله فيه أو لأنّه تذكر أنّه نام في أول النهار ووجد الوقت الذي أفاق فيه آخر نهار .

وقوله: {فانظر إلى طعامك} تفرّيع على قوله: {البعث مائة عام}. والأمرُ بالنظر أمر للاعتبار أي فانظره في حال أنّه لم يتسنه، والظاهر أنّ الطعام والشراب كانا معه حين أميت أو كانا موضوعين في قبره إذا كان من أمة أو في بلد يضعون الطعام للموتى المكرّمين كما يفعل المصريون القدماء، أو كان معه طعام حين خرج فأماته الله في نومه كما قيل ذلك<sup>١٥١٩</sup>.

إنها تجربة كلها بعث وحياة في كل صور البعث التي شملها القرآن الكريم.

الباعث يبعث رزقه للجميع فلا يفرق بين أحدٍ من خلقه مهما كانت ديانته ومهما كان فكره، إذ يقول تعالى: {كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءًا وَهَؤَآءًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} <sup>١٥٢٠</sup> فرزق الله ليس ممنوعاً عن أحد بل أن جميع الخلق يشملهم رزقه وذلك بفضلهِ وإحسانه . أما التفضيل في الدنيا

١٥١٨ - التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٤٤٣

١٥١٩ - التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٤٤٣

١٥٢٠ - الإسراء ٢٠، ٢١

فيكون بسعة الرزق وقلته وفي العلم والجهل والعقل والسفه، وغير ذلك من الأمور التي فضل الله العباد بعضهم على بعض بها.

ويتشكل مع بعث الرزق قضية مهمة ألا وهي مشيئة الله تبارك وتعالى، يقول تعالى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} ١٥٢١ وقوله تعالى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ١٥٢٢ وقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ١٥٢٣ إن ارتباط المشيئة بالرزق يتعلق بقضية الإصلاح والفساد ، فهذا التشكل يرسم صورة الإصلاح التي ينشدها الله تبارك وتعالى في الخلق، فالله تعالى يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم، فالخلق عامة يختلفون في كل شيء وهذا الاختلاف ينم أن تصرفهم في كل ما يملكونه يكون تابعا للفكر الذي يحملونه، وهو بالتالي يؤدي بهم إما إلى النجاة أو إلى الهلاك. والخليفة يستمد هذه الصفة من الله تبارك وتعالى في تعامله مع الخلق أجمعين فيعطي لكل ذي حق حقه ولا يتردد في الحق وإن كان أمامه كافر أو مشرك، وفي هذا الموضع نتذكر قول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَنَّاكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ" ١٥٢٤. هذا هو التشكل المعرفي الذي جاء به الله تعالى ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام فاسم الباعث هنا يشكل أيضا مع قضية أخرى وهي قضية الأمانة ، والتي شغلت حيزا كبيرا في الفكر الإسلامي ، يقول تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} ١٥٢٥ هذا الآية الكريمة تنطق بأمر عظيم يتشكل مع بني البشر جميعا فيكون جزءا مهما في طبيعتهم وتصرفهم، فهو لا ينفك عنهم ففي كثير من الأحيان

١٥٢١ - الرعد ٢٦

١٥٢٢ - العنكبوت ٦٢

١٥٢٣ - الروم ٣٧

١٥٢٤ - سنن أبي داود، ج ١٠ ، ص ٣٨٣

١٥٢٥ - الأحزاب ٧٢



يكون البوح به أمرا حتميا نتيجة لقلّة الملتزمين به وهذا ما حصل مع النبي يوسف عليه الصلاة والسلام، إذ يقول تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا جُرْ الْأَخْرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} ١٥٢٦ واقترح يوسف عليه السلام ذلك إعداد لنفسه للقيام بمصالح الأمة على سنة أهل الفضل والكمال من ارتياح نفوسهم للعلم في المصالح، ولذلك لم يسأل مالا لنفسه ولا عَرَضاً من متاع الدنيا، ولكنه سأل أن يوليه خزائن المملكة ليحفظ الأموال ويعدل في توزيعها ويرفق بالأمة في جمعها وإبلاغها لمحالها ١٥٢٧.

أما الجانب النفسي للبعث فيمكن القول عنه، أنه يتشكل مع النفس الإنسانية ذلك أن الله تعالى هو القادر على أن يؤلف بين قلوب الخلق، إذ يقول تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ١٥٢٨ فالله سبحانه وتعالى قادر على تغيير الأحوال وجعل المودة تسري بين الناس جميعا وخاصة بين المقربين إذ يقول تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ١٥٢٩ هنا الخطاب يتوجه للمؤمنين تطبيبا لقلوبهم، أنه قد يغرس في قلوب الكافرين من أهلهم ومن أقربائهم محبة الإسلام، فيتم التواد، ويتم التصافي بينهم وبين هؤلاء الذين كانوا يعادونهم، ويقاطعونهم في الدين، والله قدير على ما يشاء، غفور لخطيئة الذين ألقوا إليهم بالمودة إذا تابوا منها، رحيم بهم، فلا يعذبهم بعد توبته عليهم من ذنبهم ١٥٣٠.

أما البعث في الآخرة فيأخذ شكلا مختلفا إذ يتشكل مع وضع جديد ذي خصوصية جديدة، فالبشر عامة لا بد لهم من نهاية وهذه النهاية هي الموت المتحقق في الدنيا، إذ يقول تعالى:

١٥٢٦ - يوسف ٥٤ - ٥٧

١٥٢٧ - التحرير والتنوير ج ٧ ص ٢٨٤

١٥٢٨ - الأنفال ٦٣

١٥٢٩ - الممتحنة ٧

١٥٣٠ - أسعد حومد ج ١ ص ٥٠٣٥



{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} ١٥٣١ وقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} ١٥٣٢ والموت أمر لا بد منه فلا مفر منه، إذ يقول تعالى: {أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} ١٥٣٣ فالنص القرآني هنا يفتح ملفا للموت يشير فيه أينما تكونوا يلحقكم الموت في أي مكان كنتم فيه عند حلول آجالكم، ولو كنتم في حصون منيعة بعيدة عن ساحة المعارك والقتال، فضلا عن ذلك أن الموت يكون خارج نطاق المعرفة البشرية فهو في علم الله تعالى، يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ١٥٣٤ روي أن ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه. فقال الرجل: من هذا؟ قال: ملك الموت. فقال: كأنه يريدني. وسأل سليمان أن يحمله على الريح إلى بلاد الهند ففعل. ثم قال ملك الموت لسليمان: كان نظري إليه تعجباً منه لأنني أمرت أن اقبض روحه بالهند وهو عندك ١٥٣٥.

وسياق الآيات السابقة يرسم صورة من غرور الكافرين فمن جملة غرورهم في نفي البعث أنهم يجعلون عدم إعلام الناس بتعيين وقته أمانة على أنه غير واقع. قال تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ١٥٣٦ وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ

١٥٣١ - الزمر ٣٠ - ٣١

١٥٣٢ - الملك ١ - ٢

١٥٣٣ - النساء ٧٨

١٥٣٤ - لقمان ٣٤

١٥٣٥ - تفسير النيسابوري، ج ٦ ص ٢٢٨

١٥٣٦ - يونس ٤٨

أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَّا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ<sup>١٥٣٧</sup>، فلما جرى في الآيات قبلها ذكر يوم القيامة أعقت بأن وقت الساعة لا يعلمه إلا الله.

فجملة {إن الله عنده علم الساعة} مستأنفة استئنافاً بيانياً لوقوعها جواباً عن سؤال مقدر في نفوس الناس. والجمل الأربع التي بعدها إدماج لجمع نظائرها تعليماً للأمة<sup>١٥٣٨</sup>.

ويتحقق الموت لكل الخلق وفق مشيئة الله تعالى، وتكتسب مفردة {الموت} دلالتها داخل السياق العام لخطاب الموت، فهناك ألفاظ لا تتجاوز حدود الدلالة على الموت الطبيعي الفطري المسلم به تبعاً لقانون الله تعالى في خلقه. وهناك ألفاظ بدلالة موت الهلاك بقتل أو غيره، أي أنها تمثل شكلاً للموت، أو لا تمثل ذلك، غير أنها لا تمثل موتاً طبيعياً بل أن دلالة الموت تحصل بفعل الله سبحانه وتعالى، ويكون له سبب خارجي، إنسان أو طبيعة غاضبة.

وبعد الموت يتحقق البعث، يقول تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ<sup>١٥٣٩</sup>} وقوله تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى<sup>١٥٤٠</sup>} والبعث بدأ لحياة جديدة للخلق، فكل مخلوق له حياتان، يقول تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكُ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ<sup>١٥٤١</sup>} فيقول الكافرون: ربنا خلقتنا من عدم ولم تكن لنا حياة، وأممتنا حين انقضت آجالنا، وأحييتنا أولاً بنفخ الأرواح فينا ونحن في الأرحام، وأحييتنا بإعادة أرواحنا إلى أبداننا يوم البعث، والنشور،

١٥٣٧ - الشورى ١٧ - ١٨

١٥٣٨ - التحرير والتوير، ج ١١، ص ١٥٣

١٥٣٩ - التغابن ٧

١٥٤٠ - طه ٥٥

١٥٤١ - غافر ١١ - ١٢

فاعترفنا بأننا كنا أنكرنا البعث فكفرنا، واجترحنا السيئات، فهل من سبيل إلى إخراجنا من النار، وإعادةتنا إلى الحياة الدنيا لنعمل غير الذي كنا نعمل؟ فأنت القادر على كل شيء<sup>١٥٤٢</sup>. فالنص القرآني هنا ينقل لنا البعث وفق صورة ثلاثية الأبعاد لا تحتاج إلى تأويل أو إلى تشبيه فالناقل لها وهو كافر يبحث عن خروج، والخروج هنا يمثل عملية عكسية يراد منها الرجوع إلى الدنيا لتصحيح كل الأخطاء والتجاوزات التي حصلت، فالرجوع إلى الدنيا لا يتحقق، إذ يقول تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ}<sup>١٥٤٣</sup> هنا إخبار عن حال من حضره الموت، من المُفْرَطِينَ الظالمين، فصورة الحق تتحقق أمامه ويرى أمامه كل الذي سمعه في الدنيا، وهنا يطلب الرجوع، وهذا الرجوع إلى الدنيا يسبق البعث فلم يتحقق البعث بعد، فهو في حالة فاصلة ما بين ترك الدنيا والدخول في عالم آخر لا يعرف كنهه إلا الله تعالى. أما قوله تعالى: {وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهفته. فالرجوع هنا مطلوب من قبل الظالمين ولكن قبل تحقق البعث.

فالبعث يسبقه سكون عام لكل البشر، وهذا السكون يكون متمثلاً بالموت الذي يسود كل الخلق، إذ يقول تعالى: {وَتُفْخَخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}<sup>١٥٤٤</sup> لما خوفهم تعالى من عظمتهم، خوفهم بأحوال يوم القيامة، ورغبتهم ورهبهم فقال: {وَتُفْخَخُ فِي الصُّورِ} وهو قرن عظيم، لا يعلم عظمتهم إلا خالقه، ومن أطلعه الله على علمه من خلقه، فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، أحد الملائكة المقربين، وأحد حملة عرش الرحمن.

١٥٤٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد، ج ١، ص ٤٠٢٣

١٥٤٣ - المؤمنون ٩٩ - ١٠٠

١٥٤٤ - الزمر ٦٨

{فَصَعِقَ} أي: غشي أو مات، على اختلاف القولين: {مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} أي: كلهم، لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها وعظمتها، وما يعلمون أنها مقدمة له. {إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} ممن ثبته الله عند النفخة، فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم، وغيرهم. وهذه النفخة الأولى، نفخة الصعق، ونفخة الفرع<sup>١٥٤٥</sup>. فالكل أموات فلا يكون هناك صوت، فالسكون فالسكون يسري بين الجثث المتناثرة والعظام البالية انتهى كل شيء فلا عودة إلى الدنيا، بل أين هي الدنيا الآن أصبح الجميع في مشهد واحد في انتظار واحد لملاقاة رب واحد، يقول تعالى: {ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} هنا تحول رهيب صورة تفوق التصور والخيال كيف ترسم؟ قبور تفتح فيخرجون منها بسرعة يتحركون يمينا وشمالا يركضون أصوات مختلفة، فالمشركون ورد ذكرهم في القرآن الكريم في هذا الموقف ضمن مشهد تتابعي من الدنيا إلى يوم البعث، وكله متعلق بالبعث، فتحقق البعث إجابة لكل التساؤلات التي طرحها الكافرون ضمن سياق الكذب والاستهزاء، إذ يقول تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}<sup>١٥٤٦</sup> فالبعث كان صورة تخيلية في الدنيا، فتحققه مرتبط بالزمن أي متى يحين وقته يتحقق، لكنه متحقق ذهنيا في عقول المؤمنين، فالإيمان بالبعث من عقيدة المسلم، وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، قال الله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}<sup>١٥٤٧</sup>.

<sup>١٥٤٥</sup> - تفسير السعدي، ج ١، ص ٧٢٩

<sup>١٥٤٦</sup> - يس ٤٨ - ٥٤

<sup>١٥٤٧</sup> - الأنبياء ١٠٤

والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} ١٥٤٨، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاءَ عُرَاةٍ غُرُلًا" ١٥٤٩.

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على السنة رسله ١٥٥٠ قال الله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} ١٥٥١، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} ١٥٥٢.

وإعادة الحياة للأموات وردت في النص القرآني قبل يوم القيامة ضمن سؤال النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إذ يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ١٥٥٣

فإن إبراهيم لفرط محبته الوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث رام الانتقال من العلم النظري البرهاني، إلى العلم الضروري، فسأل الله أن يريه إحياء الموتى بالمحسوس وقوله: {ليطمئن قلبي} معناه لينبت ويتحقق علمي وينتقل من معالجة الفكر والنظر إلى بساطة الضرورة بيقين المشاهدة وانكشاف المعلوم انكشافاً لا يحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشبه عن العقل، وذلك أن حقيقة يطمئن، يسكن، ومصدره الاطمئنان، واسم المصدر الطمأنينة، فهو حقيقة في سكون الأجسام، وإطلاقه على استقرار العلم في النفس وانتفاء معالجة الاستدلال

١٥٤٨ - المؤمنون ١٥ - ١٦

١٥٤٩ - صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٦٥

١٥٥٠ - شرح ثلاثة الأصول، ج ١، ص ٦٩

١٥٥١ - المؤمنون ١١٥

١٥٥٢ - القصص ٨٥

١٥٥٣ - البقرة ٢٦٠

أصله مجاز بتشبيه الترددّ وعلاج الاستدلال بالاضطراب والحركة، وشاع ذلك المجاز حتى صار مساوياً للحقيقة ، يقال اطمأنّ بآله واطمأنّ قلبه.

والقلبُ مراد به العلم إذ القلب لا يضطرب عند الشك ولا يتحرك عند إقامة الدليل وإنما ذلك للفكر، وأراد بالاطمئنان العلم المحسوس وانشراح النفس به وقد دلّ الله على طريقة يرى بها إحياء الموتى رأي العين.

وقوله: {فخذ أربعة من الطير} يطلق على الواحد مرادفاً لطائر؛ فإنّه من التسمية بالمصدر وأصلها وصف فأصلها الوحدة، ولا شك في هذا الإطلاق، وهو قول أبي عبيدة والأزهري وقُطرب ولا وجه للتردد فيه، ويطلق على الواحد وجمعه أيضاً وهو اسم جمع طائر كصخب وصاحب، وذلك أنّ أصله المصدر والمصدر يجري على الواحد وعلى الجمع.

وجيء بمن للتبعيض لدلالة على أنّ الأربعة مختلفة الأنواع، والظاهر أنّ حكمة التعدد والاختلاف زيادة في تحقّق أنّ الإحياء لم يكن أهون في بعض الأنواع دون بعض، فلذلك عدّدت الأنواع، ولعلّ جعلها أربعة ليكون وضعها على الجهات الأربع: المشرق والمغرب والجنوب والشمال لئلاّ يظنّ لبعض الجهات مزيد اختصاص بتأتي الإحياء، ويجوز أنّ المراد بالأربعة أربعة أجزاء من طير واحد فتكون اللام للعهد إشارة إلى طير حاضر، أي خذ أربعة من أجزائه ثم ادعهنّ، والسعي من أنواع المشي لا من أنواع الطيران، فجعل ذلك آية على أنّهنّ أعيدت إيهن حياة مخالفة للحياة السابقة، لئلا يظن أنّهن لم يمتن تماماً<sup>١٥٥</sup>.

وحظ الخليفة من اسم الله تعالى {الباعث} أن يتشكل مع فكره فيبصر به فيغير ما تقع عليه عينه في مجتمعه، فيعيد أقرب الناس إليه إلى الله تعالى، فيخاف عليهم من الآخرة ومن عذاب جهنم، إذ يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}<sup>١٥٥</sup> فتكتسب الحياة الدنيا والآخرة شكلا جديدا، وأهم كسب فيهما هو رضا الله تبارك وتعالى، فالحياة لا بد لها من

١٥٥٤ - التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٤٤٥

١٥٥٥ - التحريم ٦

إعادة نظر وتصحيح لكثير من المفاهيم ، وهذا الأمر يؤدي إلى بعثها من جديد وفق أطر ومناهج أرادها الله تبارك وتعالى.

وعلى الخليفة إعادة البسمة والفرحة إلى كثير من الخلق وبخاصة الأيتام، وهي من الصفات العظيمة التي أوصى بها الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ"<sup>١٥٥٦</sup>. هذا الحديث الشريف رسم صورة من صورة البعث، فاليتيم إذ ترك ونسي أصبح كالميت الذي لا يدرك أي شيء في هذه الحياة فلا يميز بين الصح والخطأ، فتركه في هذه الدنيا فإنه يتشكل معها ضمن سبلها المهلكة التي تجعله واحدا من ضحاياها، فيكون من الخاسرين في الدنيا والآخرة. أما الاعتناء باليتيم والمحافظة عليه وتوجيهه نحو طرق الخير والصلاح فهو أحد الطرق الموصلة إلى الجنة له ولغيره، فضلا عن ذلك هو إنقاذ للنفس البشرية من الضياع وإحاقها بركب الصالحين فهذا هو حياة لها، وهي من صفات المؤمنين، يقول الله تعالى: {وَيُطْعَمُونَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا}<sup>١٥٥٧</sup>.

اللهم يا الباعث للحياة اجعل حياتنا على الخير وللخير، ويا الباعث للأمل اجعل الخير كل الخير فيما نتمنى ونأمل، اللهم ابعث في أولادنا وأخوتنا وامتنا المحبة والمودة ولا تجعل بينهم فرقة، اللهم اجعلهم رحماء فيما بينهم أشداء على أعدائهم.

اللهم إنك باعث الحياة، وبعث لنا الحياة فيها بعد أن خلقتنا من طين لازب، ثم من نطفة مصداقا لقولك تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

<sup>١٥٥٦</sup> - صحيح مسلم، ج ٨، ص ٢٢١

<sup>١٥٥٧</sup> - الإنسان ٨ - ١١

تُبْعَثُونَ} <sup>١٥٥٨</sup> اللهم يا الباعث يا عالم الأسرار يا من خلقتنا من تراب ابعثنا في الجنة ولا تبعثنا في النار، اللهم إنك من تدخل النار فقد أخزيتة فلا تدخلنا فيها حتى لا نكون مع المخزيين وادخلنا الجنة حتى نكون مع الوارثين، ولا تخزنا يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

اللهم يا الباعث قد مننت علينا برسول من أنفسنا يتلوا علينا آياتك فبه آمنا وعليه صلينا وسلمنا كما أنت عليه صليت وسلمت.



موسم من أسماء الله الحسنى

وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض

تأليف  
أ. د. عقيل حسين عقيل  
جامعة الفلاح - كلية الآداب

أجزءة الخمسة

الجزء الأول

دار الزكوة  
دمشق - بيروت